العقد الفريد

للإمام الفاضل شهاب الدين أحمد
المعروف بابن عبد ربه الأندلسي

الجزء الأول

السلطان والحروب والأجواد والأصفاد والوفود

مكتبة صادر بيروت
مكتبة لسان العرب

١

السلطان وعدل ساعة

١

السلطان وعدل ساعة

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب ،
فيه أدب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

●

السلطان وعدل ساعة

هو كتاب اللؤلؤة الاولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

Ibn 'Abd Rabbih, Ahmad

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

١

al-'Iqd al-farīd.

v.1

السلطان وعدل ساعة

مكتبة صادر
بيروت

مطبعة المناهل : ٥٥ — ١٩٥١

ابن عبد ربه

٨٦٠–٩٤٠ م

هو ابو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، ولد في قرطبة ، ونشأ فيها ميالاً الى الادب من نظم ونثر فبرع فيهما ، ودرس بعض العلوم كالطب والموسيقى ، ومات مفلوجاً .

كان في شبابه معتكفاً على اللهو يكثر الغزل في شعره، غير انه تزهد في كبره ، فعارض ما نظمه من القصائد الغزلية بقصائد زهدية من بحورها وقوافيها ، سماها بالممحصات .

وابن عبد ربه شاعر أديب في طبيعته ، ولكن علمه سيطر على أدبه فأضعف من قوة خياله وفنه ، فاذا قرأت شعره رأيت العقل والعلم مسيطرين على العاطفة والخيال ، فقصيدته القصصية التي ضمنها وصف غزوات عبد الرحمن الناصر ، وهي تبلغ زهاء اربع مائة واربعين بيتاً ، هذه القصيدة ليست الا عبارة عن تاريخ منظوم لا ملحمة .

بيد أنه اذا قصر في الشعر، ولم يبلغ في انشائه مبلغ الجاحظ في فكاهته واسترساله والاصبهاني صاحب الاغاني في ايجازه، فان له من علمه منزلة كبيرة نلمسها في كتابه العقد الفريد ، ومـا نعت هذا الكتاب بالفريد الا لنفاسته .

هو مجموعة أدبية ، فنية ، من خطب وشعر وفصول نثرية ، وأقوال حكماء وعلماء في قواعد العمران والاجتماع ، فيه علم العروض وعلم الالحان والابدان، ونتف تاريخية مع أخبار عرب الجاهلية واايامهم وانسابهم وحوادثهم ، واخبار الخلفاء والملوك وغيرهم ؛ وعلى ان فيه نقصاً من حيث تاريخ الحوادث فان قيمته الادبية عظيمة ، لاسيما بما يحتويه من آراء ادبية في نقد الشعر ، وآراء فنية في نقد المغنين والملحنين ؛ وهو بعد الاغاني المرجع الذي يرجع اليه الادباء ويعتمد عليه المؤرخون .

وقد قسم هذا الكتاب مؤلفه الى خمسة وعشرين جزءاً اطلق على كل جزء منها اسم جوهرة من جواهر العقد ، فأخذنا منه كل جوهرة على حدة وجعلناها في كتاب منفرد ضابطين بالشكل ما رأينا ضرورة ضبطه ، مما تحويه ، وشارحين ما فيه من الفاظ تحتاج الى شرح. وبغيتنا من ذلك ان نسهل على الادباء والمتأدبين اقتناء ما يشاؤون مطالعته من مختلف مواضيع جواهره ، والاغتراف من معين فوائده، وعسى ان نكون قد وفقنا الى توفير ما أردناه .

كرم البستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر وأعن

قال أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي ، رحمه الله :

الحمد لله الأول بلا ابتداء ، الآخر بلا انتهاء ؛ المنفرد بقدرته ، المتعالي في سلطانه ؛ الذي لا تحويه الجهات ، ولا تنعته الصفات ؛ ولا تدركه العيون ، ولا تبلغه الظنون ؛ البادىء بالاحسان ، العائد بالامتنان ؛ الدال على بقائه بفناء خلقه ، وعلى قدرته بعجز كل شيء سواه ؛ المغتفر إساءة المذنب بعفوه ، وجهل المسيء بحلمه ؛ الذي جعل معرفته اضطراراً ، وعبادته اختياراً ؛ وخلق الخلق من بين ناطق معترف بوَحدانيته ، وصامت متخشّع لرُبوبيته ؛ لا يخرج شيء عن قدرته ، ولا يعزُب عن رؤيته ؛ الذي قرن بالفضل رحمتَه ، وبالعدل عذابه ؛ فالناس مدينون بين فضله وعدله ، آذنون بالزوال ، آخذون في الانتقال ، من دار بلاء ، الى دار جزاء .

احمده على حلمه بعد علمه ، وعلى عفوه بعد قدرته ؛ فإنه رضي الحمد ثمناً لجزيل نعمائه ، وجليل آلائه ؛ وجعله مفتاح رحمته ، وكفاء نعمته ، وآخر دعوى أهلِ جنته ؛ بقوله جلّ وعزّ : « وآخرُ دعواهم أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين . » وصلى الله على سيدنا محمد النبي

المكرم ، الشافع المقرب ، الذي بُعث آخراً واصطفي اولاً ؛ وجعلنا من أهل طاعته ، وعتقاء شفاعته .

وبعد فان أهل كل طبقة ، وجهابذة كل أمة قد تكلموا في الادب وتفلسفوا في العلوم على كل لسان ، ومع كل زمان ؛ وإن كل متكلم منهم قد استفرغ غايته وبذل مجهوده في اختصار بديع معاني المتقدمين ، واختيار جواهر الفاظ السالفين ؛ وأكثروا في ذلك حتى احتاج المختصَر منها الى اختصار ، والمتخير الى اختيار .

ثم إني رأيت آخر كل طبقة وواضعي كل حكمة ومؤلفي كل أدب ، أعذب ألفاظاً وأسهل بنية وأحكم مذهباً وأوضح طريقة من الأول ، لأنه ناكصٌ متعقبٌ ، والاول بادىء متقدم .

فلينظر الناظر إلى الأوضاع المحكمة والكتب المترجَمة بعين إنصاف ، ثم يجعل عقله حكماً عادلاً وفيصلاً قاطعاً ؛ فعند ذلك يعلم أنها شجرة باسقة الفرع ، طيبة المنبت ، ذكية التربة ، يانعة الثمرة ؛ فمن اخذ بنصيبه منها كان على إرث من النبوة ، ومنهاج من الحكمة ؛ لا يستوحش صاحبه ، ولا يضل من تمسك به .

وقد ألفت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره من متخيَّر جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ولُباب اللُباب ؛ وإنما لي فيه تأليف الاخبار ، وفضل الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش في صدر كل كتاب ؛ وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والادباء . واختيار الكلام أصعب من تأليفه . وقد قالوا : اختيار الرجل وافد عقله . وقال الشاعر :

قد عرَفناك باختيارِك إذ كا ... نَ دليلاً على اللبيب اختيارُه

وقال افلاطون: عقول الناس مُدوّنة في أطراف اقلامهم، وظاهرة في حُسن اختيارهم.

فتطلبتُ نظائرَ الكلام وأشكال المعاني وجواهرَ الحِكم وضُروبَ الأدب ونوادر الامثال، ثم قرَنْتُ كلَّ جنس منها الى جنسه، فجعلته باباً على حدَته؛ ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب، ونظيره في كل باب.

وقصدتُ من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفَها جَوهراً، وأظهرها رونقاً، وألطفها معنى، وأجزلها لفظاً، وأحسنها ديباجة، وأكثرها طلاوة وحلاوة؛ آخذاً بقول الله تبارك وتعالى: «الذين يَسْتمِعون القولَ فيَتّبعون أحسنَه.»

وقال يحيى بن خالد: الناس يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون.

وقال ابن سيرين: العلم أكثر من ان يحاط به فخذوا من كل شيء أحسنه.

وفيما بين ذلك سقَط الرأي، وزلل القول؛ ولكل عالِم هَفوَة، ولكل جواد كَبْوة، ولكل صارم نبْوة.

وفي بعض الكتب: انفرد الله تعالى بالكمال، ولم يبرأ أحد من النقصان.

وقيل للعتّابي: هل تعلم احداً لا عيب فيه؟ قال: ان الذي لا عيب فيه لا يموت أبداً، ولا سبيل إلى السلامة من ألسنة العامة.

وقال العتّابي: من قرض شعراً او وضع كتاباً فقد استهدف

للخصوم واستشرف للألسن ، الا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى ، وقليل ما هم .

وحذفت الأسانيدَ من اكثر الأخبار طلباً للاستخفاف والايجاز، وهرباً من التثقيل والتطويل ؛ لأنها أخبارٌ مُمتعة وحكم ونوادر ، لا ينفعها الإسناد باتصاله، ولا يضرها ما حذف منها .

وقد كان بعضهم يحذف اسانيد الحديث من سنّة متّبعة، وشريعة مفروضة ؛ فكيف لا نحذفه من نادرة شاردة ، ومثل سائر ، وخبر مستطرف ، وحديث يذهب نوره إذا طال وكثر .

سأل حفص بن غياث الاعمش عن اسناد حديث ، فأخذ بحلقه وأسنده إلى حائط وقال : هذا اسناده !

وحدث ابن السمّاك بحديث ، فقيل له : ما اسناده ؟ فقال : هو من المُرسلات عرفاً .

وحدث الحسن البصري بحديث ، فقيل له : يا أبا سعيد ، عمن ؟ قال : وما تصنع بعمن يابن أخي؟ أما أنت فنالتك موعظته، وقامت عليك حجته .

وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة في فنون الأخبار ، ولا جامعة لجل الآثار ؛ فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة ، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة. وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر ، تجانس الاخبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها ؛ وقرنت بها غرائب من شعري ، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنّ لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور .

وسميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام، مع دقة السلك وحسن النظام؛ وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً، وقد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد، وهي:

١ كتاب اللؤلؤة في السلطان. ٢ كتاب الفريدة في الحروب. ٣ كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد. ٤ كتاب الجمانة في الوفود. ٥ كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك. ٦ كتاب الياقوتة في العلم والادب. ٧ كتاب الجوهرة في الامثال. ٨ كتاب الزمردة في المواعظ والزهد. ٩ كتاب الدرة في التعازي والمراثي. ١٠ كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب. ١١ كتاب العسجدة في كلام الاعراب. ١٢ كتاب المجنبة في الأجوبة. ١٣ كتاب الواسطة في الخطب. ١٤ كتاب المجنبة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة. ١٥ كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وايامهم. ١٦ كتاب اليتيمة الثانية في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة. ١٧ كتاب الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم. ١٨ كتاب الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه. ١٩ كتاب الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعلل القوافي. ٢٠ كتاب الياقوتة الثانية في علم الالحان واختلاف الناس فيه. ٢١ كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن. ٢٢ كتاب الجمانة الثانية في المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين. ٢٣ كتاب الزبرجدة الثانية في بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان. ٢٤ كتاب الفريدة الثانية في الطعام والشراب. ٢٥ كتاب اللؤلؤة الثانية في الفكاهات والملح.

كتاب اللؤلؤة في السلطان

السُّلطان زِمام الأمور، ونِظام الحُقوق، وقِوام الحُدود، والقُطب الذي عليه مَدار الدّنيا ؛ وهو حمى الله في بِلاده ، وظِلّه المَمدود على عباده ؛ به يَمتنع حَريمهم ، ويَنتصر مظلومهم ؛ ويَنْقمِع ظالمهم ، ويأمن خائفهم .

•

قالت الحكماء : إمام عادِل خيرٌ من مَطر وابل ، وإمام غشُوم خير من فِتنة تَدوم ؛ ولمَا يزَع[1] الله بالسلطان أكثر مما يزَع بالقرآن .

•

وقال وهبُ بن منّبه : فيما أنزل الله على نبيّه داود عليه السلام : إني أنا الله مالك الملوك ، قلوبُ الملوك بيَدي ؛ فمن كان لي على طاعة جعلتُ الملوك عليهم نِعمة ، ومن كان لي على معصية جعلت الملوك عليهم نِقمة .

•

---

١ يزع : يكف ويمنع.

فحَقَّ على من قلده الله أزِمّةَ حكمِه ، وملّكه أمور خلقه ، واختصّه بإحسانه ، ومكن له في سلطانه ، أن يكون من الاهتمام بمصالح رعيّته ، والاعتناء بمرافق أهل طاعته ، بحيث وضَعه الله من الكرامة، وأجرى له من اسباب السعادة. قالَ اللهُ عزّ وجلّ: «الذينَ إنْ مَكنّاهمْ في الأرْضِ أقامُوا الصّلاةَ وآتَوُا[1] الزّكاةَ وأمَرُوا بالمَعْروفِ ونَهَوْا عَنِ المُنكَرِ ، ولله عاقِبَةُ الأمُورِ .»

•

وقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: عدلُ ساعة في حكومة خَيرٌ من عبادة ستين سنة .

•

وقال صلّى الله عليه وسلّم : كلُّكمْ راعٍ وكلُّ راعٍ مسؤول عن رعيته .

•

وقال الشاعر :

فكلُّكمُ راعٍ ونحنُ رَعيّةٌ وكلٌّ سيلقَى رَبّه فيُحاسبُه

•

ومن شأن الرعيّة قلّةُ الرّضا عن الأئمة ، وتحجُّرُ[2] العُذر

---

١ آتوا : اعطوا .

٢ التحجر : التضييق ، اي ان الرعية لا تقبل عذراً للائمة وانما تضيق عليهم.

عليهم ، وإلزامُ اللائمة لهم ؛ وربّ ملوم لا ذنبَ له . ولا سبيلَ الى السلامة من ألسنةِ العامّة ، إذ كان رضا جملتها ، وموافقةُ جماعتها، من المعجز الذي لا يُدرك ، والممتنِع الذي لا يُملك ؛ ولكلٍّ حصّتُه من العدل ، ومنزلتُه من الحكم.

فمن حقّ الامام على رعيّته أن تقضيَ عليه بالأغلب من فعله، والأعمّ من حكمه. ومن حقّ الرعيّة على إمامها حُسْنُ القَبول لظاهر طاعتها ، وإضرابُه صفحاً عن مكاشفتها ؛ كما قال زياد لمّا قدمِ العراقَ والياً عليها : أيها الناس ، قد كانت بيني وبينكم إحن[1]، فجعلتُ ذلك دَبْرَ[2] أذني وتحت قدمي، فمن كان مُحسناً فليزد في احسانه، ومن كان مسيئاً فلينزِع عن إساءته . إني لو علمتُ انّ أحدكم قد قتله السُّلُّ من بُغضي لم اكشف له قناعاً ، ولم اهتِك له ستراً ، حتى يُبدي صفحته لي .

•

وقال عبدُالله بن عمر : إذا كان الامام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان جائراً فعليه الوزر[3] وعليك الصبر .

•

---

١ الاحن ، واحدتها احنة : الحقد .

٢ دبر : وراء .

٣ الوزر : الاثم .

وقال كعب الأحبار: مَثَل الإسلام والسُلطان والناس مثلُ الفسطاط[1] والعمود والاوتاد ، فالفُسطـاط الإسلام ؛ والعمود السلطان ؛ والأوتاد الناس . ولا يصلح بعضها إلا ببعض .

•

وقال الأفوَه الأوْدِيّ :

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضَى لا سَراةَ لهمْ ؛
ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادُوا

والبَيْتُ لا يُبْتَنى إلاّ له عَمَدٌ ؛
ولا عِمادَ إذا لم تُرْسَ أوْتادُ

فإنْ تَجَمّع أوتادٌ وأعمدةٌ
يوْماً ، فقد بَلَغوا الأمرَ الذي كادُوا[2]

---

١ الفسطاط : الخيمة .

٢ بلغوا الامر الذي كادوا : اي بلغوا الامر الذي طلبوه وارادوه .

نصيحة السلطان ولزوم طاعته

قال الله تبارَكَ وتعالى : «يأيها الذين آمَنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ منكم .»

وقال أبو هريرة : لمّا نزلت هذه الآية أمرنا بطاعة الأئمة ، وطاعتهم من طاعة الله ، وعصيانهم من عصيان الله .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من فارق الجماعة، أو خلع يداً من طاعة ، مات ميتة جاهلية .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : الدّين النصيحة، الدّين النصيحة، الدّين النصيحة ؛ قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأولي الأمر منكم .

فنُصْحُ الإمام ولزُومُ طاعتِه ، واتّباعُ أمره ونهْيِه في السر والجهر، فرْضٌ واجب، وأمرٌ لازم، ولا يتم إيمانٌ إلا به، ولا يثْبُت إسلام إلا عليه .

•

الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال لي أبي:

أرى هذا الرجل ، يعني عمر بن الخطاب ، يستفهمك ويُقدّمك على الأكابر من أصحاب محمد، صلى الله عليه وسلم، وإني موصيك بخلال أربع : لا تُفشِيَنّ له سرّاً ، ولا يُجرّبَنّ عليك كذباً ، ولا تَطوِ عنه نصيحة ، ولا تغتابَنّ عنده أحداً .

قال الشعبي: فقلت لابن عباس: كل واحدة خيرٌ من ألف؛ قال : إي والله ، ومن عشرة آلاف .

•

وفي كتاب للهند[1] : أن رجلاً دخل على بعض ملوكهم ، فقال: أيها الملك، ان نصيحتك واجبة في الصغير الحقير والكبير الخطير، ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يسوء موقعه من الأسماع والقلوب في جنب صلاح العامة وتلافي الخاصة ، لكان خُرقاً[2] مني أن أقول ؛ ولكنا إذا رجعنا الى ان بقاءنا موصولٌ ببقائك، وأنفسنا متعلقة بنفسك، لم نجد بداً من أداء الحق اليك وإن أنت لم تسلني ذلك، فإنه يقال: من كتم السلطان نصيحته، والاطباء مرضَه ، والاخوان بثه، فقد أخلّ بنفسه .

وأنا أعلم أنّ كلّ ما كان من كلام يكرَهُه سامعُه لا يتشجع عليه قائله ، إلا أن يثِقَ بعقل المقول له ذلك ؛ فإنه

---

١ اراد بكتاب الهند كليلة ودمنة، وكثيراً ما يشير ابن عبد ربه بذلك الى هذا الكتاب.

٢ الخرق : ضعف الرأي .

إذا كان عاقلاً احتملَ ذلك ، لأنه ما كان فيه من نَفْع فهو للسامع دون القائل .

وإنك ايها الملك ذو فضيلة في الرأي ، وتصرف في العلم ، ويشجعني ذلك على أن اخبرك بما تكرَهُ ، واثقاً بمعرفتك نصيحتي لك ، وإيثاري إياك على نفسي .

•

وقال عمرو بن عُتبة[1] للوليد حين تغير الناس عليه: يا أمير المؤمنين ! ينطقني الأنس بك ، وتسكتني الهيبة لك ، وأراك تأمن أشياء أخافها عليك ؛ افأسكت مطيعاً أم أقول مُشفقاً ؟

قال : كلٌّ مَقبولٌ منك، ولله فينا عِلم غَيبٍ نحن صائرون اليه .

فقُتل بعد ذلك بأيام .

•

وقال خالد بن صفوان: من صَحِبَ السلطان بالصحة والنصيحة اكثر عدوّاً ممن صحبه بالغش والخيانة ؛ لأنه يجتمع على الناصح عدوّ السلطان وصديقه بالعداوة والحسد، فصديق السلطان ينافسه في مرتبته ، وعدوّه يبغضه لنصيحته .

---

١ عمرو بن عتبة : كان كاتباً للوليد وملازماً له .

ما يصحب به السلطان

قال ابن المقفع : ينبغي لمن خدم السلطان أن لا يغتر به إذا رضي ، ولا يتغير له إذا سخط، ولا يستثقل ما حمّله ، ولا يلحف في مسألته .

وقال أيضاً : لا تكن صحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم ؛ فإن كنت حافظاً اذا ولوك ، حذراً إذا قربوك ، أميناً اذا ائتمنوك ، ذليلاً إذا صرموك ، راضياً إذا أسخطوك؛ تعلّمهم و كأنك تتعلم منهم، وتؤدبهم و كأنك تتأدب بهم، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر، وإلا فالبعدَ منهم كل البعد، والحذرَ منهم كل الحذر .

•

وقال المأمون : الملوك تتحمل كل شيء إلا ثلاثة أشياء : القدح[1] في الملك ، وإفشاء السر ، والتعرض للحَرَم .

•

وقال ابن المقفّع : إذا نزلتَ من السلطان بمنزلةِ الثِقة فلا تلزم الدُّعاء له في كل كلمة،فإنّ ذلك يوجب الوحشة ويُلزِم الانقباض.

•

---

١ القدح : الذم ، والطعن .

وقال الاصمعي : توصلت بالمُلَحِ[1] وأدركت بالغريب .

•

وقال أبو حازم الأعرج لسليمان بن عبد الملك : إنما السلطان سوقٌ فما نفق عنده حُمل اليه .

•

ولما قدم معاوية من الشام ، وكان عمر قد استعمله عليها ، دخل على أمه هند ، فقالت له : يا بنيّ ، إنه قلما ولدَت حُرَّةٌ مثلك ، وقد استعملك هذا الرجل ، فاعمل بما وافقه ، أحببت ذلك ام كرهته .

ثم دخل على أبيه أبي سفيان ، فقال له : يا بني ، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرفعهم سبْقُهم وقصَّر بنا تأخرنا ، فصرنا اتباعاً وصاروا قادة ؛ وقد قلدوك جسيماً من أمرهم ، فلا تخالفنَّ أمرهم ، فإنك تجري الى أمدٍ لم تبلغه ، ولو قد بلغته لتنفست فيه[2] .

قال معاوية : فعجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ .

•

---

١ الملح ، واحدتها ملحة : ما لذ واستملح من الاحاديث .

٢ لتنفست فيه : استرحت بعد بلوغك اياه .

وقال ابرويز[1] لصاحب بيت المال : اني لا أعذِرك في خيانة درهم ولا احمدُك على صيانة ألف ألف . لأنك إنما تحقن بذلك دمك وتقيم أمانتك ؛ فإن خنت قليلاً خنت كثيراً . واحترس من خصلتين : النقصان فيما تأخذ ، والزيادة فيما تعطي ؛ واعلم أني لم أجعلك على ذخائر الملك وعمارة المملكة والقوة على العدو، إلا وأنت عندي آمنُ من موضعه الذي هو فيه ، وخواتمه التي هي عليه ، فحقق ظني باختياري إياك أحقق ظنك في رجائك إياي ؛ ولا تتعوض بخير شرًا ، ولا برفعة ضَعَة ، ولا بسلامة ندامة .

•

ولما ولّى يزيدُ بن معاوية سلمَ بنَ زياد خُراسانَ ، قال له : إن أباك كفى أخاه عظيماً، وقد استكفيتك صغيراً، فلا تتكلن على عذر مني ، فقد اتكلت على كِفاية منك ؛ وإياك مني قبل أن أقول إياي منك ، فإن الظن إذا أخلف مني فيك أخلف منك فيّ ، وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه ، وقد اتبعك أبوك فلا تريحَنّ نفسك .

•

---

١ أبرويز: هو كسرى أبرويز بن هرمز. خلعه الفرس لطغيانه، وقتلوه بمساعدة ابنه شيرويه الذي خلفه . ومعنى ابرويز : المظفر .

وقال يزيد : حدثني أبي : أن عمر بن الخطاب لما قدِم الشام قدم على حمار ، ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار ، فتلقاهما معاوية في موكب ثقيل ، فجاوز عمرَ معاويةُ حتى أُخبر به ، فرجع إليه .

فلما قرب منه نزل اليه ، فأعرض عنه ، فجعل يمشي إلى جنبه راجلًا ؛ فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل .

فأقبل عليه عمر ، فقال : يا معاوية ، أنت صاحب الموكب آنفاً مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : ولِمَ ذاك ؟

قال : لأنّا في بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدوّ ، ولا بدّ لهم مما يُرهِبهُم من هيبة السلطان ، فإن أمرتني بذلك أقمتُ عليه ، وإن نهيتني عنه انتهيت .

فقال : لئن كان الذي تقول حقًا فإنه رأيُ أريبٍ[1] ، وإن كان باطلًا فإنها خدعة أديب ، وما آمرك به ولا أنهاك عنه .

فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسنٌ ما صدر هذا الفتى عما أوردته فيه !

---

١ الاريب : الماهر .

فقال : لخشن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه[1] .

•

وقال الربيع بن زياد الحارثي : كنت عاملاً لأبي موسى الاشعري على البحرين ، فكتب إليه عمر بن الخطاب ، يأمره بالقدوم عليه هو وعماله ، وأن يستخلفوا من هو من ثقاتهم حتى يرجعوا .

فلما قدمنا أتيتُ يَرْفأ[2] ، فقلت : يا يَرفأ ، إني سائل مسترشد ، أخبرني أيُّ الهيئات أحبّ الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله ؟

فأومأ الى الخشونة .

فاتخذت خفين مُطارَقين[3] ، ولبست جبة صوف ، ولثت[4] رأسي بعمامة دكناء[5] . ثم دخلنا على عمر ، فصفّنا بين يديه وصعّد فينا نظره وصوّب ، فلم تأخذ عينه أحداً غيري ، فدعاني فقال : من أنت ؟

---

١ جشمناه : كلفناه .

٢ يرفأ : مولى عمر .

٣ مطارقين : خرزت فيهما نعل على اخرى .

٤ لثت : لففت ، ادرت على رأسي .

٥ دكناء : ضارب لونها الى السواد .

قلت : الربيع بن زياد الحارثي .

قال : وما تتولى من أعمالنا ؟

قلت : البحرين .

قال : فكم ترزق ؟

قلت : خمسة دراهم في كل يوم .

قال : كثير ! فما تصنع بها ؟

قلت: أتقوت منها شيئاً وأعود بباقيها على اقارب لي ، فما فضل منها فعلى فقراء المسلمين .

فقال : لا بأس ، ارجع الى موضعك .

فرجعت الى موضعي من الصف .

ثم صعّد فينا وصوّب، فلم تقع عينه الا عليّ، فدعاني فقال: كم سِنُوك ؟

فقلت : ثلاث وأربعون سنة .

قال : الآن حين استحكمتَ .

ثم دعا بالطعام ، وأصحابي حديثو عهد بليّن العيش ، وقد تجوعت له، فأتي بخبز يابس وأكسار بعير، فجعل أصحابي يعافون ذلك ، وجعلت آكل فأجيد الأكل؛ فنظرت فاذا به يلاحظني من بينهم. ثم سبقت مني كلمة تمنّيت أني سُخت[1] في الارض ولم

---

١ سخت : غصت .

ألفظ بها ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان الناس يحتاجون الى صلاحك ، فلو عمدت الى طعام هو ألين من هذا .

فزَجرني وقال : كيف قُلتَ ؟

قلت : أقول : لو نظرت يا أمير المؤمنين إلى قُوتك من الطحين فيخبز لك قبلَ إرادتك إيّاه بيوم ، ويطبخ لك اللحم كذلك ، فتؤتى بالخبز ليّناً وباللحم غريضاً .

فسكّن من غَربه[1] ، وقال : هذا قصدْتَ ؟

قلت : نعم .

قال : يا ربيع ، إنا لو نشاء لملأنا هذا الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ، ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم شَهواتهم ، فقال : «أذهبْتمْ طيّباتكم في حياتِكمُ الدنيا واستمتعتم بها» . ثم أمر أبا موسى أن يقرّني على عملي وان يستبدل بأصحابي .

(قولهُ : لَثْنتُها على رأسي ؛ يقال : رجل ألوث ، إذا كان شديداً ، وذلك من اللوث ، ورجل ألوث ، إذا كان أهوج ، وهو مأخوذ من اللَّوثة ؛ يقال : لثت عمامة على رأسي ؛ يقول أدرتها بعضها على بعض على غير استواء .

وقوله : صلائق ، هو شيء يعمل من اللحم ، فمنها ما يطبخ ومنها ما يشوى ؛ يقال : صلقت اللحم إذا طبخته ، وصلقته إذا شويته .

---

١ غربه : حدته .

وقوله: غريضاً، يقول طرياً؛ يقال: لحم غريض، تراد به: الطّراءة. قال العتّابي:

إذا ما فاتَني لحمٌ غَرِيضٌ ، ضَرَبتُ ذراعَ بَكريَ فاشتويت

وقوله: سبائك، يريد الحُوّارى من الخبز، وذلك أنه يسبك فيؤخذ خالصه، والعرب تسمي الرُّقاق السبائك.

والصّناب: صِباغ[1] يتخذ من الزبيب والخردل؛ ومنها قيل للفرس: صنابي، إذا كان ذلك اللون.

قال جرير:

تكلّفني مَعيشةَ آلِ زيدٍ ، ومَنْ لي بالمُرقّق والصّنابِ

وقوله: أكسار بَعير، فالكِسر والعَصَل والجِزْل: العظم يفصل ما عليه من اللحم.

وقوله: نَعى على قوم شَهَواتهم، أي عابهم بها ووبخهم.)

•

ومما يُصحَب به السلطان: أن لا يُسلَّم على قادم بين يديه، وإنما استنّه[2] ذلك زياد[3]، وذلك أن عبد الله بن عباس قدِم على معاوية وعنده زياد، فرحب به معاوية وألطفه وقرب مجلسه، ولم يكلمه زياد شيئاً. فابتدأه ابن عباس وقال: ما حالك أبا

---

١ الصباغ: الادام يؤتدم به.

٢ استنه: جعله سنة اي طريقة.

٣ هو زياد ابن ابيه. كان عاملاً لمعاوية على الكوفة، وأحد اركان الدولة الاموية.

المغيرة ؟ كأنك أردت أن تحدث بيننا وبينك هجراً !

قال: لا، ولكنه لا يُسلَّم على قادم بين يدَي أمير المؤمنين.

فقال له ابن عباس : ما ترك الناسُ التحية بينَهم بين يدي أمرائهم .

فقال له معاوية : كُفّ عنه يابن عباس ، فإنك لا تشاءُ أن تغلِب إلا غلَبْتَ .

•

أبو حاتم عن العتبي قال : قدم معاوية من الشام ، وعَمرو ابن العاص من مصر ، على عمر بن الخطاب فأقعدهما بين يديه ، وجعل يسائلهما عن أعمالهما ، إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية، فقال له معاوية : أعملي تَعيب وإلي تقصِد؟ هلمّ نُخبر أمير المؤمنين عن عملي وأُخبره عن عملك .

قال عمرو : فعلِمت أنه بعملي أبصر مني بعمله، وأن عُمرَ لا يدع أول هذا الحديث حتى يصير إلى آخره، فأردت أن أفعل شيئاً أشغلُ به عمر عن ذلك ، فرفعت يدي فلطمت معاوية ؛ فقال عمر : تالله ما رأيتُ رجلاً أسفَه منك ، قُم يا معاوية فاقتص منه .

قال معاوية : إن أبي أمرني أن لا أقضيَ أمراً دونه .

فأرسل عمر الى أبي سفيان، فلما أتاه ألقى له وسادةً، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه.

ثم قص عليه ما جرى بين عمر ومعاوية .

فقال: لهذا بعثتَ إليّ! أخوه وابنُ عمه، وقد أتى غير كبير، وقد وهبت ذلك له .

•

وقالوا : ينبغي لمن صحب السلطان ان لا يكتم عنه نصيحة وإن استثقلها؛ وليكن كلامه له كلام رفق لا كلام خُرق، حتى يخبرَه بعيبه من غير أن يواجهه بذلك، ولكن يضرب له الأمثال ويخبره بعَيبِ غَيرِه ليَعرِف عيبَ نَفْسِه .

•

وقالوا : من تعرض للسلطان أرداه، ومن تطامن له تخطاه؛ فشبَّهوا السلطان في ذلك بالريح الشديدة التي لا تضر بما لان لها وقايل معها من الحشيش والشجر ، وما استهدف لها قصَمته .

قال الشاعر :

إنّ الرّياح إذا ما أعْصَفَتْ قصَفَت عِيدان نَبع، ولا يعبأنَ بالرَّتَم[1]

•

وقالوا : إذا زادك السلطان إكراماً فزده إعظامـاً ، وإذا جعلك عبداً فاجعله رباً .

---

١ النبع : شجر تتخذ منه القسي . الرتم : نبات من دق الشجر ، كأنه من دقته يشبه بالرتم ، وهي الخيوط .

اختيار السلطان لاهل عمله

لما وجّه عمرُ بن هبيرة مسلمَ بن سعيد إلى خراسان، قال له: أوصيك بثلاثة: حاجبك، فانه وجهك الذي به تلقى الناس، إن أحسن فأنت المحسن، وإن أساء فأنت المسيء؛ وصاحب شرطتِك، فإنه سوطُك وسيفُك، حيث وضعتهما فقدّر ضعتهما؛ وعمالَ القدر[1].

قال: وما عمال القدر؟

قال: أن تختار من كل كورة رِجالاً لعملك فإن أصابوا فهو الذي اردت، وإن أخطأوا فهم المخطئون وأنت المصيب.

•

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: أن اجمَع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجَوْشَنيّ، فولِّ القضاء أنفذهما.

فجمع بينهما، فقال له إياس: أيها الرجل، سل عني وعن القاسم فقيهي البصرة: الحسنَ[2] وابن سيرين.

---

١ قدر ضعتهما: اي قدر اين تضعهما، اختر المكان المناسب لوضعهما. عمال القدر: ذوي الشرف والحسب.

٢ الحسن: اراد الحسن البصري.

وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين، وكان إياس لا يأتيهما، فعلم القاسم انه إن سألهما أشارا به ، فقال القاسم : لا تسأل عني ولا عنه ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، ان إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء ، فان كنت كاذباً فما ينبغي أن توليني، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي .

فقال له إياس : إنك جئت برجل فوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة، يستغفر الله منها وينجو مما يخاف.

فقال له عدي : أما إذ فهمتها فأنت لها ؛ فاستقضاه .

•

وقال عدي بن أرطاة لإياس بن معاوية : دلني على قوم من القرّاء أولّيهم .

فقال له: القرّاء ضربان: ضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك ، وضرب يعملون للدنيا ، فما ظنك بهم إذا أمكنتهم منها ؟ ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم .

•

أيوب السختيانيّ ، قال : طُلب أبو قِلابة لقضاء البصرة ، فهرب إلى الشام، فأقام حيناً ثم رجع . قال أيوب : فقلت له: لو وليتَ القضاء وعدلْتَ كان لك أجْران .

قال: يا أيوب، إذا وقع السابح في البحر كم عسى أن يَسبح !

•

وقال عبد الملك بن مروان لجلسائه: دُلّوني على رجل أستعمله.

فقال له رَوْح بن زِنْباع: أدلك يا أمير المؤمنين على رجل إن دعوتموه أجابكم، وإن تركتموه لم يأتكم؛ ليس بالملْحف طلباً، ولا بالمُمعِن هرَباً: عامر الشعبي.

فولاه قضاء البصرة.

•

وسأل عمرُ بنُ عبد العزيز أبا مِجْلَز عن رجل يُوليه خراسان، فقال له: ما تقول في فلان؟

قال: مصنوع له وليس بصاحبها.

قال: ففُلان؟

قال: سريع الغضب بعيدُ الرضا، يسأل الكثير ويمنع القليل؛ يحسُد أمه وينافس أباه ويُحقر مولاه.

قال: ففلان؟

قال: يُكافىء الأكفاء، ويعادي الاعداء، ويفعل ما يشاء.

قال: ما في واحد من هؤلاء خير.

•

وأراد عمرُ بنُ الخطاب أن يستعمِل رجلاً؛ فبَدَر الرجلُ فطلب منه العملَ؛ فقال عمر: والله لقد كنت أردتك لذلك، ولكنْ منْ طلب هذا الأمر لم يُعَنْ عليه.

•

وطلب رجلٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستعمله ؛ فقال : إنا لا نستعمل على عملنا من يريده .

•

وطلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبي ولاية ؛ فقال : يا عم ، نفس تُحْيِيها خيرٌ من ولاية لا تُحْصِيها .

•

وقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه لخالد بن الوَليد : فِرَّ من الشرف يتبعْك الشرف ، واحرص على الموت توهب لك الحياة .

•

وتقول النصارى : لا يُختار للجثلقة[1] إلا زاهدٌ فيها غير طالب لها .

•

وقال إياس بن معاوية: أرسل إليّ ابن هُبيرة فأتيته؛ فساكتني فسكتُّ ، فلما أطلت قال : هيه .

قلت : سَل عما بدا لك .

قال : أتقرأ القرآن ؟

---

١ الجثلقة: رئاسة دينية عند النصارى ، يسمى صاحبها جثليق ، والجثليق معرب كاثوليكوس باليونانية .

قلت : نعم .

قال : أتفرض الفرائض ؟

قلت : نعم .

قال : أتعرف من أيام العرب شيئاً ؟

قلت : نعم .

قال : اتعرف من أيام العجم شيئاً ؟

قلت : أنا بها أعرف .

قال : إني أريد أن استعين بك على عملي .

قلت : ان فيَّ خلالاً ثلاثاً لا أصلحُ معها للعمل ؛ قال : وما هي ؟

قلت : أنا دَميم كما ترى ، وأنا حديد[1] ، وأنا عَييّ .

قال : اما دَمامتك فإني لا أريد أن أحاسن الناسَ بك ، وأما العِيّ فإني أراك تُعرِبُ عن نفسك ، وأما الحدة فإن السوط يقومك ؛ قمْ قد وليتك .

قال : فولاني واعطاني مائة درهم ، فهي أول مال تموّلته .

•

وقال الاصمعي : ولي سليمان بن حبيب المحاربي قضاءَ دمشقَ لعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام .

---

١ الحديد : الشديد الصلب .

وأراد عمر بن عبد العزيز مكحولاً على القضاء ، فأبى عليه ؛ قال له : وما يمنعك ؟

قال مكحول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يقضِ بين الناس إلا ذو شرف في قومه ، وأنا مولى .

•

ولما قدم رجال الكوفة على عمر بن الخطّاب يشكون سعد ابن أبي وقاص؛ قال : من يعذرني من أهل الكوفة؟ إن وليت عليهم التّقيّ ضعّفوه ، وإن وليت عليهم القويّ فجّرُوه .

فقال له المُغيرة : يا أمير المؤمنين ، إن التقيّ الضعيف له تقواه وعليك ضعفه ، والقوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره .

قال : صدقت ، فأنت القويُّ الفاجر ، فاخرج اليهم .

فخرج ، فلم يزل عليهم أيام عمر وصدراً من أيام عثمان وأيام معاوية حتى مات المغيرة .

حسن السياسة واقامة المملكة

كتب الوليد بن عبد الملك الى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب اليه بسيرته؛ فكتب اليه: إني أيقظتُ رأيي وأنمتُ هواي، فأدنيت السيد المطاع في قومه، ووليت الحرب الحازم في أمره، وقلدت الخراج الموفّر لأمانته، وقسمتُ لكل خصم من نفسي قسماً، أعطيه حظاً من لطيف عنايتي ونظري؛ وصرفت السيف إلى النّطِف[1] المسيء، والثوابَ إلى المُحسِن البريء؛ فخاف المريبُ صولةَ العِقاب، وتمسّك المُحسنُ بحظّه من الثّواب.

•

وقال اردشير[2] لابنه: يا بني، إن المُلك والعدل أخوان لا غِنى بأحدهما عن الآخر، فالمُلك أُسّ والعدل حارس، فما لم يكن له أسّ فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع. يا بني، اجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، وبِشرك لأهل الدين، وسرّك لمن عناه ما عناك من ذوي العقول.

•

---

١ النطف: النجس والمريب.

٢ اردشير: حفيد يتناسب ملك الفرس، اشتهر بمغازيه وتواضعه.

وقالت الحكماء: مما يجب على السلطان العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه ، وفي باطن ضميره لاقامة أمر دينه ؛ فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان . ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف، لا يقوم سلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما، ولا يدور إلا عليهما، مع ترتيب الأمور مراتبَها ، وإنزالها منازلها .

وينبغي لمن كان سلطاناً ان يقيم على نفسه حجّة الرعيّة، ومن كان رعيّة ان يقيم على نفسه حجّة السلطان؛ وليكن حكمه على غيره مثلَ حكمه على نفسه؛ فإنما يعرف حقوق الاشياء من يعرف مبلغ حدودها ومواقع أقدارها ؛ ولا يكون أحدٌ سلطاناً حتى يكون قبل ذلك رعيّة .

•

وقال عبدُ الملك بن مَروان لبَنيه: كلكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من كان له سيفٌ مسلول، ومالٌ مبذول، وعدلٌ تطمئن اليه القلوب .

•

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يصلح لهذا الأمر إلا اللّيّن من غير ضَعْف ، القَويُّ من غير عُنْف .

•

وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه : يا أبتِ ما السياسة ؟

قال : هَيْبة الخاصّة مع صدق مودتها ، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع .

•

وكتب أرسطاطاليس إلى الاسكندر : املكِ الرعيةَ بالاحسان اليها تَظْفر بالمحبة منها ، فإنّ طلبك ذلك بإحسانِك أدومُ بقاء منه باعتسافك ؛ واعلم انك إنما تملك الأبدان ، فاجمع لها القلوبَ بالمحبّة ؛ واعلم أن الرعية إذا قدرتْ على أن تقول قدرتْ على أن تفعل ، فاجتهد ألا تقول تسلمْ من أن تَفعل .

•

وقال أرْدَشير لأصحابه : إنما أملك الاجساد لا النيّات ، وأحكمُ بالعدل لا بالرضا ، وأفحص عن الاعمال لا عن السرائر .

•

وكان عمرو بن العاص يقول في معاوية : اتّقوا أكرم قريش وابن كريمها ، من يضحَك في الغضَب ، ولا ينام إلا على الرّضا ، ويتناول ما فوقه من تحته .

•

وقال معاوية : إني لا أضع سيفي حيثُ يكفيني سَوطي ، ولا أضع سَوطي حيثُ يكفيني لساني ؛ ولو أنّ بيني وبين الناس شعرةً ما انقطعتْ .

فقيل له : وكيف ذلك ؟

قال : كنتُ إذا مدّوها أرخيتُها، وإذا أرخَوْها مدَدْتها.

•

وقال عمرو[1] : رأيتُ معاويةَ في بعض أيّامنا بصِفّين خرج في عُدَّة لم أرَه خرج في مثلها، فوقف في قلب عسكره، فجعل يَلْحظ مَيْمَنَته فيرى فيها الخلل، فيَبْدُر اليه من يسده، ثم يَفْعل ذلك بميسرته ، فتُغْنيه اللَّحْظَة عن الاشارة . فدخله زهو بما رأى ، فقال : يابن العاص ، كيف ترى هؤلاء وما هم عليه ؟

فقلت: والله يا أمير المؤمنين، لقد رأيت من يَسوس الناس بالدين والدنيا فما رأيت أحداً تأتّى له من طاعة رعيته ما تأتّى لك من هؤلاء .

فقال : أفتَدْري متى يَفْسُد هذا ؟ وفي كم ينتقض جميعه ؟

قلت : لا .

قال : في يوم واحد .

قال: فأكثرتُ التعجب، قال: إي والله، وفي بعض يوم.

قلت : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟

---

١ عمرو بن العاص .

قال : إذا كَذِبوا في الوعد والوعيد ، وأُعطُوا على الهوى لا على الغَناء ، فسدَ جميعُ ما ترى .

•

وكتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي إذ ولاه الناس أمرهم بعد علي رضي الله عنه : أن شمِّر للحرب ، وجاهد عدوك ، واشترِ من الظنين دينه بما لا يَثلِم دينك ، وولِّ أهلَ البيوتات تَستَصْلِح بهم عشائرَهم .

•

وقالت الحكماء : أسْوَسُ الناس لرعيّته ، مَنْ قاد أبدانها بقلوبها ، وقلوبَها بخواطرها ، وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرَّهبة .

•

وقال أبرَويز لابنه شيرويَه : لا تُوسِّعنَّ على جُندك سعة يستغنون بها عنك ، ولا تُضيِّقن عليهم ضيقاً يضجون به منك ، ولكن أعطِهم عطاء قصداً ، وامنعهم منعاً جميلاً ، وابسط لهم في الرجاء ، ولا تبسط لهم في العطاء .

•

ونحو هذا قول المنصور لبعض قواده : صدق الذي قال : أجِعْ كلبَكَ يَتبعك ، وسمِّنه يأكلْك .

فقال له أبو العباس الطُّوسي: أما تخشى يا أمير المؤمنين إن أجعْتَه أن يُلوِّح له غيرُك برَغيف فيتبعه ويدَعك ؟

•

وكتب ابرويز إلى ابنه شيرَوَيه من الحبس : اعلم أن كلمة منك تسفك دماً ، وأخرى تحقن دماً ، وأن سخطك سيف مسلول على من سَخِطت عليه ، وأن رضاك بركة مُستفيضة على من رضيت عنه ، وأن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك ؛ فاحترس في غضبك من قولك أن يخطىء ، ومن لونك أن يتغير ، ومن جسدك أن يخِفّ ، فإن الملوك تُعاقب حزماً وتعفو حلماً ؛ واعلم أنك تَجِلُّ عن الغضب ، وأن مُلْكك يَصْغر عن رضاك ، فقدِّر لسخطك من العقاب ، كما تقدِّر لرضاك من الثواب .

•

وخطب سَعيد بن سُويد بحمْص ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن للإسلام حائطاً مَنيعاً وباباً وثيقاً ، فحائط الإسلام الحقُّ وبابُه العدلُ ؛ ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتدّ السلطان ، وليست شِدَّةُ السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرْباً بالسوط ، ولكن قضاءً بالحقّ وأخذاً بالعدل .

•

وقال عبد الله بن الحكم : إنه قد يَضطَغِن على السلطان رجلان : رجل أحسنَ في محْسنين فأثيبوا وحُرِم ، ورجل أساء

في مُسيئين فعوقب وعُفي عنهم ؛ فينبغي للسلطان أن يحترس منهما .

•

وفي التاج[1] كتب ابرويز لابنه شيرويه يوصيه : ليكن من تختاره لولايتك امرأ كان في ضعة فرفعته ، أو ذا شرف كان مهملاً فاصطنعته ، ولا تجعله امرأ أصبته بعقوبة فاتضع لها ، ولا أحداً ممن يقع في قلبك أن إزالة سلطانك أحبُّ اليه من ثبوته ؛ وإياك أن تستعمله ضرَعاً غِمراً[2] كثيراً إعجابه بنفسه ، قليلاً تجربته في غيره ؛ ولا كبيراً مُدْبراً[3] قد أخذ الدهر من عقله، كما أخذت السن من جسمه .

---

١ اراد كتاب التاج .

٢ الضرع : الضعيف . الغمر : الذي لا تجربة له .

٣ المدبر : الذي ادار ظهره للحياة ، مستقبلاً الموت .

بسط المعدلة ورد المظالم

الشيباني قال : حدثنا محمد بن زكريا عن عباس بن الفضل الهاشمي عن قَحْطبَة بن حُميد قال: إني لواقف على رأس المأمون يوماً وقد جلس للمظالم، فكان آخرَ من تقدم اليه، وقد همّ بالقيام، امرأةٌ عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم ؛ فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمي بحاجتك ؛ فقالت :

يا خيرَ مُنْتَصِف يُهدى له الرَّشَدُ ؛
ويا إماماً بهِ قد أشرقَ البَلَدُ

تَشكو إليك ، عميدَ القوم ، أرملةٌ
عُدِي عليها ، فلم يُترَك لها سَبَدُ[1]

وابتُزّ مني ضِياعي ، بعد مَنْعتها ،
ظُلماً ، وفُرّق مني الأهل والوَلد

---

١ السبد : الشعر ، ويكنى به عن الابل .

فأطرق المأمون حيناً ، ثم رفع رأسه اليها وهو يقول :

في دون ما قلتِ زال الصبرُ والجَلَدُ
عني ، وأقرح مني القلبُ والكبِدُ

هذا أذانُ صلاةِ العصرِ ، فانصرفي
وأحضري الخصمَ في اليوم الذي أعِد

فالمجلسُ السبتُ ، إن يُقضَ الجلوس لنا
ننصفْكِ منه ، وإلا المجلسُ الاحدُ

قال : فلما كان يوم الاحد جلس ، فكان أوّل من تقدم اليه تلك المرأة ، فقالت : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال : وعليك السلام ، أين الخصم ؟

فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين — وأومأت إلى العباس ابنه .

فقال : يا أحمد بنَ أبي خالد ، خُذْ بيده فأجلِسه معها مجلسَ الخُصوم .

فجعل كلامها يعلو كلام العباس ؛ فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا أمة الله ، إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك .

فقال المأمون : دعْها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها وأخرسه. ثم قضى لها برد ضيعتها إليها ، وظلمَ العبّاسَ بظُلمه لها ، وأمر بالكِتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوغِر لها ضَيْعتها[1] ويُحسن معاونتها ، وأمَر لها بنَفقة .

•

العُتبيّ قال : إني لقاعد عند قاضي هِشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرَس هشام حتى قعدا بين يديه ، فقال : إن أمير المؤمنين جرّاني[2] في خصومة بينه وبين إبراهيم .

فقال القاضي : شاهدَيك على الجراية[3] .

فقال : أتُراني قلتُ على أمير المؤمنين ما لم يقلْ ، وليس بيني وبينه إلا هذه السُّترة !

قال : لا ، ولكنّه لا يَثبُت الحقُّ لك ولا عليك إلاّ ببيّنة .

قال : فقام الحَرَسيّ فدخل على هشام فأخبره . فلم نَلبث

---

١ يوغر لها ضيعتها : يسقط عنها خراجها .

٢ جراني : وكلني .

٣ الجراية : الوكالة.

أن تقعقعت الأبوابُ وخرج الحرسيّ، وقال: هذا أمير المؤمنين.

وخرج هشام، فلما نظر اليه القاضي قام، فأشار اليه وبسط له مصلّى، فقعد عليه وإبراهيم بين يديه، وكنا حيثُ نسمع بعض كلامهم ويخفى عنا بعضُه.

قال: فتكلّما وأحضرا البيّنة، فقضى القاضي على هشام.

فتكلّم إبراهيم بكلمة فيها بعضُ الخُرْق، فقال: الحمد لله الذي أبان للناس ظُلْمك.

فقال له هشام: لقد همَمْت أن أضربك ضربة ينتثر منها لحمك عن عظمك.

قال: أما والله لئن فعلتَ لتفعلنّه بشيخ كبير السنّ قريب القرابة واجب الحقّ.

فقال هشام: استرْها علي.

قال: لا ستر الله إذاً ذنبي يوم القيامة إن سترتها.

قال: فإني معطيك عليها مائة ألف.

قال إبراهيم: فسترْتها عليه أيامَ حياته ثمناً لما أخذت منه، وأذعتها بعد مماته تزْييناً له.

•

قال: وورد على الحجاج بن يوسف سُليكُ بن سُلكة[1]،

---

[1] سليك بن السلكة هذا قتل في الجاهلية، والذي عامر الحجاج هو فرعون بن عبد الرحمن، المعروف بابن سلكة، فلعله هو.

فقال : أصلح الله الأمير ، أرعِني سَمْعك ، واغضُض عني بصرك ، واكفف عني غَرْبك ، فإن سمعت خطأً أو زللاً فدونك والعقوبة .

قال : قل .

فقال : عصى عاصٍ من عُرض العشيرة فحُلّق على اسمي[1] ، وهدم منزلي ، وحُرِمْتُ عطائي .

قال : هيهات ! أوما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يَجْنِي عليك ، وقد
تُعدي الصِّحَاحَ مَبَارِكُ الجُرْبِ
ولرُبَّ مأخوذٍ بذَنب عَشيرةٍ ،
ونجا المُقارِفُ صاحبُ الذَّنْب[2]

فقال : أصلح الله الأمير ، إني سمعت الله عز وجل يقول غير هذا .

قال : وما ذاك ؟

قال : قال الله تعالى : «يأيُّها العزيزُ إنَّ له أباً شيْخاً كبيراً فَخُذْ أحَدَنا مَكانَهُ إنّا نراكَ مِنَ المُحْسنينَ . قالَ مَعاذَ الله

---

١ حلق على اسمي : جعل اسمي داخل حلقة من المداد، وكان يفعل ذلك بكل من يراد حبس العطاء عنه.

٢ صدر هذا البيت من الكامل التام في حين ان العجز من مجزوئه.

أنْ نَأخُذَ إلا مَنْ وجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ إنّا إذاً لظَالمونَ.»

فقال الحجّاج : عليَّ بيزيدَ بن أبي مسْلم .

فمثل بين يديه . فقال : افككْ لهذا عن اسمه ، واصكك له بعطائه ، وابنِ له منزله ، ومُرْ منادياً ينادي : صدَق الله وكذب الشاعر .

•

وقال معاوية : إني لأستحي أن أظلمَ من لا يجد عليَّ ناصراً إلا الله .

•

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته ، فكتب اليه : حصّنها بالعدل، ونقّ طرقها من الظلم .

•

وقال المهدي للربيع بن أبي الجهم، وهو والي أرض فارس: يا ربيع، آثِر الحق ، والزم القَصْد ، وابسط العدل ، وارفق بالرعية، واعلم أن أعدل الناس من أنصفَ من نفسه، وأظلَمهم من ظلم الناس لغيره .

•

وقال ابن أبي الزناد عن هشام بن عُروة قال : استعمل ابنُ عامر عمرَو بن أصبَغ على الأهواز ، فلما عزله قال له : ما جئتَ به ؟

قال له : ما معي إلا مائة درهم وأثواب .

قال : كيف ذلك ؟

قال : أرسلتني إلى بلدٍ أهلُه رجلان: رجلٌ مسلم له ما لي وعليه ما عليّ ، ورجل له ذِمّة الله ورسوله، فوالله ما دَرَيْتُ أين أضع يدي .

قال : فأعطاه عشرين ألفاً .

•

وقال جعفر بن يحيى : الخراج عمود الملك ، وما استُغزِر بمثل العدل ، وما استُنزِر بمثل الظلم .

•

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: الظُّلم ظُلمات يوم القيامة .

صلاح الرعية بصلاح الامام

قالت الحكماء: الناس تَبَعٌ لإمامهم في الخير والشر.

•

وقال أبو حازم الأعرج: الامام سوق فما نفَقَ عنده جُلِبَ اليه.

•

ولما أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسِوارَيه، قال: ان الذي أدى هذا لأمينٌ!

قال له رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله يؤدُّون إليك ما أديت إلى الله تعالى، فإذا رتَعْتَ رتعُوا.

•

ومن أمثالهم في هذا، قولهُم: إذا صلَحت العين صلَحت سواقيها.

•

الأصمعي قال: يقال: صِنفان إذا صلحا صلح الناس: الأمراء، والفقهاء.

•

اطلع مروان بن الحكم على ضيعة له بالغوطة[1] فأنكرَ منها شيئاً ، فقال لوكيله : ويحك ! إني لأظنّك تخونني .

قال : أفتظن ذلك ولا تَستَيقِنُه ؟

قال : وتفعلُه ؟

قال: نعم، والله إني لأخونك، وإنك لتخون أمير المؤمنين، وإن أمير المؤمنين ليخونُ الله ، فلعن الله شرّ الثلاثة .

---

١ الغوطة : كورة منها دمشق .

قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه

قالت الحكماء : لا ينفع المَلِكُ إلا بوزرائه وأعوانه ، ولا ينفعُ الوزراءُ والاعوانُ إلا بالمودةِ والنصيحة، ولا تنفع المودةُ والنصيحة إلا مع الرأي والعفاف . ثم على الملوك بعدُ أن لا يتركوا محسناً ولا مسيئاً ما دون جزاء ، فإنهم إذا تركوا ذالك تهاون المُحسن، واجترأ المسيء ، وفسَد الأمر، وبطَل العمل .

•

وقال الأحنف بنُ قيس : مَنْ فسدت بِطانتُه كان كمن غصَّ بالماء ، فلا مساغ له ، ومن خانه ثقاته فقد أُتي من مأمنه .

•

وقال العبّاس بنُ الأحنف :

قلبي إلى ما ضرّني داعي، يُكثِر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي، إذا كان عدوّي بين أضلاعي ؟

وقال آخر :

كنتُ من كُرْبتي أفِرُّ إليهم، فهمُ كُربتي فأين الفِرارُ ؟

وأول من سبق إلى هذا المعنى عَدِيُّ بن زيد في قوله للنعمان ابن المُنذِر:

لو بغَيرِ الماءِ حلْقي شَرِق ، كنتُ كالغَصّانِ بالماءِ اعتِصاري[1]

وقال آخر :

إلى الماءِ يَسْعى من يغَصُّ بريقِه ، فقُلْ أينَ يَسْعى من يَغَصُّ بماءِ ؟

•

وقال عمرو بن العاص : لا سلطان إلا بالرجال، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعَدْل .

•

وقالوا : إنما السلطانُ بأصحابِهِ كالبحرِ بأمواجِه .

•

وقالوا: ليس شيء أضرُّ بالسلطان من صاحبٍ يُحسِنُ القولَ، ولا يُحسِنُ الفعْل . ولا خير في القول إلا مع الفعل ، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصّدق إلا مع الوفاء، ولا في الفِقْه إلا مع الورَع، ولا في الصَّدقة إلا مع حُسن النيةِ ، ولا في الحياة إلا مع الصِحة .

•

وقالوا : إن السلطان إذا كان صالحاً ووزراؤه وزراء سوء امتنع خيره من الناس ، ولم يُنْتَفع منه بمنفعة ، وشبهوا ذلك بالماء الصافي يكونُ فيه التّمساحُ ، فلا يستطيع أحدٌ أن يدخُله ، وإن كان مُحتاجاً اليه .

---

[1] الاعتصار : ازالة الغصة بالماء قليلاً قليلاً .

صفة الامام العادل

كتب عُمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى الحَسن بنِ أبي الحسن البصريّ أن يكتبَ اليه بصِفة الإمام العادل، فكتب اليه الحسنُ رحمه الله: اعلم، يا أمير المؤمنين، أن الله جَعلَ الامام العادل قِوامَ كلّ مائلٍ، وقَصْدَ كلّ جائر، وصَلاحَ كل فاسد، وقُوّة كل ضعيف، ونَصَفة كلّ مظلوم، ومَفزَع كل مَلْهوف[1].

والامامُ العَدْلُ، يا أميرَ المؤمنين، كالراعي الشّفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها اطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحْميها من السباع، ويَكنُها من أذى الحرّ والقُرّ.

والامام العدل، يا أمير المؤمنين، كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلّمهم كباراً؛ يكتسب لهم في حياته، ويدّخر لهم بعد مماته.

والامام العدل، يا أمير المؤمنين، كالأم الشفيقةِ البَرّة الرفيقة

---

[1] الملهوف: المظلوم ينادي ويستغيث.

بولدها ، حَملته كُرْهاً ، ووضعته كُرْهاً ، وربته طفلًا ، تسهر بسَهره وتَسْكن بسكونه، تُرضعه تارةً وتفطِمه أخرى، وتفرح بعافيته ، وتَغتمُّ بشِكايته .

والامام العدل ، يا أمير المؤمنين ، وصيُّ اليتامى ، وخازن المساكين ، يربي صغيرهم ، ويمون كبيرهم .

والامام العدل ، يا أمير المؤمنين ، كالقلب بين الجوارح ، تصلح الجوارح بصلاحه ، وتفسُد بفساده .

والامام العدل ، يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبينَ عباده ، يسمع كلام الله ويُسمِعُهم ، وينظر الى الله ويُريهم ، وينقاد إلى الله ويقودُهم . فلا تكن ، يا أمير المؤمنين ، فيما ملّكك الله كعبدٍ ائتمنه سيده ، واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال وشرد العيال ، فأفقر أهله وفرّق ماله .

واعلم، يا أمير المؤمنين ، أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها! وأنّ الله انزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم !

واذكر، يا أمير المؤمنين، الموتَ وما بعده، وقِلةَ أشياعك عنده، وأنصارِك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر[1] .

---

[1] الفزع الاكبر : يوم الدين .

واعلم ، يا أمير المؤمنين ، أن لك منزلاً غير منزلـك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك ، ويُفارِقُكَ احباؤك ، يسلمونك في قعره فريداً وحيداً، فتزوَّد له ما يصحَبُكَ يوم يفِرُّ المرءُ من أخيهِ وأُمّهِ وأبيهِ وَصاحِبَتِهِ وبنيهِ .

واذكر ، يا أمير المؤمنين : إذا بُعثِر ما في القُبور وحُصِّل ما في الصُّدُور ، فالأسرار ظاهرة ، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها .

فالآن، يا أمير المؤمنين ، وأنت في مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل ؛ لا تحكم يا أمـير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ؛ فإنهم لا يرقبون في مؤمنٍ إلاً[1] ولا ذمّةً، فتبوءَ بأوزارك وأوزارٍ مع أوزارك، وتحمِلَ أثقالك وأثقالاً مع أثقالِك؛ ولا يغرنّك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيّبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك ؛ ولا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر الى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبائل الموتِ ، وموقوفٌ بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين ، وقد عنت[2] الوجُوهُ للحَيِّ القيّوم[3] .

---

١ الال : العهد .
٢ عنت : خضعت وذلت .
٣ القيوم : الذي لا بدء له والقائم بذاته ، وهو من اسمائه تعالى .

إني ، يا أمير المؤمنين ، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي ، فلم آلك[1] شفقة ونصحاً ، فأنزل كتابي اليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدويةَ الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته .

١ آلك : اقصر وابطىء .

هيبة الامام في تواضعه

قال ابن السمّاك لعيسى بن موسى : تواضُعك في شرفِك أكبر من شرفِك .

•

وقال عبد الملك بنُ مَروان: أفضل الرجال مَن تواضع عن رفعةٍ ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة .

•

ذُكر عن النجاشي أمير الحبشة : أنه أصبح يوماً جالساً على الأرض والتاج على رأسه ، فأعظم ذلك اساقفته ، فقال لهم : إني وجدتُ فيما أنزل الله تعالى على المسيح عليه السلام ، يقول له : إذا أنعمتُ على عبدي نعمةً فتواضع لها أتممتُها عليه، وإني ولد لي الليلة غلامٌ فتواضعت لذلك شكراً لله تعالى .

•

وقال ابن قتُيبة: لم يُقَل في التواضع بيت أبدع من قول الشاعر[١] في بعض خلفاء بني أمية :

---

١ الشاعر : هو الفرزدق . وبيته المروي لم يقله في بعض خلفاء بني امية وانما قاله في زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

يُغضي حياءً ويُغضَى من مَهابته، فما يُكلَّم إلا حين يَبْتَسِمُ

وأحسن منه عندي قول الآخر :

فتىً زادَه عزُّ المهابةِ ذِلّةً ، فكلُّ عزيزٍ عنده مُتواضعُ

وقال أبو العتاهية :

يا مَن تَشرَّفَ بالدُّنيا وَطِينتها ،
ليس التشرُّفُ رفعَ الطّينِ بالطينِ

إذا أردتَ شريفَ الناسِ كلِّهِمُ ،
فانظرْ إلى مَلِك في زيٍّ مِسْكينِ

ذاكَ الذي عَظُمت في الله نِعْمتُه ،
وذاكَ يصلُح للدُّنيا وللدّينِ

•

وقال الحسنُ بن هانىء في هَيبة السلطان مع محبة الرعية :

إمامٌ عليه هَيْبةٌ وَمحبّةٌ ؛ ألا حبّذا ذاكَ المَهيبُ المُحبَّبُ

وقال آخر في الهَيبة ، وإن لم تكن في طريق السلطان :

بنَفْسيَ مَنْ لو مَرّ بَرْدُ بَنانِه
على كَبِدِي ، كانت شِفَاءً أناملُهْ

ومَنْ هابَني في كلّ شيءٍ وهِبْتُه ،
فلا هو يُعْطيني ، ولا أنا سائلُه

وقال آخر في الهَيْبة :

أهاشمُ ! يا فتى دينٍ ودُنيا ،
ومنْ هُو في اللُّباب مِن اللُّبابِ

أهابُك أن أبوحَ بذاتِ نفْسي ؛
وتركي لِلعِتاب من العِتاب

وقال أشجع بن عمرو في هيْبة السلطان :

مَنعتْ مهابتُك النفوسَ حديثَها
بالشّيء تكرهه ، وإن لم تعلمِ

ومِنَ الوُلاة مُفخَّم لا يُتَّقى ،
والسيفُ تقطرُ شفرتاه من الدّم

وقال أيضاً لهارونَ الرشيد :

وعلى عدوّك ، يابنَ عم محمَّد ،
رَصَدانِ : ضوءُ الصُّبحِ والإظلامُ

فإذا تنبَّه رُعتَه ، وإذا غفا
سَلّت عليه سُيوفَك الأحلامُ

وقال الحسنُ بن هانىء فأفرط :

مَلِك تصوَّر في القلوب مِثالُه
فكأنّه لم يَخْلُ منه مكانُ

ما تَنْطوي عنه القُلوب بفَجْرَة ،
إلا يكلّمُه بها اللّحَظانُ[1]

حتى الذي في الرّحْمِ ، لم يَكُ صُورة ،
لفؤاده من خَوْفِهِ خَفَقانُ

فمجازُ هذا البيتِ في إفراطه أنّ الرجلَ إذا خاف شيئاً وأحبّه أحبّه بسَمْعِهِ وبَصرِه وشَعْرِه وبشَره ولحمِه ودَمه وجميعِ أعضائِه ، فالنُّطَفُ التي في الأصلاب داخلة في هذه الجملة . قال الشاعر :

ألا تَرْثي لمكتئِب يُحبُّك لحمُه ودَمُهْ ؟

وقال المكفوف في آل محمد :

أُحبُّكم حُباً ، على الله اجرُه ، تضَمّنه الأحشاءُ واللّحمُ والدمُ

ومثلُ هذا قول الحسن بن هانيء :

وأَخَفْتَ أهلَ الشّركِ حتى إنّه لتخافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخلَقِ

فإذا خافه أهل الشّرك خافتْه النُّطفُ التي في أصلابهم ، على المجاز الذي ذكرناه .

ومجاز آخر : أن النطف التي أخذ الله ميثاقها يجوز أن يضاف

---

[1] الفجرة : الانبعاث في المعاصي . اللحظان : النظر بمؤخر العين .

اليها ما هي لا بُدَّ فاعلةٌ من قبلِ أن تفعَله، كما جاء في الأثر: إن الله عزّ وجلّ عرَضَ على آدم ذرّيّتَه فقال: هؤلاءِ أهلُ الجنّة، وبعمَل أهل الجنة يعمَلون، وهؤلاء أهلُ النار، وبعمل أهل النار يعملون.

وها أنا أقول في الهيبة:

يا مَنْ يُجرِّدُ من بَصيرته، تحتَ الحوادثِ، صارمَ العزْمِ
رُعتَ العدوَّ، فما مَثَلتَ له إلا تفزّعَ منك في الحُلْمِ
أضحى لك التّدبيرُ مُطّرِداً، مثلَ اطّرادِ الفِعْل للاسمِ
رفعَ الحسودُ إليك ناظرَه، فرآك مُطّلعاً مع النّجْمِ

•

أبو حاتم سهل بن محمد، قال: أنشدني العُتْبيُّ للأخطل في معاوية:

تَسمو العيُون إلى إمامٍ عادلٍ، مُعطى المَهابةِ نافعٍ ضرّارِ
وترى عليه، إذا العيُونُ لمحْنَه، سِيما الحَليمِ وهَيْبةَ الجبّار

حسن السيرة والرفق بالرعية

قال الله تعالى لنبيه ، صلى الله عليه وسلم ، فيما أوصاه به من الرِّفقِ بالرعية : ولو كنتَ فظّاً غليظ القلب لانفضُّوا منْ حولكَ .

•

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير كله ، ومن حُرم حظه من الرفق فقد حُرم حظه من الخيرِ كله .

•

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى سالم بنِ عبد الله ومحمد بن كعب ، فقال لهما : أشيرا عليَّ؛ فقال له سالم : اجعل الناس أباً وأخاً وابناً ، فَبرَّ أباك ، واحفظ أخاك ، وارحم ابنك . وقال محمد بن كعب: أحبب للناس ما تُحبُّ لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك ، واعلمْ أنك أوّلُ خليفة يموتُ.

•

وقال عبدُ الملك بنُ عمرَ بن عبد العزيز لأبيه عمر: يا أبت، ما لك لا تُنفِذُ الأمورَ ؟ فوالله لا أبالي في الحقّ لو غلتْ بي وبك القدور .

فقال له عمر : لا تَعجل يا بنيّ، فإن الله تعالى ذمّ الخمرَ في القرآن مرتين وحرّمها في الثالثة ، وأنا أخاف ان أحمل الناس على الحق جملة فيدفَعوه وتكون فتْنة .

•

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عَديّ بن ارطاة: أما بعدُ، فان أمْكَنَتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك ، واعلم أن ما لك عَندَ الله مثلُ ما للرعيةِ عندكِ .

•

وقال المنصور لولده المهدي: لا تُبرِم أمراً حتى تفكّر فيه، فإن فكرة العاقل مرآة" تريه حسناته وسيئاته، واعلم أن الخليفة لا تُصلحه إلا التقوى، والسلطان لا تصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه .

•

وقال خالد بن عبد الله القَسْري لبلال بن أبي بُردة : لا يحملنك فضل المقدرة على شدة السطوة ، ولا تطلب من رعيتك إلا ما تبذله لها، فإن الله مع الذينَ اتّقَوا والذِينَ هُم محسِنُون.

•

وقال أبو عبيد الله كاتبُ المهدي : ما أحوج ذا القُدْرةِ

والسلطان إلى دينٍ يحجزه ، وحياء يكفّه ، وعقل يعقله ، وتجربة طويلة ، وعينٍ حفيظةٍ ، وأعراق تسري اليه، وأخلاق تسهل الامورَ عليه؛ وإلى جليسٍ شفيق، وإلى عين تبصر العواقب وقلب يخاف الغِيَر . ومن لم يعرف لؤم الكِبْر لم يَسْلَم من فلتاتِ اللِسان ، ولم يَتعاظم ذنباً وإن عَظُم ، ولا ثناءً وإن سَمُح .

•

وكتب أردشير إلى رعيته: من أردشير المؤيد مِلك الملوك ووارث العُظماء إلى الفُقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البَيْضة[1] ، والكتّاب الذين هم زينة المملكة ، وذوي الحرث[2] الذين هم عماد البلاد : السلام عليكم ، فإنّا بحمد الله اليكم سالمون، فقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتِنا بها إتاوتها[3] الموظفة عليها ، ونحن مع ذلك كاتبون بوصية فاحفظوها ، لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو، ولا تحتكروا فيشملكم القحط، وتزوجوا في الأقارب فإنه أمس[4] للرَّحِم وأثبت للنسب، ولا

---

١ اراد بالبيضة بيضة الملك ، اي حوزته وساحته .
٢ ذوي الحرث : الزراع .
٣ الاتاوة : خراج الارض .
٤ أمس اسم تفضيل من مست بك رحم فلان : اذا كانت بينكما قرابة قريبة .

تَعدُّوا هذه الدنيا شيئاً فإنها لا تُبقي على أحد ، ولا تَرفضُوها فإن الآخرة لا تُدرَك إلا بها .

•

ولما انصرف مروان بنُ الحكم من مِصرَ إلى الشام استعمل عبدَ العزيزِ ابنه على مِصر، وقال له حين ودعه: أرسِل حكيماً ولا توصه . أي بُنيّ ، انظر إلى عمالك ، فإن كان لهم عندك حقّ غُدْوة فلا تؤخّره إلى عشيّة ، وإن كان لهم عشيّة فلا تؤخره إلى غُدوة ، وأعطهم حقوقَهم عند مَحِلّها ، تَستوجبْ بذلك الطاعة منهم .

وإياكَ أن يظهر لرعيتِك منك كَذِب، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدّقوك في الحق .

واستشر جلساءَك وأهلَ العلم ، فإن لم يَستَبِن لك فاكتب إلي يأتِك رأيي فيه إن شاء الله تعالى . وإن كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذْه به عند سورة الغضب ، واحبس عقوبتَك حتى يَسكنَ غضبُك ، ثم يكونُ منك ما يكونُ وأنت ساكنُ الغضبِ منطفىء الجَمْرة ، فإن أوّل مَن جعل السجنَ كان حليماً ذا أناة .

ثم انظر إلى أهل الحَسب والدّين والمُروءة ، فَليكونوا أصحابَك وجلساءَك ، ثمّ اعرف منازلهم منك على غيرهم على

غيرِ استرسال ولا انقباض ؛ أقول هذا وأستخلِفُ الله عليك.

•

أبو بكر بن أبي شَيبة عن عبدالله بن مُجالد عن الشَّعبي ، قال : قال زياد : ما غلبَني أميرُ المؤمنين معاويةُ في شيء من السياسة إلا مرّة واحدة ، استعملتُ رجلاً فكَسر خراجَه ، فخَشي أن أعاقبَه ففرّ اليه واستجار به فأمَّنه ، فكتبتُ اليه: إن هذا أدب سوءٍ[١] مَنْ قِبَلي .

فكتب إليّ : إنه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا نَلين جميعاً فتمرح الناسُ في المعْصية ، ولا نشتدُّ جميعاً فنَحْمِلَ الناسَ على المهالك، ولكن تكون أنت للشدّةِ والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة .

---

١ سوا : افسد .

ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم

قالتِ الحكماء: أحزمُ الملوكِ من قَهر جِدُّه هَزلَه، وغلب رأيُه هواه، وأعربَ عن ضميره فِعلُه، ولم يخدعه رضاه عن سُخطه، ولا غضبُه عن كيْده.

•

وقال عبدُ الملك بنُ مَروانَ لابنِه الوليدِ، وكان وليَّ عهده: يا بنيّ، اعلم أنه ليس بين السُّلطان وبين أن يملك الرعيّة او تملكَه الرعيّةُ إلا حزْمٌ أو توانٍ.

•

وقالوا: لا ينبغي للعاقل أن يَستَصغر شيئاً من الخطإ أو الزَّلل، فإنه متى ما استصغرَ الصغيرَ يُوشِك أن يقع في الكبير؛ فقد رأينا المُلوكَ تؤتى من العدوّ المُحتَقَر، ورأينا الصحة تؤتى من الدّاء اليَسير، ورأينا الأنهار تتدفّق من الجداول الصّغار.

•

وقالوا: لا يكون الذمُّ من الرعية لراعيها إلا لاحدى ثلاث: كريمٌ قصَّر به عن قدره فاحتمل لذلك ضِغناً، أو لئيمٌ بُلِغ به

إلى ما لا يستحق فأورثه ذلك بَطراً ، أو رجلٌ مُنع حظّه من الانصاف فشكا تفريطاً[1] .

•

ومن كتاب للهند : خيرُ الملوكِ مَن أشبه النّسرَ حولَه الجِيَفُ ، لا مَن أشبه الجِيَفَ حولها النّسور .

•

وقيل لِملكٍ سُلِب مُلكه : ما الذي سَلَبَكَ مُلكك ؟ فقال : دفعُ شُغل اليومِ إلى غدٍ ، والتماسُ عُدةٍ بتضييع عدد ، واستكفاء كلِّ مخدوعٍ عن عقله . والمخدوعُ عن عقله من بلغ قدراً لا يستحقه ، أو أُثيب ثواباً لا يَستوجِبه .

•

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: انتهزوا هذه الفرص فإنها تمرُّ مرَّ السحاب ، ولا تطلبوا أثراً بعد عَين .

•

وكان عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه أحزمَ الخلفاء، وكانت عائشةُ رضي الله عنها إذا ذُكر عمرُ قالت: كان والله أحوزياً[2] نسيجَ وحدِه ، قد أعدَّ للأمور أقرانها[3] .

•

---

١ التفريط : التقصير .

٢ الأحوزي : الحاذق ، الحسن السياق للأمور .

٣ أقرانها : أكفاؤها .

وقال المُغيرة بن شعبة: ما رأيتُ أحداً هو أحزمُ من عمر، كان والله له فضلٌ يمنعهُ أن يخدَع ، وعقلٌ يمنعُه أن يُخدع .

•

وقال عمر : لست بخَبّ[1] ، والخبّ لا يخدعني .

•

ومر عمر ببُنيانٍ يُبنى بآجرٍ وجصٍ فقال : لمن هذا ؟

قيل : لعاملِك على البَحْرين .

فقال : أبتِ الدراهمُ إلا أن تُخرِجَ أعناقَها .

فأرسلَ اليه فشاطرَه ماله .

•

وكان سعد بنُ أبي وقّاص يقال له: المُستَجاب، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : اتقوا دعوة سعد. فلمّا شاطره عُمرُ ماله، قال له سعد : لقد هممت .

قال له عُمر : بأن تدعو عليّ ؟

قال : نعم .

قال : إذاً لا تجدُني بدُعاء ربي شقيّاً .

•

وهجا رجل من الشعراء سعدَ بنَ أبي وقّاص يومَ القادسيّة، فقال :

---

١ الخب : المحتال الخداع .

ألم ترَ أنّ الله أظهرَ دينَه، وسعدٌ ببابِ القادسية مُعصِمُ[1]
فأبْنا وقد آمتْ نساءٌ كثيرة؛ ونِسوةُ سَعْدٍ ليسَ فيهنّ أيّمُ[2]

فقال سعد: اللهم اكفني يده ولسانه؛ فقُطِعت يدُه وبُكِم لسانُه.

•

ولما عزل عمرُ أبا موسى الأشعري عن البَصْرة وشاطره ماله، وعزل أبا هريرة عن البَحرين وشاطره ماله، وعزل الحارثَ بنَ كَعْب بنِ وهْب وشاطره ماله، دعا أبا موسى فقال له: ما جاريتانِ بلغني أنهما عندك، إحداهما عقيلةُ، والأخرى من بنات الملوك؟

قال: أما عقيلة فإنها جاريةٌ بيني وبين الناس، وأما التي هي من بنات الملوك فإني أردت بها غلاء الفداء.

قال: فما جَفْنتان تُعْمَلانِ عندك؟

قال: رزقتَني شاةً في كل يوم، فيُعمَل نِصفُها غُدوةً ونِصفُها عَشيَّة.

قال: فما مكيالان بلغني انهما عندك؟

قال: أما أحدهما فأوفّي به أهلي ودَيْني، وأما الآخر

---

١ معصم: معتصم.

٢ آمت نساء: فقدن ازواجهن.

فيتعامل الناس به .

فقال : ادفع إلينا عقيلة ، والله إنك لمؤمن لا تَغُلّ[١] ، أو فاجرٌ مُبِلّ[٢] ، ارجع إلى عملك عاقصاً بقرنك[٣] ، مكتسعاً بذنبك[٤] ، والله إن بلغني عنك أمرٌ لم أعِدك .

ثم دعا أبا هريرة فقال له: علمتَ من حين أني استعملتك على البحرين ، وأنت بلا نعلين ، ثم بلغني أنك ابتعتَ أفراساً بألف دينار وستمائة دينار ؟

قال : كانت لنا أفراس تناتجت ، وعطايا تلاحقت .

قال: قد حسبتُ لك رزقك ومؤونتك وهذا فضلٌ فأدّه .

قال : ليس لك ذلك .

قال : بلى والله وأوجِعُ ظهرك .

ثم قام اليه بالدِّرّة فضربه حتى أدماه ، ثم قال : ائتِ بها .

قال : احتسبتها عند الله .

قال : ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً، أجئتَ من أقصى حَجْر بالبحرين يجْبي الناس لك لا لله ولا للمسلمين! ما رجعت[٥]

---

١ لا تغل : لا تخون .

٢ المبل : الغالب بحجته .

٣ عاقصاً بقرنك : عاقداً اياه ولاوياً به . والقرن : الذؤابة .

٤ الاكتساع بالذنب في الخيل والكلاب : أن تدخل أذنابها بين ارجلها .

٥ ما رجعت بك : ما ولدتك .

بك اميمة إلا لِرِعْيَة الحُمُر .

وأميمة أمّ أبي هُريرة .

•

وفي حديث أبي هُريرة ، قال : لما عزلني عُمر عن البحرين قال لي : يا عدوّ الله وعدوّ كتابه ، سرقتَ مالَ الله ؟

قال : فقلت : ما أنا عدوُّ الله ولا عدوُّ كتابه ، ولكني عدوُّ من عاداهما ، ما سرقتُ مالَ الله .

قال : فمن أين اجتمعت لك عشرةُ آلاف ؟

قلت : خيل تناتجت ، وعطايا تلاحقت ، وسهامٌ تتابعت .

قال : فقبضها مني ، فلما صلّيتُ الصبحَ استغفرت لأمير المؤمنين ؛ فقال لي بعد ذلك : ألا تعمل ؟

قلت : لا .

قال : قد عَمِل مَنْ هو خير منك ، يوسفُ صلواتُ الله عليه .

قلت : يوسف نبيّ وأنا ابن أميمة ، أخشى أن يُشْتَمَ عِرضي ويُضرَبَ ظهري ويُنْزع مالي .

قال : ثم دعا الحارثَ بنَ وَهب ، فقال : ما قِلاص وأعْبُد بِعتَها بمائتي دينار ؟

قال : خرجت بنفقة معي فتجرْت فيها .

فقال : أما والله ما بَعثْناكم لتتَّجروا في أموال المسلمين، أدّها .

فقال : أما والله لا عَملت عملاً بعدها أبداً .

قال : انتظر حتى أستعملك !

•

وكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، وكان عامله على مصر : من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عَمْرو بن العاص ، سلام عليك ، فإنه بلغني أنك فشت لك فاشيةٌ من خَيْل وإبل وغنم وبقر وعبيد، وعهدي بك قبل ذلك أن لا مال لك، فاكتب اليّ من أين أصلُ هذا المالِ ولا تكتمه .

فكتب اليه عمرو بن العاص : الى عبد الله أمير المؤمنين ، سلام عليك، فاني احمد اليك الله الذي لا إله الا هو، أما بعد، فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه ما فشا لي، وأنه يعرفني قبل ذلك ولا مال لي ، وإني أعلم أمير المؤمنين أني ببلدٍ السّعرُ به رخيصٌ، وأني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالجه أهله، وفي رزق أمير المؤمنين سَعةٌ ؛ وبالله لو رأيتُ خيانتك حلالاً ما خُنتك ، فأقصر أيها الرجل، فإن لنا أحساباً هي خيرٌ من العمل لك، ان رجعنا اليها عِشْنا بها؛ ولعَمري انّ عندك من لا يَذُمُّ معيشته ولا تُذَمُّ له . وذكرتَ أنّ عنـــدك من المُهاجرين

الاولين من هو خيرٌ مني، فأنّى كان ذلك ولم نفتح ُقفلك، ولم نشركك في عملك ؟

فكتب اليه عمر : أما بعد ، فإني والله ما أنا من أساطيرك التي تسطّر ، ونَسقِك الكلام في غير مرجع ، وما ُيغني عنك أن تزكي نفسك، وقد بعثتُ اليك محمد بن مَسلمة فشاطره مالك، فإنكم أيها الرّهط الأمراء جلستم على عيون المال ثم لم يعوزكم ُعذر، تجمعون لأبنائكم ، وتمهّدون لأنفسكم ؛ أما إنكم تجمعون العار، وتورّثون النار ، والسلام .

فلما قدم عليه محمدُ بنُ مَسلمة صنع له عمرو طعاماً كثيراً، فأبى محمدُ بن مَسلمة أن يأكل منه شيئاً، فقال له عمرو: اتحرّمون طعامَنا ؟

فقال : لو قدّمتَ اليّ طعامَ الضيفِ أكلته ، ولكنّك قدّمت الي طعاماً هو تقدمة شرّ . والله لا أشربُ عندك الماء، فاكتب لي كلّ شيء هو لك ولا تكتمه .

فشاطره ماله بأجمعه، حتى بقيت نعلاه فاخذ احداهما وترك الأخرى . فغضب عمرو بن العاص، فقال : يا محمدُ بنَ مسلمة: قبّح الله زماناً عمرو بنُ العاص لِعمرَ بنِ الخطاب فيه عامل ، والله اني لأعرف الخطّاب يحملُ فوق رأسه ُحزمة من الحَطب

وعلى ابنه مثلها ، وما منهما الا في نَمِرة[1] لا تبلغ رُسْغيه[2] ، والله ما كان العاصُ بنُ وائلٍ يرضى ان يلبس الدّيباج مزرّراً بالذهب .

قال له محمد : اسكت ، والله عمرُ خيرٌ منك، وأما أبوك وأبوه ففي النار ؛ والله لولا الزمانُ الذي سبقك فيه لألفيتَ مُقتَعِد شاة يسرُّك غزرُها ويسوءك بَكؤها[3] .

فقال عمرو : هي عندك بأمانة الله .

فلم يُخبر بها عمرَ .

●

ومن حديث زيد بن أسلمَ عن أبيه قال : بعث معاويةُ الى عمرَ بن الخطاب وهو على الشام بمال وأدهم[4] ، وكتب الى أبيه أبي سُفيان أن يدفع ذلك الى عُمر، وكتب الى عمر يقول: اني وجدت في حصون الروم جماعةً من أسارى المسلمين مُقيّدين بقيود حديد ، أنفذتُ منها هذا ليراه أميرُ المؤمنين .

فخرج الرسول حتى قَدِم على أبي سُفيان بالمال والأدهم .

---

١ النمرة : بردة من صوف تلبسها الأعراب .

٢ الرسغ : المفصل ما بين الساق والقدم .

٣ بكؤها : قلة لبنها .

٤ الأدهم : القيد .

قال: فذهب أبو سفيان بالأدم والكتاب الى عُمرَ واحتبس المال لنفسه ؛ فلما قرأ عمرُ الكتـاب ، قال : فأين المالُ يا أبا سفيان ؟

قال: كان علينا دَين ومعونة، ولنا في بيت المال حقّ، فإذا أخرجتَ لنا شيئاً قاصصْتنا به .

فقال عمر : اطرحوه في الأدم حتى يأتيَ بالمال .

قال : فأرسل أبو سفيانَ من أتاه بالمال ، فأمر عمرُ بإطلاقه من الأدم .

قال : فلما قَدِم الرسولُ على معاوية، قال[1] : رأيتَ أمير المؤمنين أعجب بالأدم ؟

قال : نعم ، وطرَح فيه أباك .

قال : ولِمَ ؟

قال : جاءه بالأدم وحبس المال .

قال : إي والله ، والخطّابُ لو كان لطرحه فيه .

•

زار أبو سفيانَ معاويةَ بالشام ، فلما رجَع من عنده دخل على عمر ، فقال : أجِزْنا أبا سفيان .

قال : ما أصَبْنا شيئاً فنُجيزَك منه .

---

١ الضمير عائد الى معاوية .

فأخذ عمر خاتمه ، فبعث به إلى هِند ، وقال للرسول : قل لها : يقول لك أبو سفيان : انظري إلى الخُرجين اللذين جئتُ بهما فأحضريهما .

فما لبث عُمر أن أتي بخُرجين فيهما عشرة آلاف دِرْهم ، فطرحهما عمر في بيتِ المال . فلما ولي عُثمانُ ردّهما عليه ؛ فقال أبو سفيان : ما كنتُ لآخذ مالاً عابَه عليّ عُمر .

•

ولما ولّى عمرُ بن الخطّاب عُتبةَ بنَ أبي سفيانَ الطائفَ وصَدَقاتِها ثم عزله، تلقّاه في بعضِ الطريق، فوجد معه ثلاثين ألفاً ، فقال : أنّى لك هذا ؟

قال : والله ما هو لك ولا للمُسلمين، ولكنّه مال خرجتُ به لِضَيعة أشتريها .

فقال عمر : عامِلُنا وجَدْنا معه مالاً ما سبيلُه إلا بيت المال ؛ ورَفَعه .

فلما ولي عثمانُ قال لعُتْبة: هل لك في هذا المال فإني لم أرَ لأخْذ ابن الخطّاب فيه وجهاً ؟

قال : والله انّ بنا اليه لحاجةً ، ولكن لا تَرُدّ على من قبْلكَ فيرُدّ عليك مَن بعدك .

•

القحذمي قال: ضرب عمرُ رجلاً بالدِّرَّة فنادى: يا لَقُصيّ؛ فقال أبو سُفيان: لو قَبْلَ اليوم تُنادي قُصياً لأتتك منها العَطاريف.

فقال له عمر: اسكُتْ لا أبا لك.

قال أبو سُفيان: ها! ووضع سبّابته على فيه.

•

خليفة بن خيّاط قال: كتب يزيد بن الوليد، المعروف بالناقص، وانما قيل له الناقص لفرْط كماله، الى مروانَ بنِ محمد، وبلغه عنه تلكُّؤٌ في بَيْعته: أما بعدُ، فإني أراك تُقدِّم رِجلاً وتُؤخِّرُ أخرى، فاعتمِد على أيّهما شئتَ، والسلام.

فأتته بَيْعته.

•

ولما منع أهلُ مرْو أبا غسانَ الماء وزجّته الى الصحاري، كتب اليهم أبو غسّان: الى بني الاساءة من أهل مَرْوَ، ليُمْسِيَنّي الماء أو لتُصبّحنّكم الخيْلُ.

فما أمسى حتى أتاه الماء، فقال: الصّدقُ يُنبىء عنك لا الوعيد.

•

وكتب عبدُ الله بن طاهر الخراسانيّ الى الحسن بن عمر

الثَّعْلبيّ : أما بعد ، فقد بلغني ما كان من قَطْعِ الفَسقةِ الطريقَ ما بلَغ ، فلا الطريقَ تَحْمي ، ولا اللصوصَ تَكْفي ، ولا الرعيّةَ تُرضي ، وتطمعُ بعد هذا في الزيادة ! إنك لمُنفسِحُ الأمل ! وايم الله لتكفينّي مَن قِبَلك أو لأوجّهنَّ اليك رجالاً لا تَعرِف مُرّةَ من جَهْم ، ولا عديٌّ من زُهم ، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله .

•

وكتب الحجّاج بن يوسف الى قُتيبة بن مسلم ، واليه بخُراسان : أما بعد ، فإن وكيع بن حسّان كان بالبصرة منه ما كان ، ثم صار لصّاً بسِجِسْتان ، ثم صار الى خُراسان ، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدم بناءه ، واحلل لواءه .

وكان على شرطة قُتَيبة فعزله ، وولى الضّبيَّ عمَّ مسعودِ ابن الخطاب .

•

وبلغ الحجّاجَ أن قوماً من الأعراب يُفسِدون الطريقَ ، فكتب اليهم : أما بعد ، فإنكم قد استخفّتكم الفتنةُ ، فلا عن حقّ تقاتِلون ، ولا عن مُنكرٍ تَنْهَون ، وإني أهمُّ أن تَرِدَ عليكم منّي خيلٌ تَنسِفُ الطارفَ والتالدَ ، وتدَعُ النساء أيامى ، والأبناء يتامى ، والديارَ خراباً .

فلما أتاهم كتابه كفّوا عن الطريق .

التعرض للسلطان والرد عليه

قالت الحكماء : من تعرّض للسلطان أرداه، ومن تطامن له تخطاه .

وشبّهوه في ذلك بالريح العاصفة التي لا تضُرُّ بما لانَ لها من الشجرِ ، ومالَ معها من الحشيش، وما استهدف لها من الدوح العِظام قصَفَتْه . قال الشاعر :

إنَّ الرياحَ ، إذا ما أَعْصَفَتْ قصفَتْ
عيدانَ نبْعٍ ، ولا يَعْبأْنَ بالرَّتَمِ

•

وقال حبيب[1] ، وهو أحسن ما قيل في السلطان :

هو السَّيلُ ، إن واجَهتَه انقدْتَ طَوْعَهُ ،
وتَقتادُهُ من جانبَيْهِ فيَتْبَعُ

وقال آخر :

---

[1] اراد حبيب الطائي ابا تمام .

هو السيفُ إن لايَنْتَهُ لانَ مَتْنُــه ،
وحدّاهُ ، إن خاشَنْتَه ، خَشِنانِ

•

وقال معاوية لأبي الجَهم العدَويّ : أنا أكبر أم أنت ؟

فقال : لقد أكلتُ في عُرْسِ أمك يا أمير المؤمنين .

قال : عند أي أزواجها ؟

قال : عند حفص بن المُغيرة .

قال : يا أبا الجَهم، إياكَ والسلطانَ، فإنه يَغضَبُ غضَبَ الصبيّ ، ويأخُذُ أخذَ الأسد .

وأبو الجَهم هو القائل في معاوية :

نُقلِّبه لنَخبُرَ حالَتَيْه ، فنخبُرُ منهما كرَماً ولينا

نَميل على جوانبه ، كأنّا نَميل ، إذا نَميل ، على أبينا

•

وقدِم عُقيبة الأسديّ على معاوية ، ورفع اليه رقعةً فيها هذه الأبياتُ :

مُعاويَ إننا بشرٌ، فأسْجِح ، فلسنا بالجِبال ولا الحديدِ[1]

---

[1] اسجح ، من سجح خلقه : سهل ولان .

أكلتم أرضنا ، فجَرّدتُموها ، فهل من قائمٍ أو من حَصيدِ؟

أتطمَعُ بالخُلود، إذا هَلكنا، وليس لنا، ولا لك، من خُلودِ

فهَبنا أمّةً هلكت ضَياعاً ، يَزيدُ أميرُها وأبو يَزيدِ

فدعا به ، فقال : ما جرّأك عليّ ؟

قال : نصحتُكَ إذ غشّوك ، وصدَقتك إذ كذَبوك .

فقال : ما أظنّك إلا صادقاً .

وقضى حوائجه .

●

ومن حديث زياد عن مالك بن أنس قال : خطب أبو جعفر المنصورُ ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اتقوا الله .

فقام اليه رجل من عُرض الناس ، فقال : أذكّرُكَ الله الذي ذكّرتنا به يا أميرَ المؤمنين .

فأجابه أبو جعفر بلا فِكرة ولا روية : سمعاً وطاعة لمن ذكّر بالله ، وأعوذُ بالله أن أذكّر به وأنساه فتأخذني العزّةُ بالإثم : لقد ضللتُ إذاً وما أنا منَ المُهتدين . وأما أنت ، فوالله ما اللهَ أردتَ بها ، ولكن ليُقال : قال فعوقب فصبر ، وأهوِن بها لو كانت ، وأنا أحذركم أيها الناسُ أختها ، فإن

الموعِظة علينا نزلت ، ومنّا أخذت .

ثم رجع إلى موضِعه من الخُطبة .

•

وقام رجل الى هارون الرشيد ، وهو يخطب بمكة ، فقال : كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أن تَقولوا ما لا تَفْعَلون .

فأمر به فضُرب مائةَ سَوط ، فكان يَئِنُّ الليلَ كلَّه ويقول : الموتَ ! الموت ! فأخبر هارون أنه رجلٌ صالح ، فأرسل اليه فاستحلّه ، فأحلّه .

•

المدائني قال : جلس الوليدُ بنُ عبدِ الملك على المِنْبر يومَ الجُمعة حتى اصفرّتِ الشمسُ ، فقام اليه رجل ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن الوقتَ لا ينتظِرُك ، وإن الربَّ لا يَعْذِرُك .

قال : صدقتَ ، ومن قال مثلَ مَقالتِك ، فلا يَنْبغي له ان يقومَ مثلَ مقامِك ، مَنْ هاهنا من أقربِ الحَرس يقوم اليه فيضرب عُنقه ؟

•

الرياشي عن الأصمعي قال : خاطر[١] رجلٌ رجلاً أن يقومَ الى معاوية إذا سجَد فيَضعَ يدَه على كفَلِه ويقول : سبحانَ

---

١ خاطر : راهن.

الله يا أميرَ المؤمنين ! ما أشبهَ عجيزَتَك بعجيزةِ أمّك هند !

ففعل ذلك . فلما انفتل معاوية عن صلاته قال : يابنَ أخي ، إنّ أبا سُفيان كان الى ذلك منها أميل ، فخُذ ما جعلوا الك ؛ فأخذه .

ثم خاطر أيضاً أن يقومَ الى زياد وهو في الخُطبة فيقول له : أيها الأمير من أبوك ؟

ففعل ؛ فقال له زياد : هذا يُخبِرُك ، وأشار الى صاحب الشُرْطة ، فقدّمه فضرب عنقه .

فلما بلغ ذلك معاوية ، قال : ما قتله غيري ، ولو أدّبتُه على الأولى ما عاد الى الثانية .

•

وخاطر رجلٌ ان يقومَ الى عمرو بن العاص وهو في الخطبة فيقول : أيها الأمير من أمّك ؟

ففعل ؛ فقال له : النابغةُ بنتُ عبد الله ، أصابتها رماحُ العرب ،فبيعت بعكاظ ، فاشتراها عبدُ الله بن جُدْعان للعاص ابن وائل ، فولدت فأنجبت ، فإن كانوا جعلوا لك شيئاً فخُذه.

•

دخل نُخريم الناعمُ على معاوية بن أبي سفيان ، فنظر مُعاوية الى ساقيْه ، فقال : أيُّ ساقين ، لو أنهما على جارية !

فقال له نُخريم : في مِثل عَجيزتِك يا أمير المؤمنين .

قال : واحدة بأخرى والبادىء أظلم .

تحلم السلطان على أهل الدين

والفضل اذا اجترأوا عليه

زيادٌ عن مالكٍ بن أنس قال : بعث أبو جعفر المنصور اليّ والى ابن طاوس ، فأتيناه فدخلنا عليه ، فإذا هو جالس على فُرُش قد نُضِّدت، وبين يديه أنطاعٌ قد بُسِطت، وجلاوزة[1] بأيديهم السيوفُ يَضربون الأعناقَ . فأومأ الينا أن اجلسا ؛ فجلسنا . فأطرق عنّا طويلا ، ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس ، فقال له : حدّثني عن أبيك .

قال : نعم ، سمعت أبي يقولُ : قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنّ أشدّ الناس عذاباً يومَ القيامة رجلٌ أشركه الله في حُكمِه فأدخل عليه الجَور في عَدله .

فأمسك ساعة . قال مالكٌ : فضممتُ ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني من دمِه . ثم التفتَ اليه أبو جعفر ، فقال : عِظني يابن طاوس .

قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، ان الله تعالى يقول :

---

١ الجلاوزة : رجال الشرطة .

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ، إِرَمَ ذاتِ العِمادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها في البِلادِ ، وثَمودَ الذينَ جابوا الصَّخْرَ بالوادِ ، وفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ ، الذينَ طَغَوا في البِلادِ ، فأَكْثَرُوا فِيها الفَسادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ . »

قال مالك : فَضَمَمْتُ ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأ ثيابي من دمه .

فأمسك ساعةً حتى اسودَّ ما بيننا وبينه ثم قال: يابن طاوس، ناولني هذه الدَّواة .

فأمسك عنه .

ثم قال : ناولني هذه الدواة .

فأمسك عنه .

فقال : ما يمنعك أن تُناولنيها ؟

قال: أخشى أن تَكتُبَ بها مَعْصيةً فأكون شريكك فيها.

فلما سمع ذلك قال : قوما عني .

قال ابن طاوس : ذلك ما كنّا نبغي منذ اليوم .

قال مالك : فما زِلتُ أعرِف لابن طاوس فضله .

•

أبو بكر بن أبي شيبة قال : قام أبو هُريرة إلى مروان بن

الحكم وقد أبطأ بالجمعة ، فقال له : أتظلُّ عند ابنة فلانٍ تروّحك بالمَراوح وتَسقيك الماء البارِدَ ، وأبناءُ المهاجرين والانصارُ يُضهَرون من الحرّ ! لقد هَممت أن أفعلَ وأفعلَ. ثم قال : اسمعوا من أميرِكم .

•

فرَجُ بن سلاّمٍ عن أبي حاتم عن الأصمعيّ ، قال : حدّثني رجلٌ من أهل المدينة كان يَنزِل بشقّ بني زُرَيق[1] ، قال : سمعت محمدَ بن إبراهيم يحدّث قال :

سمعتُ أبا جعفر بالمدينة وهو ينظر بين رجل من قُريش وأهل بيت من المهاجرين ليسوا من قريش ، فقالوا لأبي جعفر : اجعل بيننا وبينه ابن أبي ذئب .

فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب : ما تقول في بني فلان ؟

قال : أشرارٌ من أهل بيت أشرار .

قالوا : اسأله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن زيد ، وكان عامله على المدينة .

قال : ما تقول في الحسن بن زيد ؟

---

١ الشق : الناحية . بنو زريق : من الانصار .

قال : يأخذ بالإحنة[1] ، ويقضي بالهوى .

فقال الحسن : يا أمير المؤمنين ، والله لو سألته عن نفسك لرماك بداهية أو وصفك بشرّ .

قال : ما تقول فيّ ؟

قال : اعفني .

قال : لا بد أن تقول .

قال : لا تعدل في الرعيّة ، ولا تَقْسم بالسويّة .

قال : فتغير وجه أبي جعفر ؛ فقال ابراهيم بن يحيى بن محمد ابن علي صاحب الموصل : طَهّرني بدَمه يا أمير المؤمنين .

قال : اقعُد يا بُني ، فليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلاّ الله طَهُور .

ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دَعْنا مما نحن فيه ، بلغني أن لك ابناً صالحاً بالعِراق ، يعني المهديّ .

قال : أما إنك قلت ذلك ، إنه الصوّامُ القوّامُ البعيدُ ما بين الطَّرَفين[2] .

---

١ الاحنة : الحقد .

٢ البعيد ما بين الطرفين : كناية عن شرف النسب وكثرة ما له من الآباء الاشراف .

قال : ثم قام ابن أبي ذئب فخرج ، فقال أبو جعفر : أما والله ما هو بمُستوثَق العقلِ ، ولقد قال بذاتِ نفسه .

قال الأصمعي : ابن أبي ذئب ، من بني عامر بن لؤي ، من أنفسهم .

•

قال : ودخل الحارث بن مسكين على المأمون فسأله عن مسألة ، فقال : أقول فيها كما قال مالك بن أنس لأبيك هارون الرشيد .

وذكر قوله فلم يُعجب المأمون ، فقال : لقد تيَّست فيها وتيَّس مالك .

قال الحارثُ بنُ مسكين : فالسامع ، يا أمير المؤمنين ، من التَّيْسين أتيس .

فتغير وجه المأمون ، وقام الحارث بن مسكين فخرج ، وتندّم على ما كان من قوله ؛ فلم يستقرّ في منزله حتى أتاه رسول المأمون ، فأيقن بالشرّ ، ولبس ثيابَ أكفانه ، ثم أقبل حتى دخل عليه ، فقرّبه المأمون من نفسه ، ثم أقبل عليه بوجهه فقال له : يا هذا ، ان الله قد أمر مَن هو خيرٌ منك بإلانةِ القولِ لمن هو شرٌ مني ، فقال لنبيّه موسى ، صلى الله عليه وسلم ، إذ أرسله الى فرعون : فَقُولا لهُ قَولاً ليّناً لعلَّهُ يَتَذَكَّرُ أوْ يَخْشى .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أبوءُ بالذنب وأستغفرُ الرب .

قال : عفا الله عنك ، انصرِفْ إذا شئت .

•

وأرسل أبو جعفر الى سُفيان الثوريّ، فلمّا دخل عليه قال: عِظني أبا عبد الله .

قال : وما عمِلتَ فيما علِمتَ فأعِظَكَ فيما جهلت ؟

فما وجد له المنصور جواباً .

•

ودخل أبو النضر سالمُ مولى عمرَ بنِ عبد الله على عامل الخليفة فقال له : أبا النضر ، إنّا تأتينا كُتُبٌ من عند الخليفة فيها وفيها ، ولا نَجِد بُدّاً من انفاذها ، فما ترى ؟

قال له أبو النّضر: قد أتاكَ كتابٌ من الله تعالى قبلَ كتاب الخليفة ، فأيهما اتبعت كنتَ من أهله .

•

ونظير هذا القول ما رَواه الأعمشُ عن الشّعْبي: أن زِياداً كتب الى الحكم بن عمرو الغِفاري ، وكان على الصّائفة[1] : إنّ أمير المؤمنين[2] كتب إليّ أن أصْطفي له الصّفراء والبيضاء،

---

١ الصائفة : الغزاة في زمن الصيف .

٢ يريد معاوية .

فلا تَقْسِم بين الناسِ ذهباً ولا فضةً .

فكتب اليه : اني وجدتُ كتابَ الله قبلَ كتاب أمير المؤمنين ، والله لو ان السموات والأرض كانتا رتقاً[1] على عبد فاتقى الله لجعلَ له منهما مَخرجاً .

ثم نادى في الناس ، فقسّم فيهم ما اجتمع من الفيء .

●

ومثله قولُ الحسن[2] حين أرسل اليه ابنُ هُبيرة وإلى الشعبي ، فقال له : ما ترى أبا سَعيد في كُتُب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها ، فإن أنفذتُها وافقتُ سخط الله ، وإن لم أنفذها خَشيت على دمي ؟

فقال له الحسن : هذا عندك الشعْبي فَقيه الحجاز .

فسأله ، فرقّق له الشّعْبي وقال له : قارِب وسدّد ، فإنما أنت عبدٌ مأمور .

ثم التفت ابنُ هبيرة الى الحسن وقال : مـــا تقول يا أبا سعيد ؟

فقال الحسن : يابن هبيرة ، خفِ الله في يزيد ولا تَخف يزيدَ في الله ؛ يابن هبيرة ، ان الله مانعُك من يزيد وان يزيد

---

١ رتقاً : مسدودتين .

٢ يريد الحسن البصري .

لا يمنعك من الله؛ يابن هبيرة، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فانظر ما كتب اليك فيه يزيدُ فاعرضه على كتاب الله تعالى، فما وافق كتاب الله تعالى فأنفذه، وما خالف كتاب الله فلا تُنْفِذه، فإن الله أولى بك من يزيد، وكتاب الله أولى بك من كتابه.

فضرب ابن هبيرة بيده على كتِف الحسن وقال: هذا الشيخ صدقني وربِّ الكعبة. وأمر للحسن بأربعة آلاف درهم وللشعبيّ بألفين. فقال الشعبي: رقّقنا فرقّق لنا.

فأما الحسنُ فارسلَ الى المساكين، فلما اجتمعوا فرّقها، وأما الشعْبي فإنه قبلها وشكر عليها.

•

ونظير هذا، قول الاحنف بن قيس لمعاوية حين شاوره في استخلاف يزيد، فسكت عنه؛ فقال: ما لك لا تقول؟

فقال: ان صدقناك أسخطناك، وان كذبناك اسخطنا الله، فسُخْط أمير المؤمنين أهونُ علينا من سُخطِ الله. فقال له: صدقت.

•

وكتب أبو الدَّرْداء الى معاوية: أما بعد، فإنه من يلتمس رضا الله بسُخط الناس كفاه الله مؤونة الناسِ، ومن التمَس رضا الناس بسُخط الله وكَلَه الله إلى الناس.

•

وكتبت عائشةُ رضي الله عنها الى معاوية : أما بعدُ ، فانه من يعمل بمساخط الله يَصِرْ حامِدُه من الناس ذامّاً له، والسلام.

•

أبو الحسن المدائني قال: خرج الزُهريّ يوماً من عند هِشام فقال : ما رأيت مثلَ أربع كلمات تكلم بها اليوم انسان عند هشام !

قيل له : وما هنّ ؟

قال : دخل رجل على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ، احفظ عنّي أربع كلمات فيهن صلاح مُلكِك، واستقامة رعيتك.

فقال: هاتِهن؛ فقال : لا تَعِدَنّ عِدَةً لا تثِق من نفسك بإنجازها .

قال : هذه واحدة فهات الثانية .

قال : لا يغُرنّك المُرتقى وان كان سهلاً اذا كان المنحدر وعراً .

قال : هات الثالثة .

قال : واعلم أن للأعمال جزاء فاتّقِ العواقب .

قال : هات الرابعة .

قال : واعلم أن للأمور بَغَتات فكُن على حذر .

•

قعد معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم . فالتفت الى المغيرة فقال له : هذا رجل فاستوصِ به خيراً .

•

وقال عبدُ الملك بنُ مَرْوان للحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة : ما كان يقول الكذّاب في كذا وكذا ؟ يَعني ابنَ الزُّبير .

فقال : ما كان كذّاباً .

فقال له يحيى بنُ الحكم : مَن أمّك يا حارِ ؟

قال : هي التي تعلَم .

قال له عبدُ الملك : اسكُت فهي أنجبُ من أمّك .

•

دخل الزُّهريّ على الوليد بن عبد الملك، فقال له: ما حديث يحدّثنا به أهلُ الشام ؟

قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟

قال : يحدّثوننا ان الله اذا استرعى عبداً رعيّته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات .

قال : باطلٌ يا أمير المؤمنين ، أنبيّ خليفةٌ أكرمُ على الله

أم خليفة غير نبيّ ؟

قال : بل نبيّ خليفة .

قال : فان الله تعالى يقول لنبيّه داود : « يا داودُ إنّا جعَلْنَاكَ خَليفةً في الأرْضِ فاحْكمْ بينَ النّاسِ بالحقّ ولا تتّبعِ الهَوى فيُضِلّكَ عَنْ سَبيلِ اللهِ ، إنّ الذينَ يَضِلّونَ عَنْ سَبيلِ اللهِ لهُمْ عَذابٌ شَديدٌ بِما نَسُوا يَومَ الحِسَابِ . » فهذا وعيدٌ يا أمير المؤمنين لنبيّ خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبيّ ؟

قال : ان الناس ليُغوونا عن ديننا .

•

الأصمعي عن اسحاق بن يحيى عن عطاء بن يسار ، قال : قلت للوليد بن عبد الملك : قال عمر بن الخطاب : ودِدْت أني خرجت من هذا الأمر كفافاً لا علي ولا لي .

فقال : كذَبْتَ .

فقلت: أو كُذِّبْتُ؟ فما أفلتُ منه إلاّ بجُرَيعة الذقَن[1] .

---

[1] يريد الا وقد أشرف على التلف .

المشورة

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ما ندم من استشار ، ولا خاب من استخار .

وقد أمر الله تعالى نبيّه عليه الصلاة والسلام بمُشاورَة من هو دونه في الرأي، فقال: «وَشاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فإذا عَزَمْتَ فتَوَكَّلْ عَلى الله .»

•

ولما هَمّت ثَقيفُ بالارتداد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، استشاروا عُثمانَ بن أبي العاص ، وكان مُطاعاً فيهم ، فقال لهم : لا تكونوا آخر العربِ اسلاماً، وأوّلهم ارتداداً . فنفعهم الله برأيه .

•

وسُئِلَ بعضُ الحُكماء : أيُّ الأمور أشدُّ تأييداً للفتى وأيّها أشدُّ إضراراً به ؟

فقال : أشدُّها تأييداً له ثلاثة أشياء : مُشاورةُ العلماء ، وتجربةُ الأمور ، وحُسن التثبّتِ ؛ وأشدها إضراراً به ثلاثة أشياء : الاستبدادُ والتهاون والعجلة .

•

وأشار حكيمٌ على حكيمٍ برأي فقال له : لقد قلتَ بما يقول به الناصح الشفيق الذي يخلط حلوَ كلامه بمُرّه، وسهلَه بوعره، ويحرِّكُ الإشفاقُ منه ما هو ساكن من غيره، وقد وعيتُ النصحَ وقبلتُه ، إذ كان مصدرُه مِنْ عند مَنْ لا يُشَكُّ في مودّته وصفاءِ غيبِه ، ونُصحِ جَيْبه ؛ وما زلتَ بحمد الله الى الخير طريقاً واضحاً ، ومناراً بيّناً .

•

وكان عبد الله بن وهب الراسبيّ يقول: ايّاكم والرأيَ الفطير[1]. وكان يستعيذ بالله من الرأي الدَّبَريّ[2] .

•

وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول : رأي الشّيخ خير من مشهدِ الغلام .

•

وأوصى ابنُ هُبيرة ولده فقال: لا تكن أول مُشير، واياك والرأيَ الفطير ؛ ولا تشيرنّ على مستبدٍّ ، فان التماس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة .

•

---

١ الرأي الفطير : البديهي يعطى دون ترو .

٢ الرأي الدبري : الذي يسنح بعد فوات الحاجة .

وكان عامرُ بن الظَّرِب حاكمُ العربِ يقول : دعُوا الرأي يَغِبَّ[1] حتى يختمِر، وإياكم والرأيَ الفطير. يريد الأناة في الرأي والتثبُّتَ فيه .

•

ومن أمثالهم في هذا قولهم : لا رأي لمن لا يطاع .

•

وكان المهلب يقول : ان من البلية أن يكون الرأي بيَدِ منْ يملِكه دون من يبصِره .

•

العتبي قال : قيل لرجل من عَبْس : ما أكثر صوابكم ! قال : نحن ألفُ رجل وفينا حازمٌ واحدٌ، فنحن نشاوره، فكأنّا ألفُ حازم .

•

قال الشاعر :

الرأيُ كالليلِ مُسوَدّ جوانبُه ؛
والليلُ لا يَنجَلي إلا بإصْباحِ

فاضمُمْ مَصابيحَ آراءِ الرجال الى
مِصْباحِ رأيك، تزْدَدْ ضَوءَ مِصباحِ

•

١ يغب : يبيت .

العُتبي قال : أخبرني من رأى عبد الله بن عبد الاعلى، وهو أول داخل على الخليفة وآخر خارج من عنده .

قال : ثم رأيته وإنه ليُتّقى كما يُتّقى البعيرُ الأجربُ ؛ فقال لي : يا أخا العراقِ ، اتهمنا القومُ في سَريرتنا، ولم يقبلوا منا علانِيَتَنا ، ومن ورائهم وورائنا حَكَمٌ عدل .

•

ومن أحسن ما قيل فيمن أُشيرَ عليه فلم يقبل قولُ سُبَيع لأهل اليمامة بعد ايقاع خالد بهم : يا بني حنيفة ، بُعداً لكم كما بعدت عادٌ وثمود . أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه ، كأني أسمع جرْسه وأبصر غيبه، ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندامة ، واني لما رأيتكم تتهمون النصيح ، وتسفّهون الحليم ، استشعرت منكم البأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم اللهُ التوبة ، ولا أخذكم على غِرّة ، ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ ، ووهن الموعوظ ؛ وكنتم كأنما يُعنى بما أنتم فيه غيرُكم ، فأصبحتم وفي أيديكم من تكذيبي التصديق ، ومن نصيحتي الندامةُ ، وأصبح في يدي من هلاكِكم البكاء ، ومن ذُلّكم الجزع، وأصبح ما فات غير مردود، وما بقي غير مأمون.

•

وقال القَطامي في هذا المعنى :

ومَعْصية الشَّفيقِ عليك مِمّا يَزِيدك مَرَّةً منه استماعا
وخيرُ الأمر ما استقبلتَ منه، وليس بأنْ تَتَبَّعه اتِّباعا
كذاك، وما رأيتُ الناسَ الا، الى ما جرَّ غاويهم ، سِراعا
تراهم يَغْمِزون من استركّوا، ويجْتنِبون مَن صدَقَ المِصاعا[1]

•

وكان يقال : لا تستَشِر مُعلماً ولا حائكاً ولا راعي غنم ولا كثير القُعود مع النساء .

•

وأنشد في المعلمين :

وكيف يُرجَّى العقلُ والرأيُ عند من
يَروحُ الى أنثى، ويَغدو إلى طِفْلِ !

•

وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها .

•

وكان يقال : لا رأي لحاقن، ولا حازق، وهو الذي ضغطه

•

---

١ استركوا : استضعفوا . المصاع : المقاتلة والمجالدة بالسيف .

الخُفّ ، ولا لحافِب ، وهو الذي يجد رزّاً[1] في بَطنه .

•

ويُنشَدُ في الرأي بعد فوته :

وعاجزُ الرأي مِضياعٌ لفرُصته ،
حتى إذا فاتَ أمرٌ عاتَبَ القَدَرَا

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

فلئن سمعتَ نصيحتي وعَصَيْتَها ،
ما كنتُ أوّلَ ناصحٍ مَعْصِيّ

•

وقال حَبيب في بني تغلب عند ايقاع مالك بن طوق بهم :

لم يألُكم مالكٌ صَفحاً ومَغفرةً ،
لو كان يَنفخُ قَينُ الحيّ في فَحَمِ

---

[1] الرز : الصوت .

حفظ الاسرار

قالت الحكماء : صَدْرُكَ أوسع لسرِّكَ .

وقالوا : سِرُّكَ من دمِك ؛ يعنون أنه ربما كان في افشائه سفكُ دمك .

•

وكتب عبدُ الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف :

ولا تُفشِ سِرَّكَ إلاّ اليك، فإنَّ لكلّ نصيحٍ نصيحا
فإني رأيتُ غُواةَ الرِّجال لا يَتركون أديماً صحيحا[1]

•

وقالت الحكماء : ما كنتَ كاتمَه من عدوِّكَ فلا تُطلِعْ عليه صديقك .

•

وقال عمرو بنُ العاص : ما استودعتُ رجلاً سرّاً فأفشاه فلمْتُه ، لأنني كنت أضيقَ صدراً منه حينَ استودعتُه إيّاه حتى أفشاه .

•

---

١ الأديم : الجلد . يريد ان الغواة يمزقون اعراض الناس .

وقال الشاعر :

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسِه،
فصَدرُ الذي يستودِعُ السِرَّ أضيقُ

•

قيل لأعرابي : كيف كِتمانُك للسرّ ؟ قال : أجحَدُ المُخبِر وأحلِفُ للمُستخبِر .

•

وقيل لآخر : كيف كتمانُك للسرّ ؟ قال : ما قلبي له إلا قبر .

•

وقال المأمون : الملوك تحتمِل كلَّ شيء إلا ثلاثة أشياء : القَدح في الملوك ، وإفشاء السرّ ، والتعرض للحَرَم .

•

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً أفلا أحدِّثُك به ؟

قال : يا بُني ، إنه من كتم سرَّه كان الخِيارُ له ، فلا تكن مملوكاً بعد ان كنت مالكاً .

•

وفي التاج[1] : ان بعض ملوك العجم استشار وزيرَيه، فقال أحدهما : لا ينبغي للملك أن يستشير منّا أحداً إلا خالياً به ، فإنه أموَتُ للسرّ ، وأحزَم للرأي ، وأجدر بالسلامة ، وأعفى لبَعْضِنا من غائلةِ بعضٍ ؛ فإن إفشاء السرّ الى رجلٍ واحد أوثق من افشائه الى اثنين ، وإفشاءه الى ثلاثة كإفشائه الى جماعة ، لأن الواحد رهنٌ بما افشي اليه، والثاني مُطْلَقٌ عنه ذلك الرّهنُ ، والثالث علاوة فيه .فإذا كان السرّ عند واحد كان أحرى أن لا يُظهِره رغبةً ورهبة ، وان كان عند اثنين دخلت على الملك الشُّبهة ، واتّسعت على الرجلين المعاريضُ ، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد، وان اتّهمهما اتّهم بريئاً بجناية مجرم، وان عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له، وعن الآخر ولا حجّة معه .

•

ومن أحسنِ ما قالتِ الشُّعراء في السرّ ، قولُ عمرَ بنِ أبي ربيعة :

فقالت ، وأرْخت جانبَ السِّتْر : إنما
مَعِي، فتَحدَّث غيرَ ذي رِقْبَة، أهلي

---

[1] اي كتاب التاج.

فقلت لها : ما بي لَهُمْ من تَرَقُّبٍ ؛
ولكنَّ سرّي ليس يَحمِلُه مِثْلي

•

وقال أبو مِحجن الثقفي :

لا تسألي الناسَ عن مالي وكَثْرتِه ،
وسائِلي الناسَ عن بأسِي وعن خُلُقي

قد أطعنُ الطّعنةَ النَجلاء عن عُرُضٍ ،
وأكتُمُ السِرَّ فيه ضَربةُ العُنُقِ

•

وقال الحُطيئة يهجو :

أغِرْبالاً إذا استُودِعْتِ سِرّاً ،
وكانُوناً عـــلى المُتحدِّثينـا ؟

الاذن

قال زياد لحاجبه عَجْلان : كيف تأذن للناس ؟

قال : على البيوتات ، ثم على الأسنان ، ثم على الآداب .

قال : فمن تؤخّر ؟

قال : من لا يعبأ الله بهم .

قال : ومن هم ؟

قال : الذينَ يلبَسون كُسوةَ الشتاء في الصّيفِ وكُسْوة الصّيف في الشتاء .

•

وكان سعيدُ بن عُتبة بن حُصَين إذا حضر باب أحد من السلاطينِ جلس جانباً ، فقيل له : انكَ لتَباعَدُ من الآذنِ جُهْدَك .

قال: لأنْ أُدعَى من بعيدٍ خيرٌ من أن أُقصى من قريب. ثم قال :

وإنّ مَسيري في البلادِ ، ومَنزلي
هو المنزلُ الاقصَى ، إذا لم أقرَّبِ

ولستُ ، وإن أُدنيتُ يوماً ، ببائعٍ
خَلاقي ولا دِيني ابتغاء التحبُّبِ

وقد عدّه قومٌ تجارةَ رابحٍ ،
ويَمْنَعُني مِن ذاك دِيني ومَنْصِبي

•

وقال آخر :

رأيتُ أناساً يُسْرِعون تَبادُراً ،
إذا فَتَحَ البوّابُ بابَكَ إصْبَعا

ونحنُ جُلوسٌ ساكِتُون رَزانةً
وحِلْماً ، إلى أن يُفتَحَ البابُ أجمعا

•

ووقف الاحنفُ بن قيس ومحمدُ بن الاشعثِ بباب معاوية ، فأذن للأحنف ، ثم أذن لابن الأشعث ، فأسرع في مشيته حتى تقدّم الأحنفَ ودخل قبله ؛ فلما رآه معاويةُ غمّه ذلك وأحنقه ، فالتفت اليه ، فقال : والله إني ما أذنتُ له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله . وإنا كما نلي أموركم كذلك نلي آدابكم ، ولا يَزيدُ مُتزيّد في خَطوه إلا لنَقْصٍ يجدُه من نفسه .

•

وقال هِشامٌ الرّقاشي :

أبلِغْ أبا مِسْمعٍ عني مُغلْغَلةً ،
وفي العِتَاب حياةٌ بينَ أقوامِ

قدّمتَ قبلي رجالاً ما يكونُ لهم ،
في الحقّ، أنْ يَلِجوا الأبواب قُدّامي

لو عُدّ قومٌ وقومٌ كنتُ أقربَهم
قُرْبَى ، وأبعدَهم من منزِلِ الذّامِ

حتّى جعلتُ، إذا ما حاجةٌ عرَضَت
ببابِ قَصْرِك ، أدلوها بأقوامِ

•

قيل لمعاوية: ان آذِنك يُقدّمُ معارفه في الاذن على وجوه الناس .

قال: وما عليه؟ ان المعرفة لتنفع في الكَلب العقور والجمل الصؤول فكيف في رجل حَسِيبٍ ذي كرم ودين ؟

•

وقالت الحكماء : لا يُواظِبُ أحدٌ على بابِ السُّلطان

فيلقي عن نفسه الأنفة ويحتملَ الأذى ويكظمَ الغيظَ إلا وصل الى حاجته .

•

وقالوا : من أدْمن قرع الباب يُوشك أن يُفتح له .

وقال الشاعر :

أخْلِق بذي الصَّبر أن يحظَى بحاجتِه ،
ومُدْمنِ القَرْعِ للأبوابِ أن يَلِجا

•

ونظر رجل الى روْح بنِ حاتم واقفاً في الشمس عند باب المنصور ، فقال له : قد طال وقوفك في الشمس ! فقال : ليطول وقوفي في الظلّ .

•

ونظر آخر الى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان ، فقال له : أمثلك يرضى بهذا ؟ فقال :

أهين لهم نفسي لأكْرِمَها بهم ،
ولا يُكْرِمُ النَّفس الذي لا يُهينها

•

وفي كتاب للهند : إن السلطان لا يقرِّبُ الناسَ لقُرب آبائهم ولا يُبعدهم لبعدهم ، ولكن ينظر ما عند كل رجل منهم ،

فيقرّب البعيد لنفعه ويبعد القريب لضُرّه؛ وشبهوا ذلك بالجُرذ الذي هو في البيت مجاورٌ ، فمن أجل ضُرّه نُفِي ، والبازي الذي هو وحشيّ ، فمن أجل نفعه اقتني .

•

استأذن رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ، فقال : أألِجُ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه : اخرج الى هذا فعلّمه الاستئذان ، وقل له يقول : السلام عليكم ، أأدخل ؟

•

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : الاستئذان ثلاثٌ ، فان أذنَ لك والا فارجع .

•

وقال النبيّ عليه السلام : الأولى أذْن ، والثانية مؤامرة ، والثالثة عَزْمة ، إما أن يأذنوا وإما أن يرجع .

الحجاب

قال زياد لحاجبه : وليتك حجابتي وعزلتك عن أربع : هذا المنادي الى الله في الصلاة والفلاح لا تحجبه عني فلا سلطان لك عليه ؛ وطارق الليل لا تحجبه ، فشرٌّ ما جاء به، ولو كان خيراً ما جاء في تلك الساعة ؛ ورسول الثغر ، فإنه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة،فأدخله علي وإن كنت في لحافي؛وصاحب الطعام ، فان الطعام إذا أُعيد تسخينه فسد .

•

ووقف أبو سفيان بباب عثمان بن عفان ، وقد اشتغل ببعض مصالح المسلمين ، فحجبه فقال له رجل ، وأراد أن يغريه : يا أبا سفيان، ما كنت أرى أن تقف بباب مُضَري فيحجبك. فقال أبو سفيان : لا عدمت من قومي من أقفُ ببابه فيحجبني.

•

استأذن أبو الدَّرداء على معاوية فحجبه ، فقال : من يغشَ أبواب الملوك يقم ويقعد ، ومن يجد باباً مغلقاً يجدْ الى جانبه باباً مفتوحاً ، ان دعا أُجيب وان سأل أُعطي .

•

وقال محمود الورّاق :

شاد الملوكُ قصورَهم ، فتحصّنوا
مِن كلّ طالبِ حاجةٍ أو راغبِ

غالَوْا بأبواب الحديد لِعزّها ،
وتنوّقوا في قُبْح وَجْه الحاجبِ[1]

فإذا تلطّفَ ، للدخولِ عليهمُ ،
راجٍ ، تلقّوه بوَعْدٍ كاذبِ

فاطلبْ إلى ملِك الملوكِ ، ولا تكُن
بادي الضّراعةِ طالباً مِنْ طالبِ

•

سَعيد بن مُسلم قال: كنت والياً بارمينيَة فغبر[2] أبو هفّان أياماً ببابي ولا أعلم به، فلما وصل إليّ مثَلَ قائماً بين السّماطين[3] وقال: والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أنّ سَفّ التراب يُقيمُ من أوَدِ[4]

---

١ تنوقوا : بالغوا.
٢ غبر : مكث .
٣ السماطين : الصفين .
٤ أود : عوج .

أصلابهم[١] لجعلوه مُسكة لأرماقهم[٢] إيثاراً للتنزّه عن عيش رقيق الحواشي . أما والله ما يثنيني عنك إلا ما يَصرفك عني ، ولأنْ أكونَ مُقِلاً مقرّباً أحبّ إليّ من أن أكون مُكثراً مُبعَداً . والله ما نسألُ عملاً لا نضبِطه ، ولا مالاً إلا ونحن أكثرُ منه . وهذا الذي قد صار اليك وفي يدك قد كان في يد غيرك ، فأمسوا والله حديثاً ، ان خيراً فخيرٌ وان شراً فشر . فتحبّبْ الى عِباد الله بحسن البِشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب ؛ فإنّ حُبّ عِباد الله موصولٌ بحُب الله ، وبغضهم موصولٌ ببُغضه ، لأنهم شُهداءُ الله على خَلقه ، ورقباؤه على من اعوجّ عن سبيله .

•

أبو مُسهِر قال : أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عَبْدَ كان فحُجبت ، فكتبت اليه :

إنّي أتيتُك للتّسليم أمسِ ، فلَمْ
تأذَنْ عليكَ لِيَ الأستارُ والحُجُبُ

---

١ الاصلاب ، واحدها صلب : الظهر ، القوة .
٢ المسكة : ما يمسك الأبدان من الغذاء والشراب . الارماق ، واحدها رمق : بقية الحياة .

وقد علمتَ بأنني لم أردّ ، ولا
والله ، ما رُدّ إلا العِلْمُ والأدب

فأجابني ابن عبدكان فقال :

لو كنتَ كافأتَ بالحُسنى ، لقلتَ كما
قال ابنُ أوْسٍ ، وفيما قاله أدب[1] :
ليسَ الحِجابُ بمُقْصٍ عنك لي أملا ؛
إنّ السّماء تُرَجّى حينَ تَحتَجِب

•

وقف بباب محمد بن مَنصور رجلٌ من خاصّته فحُجب عنه، فكتب اليه :

على أيّ بابٍ أطلُب الإذنَ ، بعدما
حُجِبْتُ عن الباب الذي أنا حاجِبُهْ؟

•

وقف أبو العتاهية الى باب بعض الهاشميّين فطلب الإذن ؛ فقيل له : تكون لك عَودةٌ ؛ فقال :

لَئِن عُدْتُ، بعد اليوم، إني لظالِمٌ،
سأصْرِف وجْهي حيثُ تُبْتَغَى المَكارمُ

---

[1] ابن اوس : هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي .

مَتى يَظْفَرُ الغادِي اليكَ بحاجة ،
ونِصْفُكَ محجوبٌ ونِصْفُكَ نائِمُ ؟

•

ونظير هذا المعنى للعَتّابي ، حيث يقول :

قد أتيناكَ للسّلام مِراراً، غيرَ منٍّ منّا بذاكَ المَزارِ
فإذا أنتَ ، في استِتارِكَ بالليْل ، على مِثْلِ حالِنا بالنهارِ

•

وقف رجل بباب أبي دُلَف ، فأقام حيناً لا يَصِل اليه ، فتلطف برقعة أوصلها اليه ، وكتب فيها :

إذا كان الكريمُ له حجابٌ ، فما فَضْلُ الكريمِ على اللئيمِ ؟

فأجابه أبو دلف :

إذا كان الكريمُ قليلَ مال ، ولم يُعذَر ، تعلل بالحِجابِ
وأبوابُ المُلوكِ محجّباتٌ ، فلا تَستعظِمنّ حِجابَ بابي

•

وقال حبيب الطائي في الحجاب :

سأترُكُ هذا البابَ ما دام إذْنُهُ
على ما أرى ، حتى يَلينَ قليلا

فما خابَ مَنْ لم يأتِه مُتعمّداً ،
ولا فازَ مَنْ قَدْ نالَ منه وصُولاَ

ولا جُعِلتْ أرزاقُنا بيَدِ امرىءٍ
حمَى بابَه من أن يُنالَ دُخولا

إذا لم نَجِد للإِذْنِ عندك موضعاً ،
وَجدْنا الى تَرْكِ المَجِيء سَبيلا

•

وأنشد أبو بكر بنُ العطّار :

ما لَكَ قد حُلْتَ عن وفائِك
واستَبْدلتَ ، يا عمرُو ، شِيمةً كَدِرَهْ

لستم تُرجّون للحِساب ، ولا
يَوْمَ تكون السماءُ مُنفَطِره[1]

قد كان وَجْهي لديك مَعْرِفةً ،
فاليَوْمَ أضحَى باباً من النَّكِره

•

---

١ منفطرة : منشقة ، كناية عن يوم الدين .

وقال غيره :

أتيتك للتسليم ، لا أنني امرؤٌ
أردتُ ، بإتيانيك ، أسبابَ نائلكْ

فألفيتُ بوّاباً ببابِكَ مُغرَماً ،
يُهدّم ما وطّدتَه مِنْ فضائلك

وقد قال قومٌ : حاجبُ المرء عاملٌ
على عِرْضه ، فاحذَرْ خيانةَ عاملك

•

وقال الحسنُ بن هانىء :

أيها الراكبُ المُغِذُّ إلى الفضْل
ترفّقْ ، فدون فَضْلٍ حِجابُ

ونَعَمْ هَبْكَ قد وصَلتَ إلى الفضْل ،
فهل في يَديْك إلا التُّرابُ ؟

•

وقال آخر ، وهو محمد البغدادي :

حِجَابُكَ من مَهابته عَسيرُ ؛
وخَيْرك في تَزَيُّدِه يَسيرُ

خرجتُ كما دخلتُ اليك ، إلاّ
غُبارٌ طارَ في خُفّي كثيرُ

•

وقال آخر ، وهو العتّابي :

حِجابُكَ ليس يُشبِهه حِجابُ ؛
وخَيْرُكَ دونَ مَطْلبِهِ السّحابُ

ونَوْمُكَ نومُ من وَرَدَ المنايا ،
فليس له إلى الدُّنيا إيابُ

•

وقال غيره :

أنا بالبابِ واقفٌ ، مُنْذُ أصبحتُ ،
على السَّرْجِ ، مُمسِكاً بِعِناني

وبِعَيْنِ البوّابِ كلُّه الذي بي ،
ويَراني كأنّه لا يراني

•

وقال غيره :

إذا ما أتيناه في حاجةٍ رَفَعنا الرّقاعَ له بالقصَبْ
له حاجِبٌ دونه حاجِبٌ ، وحاجبُ حاجبه مُحتَجِب

•

وقال أبو بشير: حجبني بعض كتّاب العسكر، فكتبت اليه: ان من لم يرفعه الاذن لم يَضعه الحجاب . وأنا أرفعك عن هذه المنزلة ، وأرغب بقدرك عن هذه الخليقة ، وكل من قام في منزلك ، عظم قدره أو صغر ، وحاول حجابَ الخليفة أمكنه؛ فتأمل هذه الحال وانظُر اليها بعين الفَهْم ترَها في أقبح صورة وأدنى منزلة .

•

وقد قلت في ذلك :

إذا كنتَ تأتي المرء تُعظِم حقَّه ،
ويَجْهَلُ مِنكَ الحقّ، فالهَجرُ أوسَعُ

وفي الناس أبدالٌ وفي الهَجْرِ راحةٌ
وفي الناس، عمَّن لا يُواتيك ، مَقنَعُ

وإنّ امرأ ، يرضَى الهوَانَ لنفسه ،
حَريّ بجَدْع الأنف، والأنفُ أسْنَعُ[1]

•

---

١ الأسنع : المرتفع العالي .

وقال آخر :

يا أبا موسى ، وأنت فتىً ماجدٌ ، حُلْوٌ ضرائبُهُ[1]

كُنْ على مِنْهاج معْرِفةٍ ؛ إنّ وجْهَ المرءِ حاجِبُهُ

فبِهِ تَبْدو محاسِنُهُ ؛ وبه تَبْدو معايِبُه

•

وأنشد حسين بن الجمل ، وبكّر الى باب سليمان بن وهب فحجبه الحاجب وأدخل ابن سَعوة وحَمدَويه :

ولَعَمري ، لئن حُجِبنا عن الشّيخ ،
فلا عن وَجْهٍ هنـاك وَجيـهِ

لا ولا عن طَعامِهِ التافِهِ النَّزْرِ ،
الذي حولَه لِطامُ بَنِيـهِ[2]

بل حُجِبْنا به عن الخَسْفِ والمَسخِ ،
وذاكَ التَّبْريـقِ والتّمْويـهِ[3]

---

١ الضرائب ، واحدتها ضريبة : الطبيعة والسجية .

٢ أراد بلطام بنيه : ان بنيه يتلاطمون للحصول على شيء منه لقلته ، وهو يعيره هنا بالبخل .

٣ الخسف : الذل . المسخ ، من مسخه : حول صورته الى صورة أقبح منها . التبريق ، من برق عينيه : أحد النظر ، والتزيين . التمويه : التزوير .

فَجَزَى اللهُ حاجِباً ، لكَ فَظّاً ،
كُلَّ خَيْرٍ عنّا ، إذا يَجْزِيهِ

فلقد سَرَّني دخولُ أبي سَعوة
دوني ، وبَعدَهُ حَمْدَوِيهِ

إنّ دَبْحي ، نَذالةً ، قد تأتّى
من صَباحي بقُبْحِ تلك الوُجوهِ

•

وقال أحمدُ بن محمد البغدادي في الحسن بن وهب الكاتب :

ومُستَنبٍ عن الحَسَنِ بنِ وهبٍ ،
وعمّا فيه من كَرَمٍ وَخَيرِ[1]

أتاني كَيْ أُخَبّره بِعلمي ،
فقلتُ له : سقطتَ على الخَبيرِ

هو الرجل المهذَّبُ ، غيرَ أنّي
أراه كثيرَ إرْخاءِ السُّتورِ

وأكثرُ ما يُغنّيه فتاهُ
حُسَينٌ ، حينَ يَخلو للسرورِ :

---

١ مستنب : متباعد ، متجاف .

ولولا الرِّيحُ اسمِعَ أهلُ حَجْرٍ
صليلَ البَيض تُقْرَعُ بالذُّكورِ[1]

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

ما بالُ بابِكَ محروساً ببوّابِ ،
يَحْميه مِنْ طارقٍ يأتي ، ومُنْتابِ ؟

لا يَحْتجِبْ وجهُكَ الممقوتُ عن أحد،
فالمَقتُ يَحْجُبُه من غير حُجّابِ

فاعزِل عن البابِ مَن قد ظلّ يَحْجبُه؛
فإنّ وجهَك طِلسامٌ على البابِ[2]

•

ووقف حَبيب الطائي بباب مالك بن طَوْق فحُجب عنه . فكتب اليه يقول :

قُلْ لابن طَوْقٍ : رحى سَعْد،إذا طَحَنَتْ
نوائبُ الدهرِ أعلاها وأسفَلَها :

---

١ البيت للمهلهل بن ربيعة . حجر : اليمامة . البيض ، واحدتها بيضة : الخوذة .
٢ طلسام : لعل اصل اللفظة طلسم بتشديد اللام ، وهو خطوط أو كتابة يستعملها الساحر ويزعم أنه يدفع بها كل مؤذ .

أصبحتَ حاتِمَها جُوداً، وأحنفَها
حِلماً، وكيِّسَها عِلماً، ودَغْفلَها[1]

ما لي أرى القُبَّةَ البيضاء مُقْفَلَةً
دوني، وقد طالَما استفتحتُ مُقْفَلَها؟

أظنُّها جَنَّةَ الفِرْدوسِ مُعرِضَةً،
وليس لي عمل زَاكٍ، فأدخُلَها؟[2]

١ حاتمها: هو حاتم الطائي. احنفها: الأحنف بن قيس. كيسها: لعله اراد به النمر بن تولب، سمي الكيس لحكمته. دغفلها: دغفل بن حنظلة وكان نسابة.

٢ معرضة: بادية ظاهرة.

الوفاء والغدر

قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتبِ حين أيقن بزوال مُلكه : قد احتجتَ الى أن تصيرَ مع عدوي وتظهر الغدر بي؛ فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظنّ بك ، فإن استطعتَ أن تنفَعَني في حياتي ، وإلا لم تعجِز عن نفع حَرمي بعد موتي .

فقال عبد الحميد : ان الذي أمرتَ به أنفع الأشياء لك وأقبحها بي ، وما عندي غير الصبر معك ، حتى يفتح الله عليك أو أُقتل معك ؛ وأنشأ يقول :

أُسِرُّ وفاءً ، ثم أُظهر غدرةً ،
فَمَنْ لي بعذرٍ يُوسع الناسَ ظاهرُه ؟

•

أبو الحسن المدائني قال: لما قتلَ عبدُ الملك بن مروان عمرو ابن سعيد بعدما صالحه وكتب اليه أماناً وأشهد شهوداً، قال عبد الملك بن مروان لرجل كان يستشيره ويَصدُر عن رأيه إذا ضاق به الأمر : ما رأيك في الذي كان مني ؟

قال : أمرٌ قد فات دَرْكه .

قال : لتقولنّ .

قال : حَزْم لو قتلتَه وحييتَ .

قال : أولست بحي ؟

فقال : ليس بحي من أوقف نفسه موقِفاً لا يُوثَقُ له بعهد ولا بعقد .

قال عبد الملك : كلام لو سبق سماعهُ فِعْلي لأمسكتُ .

•

المدائني قال: لما كتب أبو جعفر أمان ابن هبيرة[١] واختلف فيه الشهود أربعين يوماً ، ركب في رجال معه حتى دخل على المنصور ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، ان دولتكم هذه جديدة فأذيقوا الناس حلاوتها وجنّبوهم مرارتها ، لتسرع محبتكم الى قلوبهم ، ويَعذُبَ ذِكْرُكم على ألسنتِهم ، وما زلتُ منتظراً لهذه الدعوة .

فأمر أبو جعفر برَفع السّتر بينه وبينه ، فنظر الى وجهه وباسطه بالقول حتى اطمأن قلبه ؛ فلما خرج قال أبو جعفر : عجباً لمن يأمرني بقتلِ مثل هذا ! ثم قتله بعد ذلك غدراً .

•

---

١ ابن هبيرة : هو يزيد بن هبيرة . كان عاملاً لمروان بن محمد ، آخر ملوك بني أمية ، على العراق .

وقال أبو جعفر لسَلم بن قتيبة : ما ترى في قتل أبي مُسلم؟

قال سَلم : « لوْ كانَ فِيهما آلِهَةٌ إلا اللهُ لفَسَدَتا . »

قال : حَسبك الله أبا أُمية .

•

قال أبو عمرو بنُ العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدَرَ العرب ، وكانوا يُسمُّون الغَدْرَ في الجاهلية : كَيْسان، فقال فيهم الشاعر[1] :

إذا كنتَ في سَعْدٍ، وخالُكَ منهمُ،
غَريباً، فلا يَغرُرْكَ خالُكَ من سَعْدِ

إذا ما دَعَوا كيسانَ، كانت كهولهم
إلى الغَدْرِ أدنى من شَبابِهِم المُرْدِ

---

١ الشاعر هو النمر بن تولب .

الولاية والعزل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ستحرصون على الإمارة ، ثم تكون حسرةً وندامة ، فنِعْمتِ المرضعة ، وبِئْستِ الفاطمة .

•

وقال المُغيرةُ بن شعبة : أحب الإمارة لثلاث وأكرهها لثلاث ؛ أحبها لرفع الأولياء ، ووضع الأعداء ، واسترخاص الاشياء ؛ وأكرهها لروعة البريد ، وموت العزل ، وشماتة الأعداء .

•

وقال ولد ابنِ شُبرُمة القاضي : كنت جالساً مع أبي قبل أن يلي القضاء ، فمر به طارق بن أبي زياد في موكب نبيل ، وهو والي البصرة ، فلما رآه أبي تنفس الصُعداء وقال :

أراها ، وإن كانت تُحَبُّ ، كأنها   سحابةُ صيف عن قريب تَقَشَّعُ

ثم قال : اللهم لي دِيني ولهم دنياهم . فلما ابتلي بالقضاء ، قلت له : يا أبت ، أتذكر يوم طارق ؟

قال يا بنيّ ، إنهم يجدون خلفاً من أبيك ، وإن أباك لا يجد

خلفاً منهم ؛ إن أباك حطّ في أهوائهم ، وأكل من حلوائهم .

•

قيل لعبد الله بن الحسن : إن فلاناً غيّرته الولاية .

قال : من ولي ولاية يراها أكبر منه تغير لها ، ومن ولي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها .

•

ولما عزل عمرُ بن الخطاب المغيرةَ بن شعبة عن كتابة أبي موسى ، قال له : أعن عجزٍ أم خيانة يا أمير المؤمنين ؟

قال : لا عن واحدة منهما ، ولكني أكره أن أحمل فضل عقلك على العامّة .

•

وكتب زيادٌ إلى معاوية : قد أخذت العراق بيميني وبقيت شمالي فارغة ، يعرّض له بالحجاز .

فبلغ ذلك عبد الله بن عُمر ، فرفع يده إلى السماء وقال : اللهم اكفنا شمال زياد .

فخرجت في شماله قرحة فقتلته .

•

ولقي عمرُ بن الخطاب أبا هُريرة ، فقال له : ألا تعمل ؟

قال : لا أريد العمل .

قال : قد طلب العملَ من هو خيرٌ منك، يوسف عليه الصلاة والسلام .

قال : « اجعَلني على خزائنِ الأرض إنّي حفيظٌ عَليم . »

•

المدائنيّ قال : كان بلال بن أبي بردة ملازماً لباب خالد بن عبد الله القسري ، فكان لا يركب خالد إلا رآه في موكبه ، فبرم به[1] ، فقال لرجل من الشُرط : ائت ذلك الرجل صاحب العمامة السوداء فقل له : يقول لك الأمير : ما لزومك بابي وموكبي ، إني لا أولّيك ولايةً أبداً .

فأتاه الرسول فأبلغه، فقال له بلال : هل أنت مُبلغ عنّي الأمير كما بلغتني عنه ؟

قال : نعم .

قال : قل له : والله لئن وليتني لأعزلنّني[2] .

فأبلغه ذلك ، فقال خالد : قاتله الله ! إنه ليَعِدُ من نفسه بكفاية ؛ فدعاه فولاه .

•

---

١ برم به : ضجر وسئم منه .

٢ اعزلنني : حملتني على ان اعتزل الولاية .

وأراد عُمر بن الخطاب أن يستعمل رجلاً ، فبادر الرجلُ فطلب منه العمل ، فقال له عُمر : والله لقد كنتُ أردتك لذلك ، ولكن من طلب هذا الأمر لم يُعَنْ عليه .

•

وطلب العبّـاس عمّ النبي صلى الله عليه وسلم من النبي ولاية ، فقال له : يا عمّ ، نفسٌ تُحييها خيرٌ من ولاية لا تُحصيها .

•

وطلب رجـل من أصحاب النبيّ صلى الله عليـه وسلم عملاً ، فقال له : إنا لا نستعين على عملنا بمن يريده .

•

وتقول النّصارى : لا نختارُ للجثلقة إلا زاهـداً فيهـا غير طالبٍ لها .

•

وقال زياد لأصحابه : من أغبطُ الناس عيشاً ؟

قالوا : الأمير وأصحابه .

قال : كلا ، إنّ لأعواد المنبر لهيبـةً ، ولقرع لجام البريـد لفزعةً ؛ ولكنّ أغبط النـاس عيشاً رجلٌ له دارٌ يجري عليـه كراؤها ، وزوجةٌ قد وافقته في كفاف من عيشه ، لا يعرفنا ولا نعرفه ، فإن عرفنا وعرفناه ، أفسدنا عليه آخرتهُ ودنياه .

•

وكتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية ، حين كبر وخاف أن يستبدل به : أما بعد ، فقد كبرت سني ، ورقّ عظمي ، واقترب أجلي ، وسفّهني سُفهاء قريش ، فرأيُ أمير المؤمنين في عمله موفّق.

فكتب إليه معاوية : أما ما ذكرت من كبر سنّك ، فأنت أكلت شبابك ؛ وأما ما ذكرت من اقتراب أجلك ، فإني لو أستطيع دفع المنيّة لدفعتها عن آل أبي سُفيان ؛ وأما ما ذكرت من سُفهاء قريش ، فحُلماؤها أحلّوك ذلك المحلّ ؛ وأما ما ذكرت من أمر العمل ، فضحّ رويداً يدركِ الهيجا حمَل[١] ؛ وهذا مثل ، وقد وقع تفسيره في كتاب الأمثال .

فلما انتهى الكتاب إلى المُغيرة ، كتب إليه يستأذنه في القُدوم عليه ، فأذن له ، وخرجنا معه ، فلما دخل عليه قال له : يا مُغيرة ، كبرت سنُّك ، ورقّ عظمُك ، ولم يبق منك شيء ، ولا أراني إلا مُستبدلاً بك .

قال المحدّث عنه : فانصرف إلينا ونحن نرى الكآبة في وجهه ، فأخبرنا بما كان من أمره ؛ قلنا له : فما تريد أن تصنع؟ قال : ستعلمون ذلك .

فأتى مُعاوية فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن الأنفس ليُغدى

---

١ ضح رويداً : لا تعجل . حمل : هو حمل بن بدر ، قائل بيت الشعر الذي اتخذ من صدره هذا المثل . ومعنى المثل النهي عن العجلة .

عليها ويُراح، ولستَ في زمن أبي بكر وعُمر، فلو نصبت لنا علماً من بعدك نصير إليه ، فإني قد كنتُ دعوتُ أهل العراق إلى بيعة يزيد .

فقال : يا أبا محمد ، انصرف إلى عملك ورُمْ هذا الأمر لابن أخيك .

فأقبلنا نركض على النُّجبَ، فالتفتَ فقال: والله لقد وضعتُ رجله في ركاب طويلٍ ، ألقى عليه أمّة محمد صلى الله عليه وسلم .

من أحكام القضاة

قال عمرُ بنُ عبد العزيز : إذا كان في القاضي خمسُ خصال فقد كمُل : عِلمٌ بما كان قبله ، ونزاهةٌ عن الطّمع ، وحلمٌ على الخصمِ ، واقتداءٌ بالأئمة ، ومُشاورةُ أهل العلم والرأي .

•

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز : إذا أتاك الخصمُ وقد فُقِئَت عينُه ، فلا تحكم له حتى يأتي خصمُه ، فلعلّه قد فُقِئَت عيناه جميعاً .

•

وكتب عمرُ بن الخطّاب إلى معاوية في القضاء يقول فيه : إذا تقدّم الخصمانِ فعليك بالبيّنةِ العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وإدناءِ الضّعيف حتى يشتدَّ قلبه ، وينبسطَ لسانه . وتعاهد الغريبَ ، فإنك إن لم تتعاهده ترك حقّه ، ورجَع إلى أهله ، وإنما ضَيّع حقّه من لم يرفق به . وآسِ بين الناس في لحظِك وطرفِك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يتبيّن لك فصلُ القضاء .

العُتبي قال : تنازَع إبراهيم بن المهديّ هو وبُختَيَشوع[1]

---

[1] بختيشوع : اسم سرياني مركب من كلمتين : بخت : عبد ، وشوع : يسوع .

الطبيب بين يدي أحمد بن أبي دواد القاضي في مجلس الحُكم في عَقار بناحية السَّواد ، فزَرى عليه[1] ابنُ المهديّ وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي دواد ، فأحفظه[2] ذلك ، فقال : يا إبراهيم ، إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم فلا أعلمنّ أنك رفعت عليه صوتاً ، ولا أشرت إليه بيدٍ ، وليكن قصدُك أمماً[3]، وطريقُك نهجاً[4] ، وريحُك ساكنةً ، ووفِّ مجالسَ الحكومة حقوقها من التوقير والتعظيم والتوجُّهِ إلى الواجب ، فإن ذلك أشبه بك ، وأشكل[5] لمذهبِك في محتِدك وعظم خطرك ، ولا تعجَل ، فربَّ عجلةٍ تهبُ ريثاً[6]، والله يعصِمك من الزللِ وخطلِ القول والعمل، ويتمُّ نعمتَه عليك كما أتمَّها على أبويك من قبلُ ، إنّ ربَّك حكيمٌ عليمٌ .

قال إبراهيم : أصلحك الله ، أمرتَ بسدادٍ ، وحضَضْت على رشادٍ ؛ ولستُ بعائدٍ إلى ما يثلم مُروءتي عندك ، ويسقطني

---

١ زرى عليه : عابه .
٢ احفظه : اغضبه . الضمير يعود الى القاضي .
٣ امماً : وسطاً .
٤ نهجاً : واضحاً .
٥ أشكل : اشبه .
٦ الريث : البطء . والكلام من الامثال .

من عينك ، ويُخرجُني عن مِقدار الواجب الى الاعتـــذار ، فهاءنذا مُعتذرٌ إليك من هذه البادرة اعتذارَ مقرٍّ بذنبه ، باخعٍ[1] بجرمه ، فإن الغضب لا يزال يستفزُّني بمواده فيردُّني مثلك بحلمه ، وتلك عادة الله عندك وعندنا منك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقد وهبت حقي من هذا العقار لبُختَيشوع ، فليت ذلك يقوم بأرش[2] الجناية ، ولن يتلفَ مالٌ أفاد موعظةً ، وبالله التوفيق .

•

وكتب عمرُ بن الخطاب إلى أبي موسى الاشعريّ ، رواها ابن عُيينة :

أما بعدُ ، فإن القضاء فريضة مُحكمة ، وسنّةٌ متّبعةٌ ، فافهم إذا أدلى إليك الخصمُ ، فإنه لا ينفعُ تكلّمٌ بحقٍّ لا نفاذ له . آسِ بين الناس في مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا يخافَ ضعيفٌ من جورك . البيّنةُ على من ادّعى ، واليمين على من انكر ، والصلحُ جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً ، ولا يمنعْك قضاءٌ قضيته بالأمسِ ثم راجعتَ فيه نفسك ، وهُديت فيه لرشدِك ، أن ترجع

---

١ الباخع : المقر المعترف .

٢ الأرش : الدية .

عنه ، فإن الحقَّ قديمٌ ، والرجوعَ اليه خيرٌ من التمادي على الباطل .

الفهمَ الفهمَ فيما يتلجلج في صدرك مما لم يُبلغك به كتابُ الله ولا سُنّةُ نبيّهِ صلى الله عليه وسلم ، واعرف الأمثال والأشباه وقِس الأمور عند ذلك ، ثم اعمد إلى أحبها عند الله ورسوله وأشبهها بالحق ، واجعل للمدّعي أمداً ينتهي إليه ، فإن أحضَر بيّنةً أخذت له بحقه ، وإلا وجّهتَ عليه القضاء ، فإنّ ذلك أجلى للعمى وأبلغ في العذر .

والمسلمون عُدول بعضهم على بعض، إلا مجلوداً في حدّ او مجرّباً عليه شهادة زور ، أو ظنيناً في ولاءٍ أو قرابة او نسب، فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبيّنات . ثم إياك والتأذيَ بالناس والتنكُّرَ للخصوم في الحقوق التي يوجب الله بها الأجرَ ، ويُحسنُ بها الذُّخرَ ، فإنه من تَخلُصُ نيّته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزيّن للناس بما يعلم الله خلافه منه هتَك الله ستره .

•

وكتب عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعريّ :

أما بعد، فإن للناس نفرة عن سلطانهم، فاحذر أن تدركني

وإياك عمياءُ مجهولة ، وضغائنُ محمولة ، وأهواءٌ متّبعةٌ ، ودنيا مؤثَرةٌ . أقم الحدود واجلس للمظالم ولو ساعةً من النهار ، وأخِف الفُسّاقَ واجعلهم يداً يداً ، ورجلاً رجلاً[1] ؛ وإذا كانت بين القبائل نائرة[2] فنادَوا يا لفلان ، فإنما تلك نجوى من الشيطان ، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله ، وتكون دعواتُهم إلى الله والإسلام .

واستدم النعمة بالشكر ، والطاعة بالتألف ، والمقدرة بالعفو ، والنُّصرة بالتواضع والمحبّة للناس .

وبلغني أن ضبّة تنادي يا لضبّة ! والله ما أعلمُ أن ضبّة ساق الله بها خيراً قطّ ، ولا صرف بها شراً ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فانهكهم عقوبةً حتى يفرقوا[3] إن لم يفقهوا ، وألصِق بغيلان ابن خَرشة من بينهم . وعد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وباشر أمورهم ، وافتحْ لهم بابك ؛ فإنما أنت رجلٌ منهم غير أن الله قد جعلك أثقلهم حِملاً .

وقد بلغ أميرَ المؤمنين أنه فشت لك ولأهل بيتك هيئةٌ في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد

---

١ اي فرق بينهم .

٢ النائرة : الشر .

٣ يفرقوا : يخافوا .

الله ان تكون كالبهيمة همُّها في السِّمَنِ والسِّمَن حتفُها، واعلم أن العامل إذا زاغَ زاغتْ رعيّتُه ، وأشقى الناس من يشقى به الناس ، والسلام .

•

أراد عمر بن الخطاب أن يغزو قوماً في البحر ، فكتب إليه عمرو بنُ العاص ، وهو عامله على مِصر : يا أمير المؤمنين إن البحر خَلقٌ عظيمٌ يركبه خَلقٌ صغير ، دُودٌ على عودٍ ؛ فقال عمر : لا سألني الله عن أحد أحمله فيه .

•

الشَّعبيّ قال : كنت جالساً عند شُريح[1] إذ دخلَت عليه امرأةٌ تشتكي زوجها وهو غائب، وتبكي بكاء شديداً، فقلت : أصلحك الله ، ما أراها إلا مظلومةً .

قال : وما علّمك ؟

قلتُ : لبُكائها .

قال: لا تفعل، فإنّ إخوة يوسُفَ جاءوا أباهم عِشاءً يبكون وهم له ظالمون .

•

وكان الحسنُ بن أبي الحسنِ لا يرى أن يردّ شهادة رجل

---

١ شريح : احد القضاة في الاسلام.

مسلم إلا أن يُجرّحه المشهودُ عليه ؛ فأقبل إليه رجل ، فقال : يا أبا سعيد ، إن إياساً ردّ شهادتي .

فقام معه الحسن إليه فقال : يا أبا واثلة ، لِمَ رددتَ شهادة هذا المسلم ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا .

فقال: يا أبا سعيد ، إن الله يقول : « مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء . » وهذا ممن لا يُرضى .

•

ودخل الأشعث بن قيس على شُريح القاضي في مجلس الحكومة فقال : مرحباً وأهلاً بشيخنا وسيّدنا ! وأجلسه معه ؛ فبينما هو جالسٌ عنده إذ دخل رجل يتظلّم من الأشعث ، فقال له شُريح : قم فاجلس مجلس الخَصْم وكلّم صاحبك .

قال : بل أكلّمُه من مجلسي .

فقال له : لتقومَنّ أو لآمرنّ من يُقيمك .

فقال له الأشعث : لشدّ ما ارتفعت !

قال : فهل رأيت ذلك ضَرّك ؟

قال : لا .

قال : فأراك تعرفُ نعمة الله على غيرك وتجهلُها على نفسك .

•

وأقبل وكيع بن أبي سود صاحبُ خُراسان ليشهد عند إياس بشهادة ، فقال: مرحباً وأهلا بأبي مُطرّف! وأجلسه معه، ثم قال له : ما جاء بك ؟

قال : لأشهد لفلان .

فقال : ما لك وللشهادة،إنما يشهد الموالي والتجّار والسُّوقة .

قال : صدقت ؛ وانصرف من عنده .

فقيل له : خدعك ، إنه لا يَقبلُ شهادتَك .

قال : لو علمت ذلك لعلوتُه بالقضيب .

•

دخل عديّ بن أرطاة على شُريح ، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟

قال : بينك وبين الحائط .

قال : إني رجل من أهل الشام .

قال : نائي الدار سحيق المزار .

قال : قد تزوّجت عندكم .

قال : بالرّفاء والبنين .

قال : ووُلِد لي غلام .

قال : ليَهنِئْك الفارس .

قال : وأردت أن أرحّلها .

قال : الرجل أحقُّ بأهله .

قال : وشرطتُ لها دارها .

قال : الشّرطُ أملك[1] .

قال : فاحكم الآن بيننا .

قال : قد فعلت .

قال : على من قضيت ؟

قال : على ابن أمّك .

قال : بشهادة من ؟

قال : بشهادة ابن أختِ خالتِك . يريد إقراره على نفسه .

•

سُفيان الثوري قال : جاء رجل يُخاصم إلى شُريح في سنّور ، قال : بيّنتك .

قال : ما أجدُ بيّنة في سنّور ولدت عندنا .

قال شُريح : فاذهبوا بها إلى امّها فأرسلوها، فإن استقرّت واستمرّت ودرّت فهي سنّورُك،وإن هي اقشعرّت وازبأرّت وهرّت[2] فليست بسنّورك .

•

---

١ هذا من الامثال ، ووروده : الشرط املك عليك ام لك .

٢ ازبأرت : تنفشت حتى ظهرت أصول شعرها . هرت : صوتت .

سفيان الثوريّ قال : جاء رجل إلى شُريح فقال : ما تقول في شاة تأكل الدّبى[1] ؟ فقال : لبنٌ طيّبٌ وعلف مجّان .

•

ودخل رجل على الشّعبي في مجلس القضاء ومعه امرأته ، وهي من أجمل النساء ، فاختصما إليه فأدلت المرأة بحجتها وقرّبت بيّنتها ؛ فقال[2] للزوج : هل عندك من مدفع ؟ فأنشأ يقول :

فُتِنَ الشعبيُّ ، لمّا رفع الطرفَ إليها
فتَنَتْهُ بدلالٍ ، وبخَطّيْ حاجِبَيها
قال للجلواز : قرّبها ، وأحضر شاهدَيها[3]
فقضَى جوراً على الخصم ، ولم يَقضِ عليها

قال الشعبيّ : فدخلتُ على عبد الملك بن مَرْوان ، فلما نظر إليّ تبسّم وقال :

فُتِنَ الشعبيُّ ، لما رفع الطرفَ إليها

---

١ الدبى : الجراد .
٢ اي الشعبي .
٣ الجلواز : الشرطي .

ثم قال : ما فعلتَ بقائل هذه الابيات ؟

قلت : أوجعتُه ضرباً يا أمير المؤمنين بما انتهك من حُرمتي في مجلس الحكومة ، وبما افترى به عليّ .

قال : أحسنت .

السلطان وعدل ساعة

١٥٠ غ.ل.

العقد الفريد

٢

تحت ظلال القنا

مكتبة صادر
بيروت

٢

تحت ظلال القنا

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب .
فيه أدب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ ، الخ . . . .

•

تحت ظلال القنا

هو كتاب الفريدة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٢

تحت ظلال القنا

مكتبة صادر
بيروت

مطبعة المناهل : ٥٦ – ١٩٥١

كتاب الحروب

قال أحمد بن محمد بن عبد ربّه: قد مضى قولنا في السلطان وتعظيمه، وما على الرعيّة من لزوم طاعته، وإدامة نصيحته؛ وما على السلطان من العدل في رعيته، والرفق بأهل مملكته.

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الحروب ومدار أمرها، وقَوْدِ الجُيوش وتدبيرها، وما على المدبّر لها من إعمال الخُدْعة، وانتهاز الفرصة، والتماسِ الغِرّة، وإذكاء العُيون، وإفشاء الطّلائعِ، واجتنابِ المَضايقِ، والتحفّظِ من البَيات[1]؛ هذا بعدَ معرفةِ أحكامِها، وإحكامِ معرفتِها، وطولِ تجربته لمُقاساةِ الحروبِ، ومُعاناة الجيوش، وعِلْمِه أن لا دِرْعَ كالصّبرِ، ولا حِصْنَ كاليَقينِ؛ ثم نذكر كرمَ الإقدامِ، ومحمودَ عاقبته، ولُؤمَ الفِرار، ومَذْمومَ مَغَبّتِه، والله المُعين.

---

١ البيات: الهجوم ليلاً.

صفة الحروب

الحرب رحى ثِفالها[1] الصَّبْر، وقُطْبها[2] المَكْر، ومدارُها الاجتهاد، وثقافُها[3] الأناة، وزمامُها الحَذَر؛ ولكلّ شيء من هذه ثمرةٌ، فثَمرةُ الصبرِ التأييدُ، وثمرةُ المكر الظفَرُ، وثمرةُ الاجتهادِ التوفيقُ، وثمرةُ الأناة اليُمنُ، وثمرةُ الحذَر السلامةُ، ولكلّ مقامٍ مقالٌ، ولكلّ زمانٍ رجالٌ، والحرب بين الناس سجال[4]، والرأي فيها أبلغُ من القتال.

•

قال عمر بن الخطاب لعَمرو بن مَعْدِيكرِب: صِفْ لنا الحرب.

قال: مُرة المَذاقِ، إذا كشفت عن ساق[5]؛ من صَبَر

---

١ الثفال: جلد يوضع تحت الرحى يقع عليه الدقيق.
٢ قطبها: ما تدور عليه.
٣ الثقاف: ما تثقف به، اي تقوم به.
٤ الحرب السجال: ما تكون تارة لفريق وتارة لآخر.
٥ كشفت الحرب عن ساقها: اشتدت.

فيها عُرِف ، ومن نكل[1] عنها تلِف . ثم أنشأ يقول :

الحَرْبُ أوّلُ ما تكون فتيّةً ،
تَسعَى بزينتِها لكلِّ جهُولِ

حتى إذا حَميت وشَبّ ضِرَامُها ،
عادت عجوزاً غير ذاتِ خليلِ ،

شمْطاءَ جزّت رأسَها وتنكّرَت ،
مكْروهةً للشَّمِّ والتَّقْبِيلِ[2]

•

وقيل لعَنْترة الفوارس : صِفْ لنا الحرب ؛ فقال : أوّلها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بَلوى .

•

وقال الكُمَيت :

والناسُ في الحَرْبِ شتّى ، وهي مُقْبلةٌ ،
ويَستَوُون إذا ما أدبرَ القُبُلُ[3]

---

١ نكل : نكص ، وجبن .

٢ الشمطاء : التي خالط سواد شعرها بياض .

٣ ادبر : ولى ، فر . القبل : اراد المقبل على الحرب .

كلٌّ، بأمنيتها، طَبٌّ، مولَّيةٌ،
والعالِمون بذي غدْوِيَتها قُلُلُ

•

وقال نَصْرُ بن سيَّار صاحبُ خراسان يصف الحرب ومُبتدأ أمرها :

أرى خَلَلَ الرَّمادِ وميضَ جَمْرٍ،
فيُوشِكُ أن يكونَ له ضِرامُ

فإنَّ النّارَ بالعُودين تُذْكَى،
وإنَّ الحربَ أوَّلُها الكلامُ

•

وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام : الشرُّ حلو أوّلهُ ، مرّ آخره .

•

والعرب تقول : الحرب غشوم ، لأنها تنال غيرَ الجاني .

•

وقال حبيب[1] :

والحربُ تركبُ رأسَها في مَشْهدٍ،
عُدِلَ السَّفيهُ به بألفِ حَليمِ[2]

---

[1] حبيب الطائي أبو تمام .

[2] السفيه : الجاهل ، الأحمق .

في ساعة ، لو أنّ لقماناً بها ،
وهوَ الحكيم ، لكان غيرَ حكيم

•

وقال أكثم بن صَيْفِيّ حكيم العرب : لا حِلْم لمن لا سَفيه له .

•

ونحو هذا قول الأحنف بن قيس : ما قلّ سفهاءُ قومٍ قطُّ إلا ذلّوا .

وقال: لأن يُطيعَني سفهاء قومي، أحبُّ إليّ من أن يُطيعَني حُلماؤهم .

وقال : أكرموا سفهاءكم ، فإنهم يَكْفونكم النارَ والعارَ .

•

وقال النابغة الجعدي :

ولا خيرَ في حِلْم ، إذا لم تكُن له
بَوادِرُ ، تَحمي صَفْوَه أن يُكَدَّرَا

وأنشد هذا الشعر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهى الى هذا البيت ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا يَفضُض الله فاك . فعاش ثلاثين ومائة سنة لم تسقط له ثنيّة .

•

وقال النابغة الذبياني يصف الحرب :

تَبدو كواكبه ، والشمسُ طالعةٌ ،
لا النورُ نور ، ولا الإظلامُ إظْلامُ

يريد بقوله :

تبدو كواكبه ، والشمسُ طالعةٌ

شدةَ الهولِ والكربِ ، كما تقول العامة : أريتُـه النجومَ وسطَ النهار .

قال الفرزدق :

أريك نجومَ الليل ، والشمسُ حيّةٌ

وقال طَرَفة بن العبد :

وتُريكَ النجمَ يَجْري بالظُّهُر

واليه ذهب جرير في قوله :

والشمسُ طالعةٌ ، ليستْ بكاسفةٍ ،
تبكي عليك ، نجومَ الليل والقَمَرا

يقول : ان الشمس طالعةٌ وليست بكاسفة نجومَ الليـل ، لشدّة الغمّ والكرب الذي فيه الناس .

•

ومن قولنا في صفة الحرب :

ومُغْبَرّ السماءِ ، إذا تَجلّى ،
يُغادر أرضَه كالأرْجُوانِ

سَمَوْتُ له ، سُموّ النّقْع فيه ،
بكلّ مُذَلّقٍ ، سَلِبِ السّنان[1]

وكلّ مُشَطّبِ المَتْنَين ، صافٍ ،
كلَوْن المِلْحِ مُنْصَلِتٍ يمَاني[2]

كأنّ نهارَه ظَلْماءُ لَيلٍ ،
كواكبُه من السُّمْرِ اللّدانِ[3]

وفي صفة المعترَك :

ومُعترَكٍ تَهُزّ به المَنايا ذكورَ الهِنْدِ في أيدي ذكورِ
لوامعَ يُبصِرُ الأعمى سَناها ، ويَعمَى دونَها طَرْفُ البَصيرِ

---

١ مذلق : محدد . سلب : طويل .
٢ مشطب : فيه طرائق . منصلت : صقيل ماض .
٣ السمر اللدان : الرماح اللينة .

وخافقةِ الذوائبِ قد أنافَتْ على حمراءَ، ذاتِ شَباً طريرِ [1]

تحومُ حولَها عُقبانُ موتٍ، تخطَّفتِ القلوبَ من الصدورِ

بيومٍ راحَ في سِربالِ ليلٍ، فما عرفَ الأصيلُ من البكورِ [2]

وعينُ الشمسِ ترنو، في قَتامٍ، رُنُوَّ البِكرِ من بينِ السُّتورِ [3]

فكم قصَّرتَ من عُمرٍ طويلٍ به، وأطلتَ من عُمرٍ قصيرِ

---

١ خافقة الذوائب: الرايات. أنافت: ارتفعت. الحمراء: أراد بها الرماح المخضبة بالدماء، لأن الرايات كانت ترفع على اسنة الرماح. الشبا: شبه جمع لشباة: حد كل شيء. الطرير: المسنون.

٢ السربال: القميص، الثوب.

٣ القتام: غبار الحرب.

العمل في الحروب

قيل لأكثم بن صيفيّ: صِفْ لنا العمل في الحرب؛ قال: أقِلّوا الخلاف على أمرائكم، فلا جماعةَ لمن اختُلفَ عليه، واعلموا أنّ كثرة الصّياح مِن الفَشل[1]، فتثبّتوا فإنّ أحزمَ الفريقين الرّكين، وربّ عجلة تُعقِبُ ريثاً. وادّرِعوا الليلَ[2]، فإنه أخفى للوَيْل، وتحفظوا من البَيات.

•

وقال شبيب الحروريّ: الليل يكفيكَ الجَبانَ، ونِصْفَ الشّجاعِ.

وكان إذا أمسى يقول لأصحابه: أتاكم المددُ، يعني الليل.

•

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها يوم الجمل، وسمعتْ منازعةَ أصحابها وكثرة صياحهم: المنازعةُ في الحرب خَوَرٌ، والصّياح فيها فشل، وما بِرأيي خرجتُ مع هؤلاء.

•

---

١ الفشل: الضعف والتراخي والجبن.

٢ ادرعوا الليل: البسوه ستراً لكم كما تلبسون الدرع.

وقال عتبة بن ربيعة لأصحابه يوم بَدر لما رأى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترونهم خُرْساً لا يتكلمون، يتلمظون تلمُّظ الحيّات[١] ؟

•

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: مَن أكثر النظر في العواقب، لم يَشجُع .

•

وقال النعمانُ بن مُقَرّنٍ لأصحابه عند لقاء العدو: إني هازٌّ لكم الراية، فليصلح كلُّ رجل منكم من شأنه، وليَشُدَّ على نفسه وفرسه؛ ثم إني هازُّها لكم الثانية، فلينظر كلُّ رجل منكم موقع سهمه، وموضعَ عدوّه، ومكان فُرصته؛ ثم إني هازُّها لكم الثالثة وحاملٌ، فاحملوا على اسم الله .

•

وللنُّعمان بن مُقرّنٍ هذا يقول عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ تكاملت عنده الحشود وتطلّع الصحابةُ الى التقدم عليها: لأقلّدنّ أعنّتها رجلاً يكونُ عدّاةً لأول أسنّةٍ يلقاها. فقلدها النعمانَ بن مُقرّن .

•

---

١ تلمظت الحية: أخرجت لسانها .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : انتهزوا الفرصة ، فإنها تمرُّ مرَّ السّحابِ ، ولا تطلبوا أثراً بعد عَين .

•

وقال بعض الحكماء : انتهز الفرصة ، فإنها خُلسةٌ ؛ وثِبْ عندَ رأسِ الأمرِ ، ولا تَثِبْ عنـد ذَنَبِـه ؛ وإياكَ والعَجْزَ ، فإنه أذلُّ مَركَبٍ ؛ والشفيعَ المَهِينَ ، فانه أضعفُ وسيلة .

•

وخرجتْ خارجةٌ بخُراسان على قُتيبة بن مُسلم فأهمه ذلك، فقيل له : ما يهمُّك منهم ، وجّه اليهم وكيعَ بن أبي سُود فإنه يَكْفيكَهُم .

فقال : لا ، ان وكيعاً رجلٌ به كِبْرٌ ، يحتقرُ أعداءه ، ومن كان هكذا قلَّتْ مُبالاتُه بأعدائه فلم يحترس منهم، فيجدُ عدوُّه غِرّةً منه .

•

وسئل بعض الملوك عن وثائق الحزم في القتال فقال: مخاتلة العدوّ عن الرّيف[1]، وإعداد العيون على الرَّصَد، واعطاء المبلّغين على الصّدق، ومُعاقبة المتوصّلين بالكذب، وألاّ تُخرِجَ هارباً

---

١ الريف : ما قارب الماء من الارض .

الى قتال ، ولا تضيّقْ أماناً على مُستأمن ، ولا تَشْدَهنّك[1] الغنيمةُ عن المحاذَرة .

•

وفي بعض كتب العجم: أن حكيماً سُئل عن أشدّ الأمور تدْريباً للجنود وشحْذاً لها فقال : تعوُّد القتال و كثرته ، وأن يكون لها مواد من ورائها .

•

وقال عمرو بن العاص لمعاوية: والله ما أدْري يا أمير المؤمنين أشجاعٌ أنتَ أم جَبان ؟ فقال معاوية :

شُجاعٌ إذاما أمكنتْنيَ فُرْصةٌ ، وإن لم تَكُنْ لي فُرصةٌ فَجَبان

•

وقال الأحنف بن قَيْس : إن رأيتَ الشّرّ يتركُك إن تركتَه فاتْرُكه .

•

قال هُدبة العُذْريّ :

ولا أتمنّى الشّرّ ، والشرُّ تاركي ،
ولكنْ متى أُحْمَلْ على الشرّ أركبِ

ولستُ بمِفْراحٍ ، إذا الدهرُ سرّني ،
ولا جازعٍ من صَرْفِهِ المُتقلّبِ

---

١ لا تشدهنك : لا تدهشنك .

الصبر والاقدام في الحرب

جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحرب في آيتين من كتابه فقال تعالى: «يَأيُّها الذينَ آمنُوا إذا لَقِيتم فِئةً فاثبُتوا واذكُروا اللهَ كثيراً لعلَّكم تُفلِحُونَ. وأطيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ ولا تَنازَعوا فتَفشَلوا وتَذهبَ رِيحُكم واصبِروا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.»

•

وتقول العرب: الشجاعة وقايةٌ، والجُبن مَقتلة. واعتبر من ذلك، أنَّ من يُقتلُ مُدبراً أكثرُ ممن يُقتلُ مُقبِلاً.

ولذلك قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لخالد بن الوليد: احرص على الموت تُوهبْ لك الحياة.

والعرب تقول: الشجاع مُوقَّى، والجبان مُلقَّى.

•

وقال اعرابي: الله مُخلفٌ ما أتلف الناس، والدهر متلف ما جمعوا؛ وكم من مَنيَّةٍ عِلَّتها طلب الحياة، وحياةٍ سببُها التعرض للموت.

•

وكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف يُذمّر الناس[1] ويقول: يا أهل الاسلام ، ان الصبر عزّ ، وان الفشل عجز ، وان مع الصبر النصر .

•

وكتب أنوشِرْوان الى مرازبته : عليكم بأهل الشجاعة والسّخاء ، فإنهم أهلُ حسن الظن بالله .

•

وقالت الحكماء : استقبالُ الموت خيرٌ من استدبارِه .

•

وقال حسّان بن ثابت :

ولسْنا على الأعقاب تَدْمَى كلومُنا ،
ولكن على أقدامنا تَقْطُرُ الدّمَا

وقال العلوي في هذا المعنى :

مُحرّمةٌ أكفالُ خَيْلي على القنا ،
وداميةٌ لَبّاتُها ونُحورُها

حَرامٌ على أرماحِنا طَعْنُ مُدْبِرٍ ،
وتَنْدَقّ منها في الصُّدورِ صُدورُها

•

---

١ يذمر الناس : يحضهم على القتال .

وكانوا يتمادحون بالموت قَعْصاً[1] ، ويتهاجَوْن بالموت على الفِراش ، ويقولون فيه : ماتَ فلانٌ حَتْفَ أنفِه . وأوّلُ من قال ذلك النبيّ عليه الصلاة والسلام .

•

وخطب عبد الله بن الزُّبير الناس ، لمّا بلغه قتلُ مصعبٍ أخيه ، فقال : إنْ يُقتل فقد قُتل أبوه وأخوه وعمّه ، إنّا والله لا نموت حَتفاً ، ولكن نموت قعْصاً بأطرافِ الرّماح ، وموْتاً تحتَ ظلال السيوف ؛ وإن يُقتلْ مصعبٌ فإن في آل الزُّبير خَلفاً منه .

•

وقال السموأل :

وما ماتَ منّا سيّدٌ حتْفَ أنفِهِ ؛
ولا طُلَّ منّا حيثُ كانَ قَتيلُ

تَسيلُ على حَدّ الظُّبات نفوسُنا ،
وليس على غير السُّيوف تَسيلُ

وقال آخر :

وإنا لَتَستحلي المَنايا نفوسُنا، ونترُكُ أخرى مُرّةً ما تَذوقُها

---

[1] مات قعصاً : اذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

وقال الشَّنْفَرَى :

فلا تَدْفِنُوني ، إنَّ دَفْني مُحرَّمٌ
عليكم ، ولكنْ خامِري أمَّ عامِرِ[1]

إذا ُحمِلت رأسي ، وفي الرأس اكْثَري ،
وغُودِر عند المُلتقَى ثَمَّ سائِري

هُنالك لا أبغي حَياةً تَسُرُّني ،
سَجيسَ اللَّيالي ، مُبْسَلا بالجرائرْ[2]

وقوله خامري أم عامر ، هي الضَّبع . يعني بقوله : إذا قتلتموني فلا تَدْفِنوني ولكن ألقوني الى التي يقال لها : خامري أم عامر ، وهي الضبع . وهذا اللفظ بعيدٌ من المعنى .

•

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل له : أتقتلُ أهلَ الشام بالغداةِ وتظْهرُ بالعشيِّ في إزار ورداء؟ فقال : أبالموت تُخوّفوني ! فوالله ما أبالي أسَقطتُ على الموت أم سَقط عليَّ .

---

١ ام عامر : كنية الضبع . وقوله خامري ام عامر : اي ابشري بطعام من لحمي .
٢ سجيس الليالي : أبداً . مبسلا : مسلماً . يقول انه لا يرجو في ذلك الوقت حياة سارة له طول الليالي وهو مسلم للأعداء بجرائره .

وقال لابنه الحسن عليهما السلام : لا تَدْعُوَنَّ أحداً الى المُبارزة ، وإن دُعيتَ اليها فأجِب ، فإن الداعيَ اليها باغٍ والباغي مَصْروع .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : بقية السيف أنمى عدداً ، وأطيب ولداً . يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيت كثر عددهم ، ونمى ولدهم .

ومما يستدل به على صدق قوله : ما عمل السيفُ في آل الزُّبير ، وآل أبي طالب ، وما كثَّر من عددهم .

•

وقال أبو دُلَف العِجْلي :

إنّي امرؤٌ عوّدني مُهري رُكوبَ الغَلَسِ [1]
يحمَدني سَيفي ، كما يَحْمَدُ كَرّي فرَسي
سَيفي بِلَيلي قَبَسي ، وفي نَهاري أنَسي

•

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب خُراسان :

لستُ لرَيْحانٍ ولا راحٍ ، ولا على الجارِ بنبّاحِ

---

١ الغلس : ظلام آخر الليل .

فإن أردتَ الآن لي مَوقفاً، فبَيْنَ أسيافٍ وأرماحِ
ترى فتىً، تحتَ ظِلال القَنا، يَقْبِض أرواحاً بأرواحِ

•

وقال أشهب بن رُميلة :

أسودُ شَرىً لاقتْ أسودَ خَفِيَّةٍ ،
تَساقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأساودِ[1]

•

وقيل للمُهلَّب بن أبي صُفْرة : ما أعجبُ ما رأيتَ في حَرْبِ الأزارقة ؟ قال : فتى كان يخرج الينا منهم في كل غداةٍ فيَقف فيقول :

وسائلةٍ بالغَيْبِ عنّي ، ولو دَرتْ
مُقارَعتي الأبطالَ طال نَحيبُها

إذا ما التقَيْنا كنتُ أولَ فارسٍ ،
يجُود بنَفْسٍ أثقَلتها ذُنوبُها

---

١ الحرد : الغضب.

ثم يحمل فلا يقوم له شيءٌ إلا أقعده ، فإذا كان من الغـدِ عاد لمثل ذلك .

•

وقال هشام بن عبد الملك لأخيه مسْلمة : هل دخلك ذُعر قطُّ لحرْبٍ أو عدوّ ؟ قال : ما سلِمتُ في ذلـك من ذُعر يُنبّه عليّ حِيلي ، ولم يَغشَني ذعر سَلبني رأيي . قـال هشام : هذه والله البسالة .

•

وقيل لعَنترة : كم كنتم يوم الفَروق[1] ؟ قال : كنّا مائة ، لم نكثر فنتّكل[2] ، ولم نقلّ فنذلّ .

•

وكان يزيد بن المُهلّب يتمثلُ كثيراً في الحرب بقول حصين ابن الحُمام :

تأخّرتُ أستَبقي الحَياة ، فلم أجد
لنفسي حياةً مثـــلَ أن أتقدّما

•

---

١ يوم الفروق: من أيام حروب عبس وذبيان. والفروق موضع بديار بني سعد .
٢ فنتكل : اي يتكل بعضنا على بعض .

وقالت الخنساء :

نُهينُ النفوس ، وبذلُ النفو س ، يومَ الكريهة ، أبقى لنا

•

وقيل لعبّاد بن الحصَين ، وكان من أشد أهل البصرة : في أي عُدة كنت تريد أن تلقى عدوّك؟ قال: في أجل مستأخر.

•

وكان مما يتمثل به معاوية رضي الله عنه يوم صِفّين[1] :

أبتْ لي شيمتي ، وأبى بَلائي ،
وأخْذِي الحمْدَ بالثمن الرَّبيحِ

وإقدامي على المكروه نَفْسِي
وضَرْبي هامةَ البَطَل المُشِيحِ[2]

وقَولي ، كلّما جَشأتْ وجاشت :
مكانَكِ تُحمَدي أو تَستريحي[3] .

---

١ يوم صفين بين علي بن أبي طالب ومعاوية . وصفين قرب الرقة على شاطئ الفرات . هذا الشعر لعمرو بن الاطنابة .

٢ المشيح : المعرض تكرهاً .

٣ جشأت : تطلعت ونهضت جزعاً وكراهة . جاشت : همت بالفرار .

لأدفعَ عن مآثرَ صالحاتٍ ،
وأحميَ بعدُ عن عِرضٍ صحيح

ونظير هذا قول قطَري بن الفجاءة :

وقولي كلّما جشأت ، لنفسي : من الأبطال وَيْحك لا تُراعي
فإنكِ لو سألتِ حياةَ يوم ، سِوى الأجل الذي لك ، لم تُطاعي

•

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج كلّ يوم بصفّين حتى يقف بين الصفين ويقول :

أيّ يوميّ من الموت أفرّ ، يومَ لا يُقدَر أو يومَ قُدِرْ
يومَ لا يُقدَرُ لا أرهبُه ، ومن المَقْدورِ لا يُنجِي الحَذَر

ومثله قول جرير :

قلْ للجَبانِ ، إذا تأخّرَ سَرْجُه :
هل أنتَ من شَرَكِ المَنيّة ناجِي ؟

وهذا البيت في شعره الذي أوله :

هاج الهوى لفؤادك المُهتاج

ومدح فيـــه الحجاج ، فلما أنشده : قـل للجبان (البيت) قال له : جرّأت علي الناس يابن اللخناء[1] ؛ قال : والله مـا القيت لها بالاً أيها الأمير إلا وقني هذا .

•

وكان عاصمُ بن الحَدَثان عالماً ذكيّاً، وكان رأسَ الخوارج بالبصرة ، وربما جاءه الرسول منهم من الجزيرة يسأله عن الأمر يختصمون فيه؛ فمرّ به الفرزدق ، فقال لابنه: أنشِد أبا فراس؛ فأنشده :

وهمُ ، إذا كسروا الجُفونَ ، أكارمٌ
صُبُرٌ ، وحين تُحلّل الأزرار[2]

يغشَوْن حَوْماتِ المَنُون ، وإنها ،
في الله عند نُفوسهم ، لصِغَـارُ

يَمشون بالخَطّـيّ لا يَثْنِيهـمُ ،
والقومُ إذ ركبوا الرِّماحَ تِجّارُ

فقال له الفرزدق : ويحك ! اكتم هذا لا يسمعه النساجون

---

١ اللخناء : القذرة . وعجز بيت جرير: فانظر بتوضح باكر الاحداج.

٢ الجفون : الاغماد . كسر الجفون وحل الأزرار : كناية عن الاستعداد والنهوض للحرب .

فيخرجوا علينا بخفوفهم[1] . فقال أبوه[2] : يا فرزدق ، هو شاعرُ المؤمنين ، وأنت شاعر الكافرين .

ونظير هذا مما يشجع الجبان قول عَنترة :

بكَرتْ تُخوّفني الحُتوفَ ، كأنّني
أصبحتُ ، عن غَرض الحُتوف ، بمَعزِلِ

فأجبتُها : إنّ المنيّــة مَنهلٌ ،
لا بدّ أن أُسقَى بكأسِ المَنْهلِ

فاقْنَيْ حياءَكِ لا أبا لك ، واعلَمي
أنّي امرؤٌ سأموتُ ، إن لم أُقتَلِ

•

ومن أحسن ما قالوه في الصبر قــول نَهْشل بن حرّيّ بن ضَمرة النهشلي :

ويوم كأنّ المُصطَلِين بحَرّه ،
وإن لم تكن نارٌ ، وقوفٌ على جَمْرِ

---

١ الخفوف ، واحدها خف : المنسج .
٢ أبوه : اي عاصم بن الحدثان .

صَبرنا له حتى يَبُوخَ ، وإنما
تُفرَّج أيامُ الكريهــة بالصبرِ[1]

وأحسن من هذا قول حبيب :

فأثبتَ في مُستنقَع الموت رِجلَه ،
وقال لها : من تحتِ أخمَصِك الحَشرُ

تَردّى ثيابَ المَوْتِ حُمراً ، فما أتَى
لها الليلُ ، إلا وَهْيَ من سُنْدُسٍ خُضرُ

وأحسن من هذا قوله :

يَستعذبون مَناياهم ، كأنّهــمُ
لا يَخرُجون من الدُّنيا إذا قُتِلوا

وقوله في المعنى :

قومٌ إذا لَبِسوا الحديدَ حَسِبْتَهم ،
لم يَحْسِبوا أن المنيّــة تُخلَــقُ

انظُرْ فحيثُ تَرى السُّيوفَ لوامعاً
أبداً ، ففَوقَ رُؤوسِهم تَتألّقُ

●

---

١ يبوخ : يسكن.

وقال الجحّاف بن حكيم :

شَهِدْنَ ، معَ النبيّ ، مُسوَّماتٍ
حُنَيناً ، وهي دامية ُ الحوامي[1]

ووَقعة راهط شَهِدت ، وحلّت
سَنابكُهنّ بالبَلدِ الحرامِ

تُعرّضُ للطّعان ، إذا التقينا ،
خُدوداً لا تُعرّضُ للطّامِ

أخذه من قولهم : ضَرْبةٌ بسيفٍ في عزّ ، خيرٌ من لطمةٍ في ذُلّ .

•

ومن أحسن ما وصفت به رجالُ الحرب قول الشاعر[2] :

رويداً ، بني شيبان ، بعضَ وَعيدكم ،
تُلاقُوا غداً خَيْلي على سَفَوانِ[3]

---

١ الحوامي : ميامن الحافر ومياسره .
٢ الشاعر هو وداك بن ثميل المازني .
٣ سفوان : ماء على أميال من البصرة . وكانت بنو شيبان توعد تميماً وتزعم أن سفوان لهم ، وتريد اجلاء بني مازن عنه ومن كان معهم من بني تميم .

تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوغى ،
إذا ما غدت في المأزق المتداني

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم
لأية حرب ، أم بأي مكان

ونظير هذا قول الآخر :

قوم إذا نزل الغريب بدارهم ،
تركوه رب صواهل وقيان

وإذا دعوتهم ليوم كريهة ،
سدوا شعاع الشمس بالفرسان

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم ،
لتطلب العلات ، بالعيدان

بل يسفرون وجوههم ، فترى لها ،
عند السؤال ، كأحسن الألوان

•

ومن أحسن المحدثين تشبيهاً في الحرب ، مسلم بن الوليد الأنصاري في قوله ليزيد بن مزيد :

تلقى المنية في أمثال عدتها ،
كالسيل يقذف جلموداً بجلمود

تَجودُ بالنَّفس، إن ضَنَّ الجوادُ بها،
والجُود بالنفسِ أقصى غايةِ الجُودِ

وقوله أيضاً :

مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذي رهَجٍ،
كأنّه أجَلٌ يسعى إلى أملِ

ينال بالرِّفقِ ما تَعَيا الرجالُ به،
كالموت مُستعْجِلاً يأتِي على مهَلِ

•

وقال أبو العتاهية :

كأنّك عند الكرّ في الحرب، إنما
تَفِرُّ عن السِّلمِ الذي من وَرائِكا

كأنّ المنايا ليسَ تَجْري لدى الوغى،
إذا التقتِ الأبطالُ، إلا برايكا

فما آفةُ الآجالِ غيرُك في الوغى؛
وما آفةُ الأموالِ غيرُ حِبائكا[1]

•

[1] الحباء : العطاء . والشعر في يزيد بن مزيد الشيباني .

وقال زيد الخيل :

وقد عَلِمَتْ سلامةُ أنَّ سَيْفي
كريهٌ ، كلما دُعِيَتْ نَزَالِ[1]

أُحادِثُه بصَقْلٍ كلَّ يومٍ ،
وأعجُمُه بهاماتِ الرجالِ[2]

•

وقال أبو مُحلِّم السعدي :

تقول ، وصكَّتْ وجهَها بيَمينها :
أبَعْليَ هذا بالرَّحى المُتقاعِسُ ![3]

فقلتُ لها : لا تَعْجلي ، وتَبيَّني
بلائي ، إذا التفَّتْ عليَّ الفوارسُ

ألستُ أردُّ القِرْنَ يركبُ رَدْعه ،
وفيه سِنانٌ ذو غِرارَين نائسُ ؟[4]

---

١ نزال : اسم فعل بمعنى انزل . وقوله دعيت نزال : اي دعي الى المنازلة ، الحرب .

٢ أحادثه : أجلوه . أعجمه : أبلوه واخبره .

٣ المتقاعس : الذي دخل ظهره وخرج صدره . يقول : ان امرأتي حين رأتني أطحن بالرحى للأضياف واتأخر عن خوض الحرب ضربت وجهها بيمينها تأسفاً وأنكرت من هذا الفعل .

٤ يركب ردعه : يخر صريعاً لوجهه . الغرار : حد السيف . النائس : المضطرب .

إذا هابَ أقوامٌ ، تَقحّمتُ غَمرةً
يَهابُ حُميّاها الألدُّ المُداعِسُ[1]

لَعَمرُ أبيكِ الخيرِ ، إنّي لخادِمٌ
لِضَيفي، وإنّي إن رَكبتُ لَفارِسُ

•

وقال آخر يمدح المهلب بالصبر :

وإذا جُدِدْتَ فكلُّ شيء نافعٌ ؛
وإذا حُدِدْتَ فكل شيء ضائرٌ[2]

وإذا أتاكَ مُهلّبيٌّ في الوغى ،
في كفه سيفٌ ، فنِعْمَ النّاصرُ

•

ومن قولنا في القائد أبي العباس في الحرب :

نَفسي فِداؤك ، والأبطالُ واقفةٌ ،
والموتُ يَقسِمُ في أرْواحِها النِّقَما

شارَكتَ صَرْفَ المَنايا في نُفوسِهمُ،
حتى تَحكّمْتَ فيها مثلما احتَكما

---

١ حمياها : شدتها . الألد : اللجوج الشديد الخصومة . المداعس : المطاعن .
٢ جددت : جاءك الجد ، الحظ . حددت : ادبت بما يمنعك عن ارتكاب الذنب .

لو تستطيعُ العُلا جاءتك خاضعةً ،
حتى تُقبّلَ منك الكفَّ والقدَما

•

ومن قولنا في وصف الحرب :

سُيوفٌ يَقيلُ الموتُ تحتَ ظُباتها ،
لها في الكُلى طُعمٌ ، وبينَ الكُلى شُربُ

إذا اصطفقتِ الراياتُ حُمراً مُتونُها ،
ذوائبُها تَهفو ، فيَهْفو لها القَلْبُ

ولم تَنطِقِ الأبطالُ إلا بفِعْلها ،
فألسُنُها عُجْمٌ وأفعالُها عُرْبُ

إذا ما التقَوْا في مأزِق وتَعانقُوا ،
فلُقياهمُ طَعْنٌ وتَقْبيلهُم ضَرْبُ

•

ومن قولنا في رجال الحرب ، وأن الوغى قد أخذت من أجسامهم فهي مثل السيوف في رقتها وصلابتها :

سَيفٌ تقلّدَ مثلَه ، عَطفَ القَضيبِ على القَضيبْ
هذا تُجزّ به الرّقابُ ، وذا تُجزّ به الخُطوبْ

•

ومن قولنا أيضاً :

تَراه في الوغَى سيفاً صَقيلًا، يُقلّبُ صَفْحَتَيْ سَيفٍ صَقيلِ

•

ومن قولنا أيضاً :

سَيفٌ عليه نِجَادُ سيفٍ مثلِه، في حَدّه للمُفْسدين صَلاحُ

•

ومن قولنا أيضاً في الحرب وذكر القائد :

مَقيلُكَ تحتَ أظلالِ العَوالي،
وبَيْتُكَ فوقَ صَهْواتِ الجيادِ

تَبَختَرُ في قَميصٍ من دِلاصٍ،
وتَرفُلُ في رِداءٍ من نِجَادِ[1]

كأنّكَ للحُروبِ رَضيعُ ثَدْيٍ،
غَذَتْكَ بكلّ داهيةٍ نآدِ[2]

فكم هذا التمنّي للمَنايا،
وكم هذا التجلّد للجِلادِ!

---

١ الدلاص : الدرع .
٢ النآد : الداهية .

لئِن عُرِفَ الجهادُ بكلّ عامٍ ،
فإنك طولَ دهرِكَ في جهادِ

وإنّكَ حينَ أُبتَ بكلّ سعدٍ ،
كمثلِ الرّوحِ آبَ إلى الفؤادِ

رأينا السيفَ مُرتدياً بسيفٍ ،
وعاينّا الجَوادَ على الجَوادِ

•

وقد وصفنا الحرب بتشبيه عجيب لم يُتقدم اليه ، ومعنى بديع لا نظير له ، وذلك قولنا :

وجَيْشٍ كظَهْرِ اليَمّ تنفحهُ الصَّبا ،
يَعُبُّ عُباباً من قَناً وقَنابلِ [١]

فتَنزِلُ أُولاه ، وليسَ بنازلٍ ،
وتَرْحَلُ أُخراه ، وليسَ براحلِ

ومُعْتَرَكٍ ضَنْكٍ ، تعاطَتْ كُماتُه
كُؤوسَ دِماءٍ ، من كُلًى ومَفاصِلِ

---

١ القنابل ، واحدتها قنبل : الطائفة من الناس أو الخيل .

يديرونها راحاً من الرُّوحِ بينهم ،
بِبِيضٍ رِقاقٍ أو بسُمْرٍ ذَوابِلِ
وتُسْمِعهم أمُّ المنيّةِ وسْطَها ،
غِناءَ صَليلِ البِيضِ تحتَ المَناصِلِ

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

سَيفٌ من الحَتْفِ تَردّى به ، يومَ الوَغى، سيفٌ من الحَزْمِ
مُواصِلاً أعداءَه عن قِلىً ، لا صِلَةَ القُرْبى، ولا الرَّحْمِ
وصَلٌ يحِنُّ الالْفُ من بُغضِه ، شَوقاً إلى الهِجرانِ والصَّرْمِ
حتى إذا نادمَهم سيفُه ، بكلّ كأسٍ مُرَّةِ الطَّعْمِ
ترى حُميّاها بهاماتِهم ، تَغُور بين الجِلْدِ والعَظْمِ
على أهازيجِ ظُباً ، بينها ماشِئْتَ من حذفٍ ومن خَرْمٍ[1]
طاعُوا له من بعدِ عِصيانهم ؛ وطاعةُ الأعداءِ عن رَغْمِ
وكَمْ أعدُّوا واستعدُّوا له ؛ هَيهاتَ ليسَ الخَضْمُ كالقَضْمِ[2]

•

---

١ الحذف في العروض : اسقاط السبب الخفيف من آخر الجزء كاسقاط لن من مفاعيلن فينقل الى فعولن . الخرم : ذهاب الفاء من فعولن أو الميم من مفاعلتن . والكلام على الاستعارة .

٢ الخضم : الأكل بأقصى الاضراس . القضم : الاكل بأطراف الاسنان .

ومن قولنا :

كَم ألحمَ السيفَ في أبناء ملحمة ،
ما منهمُ فوقَ مَتْنِ الأرضِ ديّارُ

وأوردَ النارَ من أرواحِ مارقة ،
كادت تَميّزُ من غيْظ لها النارُ[1]

كأنما صالَ ، في ثِنْيَيْ مُفاضَته ،
مُستأسِدٌ حَنِقُ الأحشاءِ هَدّارُ[2]

لمّا رأى الفِتْنةَ العَمْياءَ قد رحُبت
منها ، على الناس ، آفاقٌ وأقطارُ[3]

وأطْبقَت ظُلَمٌ ، من فوقِها ظُلَمٌ ،
ما يُستضاءُ بها نورٌ ولا نارُ

قادَ الجيادَ إلى الأعداءِ سارِبةً ،
قُبّاً، طَواها، كَطَيّ العَصْبِ، إضمارُ[4]

---

١ المارقة : الخارجون عن الجماعة .

٢ المفاضة : الدرع الواسعة .

٣ رحبت الفتنة : اتسعت وعمت .

٤ القب : الضوامر البطون، الواحد أقب. العصب في العروض : اسكان الخامس المتحرك كاسكان لام مفاعلتن فينقل الى مفاعيلن. الاضمار: اسكان الثاني المتحرك كاسكان تاء متفاعلن فينقل الى مستفعلن . والكلام على الاستعارة.

مَلْمومةٌ تتبارى في مُلَمْلَمَةٍ ،
كأنّها لاعتدالِ الخَلْقِ أفهارُ[1]

تَزْوَرُّ، عند احتماسِ الطَّعن، أعينُها،
وهُنَّ، من فُرُجاتِ النقْعِ ، نُظّارُ

تَفُوتُ بالثأرِ أقواماً ، وتُدرِكُه
من آخرين ، إذا لم يُدْرَكِ الثارُ[2]

فانسابَ ناصرُ دينِ الله يقدُمُهم ،
وحولَه من جُنودِ الله أنصارُ

كتائبٌ تتبارى حولَ رايتِه ،
وجَحْفَلٌ ، كسَوادِ الليلِ ، جَرّارُ

قومٌ لهم في مَكَرِّ الليلِ غَمْغَمةٌ ،
تحتَ العَجاجِ ، وإقبالٌ وإدبارُ

يَستقدِمون كَرَاديساً مُكَرْدَسَةً ؛
كما تَدَفّعَ بالتيّارِ تيّارُ[3]

---

١ الململمة: المجتمعة، يريد الكتيبة. الأفهار: حجارة يدق بها الطيب، الواحد فِهر.

٢ يقول : ان هذه الخيول لسرعتها تفوت من يريد ادراكها بثأر ، في حين انها تدرك من تطلبه بثأرها .

٣ كراديس : جماعات عظيمة من الخيل ، الواحدة كردوسة .

مِن كلّ أروعَ لا يَرْعَى لهاجسة ،
كأنه مُخدِرٌ في الغِيلِ هصّارُ[1]

في قَسْطلٍ من عَجاجِ الحَرْب، مُدّ له
بين السماءِ وبين الأرض أستارُ[2]

فكَم بساحتهِم من شِلْوِ مُطَّرَحٍ ،
كأنه فوقَ ظهر الأرض إجّارُ[3]

كأنما رأسُه أفلاقُ حَنظلةٍ ،
وساعِداه إلى الزَّندين جُمّارُ[4]

وكَم على النَّهر أوصالاً مُقسّمةً ،
تَقَسّمتْها المنايا فهي أشطارُ

قد فُلّقت بصَفيح الهنْد هامُهُمُ ،
فهُنّ بين حَوامي الخَيْل أعشارُ[5]

●

---

١ المخدر : الأسد . الهصار ، من الهصر : الذي يكسر ويدق فريسته .

٢ القسطل : الغبار الساطع في الحرب .

٣ الاجار : السطح .

٤ الجمار : شحم النخلة، وهو مادة بيضاء لينة لذيذة الطعم كالحليب المتجمد تكون في رأس النخلة .

٥ الحوامي : ميامن الحافر ومياسره . شبه هامات القتلى بجزور الميسر ، مقسمة بين حوافر الخيل .

ومن قولنا في الحروب :

وحَوْمةٍ غادرتَ فرسانَها | في مَبرَكٍ، للحرب، جَعْجاعِ[1]
مُستلحَمٍ بالموت، مُستشعِرٍ | مُفرّقٍ للشّمْلِ جَمّاعِ
وبلدة صَحْصَحْتَ منها الرُّبا، | بفَيْلقٍ، كالسّيلِ، دفّاع[2]
كأنما باضَتْ نَعامُ الفَلا | منهم بهامٍ فوق أذْراعِ
تَراهمُ عندَ احتِماس الوغَى ، | كأنّهم جِنّ بأجْرَاع[3]
بكلّ مَأثورٍ ، على مَتْنِهِ | مثلُ مَدَبّ النّمل في القاع[4]
يرتدّ طرفُ العَيْنِ ،من حدّه، | عن كوكبٍ للموتِ لمّاع

•

ومن قولنا في الحرب :

ورُبّ ملتفّةِ العَوالي ، | يلتمِعُ الموتُ في ذُراها
إذا توطّتْ حزُونَ أرضٍ ، | طحْطحتِ الشّمّ من رُباها[5]
يَقودُها منه ليثُ غابٍ ، | إذا رأى فُرصَةً قَضاها

---

١ الجعجاع : الموضع الضيق الخشن .

٢ صحصحت منها الربا : جعلت مرتفعاتها صحصحاً ، وهو ما استوى من الارض.

٣ الأجراع : الأراضي ذات الحزونة .

٤ المأثور : السيف الذي في متنه أثر ، وهو فرنده . القاع : الأرض السهلة .

٥ توطت : مسهل توطأت : داست. طحطحت الشم من رباها : كسرتها ودقتها .

تَمضي بآرائِه سُيوفٌ ، يَستبقُ الموتُ في ظُباها
بيضٌ تَحلُّ القلوبَ سُوداً ، إذا انتضى عَزمَه انتضاها
تتبعُهُ الطيرُ في الأعادي ، تَجني كَلا العُشبِ من كَلاها
أقدَمَ ، إذ كاعَ كلُّ ليثٍ عن حَومة الموت ، إذ رآها[1]
فأقحمَ الخيلَ في غِمارٍ ، تَفغَرُ بالموتِ لَهَوَاتها[2]
عَنَتْ له أوجُهُ المنايا ، فعافَها القومُ واشتَهاها

---

١ كاع : جبن .

٢ استعمل اللهوة ، وهي ما يوضع من الحب في فم الرحى ، للهاة : وهي اللحمة المشرفة على الحلق في اقصى سقف الفم . وقد يكون استعار اللهوة لافواه الخيل بجامع الانفغار ، اي الانفتاح .

فرسان العرب

في الجاهلية والاسلام

كان فارس العرب في الجاهليّة رَبيعةُ بنُ مُكَدَّم من بني فِراس بن غَنْم بن مالك بن كِنانة، وكان يُعْقَر على قبره في الجاهلية، ولم يُعقر على قبر أحد غيرِه.

وقال حسّان بن ثابت وقد مرّ على قبره:

نَفَرتْ قَلوصي من حِجارة حَرّةٍ،
بُنِيَت على طَلقِ اليدين وَهوبِ

لا تَنفِري يا ناقُ منه، فإنّه
شِرّيبُ خَمرٍ، مِسعرٌ لِحُروبِ

لولا السِّفارُ، وطُولُ قَفرٍ مَهمَهٍ،
لتركتُها تَحبُو على العُرقوبِ[1].

•

وكان بنو فِراس بن غَنْم بن كِنانة أنجدَ العرب؛ كان

---

[1] يريد انه لولا طول سفره لعقر ناقته على قبره لانه شريب خمر اي كريم. مسعر لحروب: اي فارس بطل.

الرجلُ منهم يُعدَلُ بعشرةٍ من غيرِهم . وفيهم يقولُ عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه ، لأهل الكوفة: من فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخيب ، أبْدلكم الله بي من هو شرّ لكم ، وأبدلني بكم من هو خيرٌ منكم ، ودِدت والله أنّ لي بجميعكم ، وأنتم مائة ألف ، ثلثمائة من بني فِراس بن غَنْم .

•

ومن فرسان العرب في الجاهلية : عَنترةُ الفوارس، وعُتيبةُ ابنُ الحارثِ بن شهابٍ، وأبو براءٍ عامرُ بن مالكٍ ، مُلاعبُ الأسنّة ، وزيدُ الخيلِ ، وبِسطامُ بنُ قيسٍ ، والأحَيمِرُ السّعدي ، وعامرُ بن الطُّفيل ، وعمرو بنُ عبدِوُدّ ، وعمرو ابن معَديكرب .

وفي الإسلام : عبدُ الله بن خازم السُّلَمي ، وعبّادُ بن الحُصَين ، وعُمَير بن الحُبَاب ، وقَطريّ بن الفُجاءة ، والحَريشُ بن هِلال السّعديّ ، وشَبيبٌ الحَروريّ .

•

وقالوا : ما استحيا شجاعٌ قطّ أن يَفِرّ من عبدِ الله بن خازمٍ ، وقَطريّ بن الفُجاءة صاحبِ الأزارقة .

•

وقالوا : ذهب حاتمٌ بالسخاء ، والأحنف[1] بالحِلْم ، وخُرَيم بالنعمةِ ، وعُمير بن الحُباب بالشدة .

•

وبينا عبدالله بن خازم عند عُبيد الله بن زياد إذ دخل عليه بجُرذٍ أبيضَ ، فَعجِب منه عُبيد الله وقال : هل رأيتَ يا أبا صالح أعجبَ من هذا ! ونظر إليه ، فإذا عبدُ الله قد تضاءلَ حتى صار كأنه فَرْخٌ واصفرّ كأنه جرادة ذَكَر . فقال عُبيد الله : أبو صالح يَعصي الرحمن ، ويتهاونُ بالسلطان ، ويقبِضُ على الثعبانِ ، ويمشي إلى الليثِ ، ويلقى الرماحَ بنَحره ، وقد اعتراه من جُرذٍ ما تَرونَ ! أشهدُ أن الله على كل شيء قدير .

•

وكان شبيبٌ الحَروريّ يَصيح في جَنَبات الجيش ، فلا يَلوي أحد على أحدٍ . وفيه يقول الشاعر :

إن صاح يوماً حسبتَ الصخرَ منحدراً ،
والريحَ عاصفةً ، والموجَ يلتطمُ

ولما قُتِلَ أمرَ الحجاجُ بشقّ صدره ، فإذا له فؤادٌ مثلُ

---

[1] الاحنف بن قيس .

فؤادِ الجَمل ، فكانوا إذا ضربوا به الأرض ينزو كما تنزو المَثانة[1] المَنفوخة .

•

ورجالُ الأنصار أشجعُ الناس . قال عبدُ الله بن عبّاس : ما استُلَّتِ السيوفُ ، ولا زَحفتِ الزُّحوفُ ، ولا أُقيمت الصفوفُ ، حتى أسلمَ ابنا قَيلةَ ، يعني الأوسَ والخزْرجَ . وهما الأنصارُ من بني عمرو بن عامر ، من الأزد .

•

العُتْبيّ قال : لما أسنّ أبو بَراءٍ عامرُ بنُ مالك ، وضعّفه بنو أخيه وخرّفوه ، ولم يكن له ولدٌ يحميه ، أنشأ يقول :

دفعتُكمُ عنّي،وما دفعُ راحة بشيءٍ،إذا لم تستعنْ بالأناملِ
يُضعّفُني حِلمي وكثرةُ جَهلكم عليّ ، وأني لا أصولُ بجاهلِ

•

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، إذ رأى هَمْدان وغَناءها في الحرب يوم صِفّين :

ناديتُ هَمْدانَ ، والأبوابُ مُغلقةٌ ،
ومِثلُ هَمْدان سنّى فَتحةَ البابِ[2]

---

١ المثانة : مستقر البول وموضعه من الانسان والحيوان .

٢ سنى : سهل .

كالهُندوانيِّ لم تُفلَلْ مَضاربُه ،
وجهٌ جميلٌ وقَلْبٌ غيرُ وجّابِ

•

وقال ابن برّاقة الهمداني :

كَذَبتم ، وبيتِ اللهِ ، لا تأخُذونها
مُراغمةً ، ما دام للسّيفِ قائمُ

متى تجمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً ،
وأنفاً حَمِيًّا ، تجتنبْك المظالمُ.

وكنتُ ، إذا قومٌ غَزَوني غزوتُهم ،
فهل أنا في ذا ، يا همْدانَ ، ظالمُ ؟

•

وقال تأبّط شرّاً :

قليلُ التّشكّي للمُهمّ يُصيبُه ،
كثيرُ الهوى، شتّى النّوى والمسالكِ

يَبيت بمَوْماة ، ويُضْحي بغيرِها
جَحيشاً ، ويَعروري ظهورَ المهالكِ [1]

---

[1] الموماة : المفازة لا ماء فيها . جحيشاً : منفرداً . يعروري : يركب .

إذا حاصَ عينَيْه كَرى النومِ ، لم يزَلْ
له كالئٌ من قَلْبِ شَيْحانَ فاتِكِ[1]

ويَجعلُ عينَيْه رَبيئَةَ قلبِهِ ،
إلى سَلّةٍ من حَدّ أخلقَ باتِكِ[2]

إذا هزّه في عَظْمِ قِرْنٍ ، تهلّلتْ
نَواجذُ أفواهِ المَنايا الضّواحكِ

●

وقال المخزومي[3] وكان شجاعاً :

وما يريد بنو الأغبار من رجلٍ ،
بالجَمرِ مُكتحلٍ بالنّبلِ مُشتمِلِ[4]

لا يشربِ الماءَ إلا من قَليبِ دمٍ ،
ولا يَبيتُ له جارٌ على وجَلِ[5]

---

١ حاص : خاط . الشيحان : الحازم .
٢ الربيئة : الرقيب . السلة : المرة من سل السيف ، اذا جرده . الاخلق : الأملس . الباتك : القاطع .
٣ هو ابو سعيد المخزومي .
٤ الأغبار ، جمع غبر : من تحمل المرأة به في آخر ليلة من ليالي الحيض ، وهو من صفات الذم عند العرب .
٥ القليب : الدلو .

ونظير هذا قول بشّار العُقَيلي :

فتى لا يَبيت على دِمْنَةٍ ، ولا يَشرب الماءَ إلا بِدَمْ[1]

•

وقال عبد الله بن الزبير : التقيتُ بالأشتر النَّخَعي يوم الجَمل فما ضربتُه ضربةً حتى ضربني خمساً أو ستاً ، ثم أخذ برجلي فألقاني في الخندق وقال : والله لولا قرابتُك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عُضو إلى آخر .

•

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبة : أعطتْ عائشة رضي الله عنها الذي بَشّرها بحياة ابن الزُّبير إذ التقى مع الأشتر عشرة آلاف درهم .

•

وذكر مُتمّم بن نويرة أخاه مالكاً وجلَده ، فقال : كان يخرُجُ في الليلة الصَّنَّبر[2] ، عليه الشَّملة الفَلوت[3] ، بين المَزادتين على الجمل الثَّفال[4] ، مُعْتَقِلَ الرُّمحِ الخَطّي[5] . قالوا : وأبيك إن هذا لهو الجَلَد .

•

---

١ الدمنة : الحقد . يريد انه يعجل بأخذ ثأره شفاء لحقده .
٢ الصنبر : الشديدة البرد .
٣ الفلوت : التي تنفلت عن لابسها لصغرها او لضيقها .
٤ الثفال : البطيء .
٥ الخطي : منسوب الى الخط ، وهي بلدة بالبحرين ينسب اليها أجود الرماح .

وكتب عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مُقَرِّن وهو على الصّائفة : أن استعن في حربك بعمرو بن معديكرب ، وطُليحة الأزدي ، ولا تولّهما من الأمر شيئاً ، فإنّ كلّ صانعٍ أعلمُ بصناعته .

•

وقال عمرو بن معديكرب يصفُ صبره وجلده في الحرب :

أعاذِلَ ! عُدّتي بَزّي ورُمحي ،
وكُلُّ مُقلّصٍ سَلِسِ القيادِ[1]

أعاذِلَ ! إنما أفنى شبابي
إجابتيَ الصّريخ إلى المُنادي[2]

مع الأبطالِ حتى سَلّ جسمي ،
وأقرحَ عاتقي حَمْلُ النّجادِ[3]

ويَبقى بعد حِلْم القومِ حلمي ،
ويَفنى قبلَ زادِ القوم زادي

ومن عَجَبٍ ، عَجِبتُ له ، حديثٌ
بَديعٌ ، ليس من بِدْعِ السّدادِ

---

١ البزّ : السلاح . المقلص : الفرس الطويل القوائم المشرف المشمر .
٢ الصريخ : المستغاث به .
٣ أقرح : جرح . النجاد : حمائل السيف .

تَمنّى أن يُـلاقيَـني أُبَيٌّ ،
وددتُ ، وأيـنما منّي ودادي[1]

تمنّـاني ، وسـابغتي قميصي ،
كأنّ قتيرها حَـدَق الجَراد[2]

وسَيفٌ من لَدُن كنعانَ عندي ،
تُخُيّر نصلُـه من عهد عادِ

فلو لاقيتَني للقيتَ ليثاً
هَصُوراً ، ذا ظُباً وشَباً حِداد[3]

ولاستيقنتَ أنّ الموتَ حقٌّ ،
وصَرّح شحمُ قلبك عن سَوادِ[4]

أُريدُ حياتَه ويُريد قتلي ،
عَذيرَك من خَليلك مِن مُرادِ

•

ومن قوله في قيس بن مكشوح المُرادي :

تمنّاني على فرسٍ ، عليه جالساً أسدُه

---

١ هو أُبي المرادي وكان قد توعد عمرو بن معديكرب .
٢ السابغة : الدرع الطويلة . قتيرها : مساميرها التي تكون بين حلقاتها .
٣ الشبا ، واحدتها شباة : وهي من السيف قدر ما يقطع به .
٤ كنى بتصريح شحم القلب عن سواد ، عن الخوف والرهبة .

عليَّ مُفاضةٌ كالنّهي، أخلَصَ ماءَهُ جَدَدُهْ[1]
فلو لاقيتَني للقيتَ ليثاً ، فوقَه لِبَدُهْ
سَبنتَى ،ضَيغماً هَصِراً صِلَخْداًناشزاً كَتَدُه[2]
يُسامي القِرنَ، إن قِرْنٌ تَيَمَّمه ، فيَعتَضِدُه[3]
فيأخذُهُ ، فيُرديه ، فيَخفِضُه ،فيَقتَصِدُه[4]
فيَدْمغه ، فيَحطِمه ، فيَخضِمه ، فيَزدرده[5]

---

١ المفاضة : الدرع الواسعة . النهي : الغدير من الماء . الجدد : الأرض الصلبة . شبه الدرع بالغدير في صفائها واطرادها .

٢ السبنتى : الجريء المقدم . الصلخد : الصلب القوي ، أو الشهم الماضي . الناشز : المرتفع . الكتد : ما بين الكتفين .

٣ يعتضده : يحضنه .

٤ يقتصده : يقتله .

٥ يدمغه : يصيب دماغه . يحطمه : يكسره . يخضمه : يأكله . يزدرده : يبتلعه .

المكيدة في الحرب

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : الحربُ خدعة .

•

وقال المُهلَّب لبَنيه : عليكم بالمَكيدة في الحرب ، فإنها أبلغُ من النَّجدة .

•

وكان المُهلَّب يقول : أناةٌ في عواقبها فَوْتٌ ، خيرٌ من عجلةٍ في عواقبها دَرك .

•

وقال مَسلمة بنُ عبدِ الملكِ : ما أخذتُ أمراً قطُّ بحزمٍ فلُمتُ نفسي فيه ، وإن كانت العاقبة عليّ ، ولا أخذتُ أمراً قطُّ وضيّعتُ الحزمَ فيه إلا لُمتُ نفسي عليه ، وإن كانت العاقبة لي .

•

وسُئل بعض أهل التَّمرُّس بالحرب : أيّ المكائدِ فيها أحزم؟ قال : إذكاءُ العيونِ ، وإفشاءُ الغَلَبَةِ ، واستطلاعُ الأخبار ،

وإظهارُ السرورِ ، وإماتةُ الفَرَقِ[1]، والاحتراس من البِطانة، من غيرِ إقصاءٍ لمن يُستنصَحُ ، ولا استِنصاحٍ لمن يُستَغشُّ ، واشتغالِ الناس عما هم فيه من الحربِ بغيرِه .

•

وفي كتابٍ للهند : الحازمُ يحذر عدوَّه على كل حالٍ ، يحذر المواثبةَ إن قرُب ، والغارةَ إن بعُدَ، والكمينَ إن انكشفَ[2] ، والاستطرادَ[3] إن ولّى .

•

وكتب الحجاجُ إلى المهلَّب يستعجِله في حرب الأزارقة؛ فكتب إليه : إن من البليّة أن يكون الرأي بيد من يملِكه دون من يبصره .

•

وكان بعض أهل التمرُّس يقول لأصحابه : شاوِروا في حربِكم الشُّجعانَ من أُولي العَزم ، والجُبناءَ من أُولي الحزم ، فإنّ الجبانَ لا يألو برأيه ما يقي مُهجَكم ، والشجاعَ لا يَعدو ما يشدُّ نُصرَتكم ؛ ثم خلّصوا من بين الرأيين نتيجةً تحملُ

---

١ الفرق : الخوف .

٢ انكشف : اي انكشف العدو اي انهزم .

٣ الاستطراد : اتباع العدو في انهزامه .

عنكم مَعرّة الجَبانِ ، وتهوُّرَ الشجعان ، فنكون أنفذَ من السهمِ الزالج[1] ، والحُسام الوالج[2] .

•

وكان الإسكندرُ لا يدخلُ مدينةً إلا هدمها وقتلَ أهلها ، حتى مرّ بمدينة كان مؤدّبُه فيها. فخرج إليه، فألطفه الاسكندر وأعظمه ؛ فقال له : أصلح الله الملِك ، إنّ أحقّ من زيّن لك أمرك، وأعانك على كل ما هَويتَ لأنا ، وإنّ أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكاني منك ، فأحِبُّ أن تشفّعني فيهم ، وأن لا تخالفني في كل ما سألتُك لهم . فأعطاه من العهودِ والمواثيق على ذلك ما لا يقدِرُ على الرجوع عنه . فلما توثّق منه قال : فإنّ حاجتي إليك أن تهدِمها وتقتل أهلَها ؛ قال : ليس إلى ذلك سَبيلٌ ، ولا بدّ من مخالفتِك .

•

وقيلَ : صالحَ سَعيدُ بن العاص حِصْناً من حُصونِ فارس على أن لا يقتُل منهم رجلاً واحداً ، فقتلهم كلّهم إلا رجلاً واحداً .

•

---

١ السهم الزالج : الذي يزلج على الأرض ، اي يسرع ويخف عليها ، ثم يمضي .
٢ الوالج : من ولج الشيء ، دخل فيه .

ابنُ الكلبي قال : لما فتح عمرو بن العاص قيساريّة سار حتى نزلَ غزّة ، فبعثَ إليه عِلجُها : أن ابعَثْ إليَّ رجلًا من أصحابِك أكلّمه. ففكّر عمرو وقال: ما لهذا أحدٌ غيري.

قال : فخرج حتى دخل على العِلج فكلّمه ، فسمِعَ كلاماً لم يسمَعْ قطُّ مثله ؛ فقال العِلج : حدّثني : هل في أصحابِك أحدٌ مثلُك ؟

قال : لا تسأل عن هذا ، إنّي هيّن عليهم ، إذ بعثوا بي إليك وعرّضوني لما عرّضوني له ، ولا يَدرون ما تصنعُ بي .

قال : فأمر له بجائزةٍ وكُسوةٍ وبعثَ إلى البوّابِ : إذا مَرّ بك فاضرب عُنقه وخُذ ما معه .

فخرج من عنده فمرّ برجلٍ من نَصارى غسّانَ فعرفه فقال : يا عمرو ، قد أحسنتَ الدخولَ فأحسِن الخروج .

ففطِنَ عمرو لما أرادَه، فرجَع. فقال له الملك: ما ردّكَ إلينا؟
قال : نظرتُ فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يَسعُ بني عمّي فأردتُ أن آتيك بعشرةٍ منهم تُعطيهم هذه العَطيّة ، فيكون معروفُك عند عشرةٍ خيراً من أن يكونَ عند واحدٍ .

فقال : صدقتَ ، اعجَل بهم .

وبعث إلى البواب أن خلِّ سبيلَه . فخرج عمرو وهو يلتفِتُ ، حتى إذا أمِن ، قال : لا عُدتُ لمثلها أبداً . فلما

صالحه عمرو ودخل عليه العِلجُ ، قال له : أنت هو ؟

قال : نعم ، على ما كان من غدْرِك .

•

ولما أُتي بالهُرمزانِ أسيراً إلى عمر بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين ، هذا زعيمُ العَجم وصاحب رُستَم[1] ، فقال له عمر : أعرِضُ عليك الإسلام نُصحاً لك في عاجلك وآجلك .

قال : يا أمير المؤمنين ، إنما أعتقدُ ما أنا عليه ولا أرغب في الإسلام .

فدعا له عمر بالسيف . فلما همّ بقتله ، قال : يا أمير المؤمنين ، شَربةٌ من ماءٍ أفضلُ من قتلي على ظمإٍ .

فأمر له عمرُ بشربة من ماء ، فلما أخذها قال له : أنا آمنٌ حتى أشربها ؟

قال : نعم .

فرمى بها وقال : الوفاءُ ، يا أميرَ المؤمنين ، نُورٌ أبلجُ .

قال : صدقتَ ، لك التوقّفُ عنك وأنظرُ في أمرك ، ارفعوا عنه السيفَ .

فلما رُفع عنه قال : الآن يا أمير المؤمنين أشهدُ أن لا إله

---

[1] رستم : هو ابن فرخزاد ، كان من أعظم رجال فارس ، وقائد جيوش يزدجرد ملك ساسان في وقعة القادسية التي انتصر فيها المسلمون وقتل فيها رستم.

إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وما جاء به حقّ من عنده .

قال عمر : أسلمتَ خيرَ إسلام ، فما أخّرك ؟

قال : كَرِهتُ أن يُظن أني أسلمت جَزَعاً من السيف ، وإيثاراً لدينه بالرَّهبة .

فقال عمر : إنّ لأهلِ فارس عُقولاً بها استحقّوا ما كانوا فيه من المُلكِ .

ثم أمر به أن يُبَرّ ويُكرم . فكان عمر يشاوره في توجيه العساكرِ والجيوشِ لأهل فارس .

•

وهذا نظير فِعل الأسير الذي أُتي به معنُ بن زائدة في جُملة الاسرى ، فأمر بقتلِهم ، فقال له : أتقتلُ الأسرى عِطاشاً يا معن ؟ فأمر بهم فسُقوا ، فلما شربوا قال : أتقتلُ أضيافَك يا معن ؟ فخلى سبيلَهم .

•

وذكروا : أنّ مَلِكاً من ملوكِ العَجَم كان معروفاً ببعد الغَور ويقظة الفطنةِ وحُسنِ السياسة ، وكان إذا اراد مُحاربة ملِك من الملوك وجّه إليه من يَبحَث عن أخباره وأخبار رعيّته قبل أن يُظهِرَ مُحاربَته ، فيَكشِفُ عن ثلاثِ خِصالٍ من حاله ، فكان يقول لعيونه : انظروا هل تَرِدُ على الملك أخبارُ رعيّته

على حقائقها أم يَخدَعُه عنها المُنهي ذلك إليه ؟ وانظروا إلى الغنى في أي صِنف هو من رعيّته، أفيمن اشتدَّ أنَفُه وقلَّ شَرهُه؟ أم فيمن قلَّ أنَفُه واشتدَّ شرهُه ؟ وانظروا في أي صِنفي رعيّته القوّامُ بأمره ، أفيمن نظرَ ليومِه وغدِه؟ أم من شَغله يومُه عن غدِه ؟

فإن قيلَ له : لا يُخدَعُ عن أخبار رعيّته ، والغِنى فيمن قلَّ شَرهُه واشتدَّ أنَفُه، والقوّام بأمره من نظرَ ليومِه وغده؛ قال : اشتغِلوا عنه بغيره . وإن قيل له ضدَّ ذلك ؛ قال : نارٌ كامنةٌ تنتظرُ مُوقِداً ، وأضغانٌ مُزَمَّلة[1] تنتظر مَخرجاً ، اقصِدوا له ، فلا حَيْنَ أحْيَنُ من سلامةٍ مع تضييعٍ ، ولا عدوٌّ أعدى من أمنٍ أدى إلى اغترارٍ .

•

وكانت ملوكُ العجم قبلَ ملوكِ الطوائفِ تنزِل بَلخ، ثم نزلت بابلَ ، ثم نزَل أردشيرُ بن بابَك فارسَ ، فصارت دارَ مملكتهم ، وصار بخُراسان ملوكُ الهَياطلة ، وهم الذين قتلوا فيروزَ بن يزدَجِرد بن بِهرام ملك فارس ، وكان غزاهم . فكادَه مَلكُ الهَياطلة[2] بأن عَمَدَ إلى رجلٍ ممن عرَّفه بالمُكايدة وحُسن الإدارة ،

---

١ مزملة : مستورة .

٢ قيل ان هذا الملك كان يدعى اخشنوار .

فأظهرَ السُّخط عليه، ووقّع به على أعينِ الناس توقيعاً قبيحاً، ونكّل به تنكيلاً شديداً ثم أرسله، وقد واطأه على أمرٍ أبطنّه معه وظاهَرَه عليه. فخرج حتى أتى فَيروزَ في طريقه، فأظهر له النزوع اليه والاستنصار به من عظيم ما ناله؛ فلما رأى فيروز ما به من التوقيعِ والنِّكاية فيه، وثِقَ به واستنام إليه؛ فقال له: أنا أدلُّك أيها الملكُ على غِرّة القوم وعورتهم، وأُعلمُك مكان غَفلتهم.

فسلَكَ به سَبيلَ مَهلكةٍ مُعطِشةٍ؛ ثم خرج إليه ملكُ الهَياطلة فأسره وأكثرَ أصحابه. فسألهم أن يمنّوا عليه وعلى من معه، وأعطاهم مَوثِقاً لا يغزوهم أبداً، ونَصب لهم حجراً جعله حدّاً بينه وبينهم، وحلَفَ لهم أن لا يُجاوزَه هو ولا جنوده، وأشهد الله عليه وعلى من حضر من قرابته وأساورته، فمنّوا عليه وأطلقوه ومن معه.

فلما عادَ إلى مملكتِه أخذته الأنفةُ مما أصابَه، فعاد إلى غزوِهم ناكثاً لعهدِه، غادراً بذمّتِه، إلا أنه لطفَ في ذلك بحيلة ظَنّها مُجريةً في أيمانه، فجعلَ الحجرَ الذي نصبَه لهم على فيلٍ في مقدّمة عسكرِه، وتأوّلَ في ذلك أنه لا يُجاوِزه.

فلما صار إليهم ناشدوه اللهَ وذكّروه الأيمانَ به، وما جعل على نفسه من عهده وذمّته، فأبى إلا لجاجاً ونكثاً، فواقعوه فظفروا به فقتلوه وقتلوا حُماتَه، واستباحوا عسكره.

•

أسامةُ بن زيد الليثي قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا غزا أخذ طريقاً وهو يُريد أخرى ويقولُ : الحربُ خُدعة .

•

زيادٌ عن مالِك بن أنس قال : كان مالكُ بنُ عبد الله الخثعمي ، وهو على الصائفة[1] ، يقوم في الناس كلما أراد أن يرحَلَ ، فيحمَدُ الله تعالى ويُثني عليه ، ثم يقولُ : إني دارِبٌ بالغَداة إن شاء الله تعالى دَرْبَ كذا . فتتفرّقُ الجواسيسُ عنه بذلك ، فإذا أصبحَ الناسُ سلَكَ بهم طريقاً أخرى . فكانتِ الرومُ تسمّيه الثعلبَ .

---

١ الصائفة : الغزاة في زمن الصيف .

وصايا أمراء الجيوش

كتب عمرُ بنُ عبد العزيز إلى الجرّاح : إنه بلغني أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعثَ جيشاً أو سريّة قال : اغزوا بسم الله ، وفي سبيل الله ، تُقاتلون مَن كفرَ بالله ، لا تَغُلّوا ، ولا تَغدِروا ، ولا تُمَثّلوا ، ولا تقتلوا امرأةً ولا وليداً ؛ فإذا بعثتَ جيشاً أو سريّة فمُرهم بذلك.

•

وكان عمرُ بن الخطاب يقول عند عَقد الألوية : بسم الله وبالله وعلى عَون الله ، امضوا بتأييد الله والنّصر ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله مَن كفر بالله ، ولا تَعتَدوا إن الله لا يُحب المعتدين ، ولا تجبُنوا عند اللقاء ، ولا تُمَثّلوا عند القُدرة ، ولا تُسرفوا عند الظهور ، ولا تَقتلوا هَرِماً ولا امرأة ولا وليداً . وتوقّوا قتلهم إذا التقى الزّحفان ، وعند شَنّ الغارات .

•

ولما وجّه أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان إلى الشام شيّعه راجلاً، فقال له يزيد : إمّا أن تركب وإمّا أن أنزل؛ فقال: ما أنت بنازل وما أنا براكب ، إني أحتسِبُ خُطاي هذه في

سبيل الله. ثم قال: إنك ستجدُ قوماً حَبَسوا أنفسهم لله، فَذرهم وما حَبسوا أنفسهم له ، يعني الرُّهبان ، وستجدُ قوماً فَحصوا عن أوساط رؤوسهم الشعَر، فاضرب ما فَحصوا عنه بالسيف.

ثم قال له : إني مُوصيك بعشرٍ : لا تغدر ، ولا تُمثِّل ، ولا تقتل هَرِماً ولا امرأةً ولا وليداً ، ولا تَعقِرنّ شاةً ولا بعيراً إلا ما أكلتم ، ولا تحرُقنّ نخلاً ، ولا تُخرِبنّ عامراً ، ولا تَغلُلْ ، ولا تجبن.

•

وقال أبو بكرٍ رضي الله عنه لخالد بن الوليد حين وجّهه لقتال أهل الردّة : سر على بركةِ الله ، فإذا دخلت أرضَ العدوّ فكُن بعيداً من الحَملة ، فإني لا آمن عليك الجولة ؛ واستظهر بالزاد، وسِر بالأدلاّء، ولا تقاتِل بمجروحٍ فإنّ بعضه ليس منه، واحترس من البَيات فإنّ في العرب غِرّةً. وأقلّ من الكلام فإنما لك ما وُعي عنك ؛ واقبل من الناس عَلانيتَهم، وكِلهم إلى الله في سرائرِهم، وأستودعُك الله الذي لا تَضيع ودائعه.

•

كتب خالدُ بنُ الوليد إلى مرازبة فارس مع ابنِ نُفَيلة الغَسّاني[1] : الحمدُ لله الذي فضّ حزْمَتكم ، وفرّق جمعكم ،

---

[1] هو عبد المسيح بن نفيلة الغساني.

وأوهَنَ بأسَكم ، وسَلَبَ مُلككم ، وأذلَّ عِزَّكم ، فإذا أتاكم كتابي هذا فابعثوا إليّ بالرُّهُنِ ، واعتقدوا منّا الذِمّةَ ، وأجيبوا إلى الجزيةِ ، وإلاّ والله الذي لا إلـه إلا هو ، لأسيرنَّ إليكم بقومٍ يُحِبّون الموتَ كما تُحِبّون الحياة ، ويَرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا .

•

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ومن معه من الأجناد : أما بعد ، فإني آمرُك ومن معك من الأجنادِ بتقوى الله على كل حالٍ ، فإن تقوى الله أفضلُ العُدّةِ على العدوّ ، وأقوى المَكيدة في الحربِ ؛ وآمرُك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراساً من المعاصي منكم من عدوّكم ، فإنّ ذنوب الجيشِ أخوفُ عليهم من عدوّهم ؛ وإنما يُنصرُ المُسلمون بمعصية عدوّهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوّةٌ ، لأنّ عددنا ليس كعددِهم ، ولا عُدّتنا كعدّتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضلُ علينا في القوّة ، وإلا نُنصَر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوّتِنا .

واعلموا أنّ عليكم في مسيركم حفَظَةً من الله يَعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إنّ عدوّنا شرٌّ منّا فلن يُسلَّط علينا وإن

أسأنا ، فربّ قوم قد سُلّط عليهم شرّ منهم كما سُلّط على بني إسرائيل لِمَا عملوا بمَساخِطِ الله كُفّارُ المجوس « فجاسوا خِلالَ الدّيارِ وكان وعداً مفعولاً . » واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوّكم ، أسألُ الله ذلك لنا ولكم .

وترفّق بالمسلمين في مَسيرهم ؛ ولا تُجشّمهم مسيراً يُتعبهم ، ولا تُقصّر بهم عن منزلٍ يَرفُق بهم ، حتى يبلغوا عدوّهم ، والسفرُ لم يَنقُص قوّتهم ، فإنهم سائرون إلى عدوٍّ مقيمٍ حامي الأنفس والكُراعِ[1] .

وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلةً ، حتى تكون لهم راحة يُحيون فيها أنفسَهم ، ويُرمّون[2] أسلحتهم وأمتعتهم .

ونَحِّ منازلهم عن قرى أهلِ الصلحِ والذمّة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثقُ بدينه ، ولا يرزأ أحداً من أهلِها شيئاً ، فإن لهم حُرمةً وذِمّةً ابتُليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصّبر عليها ، فما صبروا لكم فتولّوهم خيراً .

ولا تستنصروا على أهل الحَرب بظلم أهل الصلح . وإذا وطئتَ أرض العدو فأذكِ العيون[3] بينك وبينهم ، ولا يخفَ عليك أمرُهم .

---

١ الكراع : الخيل .

٢ يرمون : يصلحون .

٣ اذك العيون : ارسل الجواسيس .

وليكن عِندكَ من العرب أو من أهل الأرض من تطمئنُّ إلى نُصحه وصِدقه ، فإنّ الكــذوب لا ينفعُــك خبره وإن صدَقك في بعضه ، والغاشّ عينٌ عليك وليس عيناً لك .

وليكن منك عنـد دنوّك من أرضِ العــدوّ أن تُكثر الطّلائعَ وتبثُّ السّرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادَهم ومرافقهم ، وتتبعُ الطلائعُ عوراتهم .

وانتقِ للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابـك ، وتخيَّر لهم سوابق الخيل . فإن لقوا عدوّاً كان أول مـا تلقـاهم القوة من رأيك .

واجعل أمر السّرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد ، لا تخُصّ بها أحداً بهوىً ، فيضيعَ من رأيك وأمرك أكثرُ مما حابيتَ به أهلَ خاصّتك .

ولا تبعثنّ طليعةً ولا سريّة في وجهٍ تتخوفُ عليهـا فيه غلبةً أو ضيعةً ونكايةً .فإذا عاينتَ العدوّ فاضمُم إليك أقاصيَك وطلائعَك وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك وقوّتك ، ثم لا تُعاجلهم المُناجزة ، ما لم يستكرهك قتالٌ ، حتى تُبصِرَ عورةَ عدوّك ومقاتلَه ، وتعرِفَ الارضَ كلَّها كمعرفة أهلها بها ، فتصنَعَ بعدوّك كصُنعِه بك ، ثم أذكِ أحراسَك على عسكرك ، وتيقظ من البيات جُهدك .

ولا تُؤتى بأسير ليس له عقدٌ[1] إلا ضربتَ عُنقه ، لتُرهِبَ بذلك عدوَّ الله وعدوَّك . والله وليّ أمرِك ومن معك ، ووليُّ النصر لكم على عدوكم ، والله المستعانُ .

•

وأوصى عبدُ الملك بن مروان أميراً سيَّره إلى أرضِ الروم فقال : أنت تاجرُ الله لعِباده ، فكن كالمُضارب الكيّس[2] الذي إن وجد رِبحاً تَجَرَ ، وإلا تحفَّظ برأسِ المال ؛ ولا تطلبِ الغَنيمة حتى تُحرز السلامةَ ، وكُن من احتيالك على عدوِّك أشدَّ حذراً من احتيالِ عدوِّك عليك .

•

وكان زيادٌ يقولُ لقوّاده : تجنَّبوا اثنين لا تُقاتلوا فيهما العدوَّ : الشتاءَ وبُطونَ الأودية .

وأغزى الوليدُ بن عبد الملك جيشاً في الشتاء، فغنموا وسلِموا، فقال لعبّاد[3]: يا أبا حرب ، أينَ رأي زيادٍ من رأيِنا ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد أخطأت ، وليس كلُّ عورةٍ تُصابُ .

•

---

١ لعله من عقد له الرئاسة في قومه اي جعلها له ، او من عقد له على الجيش اي رأسه عليه .

٢ الكيس : الفطن .

٣ هو عباد بن زياد .

العُتْبي قال : جاشتِ الرومُ وغزوا المسلمين برّاً وبحراً ، فاستعملَ مُعاويةُ على الصائفة عبدالرّحمن بن خالد بن الوليد ، فلما كتب له عهده قال : ما أنت صانعٌ بعهدي ؟

قال : أتّخِذُه إماماً لا أعصيه .

قال : اردُد عليّ عهدي .

ثم بعث إلى سفيانَ بن عوف الغامديّ فكتب له عهده ، ثم قال له : ما أنت صانعٌ بعهدي ؟

قال : أتخذُه إماماً أمام الحَزم ، فإن خالفه خالفته .

فقال معاوية : هذا الذي لا يُكَفكَف من عَجلةٍ ، ولا يُدفع في ظهرِه من خَور ، ولا يُضرَب على الأمور ضربَ الجملِ الثّفال[1] .

•

وقال دُريد بن الصِّمَّةِ لمالك بن عوف النّصري قائد هَوازن يوم حُنين : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يومٌ له ما بعده من الأيامِ ، ما لي أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ؟

قال : سُقتُ مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم .

قال : ولِمَ ذاك ؟

---

١ الثفال : البطيء .

قال : أردتُ أن أجعلَ خلفَ كلِّ رجلٍ أهلَه ومالَه ليُقاتِلَ عنهم .

فأنقضَ به[1] وقال : راعي ضأنٍ والله ! وهل يَرُدُّ المُنهزِمَ شيءٌ ؟ إنها إن كانت الك لم ينفعْك إلا رجلٌ بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ في أهلِك ومالِك ؛ ويحَك ! إنك لم تصنع بتقديم البيضةِ بَيضةِ هَوازن[2] إلى نُحورِ الخيل شيئاً ، ارفعهم إلى مُتمنَّعِ بِلادِهم ، وعُليا قومِهم ، ثم الْقَ الصُّبَاء[3] على مُتونِ الخيل ، فإن كانت لك لَحِق بك من وراءك ، وإن كانت عليك كنتَ قد أحرزتَ أهلَك ومالَك .

قال : لا والله لا أفعلُ ذلك ، إنك قد كَبِرت وذَهَل عقلُك .

قال دُريد : هذا يومٌ لم أشهده ولم يَفُتْني ؛ ثم أنشأ يقول :

يا ليتني فيها جَذَعْ ، أخُبُّ فيها وأضَعْ[4]

أقُودُ وَطفاءَ الزَّمَعْ ، كأنها شاةٌ صَدَعْ[5]

●

---

١ أنقض به : زجره .

٢ بيضة هوازن : جماعتهم .

٣ الصباء ، واحدهم صابىء : أي المسلمين . سموهم كذلك لصبئهم اي خروجهم من دين الجاهلية الى الاسلام .

٤ الجذع : الشاب . الخبب والوضع : ضربان من السير .

٥ قوله : وطفاء ، اي فرساً وطفاء ، وهي الطويلة الشعر . الزمع : الشعر الذي فوق مربط قيد الدابة . الشاة : اراد الوعل اي تيس الجبل . الصدع من الأوعال والظباء والحمر : الفتي الشاب القوي .

وكان قُتيبةُ بنُ مُسلمٍ يقول لأصحابه: إذا غزوتم فأطيلوا الأظفارَ، وقصّروا الشّعور، والحَظوا النّاسَ شَزْراً، وكلِّموهم رمزاً، واطعنوهم وخزاً.

•

وكان أبو مسلم يقول لقواده: أشعِروا قلوبكم الجُرأة فإنها من أسبابِ الظّفرِ، وأكثِروا ذِكرَ الضغائنِ فإنها تبعثُ على الإقدام، والزموا الطاعةَ فإنها حِصنُ المحارب.

•

وكان سعيدُ بن زيد يقول لبَنِيه: قَصّروا الأعِنّةَ، واشحذوا الأسنّةَ، تأكلوا القريبَ، ويرهبْكم البعيدُ.

•

وقال عيسى بن موسى: لما وجّهني المنصورُ إلى المدينة لمحاربة بني عبد الله بن الحسن، وجعل يوصيني ويُكثِرُ، قلت: يا أميرَ المؤمنينَ، إلى متى تُوصيني:

إني أنا ذاكَ الحُسامُ الهِنْدي، أكلتُ جَفْني وفَرَيْتُ غِمْدِي

فكُلُّ ما تطلُبُ عِنْدي عِنْدي

المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير

قال عبد الملك بن مروان لجُعيل بن عَلقمة الثعلبي: ما مَبلغ عزّكم؟ قال: لم يُطمع فينا ولم يُؤمن منّا. قال: فما مبلغُ حفظكم؟ قال: يَدفَعُ الرجلُ منّا عمن استجار به من غير قومه كدفاعه عن نفسه. قال عبد الملك: مثلك من يصف قومه.

•

وقال عبد الملك بن مروان لابن مُطاع العنزي: أخبرني عن مالك بن مِسْمَع؛ قال: لو غَضِب مالكٌ لغَضِب معه مائةُ ألفِ سَيْفٍ لا يسألونه في أي شيء غَضِب. قال عبد الملك: هذا والله السُّؤدُد.

قال: ولم يَلِ قطُّ مالكُ بن مِسْمَع ولا أسماءُ بن خارجة شيئاً للسلطان.

•

وكانت العرب تَمتدح بالذَّبِّ عن الجار فيقولون: فلانٌ مَنيع الجارِ، حامي الذِّمار. نعم، حتى كان فيهم من يحمي الجراد إذا نزلَ في جِواره فسُمّيَ مُجيرَ الجراد.

•

وقال مَرْوانُ بنُ أبي حَفْصة يمدحُ مَعْنَ بن زائدة ويصف مَفاخر بني شَيْبان ومَنَعَتهم لمن استجار بهم :

هم القومُ، إن قالُوا أصابُوا، وإن دُعُوا
أجابُوا، وإن أعطَوا أطابُوا وأجزَلوا

همُ يَمنعون الجارَ، حتى كأنما
لجارِهِمُ بينَ السّماكَين مَنْزِلُ

•

وقال آخر :

همُ يمنعون الجارَ، حتى كأنه
كَثيبةُ زَوْرٍ بينَ خافِيتَيْ نَسْرِ[1]

•

وذُكر أن معاوية ولّى كثير بن شهاب المَذْحِجي خُراسان، فاختان[2] مالاً كثيراً ثم هرب فاستتر عند هانىء بن عروة المُرادي، فبلغ ذلك معاوية، فهَدَرَ دمَ هانىء، فخرج هانىء الى معاوية فكان في جواره، ثم حضر مجلسَه وهو لا يعرفه، فلما نَهَضَ الناس ثبَتَ مكانه، فسأله معاوية عن أمره، فقال : أنا هانىء ابن عُروة.

---

١ كثيبة الزور : مجمعه . والزور : ملتقى أطراف عظام الصدر .
٢ اختان : سرق .

فقال : إنّ هذا اليوم ليس باليوم الذي يقول فيه أبوك :

أُرجّل جُمّتي ، وأجرُّ ذيلي ، وتحمِلُ شِكّتي أُفُقٌ كُمَيتُ[1]
وأمشي في سَراة بني غُطَيفٍ ، إذا ما ساءني أمرٌ أبيتُ

قال : أنا ، والله يا أميرَ المؤمنين ، اليومَ ، أعزّ مني ذلك اليوم .

قال : بِمَ ذلك ؟

قال : بالاسلام .

قال : أين كثيرُ بن شِهاب ؟

قال : عندي وعندك يا أمير المؤمنين .

قال : انظر الى ما اختانه، فخذ منه بعضاً ، وسوّغه[2] بعضاً ، وقد أمّنّاه ووهبناه لك .

•

الشيباني قال : لما نزل محمد بن أبي بكر مصر وصيّر اليه

---

١ الجمة : ما سقط من الشعر على المنكبين . الشكة : السلاح ، من درع ومغفر وسيف ورمح . الأفق : الفرس الرائعة الكريمة . الكميت : من الكمتة ، وهي لون بين السواد والحمرة . يصف نفسه في صدر البيت بالنعمة ، وفي عجزه بشدة البأس .

٢ سوغه : جوزه .

معاويةُ معاويةَ بن حُدَيْج الكِندي ، تفرّق عن محمد من كان معه، فتغيّبَ فدُلَّ عليه، فأخذه وضرب عنقه وبعث برأسه الى معاوية ، وكان أول رأس طيف به في الاسلام .

وكان محمد بن جعفر بن أبي طالب معه، فاستجار بأخواله من خَثْعَم فغيّبوه، وكان سيد خَثْعَم يومئذٍ رجلاً في ظهره بَزَخٌ[1] من كسرٍ أصابه ، فكان إذا مشى ظنَّ الجاهلُ أنه يتبخترُ في مِشْيته ، فذُكر لمعاوية أنه عنده ، فقال له : أسْلِم إلينا هذا الرجل .

فقال : ابنُ أختِنا لجأ الينا لنحقِنَ دمَه، فدَعْه عنك يا أميرَ المؤمنين .

قال : والله لا أدعه حتى تأتيني به .

قال : لا والله لا آتيك به .

قال : كذبتَ ، والله لتأتيني به، إنك ما علمتُ لأَوْرَه[2].

قال : أجل، إني لأوره حين أقاتلك على ابن عمّك لأحقن دمه وأقدّم ابن عمي دونه تسفك دمه .

فسكت عنه معاوية وخلى بيني وبينه .

●

---

١ البزخ في الجسم : ضد الحدب ، وهو ان يخرج الصدر ويدخل الظهر .

٢ الاوره : الاحمق .

الشيباني قال: قال سعيدُ بن سَلم: أهدر المَهديُّ دمَ رجل من أهل الكوفة كان يسعى في فساد دولته، وجعل لمن دلّه عليه أو جاءه به مائة ألف دِرْهم.

قال: فأقام الرجل حيناً متوارياً ثم إنه ظهَر بمدينة السلام، فكان ظاهراً كغائب، خائفاً مترقّباً.

فبينا هو يمشي في بعض نواحيها إذ بَصُر به رجل من أهل الكوفة فعرفه، فأهوى الى مجامع ثوبه، وقال: هذا بُغْية أمير المؤمنين؛ فأمكن الرجلَ من قيادِه، ونظَر الى الموت أمامه.

فبينا هو على تلك الحالة إذ سمع وقْعَ الحوافرِ من وراءِ ظهره، فالتفت فإذا معنُ بن زائدة، فقال: يا أبا الوليد، أجِرْني أجارك الله.

فوقف وقال للرجل الذي تعلّق به: ما شأنُك؟

قال: بُغية أمير المؤمنين، الذي أهدَر دمَه وأعطى لمن دلّ عليه مائة ألف.

فقال: يا غلام، انزل عن دابّتِك واحمِل أخانا.

فصاح الرجل: يا معشر الناس، يُحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين!

قال له معن: اذهب فأخبره أنّه عندي.

فانطلق الى باب أمير المؤمنين ، فأخبر الحاجبَ ، فدخل الى المهدي فأخبره ، فأمر بحَبْس الرجل ، ووجَّه الى مَعنٍ من يحضُرُ به .

فأتته رسل أمير المؤمنين وقد لبس ثيابه ، وقُرِّبَت اليه دابته ، فدعا أهل بيته ومواليه فقال: لا يَخلُصَنَّ الى هذا الرجل وفيكم عينٌ تَطْرِف ؛ ثم رَكِبَ ودخل حتى سلم على المهدي ، فلم يردّ عليه ؛ فقال : يا معن ، أتجير عليّ ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : ونعم أيضاً ! واشتد غضبه .

فقال معن : يا أمير المؤمنين ، قتلت في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفاً ، ولي أيامٌ كثيرة قد تقدم فيها بلائي ، وحسْنَ غَنائي ، فما رأيتموني أهلاً أن تهبوا لي رجلاً واحداً استجار بي ؟

فأطرق المهدي طويلاً ، ثم رفع رأسه وقد سُرِّيَ عنه ، فقال: قد أجرنا من أجرت .

قال معن : فإن رأى أمير المؤمنين أن يصِلَه فيكون قد أحياه وأغناه فعل .

قال : قد أمرنا له بخمسين ألفاً .

قال : يا أمير المؤمنين ، ان صلات الخلفاء تكون على قدر

جنايات الرعية ، وإن ذنب الرجل عظيمٌ ، فأجزل له الصلة .

قال : قد أمرنا له بمائة ألف .

قال : فتعجّلها يا أمير المؤمنين فإن خير البرّ عاجله .

فأمر بتعجيلها. فدعا لأمير المؤمنين بأفضل الدعاء، ثم انصرف ولحقه المال ؛ فدعا الرجلَ ، فقال له : خذ صِلتك ، والحق بأهلك ، وإياك ومخالفةَ خلفاء الله تعالى .

الجبن والفرار

قال عمرو بن معديكرب : الفزَعات ثلاثٌ : فمن كانت فزعته في رجليه ، فذلك الذي لا تُقِلّه رجلاه ؛ ومن كانت فزعته في رأسه، فذلك الذي يفرُّ عن أبويه ؛ ومن كانت فزعته في قلبه ، فذلك الذي يُقاتل .

•

وقال الأحنف بن قيس: أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفرار .

•

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: إن لله خلقاً قلوبهم كقلوب الطير ، كلما خَفَقت الريح خَفَقت معها ، فأفٍّ للجبناء ، فأفٍّ للجبناء !

•

وقال الشاعر :

يَفِرّ الجبانُ عن أبيه وأمه ،
ويَحْمي شجاعُ القوم من لا يُناسبُه

وَيُرْزَقُ معروفَ الجَوادِ عَدوُّه،
ويُحرَمُ معروفَ البخيلِ أقاربُه

•

وقال خالد بن الوليد عند موته: لقد لقيتُ كذا وكذا زحفاً، وما في جسمي موضع شبر الا وفيه ضربةٌ أو طعنةٌ أو رَمْيةٌ، ثم هاأنذا أموتُ حتفَ أنفي كما يموتُ العيرُ، فلا نامت أعينُ الجُبناء.

•

ومن أشعار الفرّارين الذين حسّنوا فيها الفرار على قُبحه حتى حَسُن، قول الفرّار السُّلَمي[1]:

وَكَتيبةٍ لَبَّسْتُها بكتيبةٍ،
حتى إذا التبستْ نفضتُ لها يدي[2]

وتركتُهم تَقِصُ الرماحُ ظهورَهم،
من بين مَقتولٍ وآخرَ مُسْنَدِ[3]

---

١ هو حيان بن الحكم، شاعر مخضرم.

٢ لبستها: خالطتها. نفضت لها يدي: كناية عن الاعراض عنها.

٣ تقص: تكسر. المسند: الذي امسك الى ما يسنده وبه رمق.

هل يَنفعني أن تقولَ نساؤهم ،
وقُتلتُ دونَ رجالها : لا تَبْعَدِ !

•

وقال أبو عبيدة مَعمَر بن المثنّى: ما اعتذر أحدٌ من الفرّارين بأحسن مما اعتذر به الحارث بن هشام حيث يقول :

الله يَعلمُ ما تَركتُ قتالَهم ،
حتى رمَوْا مُهري بأشقرَ مُزبدِ[1]

فَصدَفتُ عنهم والأحبّةُ فيهمُ ،
طَمعاً لهم بعِقابِ يومٍ مُرْصَدِ[2]

وهذا الذي سمعه رَتبيل[3] فقال : يا معشر العرب ، حسّنتم كل شيء فحَسُن حتى الفرار .

وبعد هذا يأتي قول حسان في ذلك .

وأسلم الحارث يوم فتح مكة وحَسُن اسلامه ، وخرج في

---

١ يريد بالاشقر : الدم . المزبد : الذي علاه الزبد .
٢ يريد : أعرضت عنهم لطمعي في أن يعقب الله لي يوماً يرصد الشر لهم ويمكنني منهم فأنتهز الفرصة .
٣ رتبيل : لقب لملوك سجستان .

زمن عمر الى الشام من مكة بأهله وماله ، فاتّبعه أهلُ مكة يبكون ، فرقَّ وبكى وقال : أما لو كنّا نستبدِل داراً بدارنا ، أو جاراً بجارِنا ، ما رأينا بكم بدلاً ، ولكنها النُّقلـة الى الله .

•

وقال آخر :

قامت تشجّعني هِنْدٌ ، وقد علمتْ
أنّ الشجاعةَ مَقْرونٌ بها العَطَبُ

لا والذي مَنَعَ الأبصارَ رُؤيتَه ،
ما يَشْتهي الموتَ عندي مَنْ له أدبُ

لِلحربِ قومٌ أضلَّ اللهُ سَعْيَهم ،
إذا دَعَتْهم إلى نِيرانِها وَثَبوا

ولستُ مِنْهم ولا أبغي فِعالَهمُ ،
لا القَتْلُ يُعْجبني منهم ولا السَّلَبُ

•

وقال محمود الوراق :

أيهـا الفارسُ المُشيح المُغِيرُ !
إنّ قلبي مـن السّلاح يَطيرُ[1]

---

١ المشيح : الجاد الماضي في أموره .

ليس لي قوّةٌ على رَهَجِ الخَيْلِ،
إذا ثَوَّرَ الغُبارَ مُثيرُ[1]

واستدارت رحى الحُروبِ بقَوْمٍ،
فقَتيلٌ وهارِبٌ وأسيرُ

حيثُ لا يَنْطِقُ الجَبانُ من الذُّعْرِ،
ويَعْلُو الصِّياحُ والتَّكبيرُ

أنا في مثلِ ذا وهذا بَليدٌ،
ولَبيبٌ في غيرِهِ نِحْريرُ[2]

•

وقال أيمن بن خُرَيم:

إنّ للفِتْنَةِ مَيْطاً بَيِّناً، فرُوَيْدَ المَيْطَ منها يَعْتَدِلْ[3]

فإذا كانَ عَطاءٌ فأْتِهِم؛ وإذا كانَ قِتالٌ فاعتزِلْ

إنّما يُوقِدُها جُهّالُها حَطَبَ النارِ، فدَعْها تَشْتَعِلْ

•

---

١ الرهج : الغبار الساطع .
٢ النحرير : الحاذق الفطن العاقل .
٣ ميطاً : صخباً وشدة .

ومما يحتج به الفرّارون: ما قاله صاحب كَلِيلةَ ودِمْنةَ: ان الحازمَ يكرَهُ القتال ما وجد بدّاً منه، لأن النّفقَة فيه من النفس، والنفقة في غيره من المال.

أخذ هذا المعنى حبيبٌ الطائي فنظمه في شعره حيث يقول:

كَم بَيْنَ قوم ٍ إنّما نَفقاتُهم   مالٌ، وقوم ٍ يُنْفقون نُفوسَا

•

ومن الفرّارين: عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فر من الأزارقة وكان في عشرة آلاف، وكان قد بَعث اليه المُهلّب: يابن أخي، خندق على نفسك وعلى أصحابك فإني عالم بأمر الخوارج ولا تغترّ. فبعث اليه: أنا أعلمُ بهم منك، وهم أهون علي من ضرطة الجمل. فبيّته قَطَريّ صاحب الأزارقة، فقتل من أصحابه خمسمائة وفر لا يلوي على أحد، فقال فيه الشاعر:

تَركْتَ وِلْدانَنا تَدْمى نُحُورُهُمُ،
وجِئْتَ مُنهزماً يا ضَرْطةَ الجَمَلِ

•

ومن الفرّارين: أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فرّ يوم مَرداء هَجَر[1] من أبي فُديك، فسار من البحرَين الى البصرَة

---

[1] موضع بهجر.

في ثلاثة أيام ، فجلس يوماً بالبصرة فقال : سرت على فرسي المِهْرجان من البحرين الى البصرة في ثلاثة أيام .

فقال له بعضُ جلسائه : أصلح الله الأميرَ ، فلو ركبتَ النَّيرُوز لسِرْتَ اليها في يوم واحد .

فلما دخل عليه أهل البصرة لم يرَوا كيف يُكلّمونه ، ولا ما يُلقونه من القول، أيهنئونه أم يُعزّونه، حتى دخل عليه عبد الله بن الأهتم فاستشرفَ الناس له وقالوا : ما عسى أن يقال للمنهزِم ؟ فسلم ثم قال : مرحباً بالصّابر المخذول ، الذي خذله قومه . الحمد لله الذي نظر لنا عليك ولم يَنظُر لك علينا ، فقد تعرّضتَ للشهادة جُهدك، ولكن علم الله حاجة أهل الاسلام اليك فأبقاك لهم بخذلان من معك لك .

فقال أمية بن عبد الله : ما وجدتُ أحداً أخبرني عن نفسي غيرك .

وفيه يقول الشاعر :

إذا صَوّتَ العُصفورُ طارَ فؤادُه ،
وليثٌ حَديدُ النابِ عِنْدَ الثّرائدِ

•

أُتي الحجّاج بدوابٍّ من دوابِّ أمية قد وسم على أفخاذها

عُدّةٌ ، فأمر الحجاج أن يُكتب تحت ذلك : للفرار .

•

وقال أبو دلامة : كنت مع مروان[1] أيام الضحاك[2] الحروريّ ، فخرج فارس منهم فدعا الى البراز ، فخرج اليه رجل فقتله ، ثم ثانٍ فقتله ، ثم ثالث فقتله . فانقبض الناس عنه وجعل يدنو ويهدِر كالفحل المغتلم . فقال مروان : من يخرج اليه وله عشرة آلاف؟

قال : فلما سمعت عشرة آلاف هانت عليّ الدنيا وسخوْت بنفسي في سبيل عشرة آلاف وبرزت اليه ، فإذا عليه فَرْوٌ قد أصابه المطر فارمعَلّ[3] ، ثم أصابته الشمس فاقفعلّ[4] ، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان . فلما رآني فهم الذي أخرجني ، فأقبل نحوي وهو يرتجز ويقول :

وخارجٍ أخرجَه حُبُّ الطَّمعْ ، فرّ من الموتِ وفي الموت وَقعْ

مَن كان يَنْوي أهلَه فلا رجَع

فلما رأيته قنّعت رأسي ، ووليت هارباً ، ومروان يقول :

---

١ هو مروان بن محمد .

٢ هو الضحاك بن قيس الشيباني الحروري .

٣ ارمعل : ابتل .

٤ اقفعل : تقبض .

من هذا الفاضحُ ؟ لا يفضَحكم . فدخلت في غمار الناس .

•

وقيل لأعرابي : ألا تغزو العدوّ ؟ قال : وكيف يكونون لي عدوّاً وما أعرفهم ولا يعرفوني ؟

•

وقيل لآخر: ألا تغزو العدوّ؟ قال: والله اني لأبغض الموت على فراشي ، فكيف أخُبُّ اليه ركضاً !

•

ومما قيلَ في الفرّارين والجبناء من الشعر قولُ حسان بن ثابت يُعيّر الحارثَ بنَ هشام بفِراره يوم بدر :

إن كنتِ كاذبةَ الذي حدّثتِني ،
فنجوتِ مَنجَى الحارثِ بنِ هِشامِ

تركَ الأحبّةَ لم يُقاتِل دونَهم ،
ونَجا برأسِ طِمِرّةٍ ولِجَامِ[1]

---

١ الطمرة : الانثى من الجياد .

مَلأتْ به الفَرْجينِ فارمدَّت به ،
وثوَى أحبّتَه بِشَرِّ مُقامِ[1]

•

وقال بعض العراقيين في رجل أكول جبان :

إذا صوّتَ العُصفور طارَ فؤادُه ،
ولَيثٌ حديدُ النّابِ عند الثرائدِ

وقال فيه :

ضَعيفُ القَلْبِ رِعْديدٌ ، عَظيمُ الخَلْقِ والمَنْظَرْ
رأى في النوم عُصفوراً فوارَى نفسَه أشْهُرْ

•

وقال آخر :

لو جرتْ خيلٌ نُكوصاً ، لجَرت خَيْلُ دُفاقه
مي لا خَيْلَ رَجاءٍ ، لا ولا خَيْلَ مَخافَه

•

---

1 ملأت به الفرجين : كناية عن سرعة الفرس في نقل قوائمها حتى لا تترك سعة بينها . ارمدت : أسرعت .

وقال آخر :

خَرَجْنا نُريدُ مُغاراً لنا ، وفينا زيادٌ أبو صَعْصَعه

فستَّةُ رَهْطٍ به خَمْسَةٌ ، وخَمْسَةُ رَهْطٍ به أربعه

•

ولم يقل أحد في وصف الجُبْن والفرار مثل قول الطِّرِمّاح في بني تميم :

تَميمٌ بطُرْقِ اللُّؤمِ أهدَى من القَطا ،
ولو سَلكتْ طُرْقَ المكارمِ ضَلَّتِ

ولو أنَّ بُرغوثاً على ظَهرِ قَملةٍ ،
رأته تميمٌ يومَ زَحْفٍ لولّتِ

ولو جَمعتْ يوماً تميمٌ جُموعَها
على ذَرَّةٍ مَعْقولةٍ ، لاشمعلّتِ[1]

•

وليس يعاب الشجاع والبُهْمة[2] البطل بالفرّةِ الواحدة تكون

---

١ المعقولة : المشدودة قوائمها بحبل . اشمعلت : تفرقت .

٢ البهمة : الشجاع الذي لا يهتدى من أين يؤتى .

منه خاصة لا عامة، كما قال زُفَرُ بن الحارث، وفرّ يوم مَرج راهط[1] عن أبيه وأخيه فقال:

أيذهبُ يومٌ واحدٌ، إن أسأته،
بصالحِ أيّامي وحُسنِ بلائيا

ولمْ تُرَ منّي زلّةٌ قبل هذه،
فِراري وتركي صاحبيّ ورائيا

●

وفرّ عمرو بن معديكرب من عباس بن مرداس وأسر أخته رَيحانة؛ وفيها يقول عمرو:

أمِن رَيحانةَ الداعي السَّميعُ، يؤرّقني وأصحابي هُجوعُ؟

وفرّ عن بَني عَبسٍ، وفيهم زُهيرُ بنُ جَذيمة العَبْسي، وولده شأسُ بن زُهير، وقَيسُ بن زُهير، ومالكُ بن زهير، فقال فيهم:

أجاعلةٌ أمّ الثُّوَيرِ خزايةً
عليّ فِراري، إذ لَقيتُ بني عَبْسِ[2]

---

١ مرج راهط: بنواحي دمشق. يشير الى الموقعة التي كانت بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهري وقتل فيها الضحاك.

٢ أم الثوير: امرأة عمرو بن معديكرب.

لَقيتُ أبا شأسٍ وشأساً ومالكاً
وقيساً ، فجاشت من لِقائِهِمُ نفسي

لَقُونا ، فضمّوا جانِبَيْنا بصادقٍ
من الطّعنِ ، مثلِ النّارِ في الحطبِ اليبْسِ

ولمّا دخلنا تحتَ فَيْءِ رماحِهِم ،
خَبَطْتُ بكفّيّ أطلبُ الأرضَ باللّمسِ

وليسَ يُعابُ المرءُ من جُبنِ يَوْمِهِ ،
إذا عُرِفَت منه الشّجاعةُ بالأمسِ

وقال أيضاً :

ولقد أجْمعُ رِجلَيّ بها ، حَذَرَ الموتِ وإنّي لَفَرُورْ
ولقد أعْطِفُها كارهةً ، حينَ للنّفسِ من المَوْتِ هَرِيرْ[1]
كُلُّ ما ذلك منّي خُلُقٌ وبِكُلٍّ أنا في الرَّوْعِ جَدِيرْ[2]
وابنُ صُبْحٍ سادراً يُوعِدُني ، ما له في النّاسِ ما عشتُ مُجيرْ[3]

•

---

١ الهرير : الصياح.
٢ ما زائدة بعد كل .
٣ ابن صبح : اراد به المغير بالصبح ، يستهزىء به لانه يتشبه بالشجعان فيغير مثلهم في الصباح . السادر : الذي لا يبالي ما يصنع .

وقال الحارث[1] لامرأته ، وذلك أنها نظرت اليه وهو يحد حربة يوم فتح مكة ، فقالت له : ما تصنع بهذه ؟

قال : أعددتها لمحمد وأصحابه .

فقالت : ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء ؟

قال : والله إني لأرجو أن أخدمَكِ بعضهم . ثم أنشأ يقول :

إن يُقبِلوا اليومَ فما بي عِلّه ... هذا سِلاحٌ كامِلٌ وألّه[2]

وذو غِرارينِ سريعُ السَّلّه[3]

فلما لقيهم خالد بن الوليد يوم الخَندمة[4] انهزم الرجل، فلامته امرأته فقال :

إنكِ لو شَهِدْتِ يَومَ الخَندمه ، ... إذ فَرَّ صفْوان وفَرَّ عِكرمه[5]

ولَحِقَتْنا بالسُّيوفِ المُسْلِمه ... يَفْلقن كل ساعد وجُمجمه

ضَرْباً فلا تَسْمَعُ إلا غَمغمه ... لم تَنْطِقي في اللّوم أدنى كَلِمه

●

---

١ هو الحارث بن هشام وقد تقدم خبر عن فراره .

٢ الألة : الحربة لها سنان طويل .

٣ ذو الغرارين : السيف .

٤ الخدمة : جبل .

٥ صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل .

وكان أسلم بن زُرْعة وجّهه عبيد الله بن زياد لحرب أبي بلال الخارجي في ألفين ، وأبو بلال في أربعين رجلاً ، فشدوا عليه شدة رجلٍ واحد فانهزم هو وأصحابه ، فلما دخل على ابن زياد عنّفه في ذلك وقال: أتمضي في ألفين وتنهزم عن أربعين! فخرج عنه وهو يقول : لأن يَذُمَّني ابنُ زيادٍ حيّـاً ، خيرٌ من أن يمدحني ميتاً .

فقال شاعر الخوارج :

ألفا مؤمنٍ ؟لستم كذاكُم، ولكنَّ الخوارجَ مُؤمنونا
هم الفِئةُ القليلةُ، قد عامتم، على الفِئة الكثيرةِ يُنصرونا

•

ومثل ذلك قول عبد الله بن مطيع بن الأسود العَدَويّ ، وكان فرّ يوم الحَرّة من جيش مُسلم بن عقبة ؛ فلما كان أيامَ حِصار الحَجّاج بمكة لعبد الله بن الزُّبير جعلَ يُقاتِلُ أهل الشام ويقول :

أنا الذي فررتُ يوم الحَرّهْ، والشيخُ لا يَفِرُّ إلا مَرّه
فاليومَ أجزي فَرّةً بكَرّه، لا بأسَ بالكَرّةِ بعدَ الفَرّه

فلم يزل يقاتل حتى قُتل .

•

وأحسنُ ما قيل في الفِرار كلّه ما قال قيس بن الخَطيم :

إذا ما فرَرنا، كان أسوَا فِرارِنا
صُدودُ الخُدودِ، وازورارُ المناكبِ

أُجالِدُهم ، يومَ الحَديقةِ ، حاسِراً ،
كأنَّ يدي بالسّيفِ مِخراقُ لاعبِ [1]

•

وفَرَّ عُتَيبةُ بنُ الحارث بن شِهاب يومَ ثبرة [2] عن ابنه حَزرةَ وقال :

يا حَسْرَتي، لقد لَقِيتُ حَسْره، يا لَتَميمٍ غَشِيَتْني غَمْره
نِعْمَ الفتى غادرتُه بثَبْره، نَجّيتُ نفسي وتركتُ حَزْره
هل يَتركُ الحرُّ الكريم بِكْرَه؟

•

وَفرّ ابو خِراش الهُذَليّ من فائد وأصحابه ورَصَدوه بعَرفاتٍ فقال :

وَقَوْني ، وقالوا : يا خُوَيلدُ لا تُرَع!
فقلتُ ، وأنكرتُ الوجوهَ : هُمُ هُمُ

---

١ الحديقة : قرية على طريق مكة ، كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج قبل الاسلام ، وإياها أراد الشاعر. المخراق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به .
٢ ثبرة : اسم ماء في وسط واد في ديار ضبة .

وقلتُ ، وقد جاوزتُ أصحاب فائد:
أأعجزتُ أولى الخَيْلِ أم أنا أحْلَم؟[1]

فلولا ادّراكُ الشدّ ، قـامت حَليلتي
تَخيّرُ من خُطّابِها ، وهي أيّم[2]

ولولا ادّراكُ الشدّ ، أتلفت مُهْجَتي،
وكاد خِراشٌ يـومَ ذلـك يُيْتَمُ

•

وفرّ نُخيب بن عوف يوم مَرداء هجر من أبي فُدَيك فقال:

بَذَلتُ لهم، يا قوم ، حَوْلِي وقُوّتي،
ونُصْحي وما ضَمّت يَدايَ من التِبْرِ

فلمّا تَناهى الأمرُ بي مِن عَدُوّكم
الى مُهْجتي ، ولّيتُ أعداءكم ظَهْري

وطِرْتُ ولم أحْفِل مَلامةَ عاجزٍ،
يُقيم لأطْرافِ الرُّدَينيّة السُّمْرِ[3]

---

١ يريد هل أعجزت أولى الخيل عن اللحاق بي وفتهم بفراري ، أم ان ذلك حلم من الاحلام ؟

٢ الايم : الارملة .

٣ الردينية : نسبة الى ردينة ، امرأة كانت تثقف الرماح .

فلو كان لي رُوحانِ، عَرّضتُ واحداً
لكل رُدَيْنيّ ، وأبيضَ ذي أثْرِ[1]

•

وقيل لرجل جبان في بعض الوقائع : تقدّم . فأنشأ يقول :

وقالوا تقدّمْ ! قُلْتُ لستُ بفاعلٍ ،
أخافُ على فَخارتي أن تَحَطّمَا

فلو كان لي رأسان ، أتلفتُ واحداً ،
ولكنّه رأسٌ ، إذا راح أعقما

ولو كان مُبتاعاً لدى السُّوق مثلُه ،
فَعلتُ ، ولم أحفِلِ بأن أتقدّمَا

فأوتِم أولاداً وأرْمِل نِسْوةً ؛
فكيف على هذا تَروْنَ التقدُّما ؟

•

وقالت هند بنتُ النعمان بن بشير لزوجها رَوح بن زِنْباع :
كيف سوّدك قومُك وأنت جبان غيور ؟

---

١ الاثر : فرند السيف وجوهره .

قال : أما الجبن ، فإن لي نفساً واحدة فأنا أحوطها ؛ وأما الغَيْرة ، فما أحق بها من كانت له امرأة حمقاء مثلك .

•

وقال كعب بن زهير :

بُخلاً علينا ، وجُبْناً من عَدوّكم ،
لَبِئْست الخَلّتان: البُخلُ والجُبْنُ

•

فضائل الخيل

قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الخيل : اعرافُها ادفاؤها ، وأذنابها مَذابُّها ، والخيل معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم بإناث الخيل ، فإنّ بُطونها كنز ، وظهورها حِرز ، وأصحابها مُعانون عليها .

وسأل رجلٌ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد أن أشتري فرساً أعِدُّه في سبيل الله ؛ فقال له : اشترِه أدهم ، أو كُميتاً أقرح أرثم[١] ، أو مُحجَّلاً مُطلق اليمين ، فإنها ميامن الخيل .

•

وقيل لبعض الحكماء : أيّ الأموال أشرفُ ؟ قال : فرَس يَتبعها فرس في بطنها فرسٌ .

---

١ الأقرح ، من القرح : كل بياض كان في جبهة الفرس ثم انقطع قبل ان يبلغ الأنف. الأرثم ، من الرثم : كل بياض اصاب الشفة العليا قل أو كثر الى أن يبلغ الأنف .

صفة جياد الخيل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحبُّ من الخيل الشُّقر .

وقال : لو جُمعتْ خيلُ العرب في صعيدٍ واحد ما سبقها إلا أشقرُ .

وسأله رجلٌ : أيّ المالِ خيرٌ ؟ قال : سِكّةٌ مأبورة[1] ، ومُهرةٌ مأمورة[2] .

وكان عليه الصلاة والسلام يكره الشّكال[3] في الخيل .

وقالوا : إنما سُمّيت خيلاً لاختيالها .

•

ووصف أعرابي فرساً فقال : إذا تركتَه نعَس ، وإذا حرّكته طارَ .

•

وأرسل مُسلم بن عمرو لابن عم له بالشام يشتري له خيلاً ،

---

١ السكة : الطريقة المصطفة من النخل . المأبورة : الملقحة .

٢ المأمورة : الكثيرة النسل والنتاج .

٣ الشكال : أن تكون ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقة ، أو عكس ذلك .

فقال له : لا عِلم لي بالخيل .

فقال : ألست صاحب قَنص ؟

قال : بلى .

قال : انظر كلَّ شيءٍ تستحسِنُه في الكلبِ فاطلبه في الفرس.

فأتى بخيل لم يكن في العرب مثلُها .

•

وقال بعضُ الضّبيين :

مُتقاذفٍ ،عَبل الشّوى ،شَنِجِ النّسا ،
سَبّاقِ أندية الجِياد ، عَمَيْثَلِ[1]

وإذا تَعلّل بالسِّياطِ جيادُها ،
أعطاكَ نائلَه ولم يَتعلّلِ

•

سأل المهديُّ مَطرَ بن دَرّاجٍ عن أي الخيل أفضلُ ؟ قال : الذي إذا استقبلتَه قلتَ نافرٌ ، وإذا استدبرتَه قلتَ زاخرٌ[2] ، وإذا استعرضتَه قلتَ زافرٌ[3] .

---

١ المتقاذف : السريع الركض . عبل الشوى : غليظ القوائم . النسا : عرق من الورك الى الكعب . شنج النسا : متقبضه ، وهو مدح للفرس ، لأنه اذا شنج نساه لم تسترخ رجلاه . العميثل : النشيط .

٢ زاخر : ممتلىء الكفل .

٣ الزافر : عظيم الوسط ، وهو مما يمدح في الخيل .

قال : فأيُّ هذه أفضل ؟

قال : الذي طرفُه إمامه ، وسوطُه عِنانُه .

•

وقال آخر : الذي إذا مشى رَدَى[1] ، وإذا عدا دَحا[2] ، وإذا استُقبِل أقعى[3] ، وإذا استُدبر جَبَّى[4] ، وإذا استُعرض استوى .

•

وقال عمرُ بن الخطاب لعمرو بن معديكرب : كيف معرفتك بعِرابِ الخيل ؟

قال : معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده .

فأمر بأفراس فعُرِضت عليه ؛ فقال : قدّموا إليها الماءَ في التِّراسِ[5] ، فما شَرِب ولم يكتِف[6] فهو من العِراب ، وما ثنى سُنبكه فليس منها .

قلت : إنما المحفوظ أنَّ عمرَ شكَّ في العِتاق والهُجُن ، فدعا سَلمانَ بن ربيعة الباهلي فأخبره . فأمر سَلمان بطست

---

١ ردى : رجم الارض بين المشي الشديد والعدو .

٢ دحا : رمى بيديه في سيره لا يرفع طرف حافره عن الارض .

٣ اقعى : جلس على مؤخرته ، او ارتد القهقرى .

٤ جبى : انكب على وجهه .

٥ التراس ، واحدها ترس : وهو صفحة مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

٦ يكتف : يرفع فروع كتفه .

من ماء فوُضع بالأرض ، ثم قدّم إليه الخيلَ فرساً فرساً ، فما
ثنى سُنْبُكَه وشرب هجّنه ؛ وما شرِبَ ولم يَثْنِ سنبكه عرّبه .

•

وقال حسّان بن ثابت يَصف طولَ عنق الفرس :

بكلّ كُميتٍ ، جوزُه نصفُ خلقه ،
أقبَّ طُوالٍ ، مُشرفٍ في الحوارِكِ[1]

•

وقال زُهير :

ومُلْجَمُنا ما إن ينـالَ قـذالـه ،
ولا قدمـاه الأرضَ ، إلاّ أناملُه[2]

•

وقال آخر :

له ساقا ظَليمٍ خاضبٍ ، فُوجِىء بالرُّعبِ[3]
حَديدُ الطّرف والمَنْكِب والعُرْقوب والقَلب

•

---

١ الاقب : الدقيق الخصر الضامر البطن . الطوال : الطويل . الحوارك : أعالي الكاهل .

٢ القذال من الفرس : معقد العذار خلف الناصية .

٣ الظليم : ذكر النعام . الخاضب : المحمر الساقين .

وقال آخر :

هَريتٌ، قَصيرُ عِذَارِ اللّجام، أسِيلٌ، طَويلُ عِذَارِ الرَّسَنْ[1]

لم يُرد بقوله : قصير عذار اللجام ، قِصَرَ خدّه ، وإنما أراد طولَ شقّ الفَم ؛ وأراد بطول عذار الرسن ، طولَ الخد .

•

وقال آخر :

بكلّ هَريتٍ ، نَقيّ الأديم ، طويل الحِزام، قَصير اللَّبَب[2]

•

وقال أبو عبيدة : يُستَدلُّ على عِتقِ الفرس برقّة جَحافله وأرنبته[3]، وسعة مَنْخريه، وعُرْي نواهقه[4]، ودِقّة حَقويه[5]، وما ظهر من أعالي أذنيه ، ورقّة سالفتيه وأديه ، ولين شعره ؛ وأبْيَنُ من ذلك كله لين شَكيرِ[6] ناصيته وعُرفه .

•

---

١ الهريت : الواسع الشدقين ، الطويل شق الفم .

٢ لبب الفرس : منحره .

٣ الجحافل ، واحدتها جحفلة : الشفة . الارنبة : طرف الانف .

٤ اراد بالنواهق : الناهقين ، وهما العظمان الشاخصان في مجرى الدمع .

٥ الحقوان : الخصران .

٦ الشكير : ما أطاف بالناصية من قصير الشعر .

وكانوا يقولون : إذا اشتدّ نَفَسُه ، ورَحُب مُتَنَفَّسه ، وطال عُنقه ، واشتد حَقوه ، وانهرت شِدْقُه ، وعَظُمت فُصوصه[1] ، وصَلُبت حوافره ووقُحَت ، أُلحِق بجياد الخيل .

•

قيلَ لرجل من بني أسد: أتعرِفُ الفرسَ الكريم من المُقرف؟

قال : نعم ، أما الكريمُ : فالجوادُ الجيّد الذي يَهِز نَهزَ العَير[2] ، وأُنّف[3] تأنيفَ السّير ، الذي إذا عدا اسلهبّ[4] ، وإذا أقبل اجلعبّ[5] ، وإذا انتصب اتلأبّ[6] .

وأما المُقرفُ : فإنه الذّلول الحَجبة[7] ، الضخم الأرنبة ، الغليظ الرقبة ، الكثير الجلبة ، الذي إذا أرسلته قال: أمسكني ، وإذا أمسكته قال : أرسلني .

•

---

١ الفصوص ، واحدها فص : ملتقى كل عظمين .

٢ نهز : نهض بصدره للسير . العير : حمار الوحش .

٣ أنف الشيء : حدد طرفه ، والمراد ان خالقه سوي كتسوية السير المحدد في قده من الجلد .

٤ اسلهب : مضى

٥ اجلعب : امتد على الأرض .

٦ اتلأب : رفع صدره ورأسه .

٧ الحجبة : ما أشرف على صفاق البطن من وركيه .

وكان محمد بن السائب الكلبي يحدّثُ: أن الصافنات الجياد المعروضة على سليمان بن داود عليهما السلام، كانت ألفَ فرسٍ ورِثها عن أبيـــه، فلما عرضت عليه ألهته عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب، فعرْقَبها[1] الا أفراســاً لم تُعرض عليه.

فوفد عليه أقوامٌ من الأزْدِ وكانوا أصهاره، فلمـا فرَغوا من حوائجهم قالوا: يا نبيَّ الله، انّ أرضنا شاسعةٌ فزوّدنا زاداً يبلّغنا.

فأعطاهم فرساً من تلك الخيل وقال: إذا نزلتم منزلاً فاحملوا عليه غلاماً واحتطبوا، فانكم لا تورُون ناركم حتى يأتيكم بطعامكم.

فساروا بالفرس، فكانوا لا ينزلون منزلاً الا رَكبـه أحدهم للقَنص، فلا يُفلِته شيءٌ وقعت عينه عليه من ظَبْيٍ أو بقـر أو حِمار، الى أن قدموا إلى بلادهم، فقالوا: مـا فرسُنا الا زادُ الراكبِ. فسمّوْه زادَ الراكب. فأصلُ فحولِ العرب من نِتاجه.

●

---

[1] عرقبها: قطع عراقيبا، واحدها عرقوب وهو عصب غليظ فوق العقب.

وأخبرنا فرج بن سلاّم عن أبي حاتم عن الأصمعي قال: أغير على أهل النّسار[1] وأعوجُ موثّق بثُمامة[2]، فجال صاحبه في مَتنه، ثم زجَرَه فاقتلع الثامة ، فخرجت تخفُّ كالخذروف[3] وراءه . فغدا بياضَ يومه وأمسى يتعشى من جميم قُباء[4] .

•

وقال الشاعر في وصف فرس :

وأحمرَ كالدّيباجِ ، أما سماؤُه فريّا ، وأما أرضُه فمَحُولُ

قوله : سماؤه : أعلاه ؛ وأرضه : أسفله . يريد قوائمه .

•

وللطائي نظيرُ هذا حيثُ يقول :

مُبتلُّ مَتْنٍ وصَهوتينِ الى حوافرٍ صُلبةٍ له، مُلسِ
فهو لدى الرّوع والحلائب ذُو أعلى مُندّى، وأسفلٍ يَبَسِ[5]

---

١ النسار : ماء لبني عامر له يوم .
٢ اعوج : فرس كان لهلال بن عامر، وهو من جياد الخيل. وقوله بثامة : أي بشجيرة من شجيرات الثام المعروف.
٣ تخف : تصوت . الخذروف : صفيحة مستديرة تثقب من وسطها ثقبين يدخل فيهما خيط يمسك باليدين وتدار بهما ، فيسمع لها دوي .
٤ الجميم : النبات الكثير . قباء : بئر سميت باسمها قرية على ميلين من المدينة .
٥ يريد انه ريان الأعلى ظمآن الأسفل .

صَهْصَلقٌ في الصَّهيل، تَحْسبه اشْرج حُلقومُهُ على جَرَسِ [1]

وقال حبيب أيضاً يصف فرساً أهـداه إليه الحَسن بن وَهْب الكاتب :

ما مُقرَبٌ يَختالُ في أشطانِه، ملآنَ من صَلفٍ به وتَلَهْوُقِ [2]

بحَوافرٍ حُفْرٍ، وصُلبٍ صُلَّبٍ، وأشاعرٍ شُعْرٍ، وخلْقٍ أحلقِ [3]

وبشُعلةٍ تبدو، كأنَّ حُلولَها في صَهْوتيه بُدوُّ شَيْبِ المَفرقِ [4]

ذو أولقٍ تحتَ العَجاجِ، وإنما من صِحَّةٍ، إفراطُ ذاكَ الأولقِ [5]

تُغرى العيونُ به ويُفلِقُ شاعرٌ في نَعتِه عَفواً، وليس بمُفلِقِ [6]

بمُصَعَّدٍ، من حُسنِه، ومصوَّبٍ، ومجمَّعٍ، في خَلقِه، ومُفرَّقِ [7]

---

١ الصهصلق : الشديد الصهيل . أشرج : خيط .

٢ الأشطان : الحبال ، الواحد شطن . التلهوق : المبالغة في العجب والاختيال .

٣ الحفر : القوية تحفر الارض من صلابتها . الصلب : الظهر . الصلب : القوي . الأشاعر : ما استدار بالحافر من منتهى الجلد . شعر : شديدة . أحلق : واسع .

٤ الشعلة : البياض .

٥ الاولق : الجنون . يريد وصفه بشدة النشاط .

٦ يفلق : يجيء بما يعجب . المراد : ان هذا الفرس يجيد في وصفه من ليس بمجيد من الشعراء لانه ينظر الى ما يروق ويعجب منه .

٧ مصعده : أعلاه . مصوبه : أسفله . مجمعه : وسطه . مفرقه : قوائمه وأذناه . يريد انه جمعت فيه اشياء يحمد اجتماعها وافترقت اشياء يحمد افتراقها .

قدسالت الأوضاحُ سيلَ قرارة فيه، فمفترقٌ عليه وملتقي[1]
صافي الأديمِ، كأنما ألبسته من سُندس ثوباً، ومن إستبرقِ[2]
مسوَدُّ شطر مثلما اسودَّ الدجى، مُبيضُّ شطر كابيضاض المُهرقِ[3]
فكأنّ فارسه يُصرِّفُ، إذ بدا في مَتْنه، ابناً للصباح الأبلق[4]
إمليسةٌ، إمليدةٌ، لو عُلِّقت في صَهْوتيه العينُ لم تتعلَّقِ[5]
يُرقى وما هو بالسليم، ويغتدي، دون السلاح، سلاح أروع مِلْقِ[6]

•

وقال أبو سُويد: شهد أبو دُلَف وقعةَ البَذّ[7] وتحته فرسٌ أدهمُ، وعليه نَضْحُ الدمِ، فاستوقفه رجلٌ من الشعراء[8]، وأنشد:

---

١ الاوضاح، واحدها وضح: البياض.
٢ السندس: ضرب من نسيج الديباج او الحرير. الاستبرق: الديباج الغليظ.
٣ المهرق: ثوب حرير أبيض. يقول ان شعره شطران ابيض واسود.
٤ الابلق: ما كان في لونه سواد وبياض.
٥ امليسة امليدة: لين ناعم. واراد بالعين: العين المالحة التي يعتقد بانها تصيب الناس.
٦ يرقى: من الرقية. السليم: الذي قد لدغ. الاروع: الشجاع. الملق: الذي لا سلاح له.
٧ البذ: كورة بين أذربيجان وأران، خرج فيها بابك الخرمي في ايام المعتصم.
٨ هو اسحاق بن خلف البهراني.

كم ذا تُجرّعُـهُ المَنونَ ويَسْلَمُ ،
لو يستطيعُ شكا إليــكَ الأدهمُ

في كلّ مَنْبِـتِ شَعرةٍ ، من جلدِهِ ،
نَمَقٌ يُنَمّقُه الحُسام المِخْـذَمُ[1]

وكأنما عَقَـدَ النجومَ بطَرفِه ،
وكأنـه بعُرى المَجرّةِ مُلجَـمُ[2]

وكأنه ، بـينَ البَوارق ، لَقْوةٌ
شَقراء ، كاسِرةٌ ، طَوتْ ما تَطْـعَمُ[3]

ما تُدرِكُ الأرواحُ أدنى سَيْرِهِ ،
لا بـل يَفوتُ الريحَ ، فهو مُقدّمُ

رَجَعَتْه أطرافُ الأسنّةِ أشقراً ،
واللونُ أدهمُ ، حينَ ضَرّجه الدّمُ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم .

•

---

١ ينمقه : يزينه . المخذم : القاطع .

٢ يريد انه مرتفع الرأس لا يخفضه .

٣ البوارق : السيوف . اللقوة : انثى العقاب .

ومن قولنا في وصف الفرس :

ومُقْرَبَةٍ يَشْقَرُ في النَّقْعِ كَمْتُها ،
ويَخضَرُّ حيناً ، كلما بلَّها الرَّشحُ[1]

تَطيرُ بلا ريش إلى كلِّ صَيْحةٍ ،
وتَسْبَحُ في البرِّ الذي ما به سَبْحُ

•

وقال عديُّ بن الرَّقاع :

يَخرُجنَ من فُرجاتِ النَّقعِ دامِيةً ،
كأنَّ آذانَها أطرافُ أقلامِ

•

وطلب البُحتريّ الشاعرُ من محمد بن حُميد الكاتب فرساً ووصفَ له أنواعاً من الخيلِ في شعرِه فقال :

لأُكلِّفَنَّ العِيسَ أبعدَ هِمَّةٍ
يَجري إليها خائفٌ ، أو مُرتَجي

وإلى سَراةِ بني حُمَيدٍ ، إنهم
أمسَوا كواكبَ أشرَقت في مَذْحِجِ

---

١ المقربة من الأفراس : التي تدنى وتقرب وتكرم . كمتها ، من الكمتة : الحمرة يخالطها سواد .

والبيتُ ، لولا أنّ فيه فضيلةٌ
تَعلو البُيوتَ بفضْلها ، لم يُحجَجِ

فأعِنْ على غزْوِ العدوّ بمُنْطوِ
أحْشاؤه ، طَيَّ الرّداء المُدْرَجِ [1]

إمّا بأشقرَ ساطعٍ ، أغشى الوغى
منه بمثْلِ الكَوْكب المتأجّجِ

مُتَسربلٍ شِيَةً ، طلَتْ أعطافه
بدَمٍ ، فما تَلْقاه غيرَ مُضرَّجِ

أو أدهمٍ ، صافي الأديم ، كأنّه ،
تحتَ الكَميّ ، مُظهَرٌ بِيَرَندج [2]

ضَرِمٍ ، يَهيجُ السَّوطُ ، من شُؤبوبه ،
هَيْجَ الجَنائب مِن حَريقِ العَرْفَجِ [3]

خفّتْ مواقعُ وَطْئه ، فلو انّه
يجري برَمْلةِ عالجٍ لم يُرْهِجِ [4]

---

١ المدرج : المدخل بعضه في بعض .

٢ المظهر : الملبس الظهارة ، وهي ما يوضع على الظهر . اليرندج : السواد يسود به الخف .

٣ الشؤبوب : شدة العدو . الجنائب ، واحدها جنوب : الريح التي تقابل الشمال . العرفج : ضرب من النبات سهلي طيب الريح ولهبه شديد الحمرة .

٤ عالج : رمال بين فيد والقريات . لم يرهج : أي لم يثر الغبار من خفة وطئه .

أو أشهبَ يَقَقٍ ، يُضيء وراءَه
مَتْنٌ ، كَمَتن اللُجَّةِ المُتَرَجْرِج[1]

تَخفَى الحُجولُ ، ولو بَلَغْنَ لَبانَه ،
في أبيَضٍ مُتألِّقٍ كالدُمْلج[2]

أوفى بعُرْفٍ أسودٍ مُتفرِّدٍ ،
فيما يَليه ، وحافرٍ فَيروزَجي[3]

أو أبلقٍ مَلأ العيونَ ، إذا بدا ،
من كلِّ لونٍ مُعجِبٍ بنموذجِ

جَذْلانَ تَحسُده الجِيادُ ، إذا مَشى
عَنَقاً بأحسنِ حُلَّةٍ لم تُنسجِ[4]

وعَريضِ أعلى المَتْنِ لو عَلَّبتَه
بالزِّئبقِ المُنهالِ لم يَتَرَجرَجِ

خاضت قوائمُه ، الوثيقُ بِناؤها ،
أمواجَ تَخنيبٍ بهنَّ مُدَرَّجِ[5]

---

١ اليقق : الابيض .
٢ اللبان : الصدر . الدملج : حلي يلبس في المعصم .
٣ فيروزجي : نسبة الى الفيروزج وهو حجر كريم اخضر .
٤ العنق : ضرب من السير سريع .
٥ التخنيب : احديداب في وظيفي يدي الفرس ، وهو دليل على شدة صاحبه .

ولأنتَ أبعدُ في السَّماحةِ هِمَّةً
مِنْ أن تَضِنَّ بمُوكَفٍ، أو مُسْرَجِ [1]

•

وأول من شبَّه الخيلَ بالظبي والسِّرحان والنعامة، وتَبِعه الشعراء وحَذَوا حَذْوَهُ وعلى مثاله، امرؤُ القيس بن حُجْر :

له أيْطلا ظَبْيٍ وساقا نعامةٍ،
وإرخاء سِرْحانٍ وتَقْريبُ تَتْفُلِ [2]

كأنَّ على المَتْنَيْنِ منه، إذا انتحَى،
مَداكَ عَروسٍ، أو صَلايةَ حَنْظَلِ [3]

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدْبِرٍ معاً،
كجُلمودِ صَخْرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ

دَريرٍ كخُذروفِ الوليــد، أمَرَّهُ
تتابــعُ كفَّيْــه بخيطٍ مُوَصَّلِ [4]

---

١ الموكف : الذي وضع عليه الوكاف، وهو البرذعة . المسرج : ما وضع على ظهره سرج .

٢ الايطل : الخاصرة . الارخاء : شدة العدو . التقريب : ان يرفع الفرس يديه معاً ويضعهما معاً في عدوه . السرحان : الذئب . التتفل : ولد الثعلب .

٣ المتنان : ما اكتنفا فقار الظهر . انتحى : اعتمد وقصد . المداك : الحجر الذي يسحق عليه الطيب . الصلاية : الحجر الاملس الذي يسحق عليه حب الحنظل .

٤ الدرير : الفرس السريع العدو .

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِه ،
كما زَلَّتِ الصَّفْواءُ بالمُتَنَزَّلِ [1]

فأخذت الشعراء هذا التشبيه من امرىء القيس فحَذَوا عليه ، فقال طُفَيل الخَيْل :

إنّي ، وإن قلّ مالي ، لا يُفارقني
مثلُ النّعامةِ في أوصالِها طُولُ

تَقْرِيبُها المَرَطَى ، والجَوزُ مُعتَدِل ،
كأنه سُبَدٌ بالماءِ مَغسولُ [2]

أو ساهِمُ الوَجْهِ لم تُقطع أباجلُه ،
يُصانُ ، وهو ليومِ الرَّوعِ مبذولُ [3]

●

وقال عبدُ الملك بن مَروان لأصحابه : أيّ المَناديل أفضل ؟ فقال بعضُهم : مَناديلُ مِصر التي كأنها غِرْقىءُ البَيض [4] ؛

---

١ الكميت : ما خالط حمرته سواد . الحال : وسط الظهر . الصفواء : الصخرة الملساء التي لا يثبت فيها شيء . المتنزل : الذي ينزل عليها فيزلق عنها .

٢ المرطى : فوق التقريب . الجوز : الوسط . السبد : ثوب يسد به الحوض المركول لئلا يتكدر الماء يفرش فيه وتسقى الابل عليه .

٣ ساهم الوجه : عابسه ، وهي صفة ممدوحة في الخيل . الأباجل ، واحدها أبجل : عرق غليظ في الرجل ، وهو في الفرس بمنزلة الأكحل من الانسان .

٤ غرقىء البيضة : القشرة الملتصقة ببياضها .

وقال بعضُهم : مَناديلُ اليَمن التي كأنها أنوارُ الربيع .

فقال : ما صنعتم شيئاً ، أفضلُ المناديلِ مناديلُ عَبدة بن الطَّبيب حيث يقول :

لمّا نَزلنا ضَربنا ظِلَّ أخبيةٍ ،
وفارَ بالَّلحمِ للقومِ المَراجيلُ[1]

وَرْداً وأشْقرَ لم يُنْهِئْه طابخُهُ ،
ما قاربَ النُّضْجَ منها فهو مأكولُ[2]

وقد وَثبْنا على عُوجٍ مُسوَّمةٍ ،
أعرافُهنَّ لأيدينا مَناديلُ[3]

---

١ يريد أنهم بنوا أرديتهم فوق رماحهم كا تبنى الاخبية ليستظلوا بها .

٢ الورد : ما أخذ فيه النضج من اللحم . الاشقر : ما لم ينضج . لم ينهئه : لم ينضجه .

٣ المسومة : المعلمة .

سوابق الخيل

قال الأصمعي : ما سَبَقَ في الرهانِ فرسٌ أهضم[1] قط . وأنشد لأبي النَّجم :

مُنتفِجُ الجَوفِ عَريضٌ كَلْكَلُه[2]

قال : وكان هشام بن عبد الملك رجلاً مُسَبَّقاً لا يكاد يَسْبِقُ ، فسَبقت له فرس أنثى وصلَّت أختها[3] ، ففرح لذلك فرحاً شديداً وقال : عليَّ بالشعراء .

قال أبو النَّجم : فدُعينا فقيل لنا : قولوا في هذه الفرس وأختها ؛ فسأل أصحابُ النشيد النَّظِرة حتى يقولوا ؛ فقلت له : هل لك في رجل يَنقُدُك اذا استنسأوك[4] ؟

قال : هاتِ .

فقلتُ من ساعتي :

---

١ الاهضم من الخيل : ما استقامت ضلوعه وانضمت اعالي بطنـه مع استقامتها ودخول اعاليها ، وهو من عيوب الخيل .

٢ المنتفج : المنتفخ من خلقة وسمن .

٣ صلت اختها : جاءت تالية للسابق .

٤ استنسأ : طلب التأخير .

أشاعَ للغَرّاءِ فينا ذِكرَها قوائمٌ عُوجٌ، أطعنَ أمْرَها
وما نَسِينا بالطريقِ مُهْرَها، حينَ نَقِيسُ قدرَه وقدرَها
وصَبْرَه، إذا عدا، وصَبْرَها، والماءُ يعلو نحرَه ونحرَها
مَلْمومةٌ شدَّ المليكُ أسرَها، أسفلَها وبطنَها وظَهرَها[1]

قد كاد هاديها يكونُ شَطْرَها[2]

قال أبو النّجم: فأمر لي بجائزة وانصرفت.

•

أبو القاسم جعفرُ بن أحمد بن محمد وأبو الحسن عليّ بن جعفر البصري قالا: حدّثنا أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب الأصمعيّ: أن هارونَ الرشيد رَكِب في سنة خمسٍ وثمانين ومائة الى المَيْدان لشهودِ الحَلْبة.

قال الأصمعي: فدخلتُ الميدانَ لشُهودِها فيمن شَهِد من خواصّ أمير المؤمنين، والحَلْبةُ يومئذ أفراسٌ للرّشيدِ ولوَلَديه الأمينِ والمأمون ولسُليمانَ بنِ أبي جعفرٍ المنصور ولعيسى بنِ جعفر؛ فجاء فرسٌ أدهمُ يقال له الرّبِـد لهارون الرشيد سابقاً.

---

١ الملمومة: المجتمعة الخلق. الاسر: شدة الخلق.
٢ الهادي: العنق. وقوله: يكون شطرها، كناية عن طوله.

فابتهج لذلك ابتهاجاً عُلِم ذلك في وجهه ، وقال : عليَّ بالأصمعي ؛ فنُوديتُ له من كل جانب ، فأقبلتُ سريعاً حتى مَثَلْتُ بين يديه ؛ فقال : يا أصمعي ، خُذ بناصيةِ الرَّبِد ثم صِفه من قَوْنَسه الى سُنبُكهِ[1]، فإنه يقال : إن فيه عشرين اسماً من أسماء الطَّير .

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، وأُنشِدُك شِعراً جامعاً لها من قول أبي حَزْرة[2].

قال : فأنشِدْنا لله أبوك .

قال : فأنشدته :

وأقبُّ كالسِّرحانِ تمَّ له ما بين هامتِه الى النَّسْرِ

الأقبّ : اللاحق المُخطَف البَطْن[3] ، وذلك يكون من خِلْقة ، وربما حدث من هُزال أو بُعْد قَوَد[4] ؛ والأنثى قَبّاء ؛ والجمع : قُبٌّ ؛ والمصدر : القَبب . والسِّرحان : الذِّئب ، شَبّهه في ضُموره وعَدْوه به ؛ وجمعه سَراحين ؛ وقد قالوا :

---

١ أي من أعلى رأسه الى طرف حافره .

٢ كنية جرير بن عطية الخطفى ، الشاعر المشهور .

٣ مخطف البطن : منطويه .

٤ القود : طول الظهر والعنق .

سِراح[1] . والهامة : أعلى الرأس ، وهي أم الدّماغ ؛ وهي من أسماء الطير . والنَّسر : هو ما ارتفع من بطن الحافر من أعلاه ، كأنه النّوى والحصى ، وهو من أسماء الطير ؛ وجمعه : نُسور .

رَحُبَتْ نَعامَتُهُ ، ووُفِّر فَرْخُهُ ،
وتَمَكَّنَ الصُّرَدانِ في النَّحْرِ

رحُبَتْ : اتسعت . ونَعامته : جلدة رأسه التي تُغطّي الدّماغ ، وهي من اسماء الطير . وقوله : « ووُفّر فرخه . » الفرخ : هو الدماغ ، وهو من أسماء الطيور . ووُفّر : اي تُمّم ؛ يقال : وَفَرتُ الشيء ووَفّرته ، بالتخفيف ، فهو مَوفور . والصُّرَدان : عِرْقان في أصلِ اللسان ؛ ويقال : إنهما عرقان أخضران مُكْتنفان باطن اللسان ، يجري منهما الرّيق ونَفَسُ الرئة ، وهما من أسماء الطير . وفي الظهر صُرَد ، أيضاً ، وهو بياض يكون في موضِع السَّرْج من أثر الدَّبَر[2] ؛ يقال : فرس صَرِد ، إذا كان ذلك به . والنحرُ : موضِعُ القِلادة من الصدر ، وهو البَرْك .

---

١ سراح ، بفتح السين وكسرها .

٢ الدبر ، واحدتها دبرة : قرحة الدابة .

وأنافَ بالعُصفور من سَعَفٍ   هامٍ ، أشمَّ ، موثَّقَ الجَذْرِ

أناف : أشرف . والعُصفور : أصل مَنبِت الناصية ؛ والعُصفور ايضاً : عظم ناتىء في كلّ جَبين . والعُصفور : من الغُرَر أيضاً ، وهي التي سالت ودقّت ولم تتجاوز الى العينين ولم تستدِر كالقُرحة ؛ وهو من أسماء الطير . والسَّعَف ، يقال : فرسٌ بَيّنُ السعَف ، وهو الذي سالت ناصيتُه . وهامٍ ، أي سائل منتشر . وأشمّ : مرتفع ؛ والشَّمم في الأنف : ارتفاع قَصَبته . ويروى : هادٍ أشم ، يريد عُنقاً مرتفعاً ؛ وجمعُه : هوادٍ . وقولهُ : موثَّق ، أي شديد قويّ . والجِذْر : الأصلُ من كل شيء . قال الأصمعي وغيره : هو بالفتح ؛ وقال أبو عمرو بن العلاء : هو بالكسر .

وازدانَ بالدّيكينِ صَلْصَلُه ،   ونَبَتْ دَجاجتُه عن الصَّدْرِ

ازدان : افتعل ، من قولِكَ زانَ يزينُ ، وكان الأصل ازتان ، فقُلبت التاء دالاً ، لقربِ مَخرجِها من مخرج الزاي ؛ وكذلك ازداد ، من زادَ يَزيدُ . والديكان : واحدهما ديك ، وهو العَظم الناتىء خلفَ الأذن ، وهو الذي يقال له الخُشَشاء ، والخُشّاء . والصَّلصل : بياض في طرف الناصية ؛ ويقال : هو أصلُ الناصية . والدَّجاجة : اللحم الذي على زَوْره بين يديه ، والدّيك والصَّلْصل والدَّجاجة : من أسماء الطير .

والنّاهِضان أُمِرّ جَلزُهُما ، فكأنما عُثِما على كَسْرِ

النّاهضان : واحدهما ناهض ، وهو لحم المنكِبَين ؛ ويقال : هو اللحمُ الذي يلي العَضُدَين من أعلاهما ؛ والجمع : نواهض ؛ ويقال في الجمع : أَنْهُض ، على غير قياس . والناهض : فرخُ القطا ، وهو من أسماء الطير . وقوله : أُمِرّ جَلزُهُما : أي فُتِلَ وأُحْكِم ؛ يقال : أمررتُ الحبلَ فهو مُمَرّ ، أي فتلته. والجَلْز : الشد . وقوله :

فكأنما عُثِما على كَسْرِ

أي كأنهما كُسِرا ثم جُبِرا ؛ يقال : عُثِمَت يدُه . والعَثْم : الجَبْر على عُقدة وعَوَج ؛ وعُثمان : فُعلان منه .

مُسحَنفِرُ الجَنْبَين ، مُلتئِمٌ ما بين شِيمتِه الى الغُرّ

مُسحَنفِرُ الجنبين : أي مُنتفِخُهما . مُلتئم : أي معتدل . وشِيمته : نَحْره . والشِّيمةُ ايضاً : من قولك : فرسٌ أشيمُ ، بيِّن الشِّيمة ، وهي بياض فيه ؛ ويقال : أن تكونَ شامةٌ أو شامٌ في جسدِه . والغُرّ في الطير ، الذي يسمّى الرَّخَمة ، وهي عضَلَةُ الساق .

وَصفَتْ سُماناه وحافِرُه وأديمُه ومَنابتُ الشَّعْرِ

السُّمانى : طائر ، وهو موضع من الفرسِ لا أحفظه ، إلاّ

أن يكون أراد السَّمامة ، وهي دائرة تكون في سالفة الفَرس ، وهي عُنقه ، والسَّمامة ، من الطير أيضاً . والأديم : الجلد .

وسَما الغُراب لِمَوْقعَيه معاً ، فأبِين بينهما على قَدْرِ

سَما الغُراب : أي ارتفع ؛ والغُراب : رأسُ الوَرِك ؛ ويقال للصَّلَوين : الغُرابان ، وهما مُكْتَنَفا عَجْبِ الذَّنَب[1] ؛ ويقال : هما مُلتقى أعالي الوَرِكين . والموقعان منه : في أعالي الخاصرتين . فأبين : أي فُرّق بينهما . على قدر : اي على استواء واعتدال .

واكْنَنّ دونَ قَبيحِه خُطّافُه ، ونأت سَمامته عن الصَّقْر

اكْنَنّ : أي استتر . والقبيح : ملتقى الساقين ؛ ويقال : إنه مركّب الذراعين في العضُدَين . والخُطّاف : من أسماء الطير ، وهو حيثُ أدركَتْ عَقِبُ الفارس إذا حرّكَ رجليه ؛ ويقال لهذين الموضعين من الفرس : المَركلان . ونأتْ : اي بعُدت . والسَّمامة : دائرةٌ تكون في عُنق الفرس ، وقد ذكرناها ، وهي من أسماء الطير . والصقر : أحسِبها دائرةً في الرأس ، وما وقفت عليها ، وهي من أسماء الطير .

---

١ عجب الذنب : أصله ، وهو العصعص .

وتقدَّمت عنه القَطاةُ له ، فنأتْ بمَوْقِعها عن الحُرّْ

القَطاة : مَقعَد الرّدف ، وهي من أسماء الطير . والحُرّ : من الطير ؛ يقال إنه ذكرُ الحمام ، وهو من الفرس ، سوادٌ يكون في ظاهر أذنيه .

وسَما على نقْوَيْه دون حِداته ، خرَبانِ بينهما مَدى الشّبْرِ

النَّقْوان : واحدهما نَقْو ، والجمع : أنقاء ، وهو عظمٌ ذو مُخ ، وإنما عنى هاهنا عِظام الوَرِكين ، لأن الخرَب هو الذي تراه مثل المُدْهُن في وَرِك الفرس . وهو من الطير ، ذكَرُ الحُبارى . والحِدأة : من الطير ، وأصله الهمز ، ولكنه خُفّف ، وهي سالفةُ الفرس ؛ وجمعها حِداء ، على وزن فِعال ، كما تقول : عَظاءة[1] وعِظاء ، ويقال : عَظاية . وإذا فتحتَ الفاء قلت : حَدأة ، وهي الفأس ذات الرأسين ؛ وجمعها حَدأ ، مثل نَواة ونَوى ، وقَطاة وقَطا .

يَدعُ الرَّضيمَ ، إذا جرى ، فِلَقاً ، بتَوائمٍ كمَواسمٍ سُمرِ

الرَّضيم : الحجارة . والفِلَق : المكسورة فِلَقاً . بتوائم : جمع توأم ؛ وقد قالوا : تُؤام على وزن فُعال ، جمع تَوأم ، وهي على غير قياس . يقول : هي مَثْنى مَثْنى ، يعني حوافره .

---

1 العظاءة : دويبة ملساء أصغر من الحرذون تمشي مشياً سريعاً ثم تقف ، وهي عند العامة « السقاية » .

والمواسم : جمع مِيسم الحديد، من وسمتُ ، أي أنها كمواسم الحديد في صلابتِها . وقوله سمر : أي لون الحافر، وهو أصلبُ الحوافر .

رُكّبْنَ في مَحْصِ الشّوى سَبِطٍ،
كَفْتِ الوثوبِ مُشَدّدِ الأسْرِ

الشّوى هاهنا : القوائم ، والواحدة : شَواة؛ ويقال : فرس مَحْصُ الشّوى ، إذا كانت قوائمُه مَعصوبةً . سَبِط : سهل . كَفْتِ الوثوب: اي مجتمع ، من قولك: كَفَتُّ الشيء، إذا جمعته وتمّمته . مشدّدُ الأسر : اي الخلق .

قال الأصمعيّ : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

•

وقال أبو النّجْم يصفُ الحَلْبَة :

ثمّ سَمِعنا بِرِهانٍ نأمَلُه، قِيدَ له من كل أُفْقٍ جَحْفَلُه[1]

فقلتُ للسائسِ : قُدْهُ أعْجِلُه، واغدُ لَعنّا في الرّهان نُرسِله[2]

فظَلّ مَجْنوباً،وظَلّ جملُه، بين شَعيبَيْنِ وزادٍ ،يَزْمُلُه[3]

---

١ الجحفل : الجيش الكثير .

٢ لعنا : لغة في لعلنا .

٣ مجنوباً : لا يركب . وجمله يزمله : أي يحمل الزاد والعلف . شعيبين : مزادتين .

تعْلو به الحزْنَ ولا نُسهِّلُه، إذا علا الأخشبَ صاح جَنْدلُه[1]

ترَنُّم النُّوّح تبكي مُثْكِلُه كأنّ في الصوت الذي يُفصِّله[2]

زمّارَ دفٍّ، يتغنّى جُلْجلُه، حتى وردنا المِصْرَ يطْوي قَنْبلُه[3]

طيَّ التِّجار العَصْبَ إذ تنخّله، وقد رأينا فِعْلَهم فنفعَله[4]

نطْويه والطيُّ الرَّفيق يجْدِله، نضمّر الشَّحمَ، ولسْنا نهْزِله[5]

حتى إذا الليلُ تولّى أثجلُه، وأتبعَ الأيديَ منه أرجله[6]

قمْنا، على هوْلٍ شديدٍ وجلُه، نمُدّ حبْلاً فوق خطٍّ نعْدِله[7]

نقولُ قدّم ذا وهذا أدخِله، وقام مشْقوقُ القميص يعْجله

---

١ لا نسهله : لا نصير به الى السهل . الجندل : الحجـارة ، يشير الى صوت حوافره عليها .

٢ النوح : الجماعة من النساء تنوح . المثكل : التي ثكلت ولدها .

٣ الجلجل : الجرس . القنبل : الطائفة من الخيـل . اي اننا وردنا المصر وفيه جماعات الخيل تضمر للرهان .

٤ العصب : ضرب من البرود . تنخله : تختاره .

٥ يجدله : يحكم فتل عضلاته ويحسن طيها .

٦ الاثجل : القطعة الضخمة من الليل . أتبع : تبع . شبه تولي الليل بالفرس في عدوه .

٧ يريد الحبل الذي ينصب قبل ارسال الخيل ويجعل في صدورها لتكون متساوية عند الارسال .

فوق الخُماسيّ قليلاً يَفْضُله ، أدْرَكَ عقلاً والرِّهانُ عَمَلَه[1]

حتى إذا أدركَ خيلاً مُرسِلُه ، ثارَ عجاجٌ مُستَطيرٌ قَسْطَلُه[2]

تنفُشُ منه الخيلُ مالاً تَغْزِلُه ، مَرّاً يُغَطّيها ، ومَرّاً تَنْعَلُه[3]

مَرَّ القَطا انصبَّ عليه أجْدَلُه ، وهو رَخيّ البال ساجٍ وَهَلُه[4]

قَدَّمه مِثْلاً لمن يَمْتَثِله ، تُطيره الجِنُّ ، وحيناً تُرجِلُه[5]

تَسْبَحُ أُخراهُ ، ويَطْفو أوّلُه ، ترى الغُلام ساجياً ما يَرْكُلُه

يُعطيه ما شاء ، وليس يَسأله ، كأنّه من زَبَدٍ يُسَرْبِله[6]

في كُرْسُفِ النَّدّافِ لولا بَلَلُه ، تَخالُ مِسْكاً عَلَّه مُعَلِّلُه[7]

ثم تَناوَلْنا الغُلامَ نُنْزِله ، عن مُفْرَعِ الكَتِفَيْن حُلْوٍ عَطَلُه[8]

•

---

١ الخماسي : ما كان طوله خمسة أشبار.
٢ القسطل : الغبار الساطع .
٣ تنعله : أي تجعل الغبار تحت ارجلها كالنعل .
٤ الاجدل : الصقر . الساجي : الساكن . الوهل : الفزع .
٥ يريد انه جعله في سبقه مثالا يقتدي به الفرسان .
٦ يسربله : يلبسه . يشبه الزبد ، وقد عم جسمه ، بالباس يغطي الجسد .
٧ الكرسف : القطن .
٨ مفرع الكتفين : عاليهما . العطل : العنق .

مُنتفِجُ الجوفِ عريضٌ كلكله، فوافت الخيلُ ونحنُ نشكله
والجِنّ عُكّافٌ بـه تقبّله

•

وقال آخر في فرس أبي الأعور السُّلَمي :

مَرٌّ كلَمعِ البرق سامٍ ناظِرُه، تَسْبَحُ أولاه ويَطْفو آخره
فما يَمَسُّ الأرضَ منه حافرُه

وقول هذا أشبه من قول أبي النّجْمِ لأنه يقول :

تَسْبَحُ أخراه ويَطْفو أوّله

•

وقال الأصمعي : إذا كان الفرسُ كما قال أبو النّجم فحِمارُ الكَسّاح[1] أسرع منه ، لأن اضطرابَ مُؤخّرهِ قبيح .

وكان أبو النجم وَصّافاً للخيل إلا أنه غلِط في هذا البيت.

وقد غلِط رُؤبةُ أيضاً في الفرس فقال يصف قوائمه :

يَهْوِينَ شَتّى ويَقَعْنَ وَفْقَا[2]

ولما انشده مُسلِمَ بنَ قُتَيبة ؛ قال له : أخطأت في هذا يا

---

١ الكساح : الكناس .

٢ الوفق : كل شيء يكون متفقاً على نمط واحد .

أبا الجَحّاف ، جعله مُقيَّداً ؛ فقال : قَرِّبني من ذَنَبِ البعير[1]

•

وأنشد الأصمعي :

قد أطرُق الحيَّ على سابحٍ، أسطَعَ مثل الصَّدَعِ الأجْرَدِ[2]
لمّا أتيتُ الحيَّ في مَتْنه، كأنَّ عُرْجوناً بمَثْنَى يَدي[3]
أقبلَ يَختالُ على شأوه، يَضْرِب في الأقْرب والأبْعد
كأنه سَكرانُ، أو عابِسٌ، أو ابنُ ربٍّ، حَدَثُ المَولِدِ

•

وقال غيره :

أمّا إذا استقبلتَه ، فكأنّه جِذعٌ سما فوق النَّخيل مُشذَّب
وإذا اعترضتَ له استوت اقطاره، وكأنه، مستدبَراً، مُتَصوِّب[4]

•

---

١ يريد أنه يحسن وصف الابل دون الخيل .

٢ السابح : الفرس ، لسبحه بيديه . الاسطع : الطويل العنق . الصدع : الفتى الشاب القوي من الاوعال والابل والحمر .

٣ العرجون : اصل العنقود شبهه به في الضمور .

٤ اقطاره ، واحدها قطر : نواحيه . المتصوب : ضد المتصعد .

وقال ابن المُعتز :

وقد يَحْضُرُ الهيجاءَ بي شَنِجُ النَّسا ،
تَكامَلَ في أسنانه فهو قارِحُ[1]

له عُنُقٌ يَغتالُ طولَ عِنانه ،
وصَدرٌ ، إذا أعطيتَه الجري ، سابِحُ

إذا مال عن أعْطافِه قُلْتَ شاربٌ ،
عَناه بتَصْريف المُدامةِ طافِحُ

وقال أيضاً :

ولقد وَطِئْتُ الغَيْثَ يَحْمِلني
طِرْفٌ ، كَلَونِ الصُّبح حين وَقَدْ[2]

يَمْشي ، فيُعْرِضُ في العِنانِ ، كما
صَدَفَ المُعَشَّقُ ذو الدَّلال وصَدّ

طارت به رِجْلٌ مُرَصَّعةٌ ،
رَجَّامةٌ لِحَصى الطريقِ ، ويَدْ

فكأنه مَوْجٌ يَسيل ، إذا
أطْلَقْتَه ، وإذا حَبَسْتَ جَمَدْ

---

١ شنج النسا : متقبضه . والنسا : عرق من الورك الى الكعب . القارح : الفرس في الخامسة من عمره .

٢ الغيث : يريد النبات حيث يكثر الصيد . وهو من المجاز المرسل .

الحلبة والرهان

والحَلْبَةُ : مُجْتَمعُ الخيل ، يقال : مُجتَمَعُ الخيل ؛ ويقال : مُجتَمع الناسِ للرّهان ؛ وهو من قولك : حلبَ بنو فلان على بني فلان وأحلبوا ، إذا اجتمعوا ؛ ويقال منه : حَلَبَ الحالبُ اللبنَ في القدَح ، أي جَمعه فيه . والمِقْوَسُ : الحبلُ الذي يُمَدُّ في صدور الخيل عند الارسال للسباق . والمُنَصَّبةُ : الخيل حين تُنَصَّبُ[1] للارسال .

وأصل الرّهان من الرّهن ، لأن الرجل يُراهنُ صاحبَه في المُسابقة ، يَضَع هذا رَهْناً وهذا رَهْناً ، فأيُّهما سبَق فرسُه أخذ رهنه ورهن صاحبه .

والرهانُ : مصدر راهنتُه مُراهنة ورهاناً ، كما تقول : قاتلتُه مقاتلة وقتالاً . وهذا كان من أمرِ الجاهليّة ، وهو القِمار المَنْهِيُّ عنه ، فإن كانَ الرهنُ من أحدهما بشيء مُسمّى ، على أنه إن سبق لم يكن له شيءٌ ، وإن سبقه صاحبُه أخذ الرهن ، فهذا حلالٌ ، لأنّ الرهنَ إنما هو من أحدهما دون

---

[1] تنصب : تعد بعضها الى جانب بعض .

الآخر ؛ وكذلك إن جَعَل كلٌّ واحد منهما رهناً وأدخلا بينهما مُحلّلاً ، وهو فرسٌ ثالث يكون مع الأوّلين ، ويسمّى أيضاً الدّخيل ، ولا يُجعَل لصاحبِ الثالث شيءٌ ، ثم يُرسلون الأفراس الثلاثةَ ، فإن سبَقَ أحدُ الأوّلين أخذَ رهنَه ورهنَ صاحبه ، فكان له طَيّباً ، وإن سبق الدّخيل أخذ الرّهنين جميعاً ، وإن سُبِقَ هو لم يكن عليه شيء .

ولا يكون الدخيلُ إلا رائعاً جواداً ، لا يأمنان أن يَسبقَهما ، وإلا فهذا قِمارٌ ، لأنهما كأنهما لم يُدخلا بينهما محلّلاً.

قال الأصمعي : السابقُ من الخيل : الأول ، والمُصلّي : الثاني الذي يتلوه . قال : وإنما قيل له مُصلٍّ ، لأنه يكون عند صَلَوَي السابق ، وهما جانبا ذَنَبِه عن يمينِه وشِماله ؛ ثم الثالث والرابع لا اسم لواحد منهما إلى العاشر ، فإنه يُسمّى سُكَيتاً .

قال أبو عُبيدة : لم نَسمَع في سوابق الخيل ممن يوثق بعلمه اسماً لشيء منها إلاّ الثاني والعاشر، فإن الثاني اسمه المُصلّي ، والعاشرَ السُّكَيت ، وما سوى ذينك يقال : الثالث والرابع ، وكذلك الى التاسع ؛ ثم السُّكَيت . ويقال السُّكّيت بالتشديد والتخفيف . فما جاء بعد ذلك لم يُعتدّ به . والفِسكِل بالكسر : الذي يجيء آخرَ الخيل ، والعامة تسميه الفُسكُل بالضم .

وقال أبو عُبيدة : القاشور الذي يجيء في الحَلْبة آخرَ الخيلِ ، وهو الفِسْكل ، وإنما قيل للسُّكَيت سُكَيت ، لأنه آخرُ العددِ الذي يقِفُ العادُّ عليه . والسَّكْت : الوقوف. هكذا كانوا يقولون ؛ فأما اليوم فقد غيّروا .

وكان من شأنهم أن يَمسَحوا على وجهِ السابقِ . قال جرير :

إذا شِئْتمُ أن تمسحوا وجهَ سابقٍ
جَوادٍ ، فمُدُّوا في الرِّهان عِنانيا

ومن قولنا في هذا المعنى :

وإذا جِيادُ الخيلِ ماطَلَها المدى ،
وتَقطّعَتْ في شأوِها المَبْهورِ[1]

خلُّوا عِناني في الرهان ، ومسَّحوا
مِنّي بغُرّة أبلقٍ مَشْهورِ

---

[1] المبهور : المنقطع النفس لتعبه في الجري .

وصف السلاح

كانت دِرْعُ عليٍّ صَدراً لا ظَهرَ لها ؛ فقيل له في ذلك . فقال : إذا استمكَنَ عدوّي من ظهري فلا يُبْقِي .

•

ورُئي الجَرّاحُ بنُ عبدِ الله قد ظاهرَ بين دِرْعين ، فقيل له في ذلك . فقال : لستُ أقي بَدَني وإنما أقي صَبري .

•

واشترى زيدُ بن حاتم أدراعاً وقال : إني لستُ أشتري أدراعاً وإنما أشتري أعماراً .

•

وقال حبيبُ بن المُهلَّب لبَنيه : لا يَقعُدَنَّ أحدكُم في السُّوق ، فإن كنتم لا بدَّ فاعلين فإلى زَرّادٍ ، أو سَرّاجٍ ، أو وَرّاق .

•

العتبي قال : بعث عمرُ بن الخطّاب الى عَمرو بن مَعديكرب أن يبعثَ إليه بسَيفه المعروف بالصَّمصامة ، فبعثَ به إليه ؛ فلما ضَربَ به وجَده دونَ ما كان يبلُغه عنه ، فكتب

إليه في ذلك ؛ فردّ عليه : إنما بعثتُ الى أميرِ المؤمنين بالسيف، ولم أبعَث بالساعدِ الذي يَضرِب به .

•

وسأله عمرُ بن الخطّاب يوماً عن السلاح . فقال : يسأل أميرُ المؤمنين عما بَدا له . قال : ما تقولُ في التُّرْس ؟

قال : هو المِجَنّ وعليه تدور الدوائر .

قال : فما تقول في الرُّمح ؟

قال : أخوك وربما خانك فانقَصف .

قال : فالنَّبْلُ ؟

قال : مَنايا تُخطىء وتُصِيب .

قال : فما تقول في الدّرع ؟

قال : مُثقِلةٌ للراجلِ ، مُتعِبة للفارس ، وإنها لَحِصْن حصِين .

قال : فما تقول في السيف ؟

قال : هناك لا أمّ لك يا أمير المؤمنين .

فضربه عمر بالدّرة ، وقال : بل لا أمّ لك .

قال : الحُمّى أضرعَتني إليك[1] .

•

---

١ الحمى أضرعتني اليك : مثل تضربه العرب اذا اضطرت للخضوع .

الهيثم بن عدي قال : وُصِف سيفُ عمرو بن مَعديكرب الذي يقال له الصَّمصامة لموسى الهادي ، فدعا به ، فوُضِع بين يديه مُجرَّداً ، ثم قال لحاجبه : ائذن للشعراء . فلما دَخلوا ، أمَرهم أن يقولوا فيه . فبَدَرهم ابنُ يامين فقال :

حازَ صَمْصامةَ الزُّبَيْدِيِّ عَمْرٍو ،
من جميعِ الأنامِ ، موسى الأمينُ

سيفَ عمرو ، وكان ، فيما سَمِعْنا ،
خيرَ ما أُغمِدت عليه الجُفونُ

أخضرَ المَتْنِ ، بينَ حدَّيه نُورٌ
من فِرِنْدٍ ، تَمتَدُّ فيه العُيونُ

أوقدتْ فوقه الصواعقُ ناراً ،
ثم ساطَتْ به الذُّعافَ القُيونُ[1]

فإذا ما سَلَلْتَهُ بَهَرَ الشَّمْسَ
ضِياءً ، فلم تَكَدْ تَسْتَبِينُ

فكأنَّ الفِرِنْدَ ، والرَّونقَ الجاريَ
في صَفحَتَيهِ ، ماءٌ مَعِينُ[2]

---

١ ساطت : خلطت . الذعاف : السم القاتل . القيون ، واحدها قين : الحداد .
٢ الفرند : جوهر السيف ووشيه . المعين : الظاهر الذي تراه العين جارياً على وجه الارض .

وكأنّ المَنونَ نِيطت إليهِ،
فهْوَ من كلّ جانبَيْه مَنُونُ

ما يُبالي مَن انتضاهُ لضَرْبٍ،
أشِمالٌ سطَتْ به أم يَمِينُ

فأمر له ببَدْرة وخرجوا .

•

وضرب الزُّبير[1] يومَ الخَندَقِ عثمانَ بن عبدِالله بن المُغيرة فقطّه الى القَربوس[2]. فقالوا : ما أجودَ سيفَكَ! فغضب[3] وقال :

متى تَلقَني يَعدُو ببَزّي مُقلّصٌ،
كُمَيتٌ، بَهيمٌ، أو أغرُّ مُحَجَّلُ[4]

تُلاقِ امرأً إنْ تَلْقَهُ، فبِسَيْفِه
تُعلّمُكَ الأيامُ ما كنتَ تجهَلُ

•

---

١ الزبير بن العوام .

٢ قطه : قطعه . القربوس : حنو السرج ، وهما قربوسان .

٣ غضب لانه يريد العمل ليده لا لسيفه .

٤ البز : السلاح . المقلص : الفرس المشمر المشرف الطويل القوائم . كميت ، من الكمتة : لون بين السواد والحمرة . البهيم : ما لا شية فيه . الأغر : الذي في جبهته بياض . المحجل : الذي في قوائمه بياض .

وقال أبو الشيص :

خَلَتْه المنونُ بعدَ اختيالِ ، بين صفَّيْنِ من قناً ونِصالِ
في رداء من الصَّفيح صقيلٍ ، وقميصٍ من الحديد مُذالِ[1]

•

وبلغ أبا الأغرّ أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شرّ ، فوجّه إليهم ابنه الأغرّ ، وقال : يا بُنيّ ، كن يداً لأصحابك على من قاتلهم ؛ وإياك والسيفَ ، فإنه ظِلُّ الموت ؛ واتّقِ الرمحَ ، فإنه رِشاءُ المنيّة ؛ ولا تقرب السّهام ، فإنها رُسُل لا تؤامِر مُرْسِلَها .

قال : فبماذا أقاتل ؟

قال : بما قال الشاعر :

جلاميدُ يملأنَ الأكفّ ، كأنها
رؤوسُ رجالٍ حُلِّقتْ في المواسمِ

•

وذكر أعرابيّ قوماً تحاربوا فقال :

أقبلتِ الفُحولُ تمشي مَشْيَ الوُعولِ ، فلما تصافحوا بالسيوفِ فغرت المنايا أفواهَها .

•

---

١ القميص : الدرع . المذال : الذي له ذيل ، اي درع طويل يستره .

وقال آخرُ يذكر قوماً أُسِروا : استنزلوهم عن الجِيـاد بلَيِّنة الخُرْصان[1] ، ونزعوهم نَزْعَ الدِّلاء بالأشْطان[2] .

•

وقال أعرابيٌّ في آخرين ابتغَـوا قوماً أغـاروا عليهم : احتَشُوا كلَّ جماليَة عَيْرانة[3] ، كما يَخْصِفون أخفافَ المَطيِّ بحوافر الخيـل[4] . حتى أدركوهم بعد ثالثـة ، فجعلوا المُرّان أرشِيَة المَنايا[5] ، فاستَقَوا بها أرواحَهم .

•

ومن أحسن ما قيل في السيف قولُ حبيب :

ونبَّهن مثـلَ السيف ، لو لم تسُلَّه
يَدانِ ، لسَلَّتْه ظُباه من الغِمْـدِ

وقال في صفة الرماح :

---

١ الخرصان : القنا .

٢ الاشطان : الحبال .

٣ الجمالية : الناقة الوثيقة كالجمل . العيرانة : الناجية في نشاط .

٤ شبه جعلهم اثر اخفاف الابل فوق اثر حوافر الخيل بالنعل المخصوفة اي التي لها نعل جديد فوق نعل عتيق ، واراد سرعة اللحاق بالاعداء .

٥ المران : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . الارشية : الحبال ، الواحد رشاء . وفي الكلام استعارة .

مُتَقَفات سَلَبْنَ الرومَ زُرْقَتَها ،
والعُرْبَ سُمْرَتَها ، والعاشِقَ القَضَفا[1]

•

ومن الإفراط القبيح قولُ النابغة في وصف السيف :

يَقُدّ السَّلوقيَّ المُضاعَفَ نَسْجُه ،
ويُوقِدِ في الصُّفّاح نارَ الحُباحِبِ[2]

فذكر أنه يَقُدّ الدّرعَ المُضاعَف نسجُها والفارسَ والفرسَ ، ويقع بها في الأرض فيقدحُ النارَ من الحجارة .

•

وأقبح منه في الإفراط قولُ الآخر[3] :

تَظَلّ تَحفِرُ عنه ، إن ضربتَ به ،
بَعْدَ الذّراعينِ والساقين والهادي[4]

•

---

١ اراد بزرقتها زرقة عيونها . القضف : النحافة .

٢ السلوقي ، نسبة الى سلوق : بلدة باليمن كانت تنسب اليها الدروع . الصفاح : حجارة رقاق عراض . نار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من اصطكاك الحجارة بعضها ببعض .

٣ هو النمر بن تولب .

٤ الهادي : العنق . يقول : انه قطع ذلك كله ثم رسب في الارض حتى احتاج صاحبه الى ان يحفر عنه .

وقد جمع العَلويّ وصفَ الخيلِ والسلاح كلّه فأحسن وجَوّد حيث يقول :

بجَنْبيَ من مالي من الخيلِ أعْيطُ ،
سَليم الشّظى، عاري النّواهق ، أمْعطُ[1]

وأبيَضُ من ماء الحديد ، مُهَنّدٌ ،
وأسمرُ عَسّالُ الكُعوب ، عنطَنْطُ[2]

وبَيضاءُ كالضّحضاح زغْفٌ مُفاضة
يُكَفّتها عنّي نِجادٌ مُخطّطُ[3]

ومَعْطوفةُ الأطْرافِ كَبْداءُ سَمحة ،
مُنَفّجةُ الأعضادِ ، صَفراءُ ، شَوْحطُ[4]

---

١ الاعيط : الطويل العنق . الشظى : عظم صغير لازق بالركبة او بالذراع أو بالوظيف . النواهق ، وهما ناهقان : عظمان شاخصان من ذي الحافر في مجرى الدمع . الامعط : الذي لا شعر على جسده .

٢ العسال : الرمح الشديد الاهتزاز . عنطنط : طويل .

٣ بيضاء : يريد الدرع . الضحضاح : الماء اليسير . الزغف : الدرع الواسعة الطويلة ، او المحكمة . وقوله : يكفتها عني ، اراد به أن زوائد هذه الدرع وما فضل منها يلتصق بنجاد سيفه فلا يعوق حركته .

٤ الكبداء : القوس يملأ الكف مقبضها . السمحة : المواتية . الشوحط : شجر تتخذ منه القسي .

فيا ليتَ مالي ، غيرَ ما قد جمعتُه ،
على لُجّةٍ ، تيّارُها يتغطغطُ[1]

ويا ليتني أمسي على الدّهر ليلةً ،
وليس على نفسي أميرٌ مسلّطُ

•

ومن قولنا في وصف الرمح والسيف :

بكلّ رُدَينيٍّ ، كأنّ سِنانَه
شِهابٌ ، بدا في ظُلمةِ الليل ، ساطعُ

تقاصرتِ الآجالُ في طولِ متنِه ،
وعادت به الآمالُ ، وهيَ فجائعُ

وساءت ظنونُ الحربِ في حُسنِ ظنّه ،
فهنّ ظُباتٌ للقلوبِ قوارعُ[2]

وذي شُطَبٍ ، تقضي المنايا بحُكمه ،
وليس لِما تقضي المنيّةُ دافعُ[3]

---

١ يتغطغط : ترتفع امواجه وتعلو . يريد أنه لا يبالي اذا بقيت له أداة حربه أن يذهب البحر ببقية ماله .

٢ الظبات ، واحدتها ظبة : حد السيف .

٣ الشطب ، واحدتها شطبة : الطريقة في متن السيف او الخط فيه .

فرِنْدٌ، إذا ما اعتَنَّ للعين، راكِدٌ،
وبَرْقٌ، إذا ما اهتزَّ بالكفِّ، لامعُ[1]

يُسَلِّلُ ارواحَ الكُماةِ انسلاله،
ويرتاعُ منه الموتُ، والموتُ رائعُ

إذا ما التقت أمثالُه في وَقيعة،
هنالك ظَنُّ النفسِ بالنفسِ واقعُ[2]

•

ومن قولنا في وصف السيف :

بكلِّ مأثورٍ، على مَتْنِه مثلُ مَدَبِّ النَّمْلِ بالقاعِ[3]
يرتدُّ طَرْفُ العينِ، من حدِّه، عن كوكبٍ للموتِ لمّاع

•

وقال إسحاق بن خَلَف البَهْرانيّ في صفة السَّيف :

ألقى، بجانبِ خَصْرِه، أمضى من الأجل المُتاح[4]
وكأنما ذَرَّ الهَباءَ، عليه، أنفاسُ الرِّياح[5]

•

١ فرند السيف : جوهره ووشيه . اعتن : ظهر .
٢ يريد أن ظن النفس موتها في هذه الوقعة واقع بها دون شك .
٣ المأثور : ذو الاثر ، اي فرند السيف . القاع : الارض السهلة المطمئنة .
٤ المتاح : المهيأ .
٥ الهباء : الشيء المنبث الذي تراه في الكوى من ضوء الشمس شبيهاً بالغبار . شبه به ما يرى في جوهر السيف من أثر مثل دبيب النمل .

ومن جيّدِ صفاتِ السيفِ قولُ الغَنَوي :

حُسامٌ ، غداةَ الرَّوْع ، ماضٍ كأنه
مِن الله في قَبْضِ النفوس رَسولُ

كأنّ ، على إفْرِنْدِهِ ، مَوْجَ لُجّةٍ ،
تَقاصَرُ في ضَحْضاحه وتَطولُ[1]

كأنّ جُيوشَ الذَّرّ كَسَّرْنَ فوقه
قُرونَ جَرادٍ ، بينَهنّ ذُحولُ[2]

---

١ الضحضاح : ما رق من الماء على وجه الارض .

٢ الذحول ، واحدها ذحل : الثأر .

النزع بالقوس

إبراهيم الشَّيباني قال : كان رجلٌ من أهلِ الكوفة قد بلغه عن رجلٍ من أهل السُّلطانِ أنه يَعْرِضُ ضَيْعَةً له بواسطَ في مَغْرَم لزِمه للخليفةِ ، فحمَل وكيلًا له على بَغْل وأتْرَع له خُرجاً بدنانيرَ وقال له : اذهبْ إلى واسطَ فاشترِ هذه الضيعةَ المَعروضة ، فإنْ كفاك ما في هذا الخرج ، وإلاّ فاكتب إليّ أمِدّك بالمال .

فخرج ، فلما أصحر عن البيوت[1] ، لحق به أعرابيّ راكبٌ على حمار معه قَوسٌ وكِنانة ، فقال له : إلى أين تتوجّه ؟

فقال : إلى واسطَ .

قال : فهل لك في الصُّحبة ؟

قال : نعم .

فسارا حتى فوّزا[2] ، فعنّتْ لهما ظِباء ، فقال له الأعرابيّ : أي هذه الظباء أحبُّ إليك ، المتقدّم منها أم المتأخّر

---

[1] أصحر عن البيوت : تركها وصار في الخلاء .

[2] فوزا : دخلا المفازة .

فأزكّيَه[1] لك ؟

قال له : المتقدِّم .

فرماه فَخَرَّمه بالسهم فاقتنصه ، فاشتَوَيا وأكلا ، فاغتبط الرجلُ بصُحْبة الأعرابيّ ، ثم عنّت لهما زُفّة[2] قَطا ، فقال : أيُّها تريدُ فأصرعَها لك ؟

فأشار إلى واحدة منها ؛ فرماها فأقْصَدها ، ثم اشتَويا وأكلا . فلما انقضى طعامُهما فوّقَ له الاعرابيّ سهماً ثم قال له: أين تريد أن أصيبك ؟

فقال له : اتّقِ الله عز وجل واحفظ ذِمامَ الصُّحبة .

قال : لا بدّ منه .

قال له : اتّقِ الله ربَّك واستَبقني ، ودونك البغل والخُرج فإنه مُترعٌ مالاً .

قال : فاخلع ثيابك .

فانسلخ من ثيابِه ثوباً ثوباً حتى بَقي مجرّداً .

قال له : اخلع أمواقَك[3] .

وكان لابساً خُفّين مُطابَقين[4] ؛ فقال له : اتّقِ الله في

---

١ أزكيه : أرميه بالسهم فأجعله مزكى يحل أكله .

٢ الزفة : الزمرة .

٣ الامواق ، واحدها موق : خف غليظ يلبس فوق الخف .

٤ مطابقين : لبس أحدهما فوق الآخر .

ودَع لي الخُفّين أتبلّغ بهما من الحر ، فإن الرَّمضاء تحرق قدمي .

قال : لا بدّ منه .

قال : فدونَك الخُفّ فأخلعه .

فلمّا تناولَ الخُفّ ، ذكر الرجلُ خنجراً كان معه في الخُفّ ، فاستخرجه ثم ضرب به صدرَه فشقّه إلى عانته ، وقال له : الاستقصاء فُرقة . فذهبت مثلاً . وكان هذا الأعرابيّ من رُماة الحَدَق[1] .

•

وحدّثَ العُتْبيّ عن بعض أشياخه قال : كنت عند المُهاجر ابنِ عبدِ الله والي اليمامة ، فأتي بأعرابيّ كان معروفاً بالسَّرَق . فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك .

قال : عجائبي كثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لي بعيرٌ لا يُسْبَق ، وكانت لي خيلٌ لا تُلحَق ، فكنتُ أخرجُ فلا أرجعُ خائباً .

فخرجتُ يوماً فاحترشتُ ضبّاً[2] ، فعلّقتُه على قتبي ، ثم

---

[1] رماة الحدق : المهرة في الرماية .

[2] احترش الضب : صاده ، وذلك بأن يحرك يده على باب جحره ليظنه الضب حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه .

مررتُ بخِباءٍ ليس فيه إلاّ عجوز . فقلتُ : يجب أن يكون لهذه رائحة من غنم وإبل . فلما أمسيتُ إذا بإبلٍ وإذا شيخٌ عظيمُ البطن شَثْنُ الكفَّين[1] ومعه عبد أسود . فلمّا رآني رحّب بي ، ثم قام الى ناقة فاحتلبها ، وناولني العُلْبة[2] ، فشربتُ ما يشربُ الرجلُ ، فتناولَ الباقي فضَرب به جَبْهته[3] .

ثم احتلَبَ تِسعَ أينُق ، فشَرب ألبانَهن ، ثم نَحر حُواراً[4] فطبخَه ، فأكلتُ شيئاً ، وأكلَ الجميعَ حتى ألقى عِظامه بِيضاً ، وجثا على كُومةٍ وتوسَّدها ، ثم غطَّ غَطيط البَكْر .

فقلتُ : هذه والله الغنيمةُ ؛ ثم قمتُ الى فَحل إبله فخطَمتُه[5] ، ثم قرنتُه ببَعيري وصِحتُ به ، فاتّبعني واتّبعته الابلُ إرباباً به في قِطار[6] ، فصارت خَلْفي كأنها حَبْلٌ ممدود . فمضيتُ أبادر ثَنيَّة[7] بيني وبينها مسيرةُ ليلة للمُسرع ،

---

١ شثن الكفين : خشنهما غليظهما .

٢ العلبة : القدح الضخم .

٣ ضرب به جبهته : اي شربه كله .

٤ الحوار : ولد الناقة .

٥ خطمته : جعلت الخطام على انفه . والخطام : كل ما وضع في انف البعير ليقاد به .

٦ ارباباً به : تابعة اياه . في قطار : في صف .

٧ الثنية : الطريق في المراقي الصعبة من الجبال .

ولم أزل أضربُ بعيري مرّة بيدي ومرة برجلي حتى طلع الفجر، فأبصرتُ الثنيّةَ وإذا عليها سوادٌ، فلما دنوتُ منه، إذا الشيخُ قاعدٌ وقوسُهُ في حِجْره. فقال: أضيفنا؟

قلت: نعم.

قال: أتسخو نفسُكَ عن هذه الإبل؟

قلت: لا. فأخرجَ سهماً كأنه لِسان كلْب، ثم قال: انظُره بين أُذُني الضبّ المُعلّقِ في القتَب.

ثم رماه، فصَدع عَظْمه عن دِماغه، فقال لي: ما تقول؟

قلت: أنا على رأيي الأول.

قال: انظر هذا السهمَ الثاني في فِقْرة ظهره الوسْطى.

ثم رمى به فكأنما قدّره بيده. ثم قال: رأيَك؟

فقلت: إني أحِبُّ أن أستَثبِت.

قال: انظر هذا السهمَ الثالث في عُكْوة ذنبِه[1]، والرابع والله في بَطنك.

ثم رماه فلم يُخطىء العُكوة. قلت: أنزِلُ آمناً؟

قال: نعم.

فدفعتُ اليه خِطامَ فحْلِه وقلت: هذه إبلُك لم يذهب منها وَبَرة.

---

[1] عكوة الذنب: أصله.

وأنا أنظر متى يَرميني بسَهْم يَقصِد[1] به قلبي ! فلمّا تباعدت قال : أقبِل .

فأقبلت والله فَرَقاً من شرّه لا طمعاً في خيره .

فقال : مـا أحسِبُك تجشّمتَ الليلـةَ ما تجشّمت إلاّ من حاجة .

قلت : نعم .

قال : فاقرِنْ من هذه الابل بَعيرين وامض لِطيّتك .

قال قلتُ : أما والله لا أمضي حتى أُخبرك عن نفسِك ، فلا والله ما رأيتُ أعرابياً أشدّ ضِرْساً ، ولا أعدى رِجْلاً ، ولا أرمى يداً ، ولا أكرم عفواً ، ولا أسخى نفساً منك .

فصرَف وجهه عنّي حَياءً ، وقال : خُذِ الابـل برمّتِها مُباركاً لك فيها .

●

وقال النبيّ صلى الله عليـه وسلم : اركبوا وارموا . وأن تَرموا احبُّ اليّ من أن تركبوا .

وقال : كلُّ لَهْوِ المؤمن باطلٌ إلاّ في ثـلاث : تأديبِه فرَسَه ، ورَمْيِه عن كَبِدِ قوسه ، ومُلاعبتِه امرأته ، فإنه حقّ . إن الله ليُدخِلُ الجنّة بالسّهم الواحد : عامله المحتسِبَ ، والقويَّ به في سبيل الله ، أي والرامي به في سبيل الله .

●

---

[1] يقصد : ينتظم ، يصيب .

ورُوي عن عُقْبة بن عامر قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائمٌ على المِنْبَر : وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا إنّ القوة الرّميُ ، ألا إن القوة الرّميُ .

•

وكان أرمى أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سعدُ ابن أبي وقّاص ، لأنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا له ، فقال : اللهم سَدّد رَمْيَتَه ، وأجِب دعوتَه . فكان لا يُرَدُّ له دعاء ، ولا يَخِيب له سَهم .

•

وذَكر أسامةُ بن زيد أن شيوخاً من أسلمَ حدّثوه : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم وهم يرمون ببُطْحان[1] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارموا يا بني إسماعيل[2] ، فقد كان أبوكم رامياً ، وأنا مع ابن الأدرع . فتعدّى القومُ فقالوا : يا رسولَ الله ، من كنتَ معه فقد نَضَل[3] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارموا وأنا معكم كلكم .

---

١ بطحان : موضع بالمدينة .

٢ اسماعيل : هو ابن يعقوب ، جد العرب المستعربة .

٣ نضل : غلب في المناضلة ، وهي المراماة .

فانتضلوا ذلك اليومَ ثم رجعوا بالسَّواء ليس لأحدٍ على أحد منهم فَضْل .

•

وقال عمر : ائتزروا وارتـدوا ، وانتعلوا واحتفُوا ، وارموا الأغراضَ ، وألقوا الرُّكُبَ[1] ، وانزوا[2] على الخيل نَزْواً ، وعليـكم بالمَعَدّية ، أو قال بالعربية ، ودعوا التنعّمَ وزِيَّ العَجم .

•

وقال أيضاً : لن تَخورَ قُواكم ما نَزَوتم ونَزعتم[3] .

•

وجنى قومٌ من أهل اليمامةِ جنايةً ، فأرسلَ السلطانُ إليهم جُنداً من محاربة ابن زياد[4] . فقام رجل من أهل البادية يُذَمِّرُ[5] أصحابه ، فقال : يا معشر العرب ، ويا بني المُحصَنات ، قاتِلوا عن أحسابِكم وأنسابِـكم ، فواللهِ إنْ ظهر هؤلاء عليـكم لا

---

١ الركب ، واحدها ركاب : ما يعلق في السرج فيجعل الراكب فيه رجله .

٢ انزوا : اقفزوا .

٣ اراد ما نزوتم على ظهور الخيل ، وما نزعتم بالقسي .

٤ ابن زياد : عبيد الله بن زياد ابن أبيه . ومحاربته : ألفا عبد أتى بهم من بخارى حين استولى عليها من ملكتها خاتون ، وكانوا جيدي الرمي بالنشاب .

٥ يذمر : يحض ويشجع .

يَدَعون بها لَبِنةً حمراء ، ولا نخلةً خضراء ، إلاّ وضعوها بالأرض ، ولاعتراكم من نُشّابٍ معهم في جِعاب ، ينزعون في قِسيٍّ كأنها الغُبُط[1] ، تَئِطّ[2] إحداهنّ أطيط الزُّرنوق[3] ، يَمَط[4] أحدهم فيها حتى يتفرّق شعر إبطَيْه ، ثم يُرسلُ نُشّابةً كأنها رِشاءٌ مُنقطِعٌ ، فما بين أحدكم وبين أن تَنْفَضِخ[5] عينه أو يَنصدِعَ قلبه منزلة .

فخلع قلوبَهم ، فطاروا رُعباً .

---

١ الغبط ، واحدها غبيط : الرحل الذي قتبه وأحناؤه واحدة ، يشبه القسي بالغبط في انساعها .

٢ تئط : تصوت .

٣ الزرنوق ، واحد الزرنوقين : منارتان تبنيان على رأس البئر من جانبيها فتوضع عليهما خشبة تعرض عليهما ثم تعلق فيها البكرة فيستقى بها .

٤ يمط : يغرق في مد قوسه .

٥ تنفضخ : تنفتح ، تنشق .

مشاورة المهدي لاهل بيته

في حرب خراسان

هذا ما تراجَع فيه المهديُّ ووزراؤه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حَرب خُراسان ، أيامَ تحاملَت عليهم العمّال وأعْنَفَت[1] ، فحملتهم الدالّةُ وما تقدّمَ لهم من المكانة ، على أن نكثوا بَيْعَتهم ، ونَقضوا مَوثِقَهم ، وطردوا العُمّال ، والتَوَوا بما عليهم من الخراج .

وحمَل المهديَّ ما يُحِبُّ من مصلحتهم ، ويكره من عَنَتِهم[2] ، على أن أقالَ عَثرتَهم ، واغتفرَ زلّتهم ، واحتمل دالّتهم ، تَطَوُّلاً بالفضل ، واتساعاً بالعفو ، وأخذاً بالحُجّة ، ورِفقاً بالسياسة ؛ ولذلك لم يزل ، مذ حمّله الله أعباء الخلافة وقلّده أمور الرعية ، رفيقاً بمَدار سلطانه ، بَصيراً بأهل زمانه ؛ باسطاً للمَعْدلة في رعيّته ، تسكن الى كنفه ، وتأنس بعفوه ، وتثق بحلمه ، فاذا وقعت الأقضية اللازمة ، والحقوق الواجبة ،

---

[1] اعنفت : اخذت الامر بشدة .

[2] عنتهم : فادم .

فليس عنده هَوادة ولا إغضاء ولا مُداهنة ، أثرة[1] للحق ، وقِياماً بالعدل ، وأخذاً بالحزم .

فدعا أهلَ خراسانَ الاغترارُ بحلمه ، والثقة بعفوه ، أن كسروا الخراج ، وطردوا العمّال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق ؛ ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار ، وخصومة بإقرار ، وتنصّلاً باعتلال .

فلما انتهى ذلك الى المهديّ خرج الى مجلس خلائه ، وبعث الى نَفَر من لُحمته[2] ووزرائه ، فأعلمهم الحالَ ، واستنصحهم للرعية ؛ ثم أمر الموالِيَ بالابتداء ، وقال للعباس بن محمد[3] : أي عمّ ، تعقّبْ قولنا ، وكن حكماً بيننا .

وأرسل الى ولديه موسى وهارون فأحضرهما الأمرَ ، وشاركهما في الرأي ، وأمر محمدَ بنَ الليث بحِفظِ مُراجعتِهم ، وإثباتِ مقالتِهم في كتاب .

فقال سلاّم صاحبُ دارِ المظالم : أيّها المهديُّ ، إنّ في كل أمر غايةً ، ولكل قوم صناعةً ، استفرغتْ رأيَهم ، واستغرقتْ أشغالَهم ، واستنفدتْ أعمارَهم ، وذهبوا بها وذهبتْ بهم ، وعُرفوا بها وعُرفت بهم ؛ ولهذه الأمورِ التي

---

١ اثرة : اختياراً .

٢ اللحمة : القرابة .

٣ هو العباس بن محمد اخو المنصور .

جَعَلْتَنا فيها غايةً ، وطلبتَ مَعونَتَنا عليها ، أقوامٌ من أبناء الحربِ ، وساسةِ الأمورِ ، وقادةِ الجُنود ، وفرسانِ الهَزاهز[1] ، وإخوانِ التجاربِ ، وأبطالِ الوقائعِ ، الذين رشَحَتْهم سِجالُها[2] ، وفيّأتهم ظِلالُها ، وعضّتهم شدائدُها ، وقرّمتْهم نواجذُها[3] . فلو عَجَمْتَ ما قِبَلَهم ، وكشفتَ ما عندهم ، لوجدتَ نظائرَ[4] تُؤيّدُ أمرَك ، وتجاربَ توافقُ نظرَك ، وأحاديثَ تُقوّي قلبَك ؛ فأما نحن ، معاشرَ عُمّالِك ، وأصحابَ دواوينِك ، فحَسَنٌ بنا وكثيرٌ منّا ، أن نقومَ بِثِقْلِ ما حمّلتنا من عملِك ، واستودعتنا من أماناتِك ، وشغلتَنا به من إمضاءِ عَدْلِك ، وإنفاذِ حُكمِك ، وإظهارِ حقِّك .

فأجابه المهدي : إن في كل قوم حِكمةً ، ولكلِّ زمان سياسةً ، وفي كل حالٍ تدبيراً يُبطِلُ الآخِرُ الأولَ ، ونحن أعلمُ بزمانِنا وتدبيرِ سُلطانِنا .

---

١ الهزاهز : الفتن والحروب .

٢ السجال ، واحدها سجل : الدلو . والحرب السجال ان تكون تارة لقوم وتارة عليهم .

٣ قرمتهم : اكلتهم . نواجذها ، واحدها ناجذ : وهو أقصى الاضراس .

٤ النظائر ، واحدها نظير : المثل والمساوي ، والمراد لوجدت امثالا لما تريد الكشف عنه .

قال : نعم ، أيها المهدي ، أنت مُتَّسِعُ الرأي ، وَثِيقُ العُقْدَةِ ، قويُّ المُنَّةِ ، بليغُ الفِطْنَةِ ، مَعْصومُ النِّيَّةِ ، مَحضورُ الرَّوِيَّةِ ، مُؤَيَّدُ البَدِيهةِ ، مُوفَّقُ العزيمةِ ، مُعانٌ بالظَّفَرِ ، مَهديٌّ إلى الخيرِ ؛ إن هَمَمْتَ ففي عَزْمِكَ مواقعُ الظَّنِّ ، وإن أجمعتَ صَدَعَ فِعلُكَ مُلتبِسَ الشكِّ[1] ؛ فاعزم يَهْدِ اللهُ إلى الصوابِ قَلْبَكَ ، وقُلْ يُنْطِقِ اللهُ بالحقِّ لسانَكَ ، فإن جُنُودَكَ جَمَّةٌ ، وخزائنَكَ عامرةٌ ، ونفسَكَ سخيَّةٌ ، وأمرَكَ نافذٌ .

فأجابه المهدي : إنَّ المُشاورةَ والمُناظرةَ بابا رحمةٍ ، ومِفتاحا بركةٍ ، لا يَهْلِكُ عليهما رأيٌ ، ولا يَتَفَيَّلُ[2] معهما حَزْمٌ ، فأشيروا برأيِكم ، وقولوا بما يَحضُرُكم ، فإني من ورائِكم ، وتوفيقُ اللهِ من وراءِ ذلك .

قال الرَّبيعُ[3] : أيها المهديَّ ، إنَّ تصاريفَ وجوهِ الرأي كثيرةٌ ، وإن الاشارةَ ببعضِ مَعاريضِ القولِ[4] يسيرةٌ ، ولكنَّ خراسانَ أرضٌ بعيدةُ المسافةِ ، مُتراخيةُ الشُّقَّةِ ،

---

١ صدع ملتبس الشك : بينه واوضحه .

٢ لا يتفيل : لا يضعف .

٣ هو الربيع بن يونس .

٤ معاريض القول : ما عرض به ولم يصرح .

مُتفاوتةُ السُّبُلِ ، فإذا ارتأيتَ من مُحكَمِ التدبيرِ ، ومُبْرَمِ التقديرِ ، ولُبابِ الصوابِ ، رأياً قد أحكمَهُ نظرُكَ ، وقلَّبَهُ تدبيرُكَ ، فليسَ وراءَهُ مذهبٌ لحُجّةِ طاعنٍ ، ولا دونَهُ مَعْلَقٌ[1] لخُصومةِ عائبٍ ؛ ثم خبَّتِ البُرُدُ[2] بهِ ، وانطوتِ الرُّسلُ عليهِ ، كان بالحَرَى أن لا يصلَ إليهم مُحكَمُهُ ، إلا وقد حدَثَ منهم ما يَنقُضُهُ ، فما أيسرَ أن ترجِعَ إليكَ الرُّسلُ ، وتَرِدَ عليكَ الكتبُ بحقائقِ أخبارِهم ، وشواردِ آثارِهم ، ومَصادرِ أمورِهم ، فتُحدِثُ رأياً غيرَهُ ، وتبتدِعُ تدبيراً سواه ، وقد انفرجتِ الحَلَقُ ، وتحلَّلتِ العُقَدُ ، واسترْخى الحِقابُ[3] ، وامتدَّ الزمانُ . ثم لعلَّما موقِعُ الآخرةِ كمَصْدرِ الأولى .

ولكن الرأيَ لكَ أيها المهدي ، وفقَّكَ الله ، أن تَصرِفَ إجالةَ النظرِ ، وتَقليبَ الفكرِ ، فيما جمَعْتَنا له ، واستشرتَنا فيه ، من التدبيرِ لحَرْبِهم ، والحِيَلِ في أمرِهم ، إلى الطلبِ لرجُلٍ ذي دينٍ فاضلٍ ، وعقلٍ كاملٍ ، وورَعٍ واسعٍ ، ليس موصوفاً بهوًى في سواكَ ، ولا مُتَّهَماً في أثَرَةٍ عليكَ ، ولا

١ معلق : موضع تعلق به اي تتمسك به خصومة العائب .

٢ خبت : أسرعت . البرد ، واحدها بريد : الرسول .

٣ الحقاب : شيء تعلق به المرأة الحلي وتشده في وسطها .

ظَنيناً[1] على دُخلة[2] مكروهة ، ولا مَنْسوباً إلى بِدْعة محظورة ، فيَقدحَ في ملكِك ، ويُرَبِّضَ[3] الأمورَ لغيرك ، ثم تُسنِدُ إليه أمورَهم ، وتُفوِّضُ إليه حَربهم ، وتأمرُه في عهدِك ووصيّتك إياه ، بلزومِ أمرك ما لَزِمه الحَزمُ ، وخلافِ نَهْيِك إذا خالفه الرأيُ ، عند استحالة الأمور ، واستدارة الأحوال ، التي يَنْقَضُ أمرُ الغائب عنها ، ويثبُتُ رأيُ الشاهدِ لها ، فإنه إذا فعلَ ذلك فواتَبَ أمرَهم من قريبٍ ، وسقطَ عنه ما يأتي من بعيدٍ ، تَمّتِ الحيلةُ ، وقويتِ المَكيدةُ ، ونَفَذ العملُ ، وأحِدَّ النظرُ ؛ إن شاء الله .

قال الفضل بن العبّاس : أيها المهديّ ، إنّ وليّ الأمور ، وسائسَ الحروبِ ، ربما جنّد جنوده ، وفرّق أمواله ، في غير ما ضيقِ أمرٍ حزَبه[4] ، ولا ضغْطةِ حالٍ اضطرّته ، فيقعُدُ عند الحاجةِ إليها ، وبعد التّفرقةِ لها ، عَديماً منها ، فاقداً لها ، لا يَثِقُ بقوّةٍ ، ولا يصولُ بعُدّةٍ ، ولا يفزَعُ إلى ثقةٍ ؛ فالرأيُ لك أيها المهديُ ، وفّقك الله ، أن تُعفِيَ خزائنَك من

---

١ الظنين : المتهم .

٢ الدخلة : المذهب .

٣ يربض : يثبت .

٤ حزبه : اشتد عليه .

الانفاقِ للأموالِ ، وجنودَك من مكابدةِ الأسفارِ ، ومقارعةِ الأخطارِ ، وتغريرِ القتالِ ، ولا تسرعْ للقومِ في الاجابةِ الى ما يطلبون ، والاعطاءِ لما يسألون ، فيفسدَ عليك أدبُهم ، وتجرّيء من رعيتِك غيرَهم ؛ ولكن اغزُهم بالحيلةِ ، وقاتِلهم بالمكيدةِ ، وصارِعهم باللّينِ ، وخاتِلهم بالرفقِ ، وأبرِقْ لهم بالقولِ ، وأرْعِد نحوَهم بالفعل ، وابعثِ البُعوثَ ، وجنّدِ الجنودَ ، وكتّبِ الكتائبَ ، واعقِد الألويةَ ، وانصُب الراياتِ ، وأظهِر أنك موجِّه إليهم الجيوشَ ، مع أحنقِ قوّادِك عليهم ، وأسوإهم أثراً فيهم .

ثم ادسُسِ الرسلَ ، وابثُثِ الكتبَ ، وضَع بعضَهم على طمع من وعدِك ، وبعضاً على خوفٍ من وعيدِك ، وأوقد بذلك وأشباهِه نيرانَ التحاسُدِ فيهم ، واغرِس اشجارَ التنافُسِ بينهم ، حتى تملأ القلوبُ من الوَحشةِ ، وتنطويَ الصدورُ على البغضَةِ ، ويدخلَ كلاً من كلٍّ الحذرُ والهيبة ، فإن مرامَ الظفرِ بالغيلةِ ، والقتالَ بالحيلةِ ، والمناصبةَ بالكتب ، والمكايدةَ بالرسلِ ، والمقارعةَ بالكلام اللطيفِ المدخلِ في القلوبِ ، القويّ الموقعِ من النفوسِ ، المعقودِ بالحججِ ، الموصولِ بالحيَلِ ، المبنيّ على اللّينِ ، الذي يستلبُ العقولَ ، ويسترِقُ القلوبَ ، ويسبي الآراء ، ويستميلُ الأهواءَ ،

ويستدعي المُواتاة[1]، أنفذُ من القتالِ بظُبُاتِ السيوفِ وأسنّة الرماحِ.

كما أن الواليَ الذي يستنزِلُ طاعةَ رعيّتِه بالحِيَل، ويُفرّقُ كلمةَ عدوه بالمُكايدةِ، أحكمُ عملاً، وألطف نظراً، وأحسنُ سياسةً من الذي لا ينالُ ذلك إلا بالقتال، وإتلافِ الأموالِ، والتغريرِ والخِطارِ[2]. وليعلم المهديّ أنه إن وجّه لقتالِهم رجلاً، لم يسِرْ لقتالهم إلاّ بجنودٍ كثيفة تخرُجُ عن حالٍ شديدة، وتُقدِمُ على أسفارٍ صَعْبة، وأموال متفرّقة، وقُوّاد غَشَشَة، إن ائتمَنَهم استنفدوا ماله، وإن استنصَحَهم كانوا عليه لا له.

قال المهدي: هذا رأي قد أسفرَ نُوره، وبرق ضَوؤه، وتَمثّل صوابه للعيونِ، وتجسد حقه في القلوب. ولكنْ فوق كل ذي عِلْمٍ عليمٌ. ثم نظر الى ابنه عليّ، فقال: ما تقول؟

قال عليّ: أيها المهدي، ان أهل خُراسان لم يخلعوا من طاعتك يداً، ولم يَنصبوا من دونك أحداً يَكْدَحُ في تغيير مُلكك، ويُربّض الأمورَ لفسادِ دولتِك، ولو فعلوا لكان الخطب أيسر، والشأن أصغر، والحال أذلّ، لأن الله مع حقه الذي لا يخذُله، وعند موعده الذي لا يُخلفُه.

---

[1] المواتاة: الموافقة.

[2] الخطار: المخاطرة.

ولكنهم قومٌ من رعيّتك ، وطائفةٌ من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدلَ بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبتَ إلى دعوتهم ، ونفّست عنهم قبل أن تتلاحم منهم حالٌ ، أو يحدثَ من عندهم فتْقٌ[1] ، أطعتَ أمر الربّ ، وأطفأتَ نائرة الحرب[2] ، ووفّرت خزائن المال ، وطرحت تغرير القتال ، وحمل الناس محْمل ذلك على طبيعةِ جودك ، وسجيّة حلمك ، وإسجاح[3] خليقتك ، ومعدلة نظرك ، فأمنت أن تُنْسَب الى ضعف ، وأن يكون ذلك لهم فيما بقي دُربةٌ .

وان منعتهم ما طلبوا ، ولم تجبهم الى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويْتهم في ميدان الخطاب . فما أرب المهدي أن يعمد الى طائفةٍ من رعيته ، مقرّين بمَمْلكته ، مذعنين لطاعته ، لا يُخرجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يبرّئونها من عبوديته ، فيملّكهم أنفسهم ، ويخلعَ نفسه عنهم ، ويقفَ على الجدَل معهم ، ثم يُجازيَهم السوء في جدّ المقارعةِ ، ومضمار المخاطرة ؟

أيريد المهدي ، وفّقه الله ، الأموال ؟ فلعمري لا ينالها ولا

---

١ الفتق : شق عصا الطاعة .

٢ نائرة الحرب : ما اشتعل منها واتقد .

٣ الاسجاح : حسن العفو .

يظفر بها إلا بإنفاق أكثرَ مما يَطلب منهم، وأضعافِ ما يدّعي قِبَلهم؛ ولو نالها فحُملت اليه، ووضعت بخرائطها[١] بين يديه، ثم تجافى لهم عنها، وطال عليهم[٢] بها، لكان ذلك مما اليه يُنسب، وبه يُعرفُ، من الجودِ الذي طبعه الله عليه، وجعل قرّةَ عينه ونهمةَ نفسه[٣] فيه.

فإن قال المهدي: هذا رأي مستقيم سديدٌ في أهل الخراج الذين شكوا ظلمَ عمّالنا، وتحاملَ ولاتنا؛ فأما الجنود الذين نقضوا مواثيقَ العهود، وأنطقوا لسانَ الارجاف[٤]، وفتحوا باب المعصية، وكسروا قيْد الفتنة، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالاً لغيرهم، وعظة لسواهم؛ فيعلمُ المهديُّ: أنه لو أُتي بهم مغلولين في الحديد، مقرّنين في الأصفاد[٥]، ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه، ولاقالة عثرتهم صفحه، واستبقاهم لما هم فيه من حربه، أو لمن بإزائهم من عدوّه، لما كان بِدعاً من رأيه، ولا مستنكَراً من نظَره.

---

١ الخرائط، واحدتها خريطة: وعاء من أدم وغيره يشد على ما فيه.
٢ طال عليهم: أنعم عليهم.
٣ نهمة النفس: حاجتها وشهوتها.
٤ الارجاف: الخوض في أخبار الفتن لايقاع الاضطراب في الناس من غير ان يصح عندهم شيء.
٥ الأصفاد: القيود، واحدها صفد.

لقد علِمَت العربُ أنه أعظمُ الخلفاء والملوك عفواً ، وأشدُّها وقعاً ، وأصدقُها صَولة ، وأنه لا يتعاظمُه عفوٌ ، ولا يتكاءده[1] صفحٌ ، وإن عظُم الذنبُ ، وجلَّ الخطبُ ، فالرأي للمهديِّ ، وفّقه الله تعالى ، أن يَحُلَّ عُقدةَ الغيظِ بالرجاء لحُسن ثواب الله في العفو عنهم ، وأن يذكُرَ أولى حالاتهم ، وضَيْعةَ عيالاتهم ، بِرّاً بهم[2] ، وتوسُّعاً لهم ، فإنهم إخوان دولته ، وأركان دعوته ، وأساس حقّه ، الذين بعِزّتهم يصولُ ، وبحُجّتهم يقول .

وإنما مَثَلُهم فيما دخلوا فيه من مَساخِطه ، وتعرّضوا له من معاصيه ، وانطوَوا فيه عن إجابته ، ومَثَلُه في قِلَّةِ ما غيَّرَ ذلك من رأيه فيهم ، أو نقَلَ من حاله لهم ، او تغيُّر من نعمته عليهم ، كمَثَل رجلين أخوين مُتناصرَين مُتوازرَين ، أصاب أحدَهما خَبلٌ عارضٌ ، ولَمَمٌ[3] حادِثٌ ، فنهض الى اخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزد ذلك أخاه إلاّ رِقّةً له ولطفاً به ، واحتيالاً لمداواة مرَضِه ، ومراجعة حاله ، عَطفاً عليه ، وبِرّاً به ، ومرحمةً له .

---

١ يتكاءده : يشق عليه .

٢ براً بهم : احساناً لمعاملتهم .

٣ اللمم : طرف من الجنون يلم بالانسان .

فقال المهدي : أما عليّ فقد نوى سَمْتَ المَيان[١] ، وفَضَّ القلوبَ عن أهل خُراسان ، ولكل نبأ مستقرّ . ثم قال : ما ترى يا أبا محمد ؟ يعني موسى ابنه .

فقال موسى : أيها المهدي ، لا تسكن الى حلاوةِ ما يجري من القول على ألسنتِهم ، وأنتَ ترى الدماء تسيلُ من خلل فِعلهم . الحالُ من القوم تنادي بمُضمرةِ شرّ ، وخفيّةِ حقد ، قد جعلوا المعاذيرَ عليها سِتراً ، واتخذوا العِلل من دونها حجاباً ، رجاءَ أن يُدافعوا الأيامَ بالتأخير ، والأمورَ بالتطويل ، فيكسِروا حِيَلَ المهدي فيهم ، ويَثْنوا جنوده عنهم ، حتى يتلاحمَ أمرهم ، وتتلاحقَ مادّتهم ، وتستفحلَ حربهُم ، وتستمرَّ الأمور بهم ، والمهديُّ من قولهم في حالِ غِرّة ، ولِباسِ أَمَنةٍ ، قد فتَر لها ، وأَنِس بها ، وسكَنَ إليها ، ولولا ما اجتمعَت به قلوبهم ، وبرَدَت عليه جُلودُهم ، من المُناصبةِ بالقتال ، والاضمار للقِراع ، عن داعيةِ ضلالٍ ، أو شيطانِ فساد ، لرهِبوا عواقبَ أحوال الولاة ، وغِبَّ سكون الأمور .

فليشدُدِ المهديُّ ، وفّقه الله ، أزرَه لهم ، وليُكَتِّب كتائبه نحوهم ، وليَضع الأمر على أشد ما يحضُره فيهم ، وليُوقِنْ أنه لا يُعطيهم خُطة يُريد بها صلاحهم ، إلا كانت دُربةً لفسادِهم ،

---

١ السمت : الطريق . الميان : الملاينة .

وقوةً على معصيتهم ، وداعيةً الى عودتهم ، وسبباً لفساد من بحضرته من الجنود ، ومن ببابه من الوفود ، الذين إن أقرَّهم على تلك العادة ، وأجراهم على ذلك الأدب ، لم يبرح في فتق حادثٍ ، وخلافٍ حاضرٍ ، لا يصلحُ عليه دينٌ ، ولا تستقيمُ به دنيا .

وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدُّربة ، لم يصِل الى ذلك إلا بالعقوبة المُفرطة ، والمؤونة الشديدة .

والرأي للمهديّ ، وفقّه الله ، أن لا يُقبل عثرتَهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تَطأهم الجيوشُ ، وتأخذَهم السيوفُ ، ويستحِرّ بهم القتلُ ، ويُحدق بهم الموت ، ويُحيط بهم البلاء ، ويُطبِق عليهم الذُّلُّ ؛ فإن فعل المهديُّ بهم ذلك ، كان مَقطعة لكل عادةِ سوءٍ فيهم ، وهزيمةً لكل بادرةِ شرٍّ منهم ؛ واحتمالُ المهديّ مؤونة غزوتهم هذه يضع عنه مؤونة غزواتٍ كثيرة ، ونفقاتٍ عظيمة .

قال المهدي : قد قال القوم ، فاحكم يا أبا الفضل .

فقال العبّاس بن محمد : أيها المهديُّ ، أما الموالي فأخذوا بفروع الرأي ، وسلكوا جنبات الصواب ، وتعدّوا أموراً قَصّر نظرهم عنها لأنه لم تأتِ تجاربُهم عليها .

وأما الفضل فأشار بالأموالِ أن لا تُنفقَ ، والجنودِ أن لا

تفرّقَ ، وبأن لا يُعطى القومُ ما طلبوا ، ولا يُبذَلَ لهم ما سألوا ، وجاء بأمرٍ بين ذلك استصغاراً لأمرهم ، واستهانةَ بحربِهم ، وإنما يَهيج جسيماتِ الأمور صغارُها .

وأما عليّ فأشار باللّين وإفراط الرفق . وإذا جرّد الوالي لمن غمطَ أمرَه ، وسَفِهَ[1] حقّه ، اللينَ بحتاً ، والخيرَ محضاً ، لم يخلطهما بشدةٍ تعطِفُ القلوبَ على لينه ، ولا بشرّ يحيشُهم[2] الى خيره ؛ فقد ملّكهم الخلعَ لعُذُرِهم[3] ، ووسّع لهم الفُرجة لثَني أعناقِهم[4] ؛ فإن أجابوا دعوته ، وقبلوا لينه من غير خوف اضطرّهم ، ولا شدةٍ حالٍ أحرجتهم ، لم يزل ذلك يَهيجُ عِزّةً في نفوسهم ، ونَزوةً في رؤوسهم ، يستدعون بها البلاء الى أنفسهم ، ويصرفون بها رأي المهديّ فيهم ، وإن لم يقبلوا دعوتَه ، ويُسرعوا لاجابته ، باللين المحض ، والخير الصُراح ، ذلك ما عليه الظنُّ بهم ، والرأيُ فيهم ، وما قد يُشبه أن يكونَ من مثلهم ؛ لأنّ الله تعالى خلق الجنّة وجعل فيها من النعيم المُقيم ، والمُلك الكبير ، ما لا يخطُرُ على قلب بشر ،

---

١ سفه : نسي .

٢ يحيشهم : يجعلهم يفزعون .

٣ العذر ، واحدها عذار : وهو ما سال من اللجام على خد الفرس . وخلع العذار : هو ان يقول الانسان ويفعل ما يريد ولا يبالي .

٤ لثني اعناقهم : لتكبرهم .

ولا تُدرِكُهُ الفِكَرُ ، ولا تعلمُه نفسٌ ، ثم دعا الناسَ إليها ، ورغّبهم فيها ، فلولا أنه خلَق ناراً جعلها لهم رحمةً يسوقُهم بها الى الجنةِ ، لمَا أجابوا ولا قَبِلوا .

وأما موسى فأشار بأن يُعْصَبوا[1] بشِدّةٍ لا لينَ فيها ، وأن يُرمَوا بشرٍّ لا خيرَ معه ، وإذا أضمر الوالي لمن فارق طاعتَه ، وخالف جماعتَه ، الخوفَ مُفرداً ، والشرَّ مجرَّداً ، ليس معهما طمعٌ يكسِرهم ، ولا لينٌ يَثنيهم ، امتدَّت الأمور بهم ، وانقطعت الحالُ منهم ، الى أحد أمرين : إما أن تدخُلَهم الحميّةُ من الشدة ، والأنفةُ من الذِّلّة ، والامتعاضُ من القهر ، فيدعوهم ذلك الى التمادي في الخِلاف ، والاستبسال في القتال ، والاستسلام للموت ؛ وإما أن يَنقادوا بالكُره ، ويَذعِنوا بالقهر ، على بِغضةٍ لازمة ، وعداوةٍ باقية ، تورثُ النِّفاق ، وتُعقبُ الشقاق ، فاذا أمكنتهم فرصةٌ ، أو ثابَت لهم قُدرةٌ ، أو قويت لهم حالٌ ، عاد أمرهم الى أصعبَ وأغلظَ وأشدَّ مما كان .

وقال : في قول الفضل ، أيها المهديُّ ، أكفى دليلٍ ، وأوضحُ برهانٍ ، وأبيَنُ خبرٍ بانٍ ؛ قد اجتمع رأيُه ، وحزْمُ نظرِه على الإرشاد ببَعْثةِ الجيوشِ إليهم ، وتوجيهِ البعوثِ

---

[1] عصب الشيء : لواه وشده .

نحوهم، مع إعطائهم ما سألوا من الحق، وإجابتهم الى ما سألوا من العدل.

قال المهديُّ: ذلك رأي.

قال هارون: خلطتَ الشدّة أيها المهديُّ باللّين، فصارت الشدة أمرٌ فِطامٍ لما تكره، وعاد اللّينُ أهدى قائدٍ الى ما تُحِب، ولكني أرى غير ذلك.

قال المهدي: لقد قلتَ قولاً بديعاً[1]، خالفتَ به أهلَ بيتك جميعاً، والمرء مُتَّهَم بما قال، وظنين بما ادّعى، حتى يأتيَ ببيّنةٍ عادلة، وحُجّةٍ ظاهرة؛ فاخرج عما قلت.

قال هارون: أيها المهدي، إن الحربَ خُدعةٌ، والأعاجمَ قومٌ مَكَرةٌ، وربما اعتدلتِ الحال بهم، واتفقت الأهواء منهم، فكان باطنُ ما يُسِرّونَ على ظاهر ما يُعلِنون؛ وربما افترقتِ الحالان، وخالف القلبُ اللسانَ، فانطوى القلبُ على محجوبةٍ تُبْطَنُ، واستسرّ بمدخولةٍ لا تُعلَن. والطبيب الرفيق بطبّه، البصيرُ بأمره، العالمُ بِمُقدَّم يده[2]، وموضع ميسمه[3]، لا يتعجّل بالدواء، حتى يقع على معرفة الداء.

---

[1] البديع: المبتدع، الذي لا نظير له.

[2] مقدم يده: الموضع الذي يقدم الطبيب فيه يده من المريض.

[3] الميسم: المكواة.

فالرأي للمهدي ، وفّقه الله ، أن يفرّ[1] باطنَ أمرهم فَرّ المُسِنّة ، ويمخَضَ[2] ظاهرَ حالهم مخضَ السّقاء ، بمتابعة الكتب ، ومظاهرة الرسل ، وموالاة العيون ، حتى تُهتَك حُجب غيوبهم ، وتُكشف أغطية أمورهم .

فإن انكشفت الحال له ، وأفضت الأمور به ، الى تغيير حالٍ ، أو داعيةِ ضلالٍ ، اشتملتِ الأهواءُ عليه ، وانقاد الرجال إليه ، وامتدّتِ الأعناقُ نحوه ، بدينٍ يعتقدونه ، وإثمٍ يستحلّونه ، عصبَهم بشدّةٍ لا لينَ فيها ، ورماهم بعقوبةٍ لا عفوَ معها .

وإن انفرجتِ الغيوبُ ، واقتصرتِ السُّتورُ ، ورُفعتِ الحُجُبُ ، والحالُ فيهم مَريعةٌ[3] ، والأمور بهم معتدِلةٌ ، عن أرزاقٍ يطلبونها ، وأعمالٍ يُنكرونها ، وظُلاماتٍ يدّعونها ، وحقوقٍ يسألونها ، بماتّةٍ[4] سابقتِهم ، ودالّةِ مُناصحتِهم ، فالرأي للمهدي ، وفّقه الله ، أن يتّسعَ لهم بما طلبوا ، ويتجافى لهم عمّا كرهوا ، ويشعبَ من أمرهم ما صدَعوا ، ويرتُقَ من فتقهم ما فتَقوا ، ويولّي عليهم من أحبّوا ، ويداوي بذلك مرضَ

---

١ يفر : يختبر ، من فر الدابة ، اذا كشف عن اسنانها ليعرف سنها .

٢ يمخض : من مخض الرأي ، قلبه وتدبر عواقبه حتى ظهر له الصواب . ومخض اللبن في السقاء : استخرج زبده .

٣ مريعة : موفورة الرزق مخصبة .

٤ الماتة : الحرمة والقرابة .

قلوبِهم ، وفسادَ أمورِهم ، فإنما المهديّ وأمّته وسواد أهلِ مملكتِه ، بمنزلةِ الطبيبِ الرفيقِ ، والوالدِ الشفيقِ ، والراعي الحَدبِ[1] ، الذي يحتالُ لمَرابضِ غنمِه ، وضوالِّ رعيَّتِه ، حتى يُبرِىءَ المريضةَ من داءِ علَّتِها ، ويرُدَّ الضالّةَ إلى أُنسِ جماعتِها .

ثم إن خراسانَ بخاصةٍ لهم دالةٌ محمولةٌ ، ومانّةٌ مقبولةٌ ، ووسيلةٌ معروفةٌ ، وحقوقٌ واجبةٌ ، لأنهم أيدي دولتِه ، وسيوفُ دعوتِه ، وأنصارُ حقّه ، وأعوانُ عدلِه ؛ فليس من شأنِ المهدي : الاضطغانُ عليهم ، ولا المؤاخذةُ لهم ، ولا التوعُّرُ[2] بهم ، ولا المكافأةُ بإساءتهم ، لأنّ مبادرةَ حسْمِ الأمورِ ضعيفةٌ قبل أن تقوى ، ومحاولةَ قطعِ الأصول ضئيلةً قبلَ أن تغلُظ ، أحزمُ في الرأيِ ، وأصحُّ في التدبيرِ ، من التأخيرِ لها ، والتهاونِ بها ، حتى يلتئمَ قليلُها بكثيرِها ، وتجتمعَ أطرافُها إلى جُمهورِها .

قال المهدي : ما زالَ هارونُ يقعُ وقعَ الحيا ، حتى خرجَ خروجَ القِدْحِ بما قال ، وانسلّ انسلالَ السيفِ فيما ادّعى ، فدعُوا ما قد سبقَ موسى فيه أنه هو الرأيُ ، وثنّى بعده

---

١ الحدب : العطف .

٢ التوعر : التشدد .

هارون ، ولكنْ من لأعنّة الخيلِ ، وسياسةِ الحربِ ، وقادةِ الناسِ ، إن أمعنَ بهم اللّجاجُ، وافرطت بهمُ الدالّةُ ؟

قال صالح : لسنا نبلُغُ أيها المهديُّ بدوام البحثِ، وطولِ الفِكْرِ ، أدنى فراسةِ رأيكِ ، وبعضَ لحظاتِ نظرِكَ ، وليسَ ينفضُ عنكَ من بيوتاتِ العربِ ، ورجالاتِ العجَمِ ، ذو دينٍ فاضلٍ، ورأيٍ كاملٍ ، وتدبيرٍ قويٍّ ، تُقلّدُه حربَكَ ، وتستودِعُهُ جندَكَ ، ممن يحتمِلُ الأمانةَ العظيمةَ ، ويَضطلعُ بالأعباءِ الثقيلةِ ، وأنتَ بحمدِ الله ميمونُ النقيبةِ[1] ، مباركُ العزيمةِ ، مخبورُ التجاربِ ، محمودُ العواقبِ ، معصومُ العزْمِ ، فليسَ يقعُ اختيارُكَ ، ولا يَقفُ نظرُكَ ، على أحدٍ تولّيه أمرَكَ ، وتُسنِدُ إليه ثغرَكَ ، إلا أراكَ الله منه ما تُحبُّ ، وجمعَ لكَ منه ما تريد .

قال المهديّ : إني لأرجو ذلك لقديمِ عادةِ الله فيه ، وحسنِ معونتِه عليه ، ولكن أحبُّ الموافقة على الرأي ؛ والاعتبارَ بالمشاورةِ في الأمرِ المُهِم .

قال محمدُ بن الليث : أهلُ خراسانَ ، أيها المهدي ، قومٌ ذوو عِزّةٍ ومَنَعةٍ ، وشياطينُ خَدَعةٌ ، زُروعُ الحَميّةِ فيهم

---

١ ميمون النقيبة : محمود المختبر .

نابتةٌ ، وملابسُ الأنفةِ عليهم ظاهرةٌ ، فالرويّةُ عنهم عازبةٌ[1] ، والعجلةُ فيهم حاضرةٌ ، تسبقُ سيولُهم مطرَهم ، وسيوفُهم عذلَهم ، لأنهم بين سفلةٍ لا يعدو مبلغُ عقولِهم منظرَ عيونِهم ، وبين رؤساء لا يُلجمون إلا بالشدّة ، ولا يُفطمون إلا بالقهر ، وإن ولّى المهدي عليهم وضيعاً لم تنقد له العظماءُ ، وإن ولّى أمرَهم شريفاً تحاملَ على الضعفاء ، وإن أخّر المهديُّ أمرَهم ، ودافعَ حربَهم ، حتى يُصيبَ لنفسِه من حشمِه ومواليه ، أو بني عمّه أو بني أبيه ، ناصحاً يتّفقُ عليه أمرُهم ، وثقةً تجتمعُ له أملاؤهم[2] ، بلا أنفةٍ تلزمهم ، ولا حميّةٍ تدخلهم ، ولا عصبيّةٍ تنفّرهم ، تنفّستِ الأيام بهم ، وتراختِ الحال بأمرهم ، فدخل بذلك من الفسادِ الكبير ، والضّياع العظيم ، ما لا يتلافاه صاحبُ هذه الصّفة وإن جدّ ، ولا يستصلحه وإن جهد ، إلا بعد دهرٍ طويلٍ ، وشرٍّ كبيرٍ .

وليس المهدي ، وفّقه الله ، فاطماً عاداتهم ، ولا قارعاً صفاتهم ، بمثل أحدِ رجلينِ لا ثالث لهما ، ولا عِدْلَ في ذلك بهما : أحدهما لسانٌ ناطقٌ ، موصولٌ بسمعِك ، ويدٌ ممثّلةٌ لعينِك ، وصخرةٌ لا تزعزعُ ، وبُهمةٌ لا يُثنى ، وبازلٌ[3] لا يُفزعُه صوتُ

---

١ عازبة : غائبة .
٢ املاؤهم : جماعاتهم ، الواحد : ملأ .
٣ البازل : اراد به الرجل الكامل في تجربته .

الجُلجُل ، نقيُّ العِرْض ، نزيهُ النفسِ ، جليلُ الخطر ، قد اتَّضعتِ الدنيا عن قدرِه ، وسما نحو الآخرة بهِمَّتِه ، فجعلَ الغَرضَ الأقصى لعينِه نُصْباً ، والغرضَ الأدنى لقدمِه مَوطِئاً ، فليس يُغفِل عملًا ، ولا يتعدَّى أملًا ، وهو رأسُ مواليك ، وأنصحُ بني أبيك ، رجلٌ قد غُذّي بلطيف كرامتك ، ونبت في ظلِّ دولتك ، ونشأ على قويم أدبك .

فإن قلدته أمرهم ، وحمَّلته ثِقلهم ، وأسندت اليه ثغرهم ، كان قفلاً فتحه أمرُك ، وباباً أغلقه نهيُك ، فجعلَ العدلَ عليه وعليهم أميراً ، والانصافَ بينه وبينهم حاكماً ، وإذا حكَّم النَّصفة ، وسلك المَعْدلة ، فأعطاهم ما لهم ، وأخذ منهم ما عليهم ، غرس لك في الذي بين صدورهم ، وأسكنَ لك في السويداء داخلَ قلوبهم ، طاعةً راسخةَ العروقِ ، باسقةَ الفروع ، مُتمثّلةً في حواشي عوامّهم ، متمكنةً من قلوب خواصّهم ، فلا يبقى فِيهم رَيبٌ إلا نَفَوه ، ولا يلزمُهم حقٌّ إلا أدَّوه ، وهذا أحدهما .

والآخر عودٌ من غَيْضتِك ، ونبعةٌ من أرومتِك ، فتيُّ السِّنِّ ، كَهْلُ الحِلمِ ، راجحُ العقل ، محمودُ الصَّرامةِ ، مأمون الخلافِ ، يجرِّدُ فيهم سيفَه ، ويبسُطُ عليهم خيرَه ، بقدْرِ ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلانٌ أيها المهدي . فسلِّطه ، أعزَّك الله ، عليهم ، ووجِّهه بالجيوش اليهم ، ولا تمنعك

ضراعة سنّه[١] ، وحداثة مولده ، فإن الحلم والثقة مع الحداثة ، خيرٌ من الشكّ والجهل مع الكهولة ، وإنما أحداثكم، أهلَ البيت، فيما طبعكم الله عليه ، واختصّكم بـه ، من مكارم الاخـلاق ، ومحامِد الفِعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الانفس ، كفِراخ عتاق الطير[٢] المُحكمَةِ لأخذ الصيد بلا تدريبٍ ، والعارفةِ لوجوهِ النّفع بـلا تأديبٍ ، فالحِلمُ والعِلمُ والعَزمُ والحَزمُ والجودُ والتّؤدَةُ والرّفقُ ثابتٌ في صدوركم، مَزروعٌ في قلوبكم ، مُستحكِمٌ لكم ، متكامِلٌ عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائزَ ثابتة .

قال معاوية بن عبد الله : أفتاء[٣] أهل بيتك ، أيها المهدي ، في الحلم على ما ذُكِر ، وأهلُ خراسانَ في حال عِزّ على ما وُصف ؛ ولكن ان وَلّى المهديُّ عليهم رجلًا ليسَ بقديمِ الذّكرِ في الجُنودِ ، ولا بِنَبيهِ الصوتِ في الحُروب ، ولا بطويـل التجربةِ للأمورِ ، ولا بمعروفِ السياسةِ للجيوشِ ، والهيبةِ في الأعداءِ ، دخـلَ ذلك أمرانِ عظيمان ، وخطران مهولان ، أحدهما : أنّ الأعداءَ يغتمِزُونها[٤] منه ، ويحتقِرونها فيـه ،

---

١ ضراعة سنه : شبابه .

٢ عتاق الطير : كرامها .

٣ الأفتاء : جمع فتى .

٤ يغتمزونها : يستضعفونها .

ويجترئون بها عليه ، في النهوض به ، والمقارعة له ، والخلاف عليه ، قبل الاختبار لأمره ، والتكشف لحاله ، والعلم بطباعه . والأمر الآخر : أن الجنود التي يقودُ ، والجيوش التي يسوسُ ، إذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ، ولم يعرفوه بالصوت[1] والهيبة ، انكسرت شجاعتهم ، وماتت نجدتهم ، واستأخرت طاعتهم إلى حين اختبارهم ، ووقوع معرفتهم ، وربما وقع البوارُ قبل الاختبار .

وبباب المهدي ، وفّقه الله ، رجلٌ مهيبٌ نبيهٌ حنيكٌ[2] صيِّتٌ ، له نسبٌ زاكٍ ، وصوتٌ عالٍ ، قد قاد الجيوشَ ، وساسَ الحروبَ ، وتألّف أهلَ خراسانَ ، واجتمعوا عليه بالمِقَة[3] ، ووثقوا به كلّ الثقة ، فلو ولاّه المهديُّ أمرَهم ، لكفاه الله شرّهم .

قال المهدي : جانبتَ قصدَ الرميّة ، وأبيتَ إلا عصبيّةً ، إذ رأيُ الحَدَثِ من أهلِ بيتِنا ، كرأي عشرةِ حلماءَ من غيرِنا . ولكن أين تركتم وليّ العهدِ ؟

قالوا : لم يمنعنا من ذِكره إلا كونُه شبيهَ جدّه ، ونسيجَ

١ الصوت : الصيت .

٢ الحنيك : المحنك ، المجرب للامور .

٣ المقة : الحب .

وحَدِه ، ومن الدِّين وأهلـه ، بحيثُ يقصُرُ القولُ عن أدنى فضلِه ؛ ولكنَ وجدنا الله عزَّ وجل حجَبَ عن خَلقِه ، وستَرَ من دون عِبادِه ، عِلمَ ما تختلِفُ به الأيام ، ومعرفةَ ما تجري به المقاديرُ ، من حوادثِ الأمور ورَيبِ المَنونِ ، المختَرِمةِ[1] لخوالي القرون ، ومواضي الملوك ، فكرهنا شُسوعه[2] عن محلّةِ المُلك ، ودارِ السلطان ، ومقرِّ الإمامـة والولاية ، وموضعِ المدائنِ والخزائنِ ، ومستقرِّ الجنود ، وموضعِ الوجوه ، ومَجمعِ الأموال ، التي جعلها الله عزَّ وجلَّ قُطباً لمدار المُلك ، ومِصْيَدةً لقلوب الناس ، ومَثابـةً لإخوان الطمع ، وثُوّارِ الفِـتَن ، ودواعي البِـدَع ، وفُرسانِ الضّلال ، وأبناءِ المُروق[3] ، وقلنا : إن وجَّه المهدي وليَّ عهـده ، فحدَثَ في جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهدي أن يُعقِبه بغيره ، إلا أن ينهَضَ إليهم بنفسه ، وهذا خطرٌ عظيمٌ ، وهولٌ شديدٌ ، إن تنفَّست الأيام بمقامه ، واستدامت الحال بأيامـه ، حتى يقع عَرَضٌ لا يُستغنى فيه ، أو يحدُثَ أمرٌ لا بد فيه منه ، صار ما بعده ، مما هو أعظمُ هَولاً ، وأجلُّ خَطَراً ، له تَبعاً ، وبه متَّصِلاً .

---

[1] المخترمة : المهلكة .

[2] شسوعه : بعده .

[3] المروق : الخروج عن الطاعة .

قال المهديّ : الخطبُ أيسرُ مما تذهبون إليه ، وعلى غير ما تَصِفون الأمرَ عليه ؛ نحن ، أهلَ البيت ، نجري من أسباب القضايا ، ومواقع الأمور ، على سابقٍ من العلم ، ومحتومٍ من الأمر ، قد أنبأتْ به الكتبُ ، وتتابعَت عليه الرسلُ ، وقد تناهى ذلك بأجمعِهِ إلينا ، وتكاملَ بحذافيره عندنا ، فبه نُدبّر ، وعلى الله نتوكّلُ . إنه لا بدّ لوليّ عهدي ، ووليّ عهدي عَقِبي من بعدي ، أن يقودَ الى خُراسانَ البُعوثَ ، ويتوجّه نحوها بالجنود .

أمّا الأول فإنه يُقدّمُ إليهم رُسُلَه ، ويُعمِلُ فيهم حِيَله ، ثم يخرجُ نَشِطاً إليهم ، حَنِقاً عليهم ، يُريدُ أن لا يدعَ أحداً من إخوانِ الفِتَن ، ودواعي البِدَع ، وفُرسانِ الضّلال ، إلاّ توطّأه بحرّ القتل ، وألبَسه قِناعَ القهرِ ، وطوّقه طوقَ الذّلّ ؛ ولا أحداً من الذين عملوا في قصّ جَناح الفِتْنة ، وإخمادِ نار البِدعة ، ونُصْرةِ وُلاة الحقّ ، إلا أجرى عليه دِيَم فضلِه ، وجداولَ بَذله ؛ فإذا خرج مُزمِعاً له ، مُجمِعاً عليه ، لم يَسِرْ الا قليلا حتى يأتيَه أن قد عملَتْ حِيَلُه ، وكَدَحت كُتُبُه ، ونفذت مكايدُه ؛ فهدأتْ نافرةُ القلوبِ ، ووقَعت طائرةُ الأهواء[١] ، واجتمع عليه المُختلفون بالرّضا ،

---

١ وقعت طائرة الأهواء : خمد غضبها وسكنت ثائرتها .

فيَميل نظراً لهم ، وبِرّاً بهم ، وتعطّفاً عليهم ، الى عدوٍّ قد أخاف سبيلَهم ، وقطَع طريقَهم ، ومنع حجّاجَهم بيتَ الله الحرام ، وسلَبَ تجّارَهم رزقَ الله الحلال .

وأما الآخر فإنه يوجّه إليهم من يعتقدُ له الحُجّةَ عليهم بإعطاء ما يَطلبون ، وبَذلِ ما يسألون ، فإذا سَمحت الفِرَق بقِرانها[1] له ، وجنَح أهلُ النّواحي بأعناقِهم نحوه ، فأصغَتْ إليه الأفئدة ، واجتمَعت له الكلمة ، وقدِمَت عليه الوفود ، قصَد لأوّل ناحية بخِعَت بطاعتِها[2] ، وألقَت بأزمّتها ، فألبَسها جَناحَ نِعمَتِه ، وأنزلها ظِلَّ كرامتِه ، وخصّها بعظيم حِبائه ، ثم عَمَّ الجماعةَ بالمَعدَلة ، وتعطّفَ عليهم بالرّحمة ، فلا تبقى فيهم ناحيةٌ دانيةٌ ، ولا فِرقةٌ قاصيةٌ ، إلا دخلت عليها بركتُه ، ووصلت إليها مَنفعتُه ، فأغنى فقيرَها ، وجبر كسيرَها ، ورفَع وضيعَها ، وزاد رفيعَها ، ما خلا ناحيتين : ناحيةٌ يغلِبُ عليهم الشقاء ، وتستميلُهم الأهواء ، فتستخِفُّ بدعوته ، وتُبطىء عن إجابته ، وتتثاقلُ عن حقّه ، فتكونُ آخرَ من يَبعثُ ، وأبطأ من يُوجِّه ، فيضطمر[3] عليها مَوجِدةً ، ويبتغي لها عِلّةً ، لا

---

١ القران : الحبل يقلد ويقاد به .

٢ بخعت بطاعتها : أقرت بها .

٣ يضطمر : يضمر في نفسه ويخفي .

يلبثُ أن يجدَها بحقٍّ يلزمهم، وأمرٍ يجبُ عليهم، فتَستلحِمُهم الجيوش، وتأكلهم السيوف، ويستحِرُ فيهم القتل، ويُحيط بهم الأمر، ويُفْنيهم التتبُّع، حتى يُخرِّب البلاد، ويُوتِمَ الأولاد.

وناحيةٌ لا يبسُطُ لهم أماناً، ولا يقبلُ لهم عهداً، ولا يجعل لهم ذِمَّة، لأنهم أول من فتح باب الفُرقة، وتدرَّعَ جِلبابَ الفِتْنة. وربَضَ في شَقِّ العصا، ولكنه يقتل أعلامَهم، ويأسِرُ قُوَّادَهم، ويطلُبُ هُرَّابَهم، في لُجج البحار، وقُلل الجِبال، وخَمَرِ[1] الأودية، وبطون الأرض، تَقْتيلاً وتَغْليلاً وتَنْكيلاً، حتى يدعَ الدِّيارَ خراباً، والنساءَ أيامى، وهذا أمر لا نَعْرِفُ له في كتبِنا وقتاً، ولا نصحِّحُ منه غيرَ ما قلنا تفسيراً.

وأما موسى وليُّ عهدي، فهذا أوانُ توجّهه الى خُراسان، وحلوله بجُرجان، وما قضى الله له من الشُّخوص إليها، والمُقام فيها، خيرٌ للمسلمين مَغَبَّةً وله، بإذنِ الله، عاقبةً من المُقام بحيث يَغْمُرُ في لُجَج بُحورنا، ومدافع سيولِنا، ومجامع أمواجنا، فيتصاغرُ عظيمُ فضله، ويتذَأَّبُ[2] مَشرقُ نوره،

---

[1] الخمر : ما واراك من شجر .
[2] يتذأب : يضطرب .

وينتقلُ كثيرُ ما هو كائنٌ منه ؛ فمن يَصحَبُه من الوزراء، ومن يُختارُ له من الناس ؟

قال محمد بن الليث : أيها المهدي ، إن وليّ عهدِك أصبح لأمّتِك وأهلِ مِلّتِك عَلَماً قد تثنّت نحوه أعناقُها ، ومُدّت سمتَه أبصارُها ، وقد كان لقُربِ دارِه منك ، ومحلّ جِوارِه لك : عُطّلَ الحالِ ، غُفْلَ الأمرِ ، واسعَ العُذرِ ؛ فأما إذا انفردَ بنفسه ، وخلا بنظره ، وصار الى تدبيره ، فإنّ من شأن العامة ، وأمراء الأمة ، أن تتفقد مخارجَ رأيه ، وتستنصتَ لمواقعِ آثارِه ، وتسألَ عن حوادثِ أحواله ، في برّه ومرحمته ، وإقساطِه ومَعْدَلتِه ، وتدبيرِه وسياستِه ، ووزرائِه وأصحابِه ، ثم يكونُ ما سبَقَ إليهم ، أغلبَ الأشياء عليهم ، وأملكَ الأمور بهم ، وألزمَها لقلوبهم ، وأشدَّها استمالةً لرأيهم ، وعطفاً لأهوائهم ؛ فلا يفتأ المهدي ، وفّقه الله ، ناظراً له فيما يقوّي عمدَ مملكتِه ، ويُسدّدُ أركانَ ولايتِه ، ويَستجمعُ رضا أمّتِه ، بأمرٍ هو أزينُ لحالِه ، وأظهرُ لجمالِه ، وأفضلُ مغبّةً لأمره ، وأجلُّ موقعاً في قلوب رعيّتِه ، وأحمدُ حالاً في نفوس أهل مِلّتِه ؛ ولا أوقعَ مع ذلك باستجماع الأهواء له ، وأبلغَ في استعطافِ القلوب عليه ، من مَرحمةٍ تظهرُ من فعلِه ، ومَعدلةٍ تنتشرُ من أثرِه ، ومحبّةٍ للخير وأهلِه ، وأن يختارَ المهديُّ ،

وفّقه الله ، من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كل مصر ، أقواماً تسكُنُ العامة إليهم إذا ذُكروا ، وتأنس الرعيّة بهم إذا وُصِفوا ، ثم تُسهّلُ لهم عِمارةَ سُبل الإحسان ، وفتحَ باب المعروف ، كما قد كان فتح له وسهّل عليه .

قال المهديّ : صدقتَ ونصحتَ . ثم بعث في ابنه[1] موسى فقال : أي بُنيّ ، إنك قد أصبحتَ لسَمْتِ[2] عيونِ العامة نُصباً ، ولمَثنى أعطافِ الرعيّةِ غايةً ، فحسنَتُك شاملةٌ ، وإساءتُك نامية ، وأمرُك ظاهر ؛ فعليك بتقوى الله عزّ وجلّ وطاعتِه ، فاحتمِل سُخطَ الناس فيهما ، ولا تطلُب رِضاهم بخلافهما ، فإنّ الله عزّ وجلّ كافيك مَنْ أسخطه عليك إيثارُك رِضاه ، وليس بكافيك من يُسخِطُه عليك إيثارُك رِضا مَنْ سواه .

ثم اعلم أن لله تعالى في كل زمان عِترةً من رُسله ، وبقايا من صَفوةِ خلْقِه ، وخبايا لنُصرةِ حقّه ؛ يُجدّدُ حبْلَ الإسلام بدَعواهم ، ويشيّدُ أركانَ الدينِ بنُصرتهم ، ويتّخذهم لأولياءِ دينه أنصاراً ، وعلى إقامةِ عَدله أعواناً ، يَسدّون الخَلَلَ ، ويُقيمون الميلَ ، ويَدفعون عن الأرضِ الفسادَ .

---

١ بعث في ابنه : بعث من يطلبه ويأتي به .

٢ السمت : المحجة .

وإنّ أهل خُراسانَ أصبحوا أيديَ دولتِنا ، وسيوفَ دعوتِنا ، الذين نستدفِعُ المكارهَ بطاعتِهم ، ونصرِفُ نزولَ العظائمِ بمُناصحتِهم ، وندافعُ رَيبَ الزمانِ بعزائمِهم ، ونزاحمُ رُكْنَ الدهرِ ببصائرِهم ، فهم عمادُ الأرضِ إذا أرْجفَت كَنَفُها ، وحتوفُ الأعداءِ إذا برزَت صفحتُها ، وحصونُ الرعيَّة إذا تضايقَت الحالُ بها ، قد مضَت لهم وقائعُ صادقاتٌ ، ومواطنُ صالحاتٌ ، أخمدَت نيرانَ الفتَن ، وقصمَت دواعي البِدَع ، وأذلَّت رِقابَ الجبّارين . ولم ينفكّوا كذلك ما جَرَوْا مع ريحِ دولتِنا ، وأقاموا في ظلّ دعوتِنا ، واعتصَموا بحبْلِ طاعتِنا ، التي أعزّ اللهُ بها ذِلّتَهم ، ورفَع بها ضَعتَهم ، وجعلَهم بها أرباباً في أقطار الأرَضين ، ومُلوكاً على رِقاب العالمين ، بعدَ لِباسِ الذُّلّ ، وقِناعِ الخوفِ ، وإطباقِ البلاءِ ، ومحالفةِ الأسى ، وجَهْدِ البأسِ والضُّرّ .

فظاهِرْ عليهم لباسَ كرامتِك ، وأنزِلهم في حدائقِ نعمتِك ، ثم اعرف لهم حقّ طاعتِهم ، ووسيلةَ دالّتِهم ، وماتّةَ سابقتِهم ، وحُرمةَ مناصحتِهم ، بالإحسانِ إليهم ، والتّوْسعة عليهم ، والإثابة لمُحسِنهم ، والإقالة لمُسيئهم .

أي بُني ، ثمّ عليك العامّةَ ، فاستدعِ رضاها بالعدلِ عليها ، واستجلِبْ مودّتَها بالانصافِ لها ، وتحسَّن بذلك لربّك ،

وتَزَيَّن به في عينِ رعيَّتِكَ ، واجعل عُمّالَ القَدْرِ[1] ، وولاةَ الحُجَجِ ، مُقدَّمةً بين يدي عملِك ، ونَصَفَةً منك لرعيَّتِك ، وذلك أن تأمرَ قاضي كل بلدٍ ، وخيارَ أهل كلِّ مِصرٍ ، أن يختاروا لأنفسهم رجلاً تولّيه أمرَهم ، وتجعلُ العدلَ حاكماً بينه وبينهم ، فإن أحسنَ حُمِدْتَ ، وإن أساء عُذِرْتَ .

هؤلاء عمّالُ القَدْرِ وولاةُ الحُجَجِ ؛ فلا يَضيعنَّ عليك ما في ذلك ، إذا انتشرَ في الآفاقِ ، وسبقَ إلى الأسماعِ ، من انعقادِ ألسنةِ المُرْجِفين ، وكَبْتِ قلوبِ الحاسدين ، وإطفاءِ نيرانِ الحروب ، وسلامةِ عواقبِ الأمور .

ولا ينفكَّنَّ في ظلِّ كرامتِك نازلاً ، وبعُرَا حبلِك متعلِّقاً ، رجلان : أحدُهما كريمةٌ[2] من كرائم رجالات العرب ، وأعلامِ بيوتاتِ الشرفِ ، له أدبٌ فاضلٌ ، وحلمٌ راجحٌ ، ودينٌ صحيحٌ ؛ والآخرُ له دينٌ غيرُ مغمورٍ ، وموضعٌ غيرُ مدخولٍ ، بصيرٌ بتقليبِ الكلام ، وتصريفِ الرأي ، وأنحاءِ الأدبِ ، ووضعِ الكُتُبِ ، عالمٌ بحالاتِ الحروبِ ، وتصاريفِ الخُطوبِ ، يَضَعُ آداباً نافعةً ، وآثاراً باقيةً ، من تجميلِ محاسنِك ، وتحسينِ أمرِك ، وتَحليةِ ذِكرِك ، فتَستشيرُه في

---

١ عمال القدر : ذوي الشرف والحسب .

٢ الكريمة : الكريم ، والتاء للمبالغة .

حزبِكَ ، وتَدخِلُه في أمرِكَ ، فرجلٌ أصبتَه كذلكَ فهو يأوي إلى محلَّتِي ، ويرعى في خضرَةِ جنانِي .

ولا تَدَعْ أن تختارَ لكَ من فُقهاءِ البُلدانِ ، وخيارِ الأمصارِ ، أقوامــاً يكونون جيرانَكَ وسُمَّارَكَ ، وأهلَ مُشاورتِكَ فيما تورِدُ ، وأصحابَ مناظرتِكَ فيما تُصدِرُ ، فسِر على بركةِ اللهِ ، أصحبَكَ اللهُ من عونِه وتوفيقِه دليلاً يَهدي إلى الصَّوابِ قلبَكَ ، وهادياً يُنطِقُ بالحقِّ لسانَكَ .

وكُتِب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد .

مداراة العدو

في كتاب للهندِ : إنّ العدوّ الشديدَ الذي لا تَقوى له لا تَرُدّ بأسَه عنك بمثلِ الخُشوعِ والخضوعِ له ، كما أنّ الحشيشَ إنما يسلَمُ من الريحِ العاصفةِ بلينه وانثنائه معها .

•

وقالوا : ازفِنْ[1] للقِردِ في دولتهِ .

•

وقال أحمد بن يوسف الكاتب : إذا لم تقدِر أن تَعَضّ يدَ عدوّك فقبّلْها .

•

وقال سابقُ البَرْبَريّ :

وداهِن إذا ما خِفتَ يوماً مُسلّطاً
عليك ، ولن يحتالَ مَنْ لا يُداهنُ

•

---

١ ازفن : ارقص .

وقالتِ الحكماء : رأسُ العَقْلِ مُغافصة[1] الفُرصةِ عند إمكانِها ، والانصرافُ عمّا لا سبيلَ إليه .

•

وقال الشاعر :

بَلاءٌ ، ليس يُشْبِهُهُ بَلاءٌ ، عداوةُ غيرِ ذي حَسَبٍ ودِينِ
يُبيحُكَ منه عِرْضاً لم يصُنْه ، ويرتعُ منكَ في عِرْضٍ مَصُونِ

•

---

١ المغافصة : المفاجأة والأخذ على غرة .

التحفظ من العدو

ان ابدى لك المودة

قالت الحكماء: احذر الموتورَ ولا تطمئنّ إليه ، وكنْ أشدّ ما تكونُ حذراً منه ألطفَ ما يكونُ مداخلةً لك ، فإنما السلامةُ من العدوّ بتباعُدِك منه ، وانقباضِك عنه ؛ وعند الأنس إليه والثقةِ به تمكّنُه من مقاتلِك .

•

وقالوا : لا تطمئنّ الى العدوّ إن أبدى لك المقاربة ، وإن بسَط لك وجهَه ، وخفّض لك جناحَه ، فإنه يتربّصُ بك الدّوائرَ ، ويُضمِرُ لك الغوائلَ ، ولا يرتجي صَلاحاً إلا في فَسادِك ، ولا رِفعةً إلا بسقوطِ جاهِك .

كما قال الأخطل :

بَني أُميّةَ إني ناصحٌ لكمُ ،
فلا يَبيتنّ فيكم آمناً زُفَرُ[1]

---

١ هو زفر بن الحارث بن كلاب الكلابي أحد زعماء القيسية .

وأتخذوه عدواً ، إنْ شاهده
وما تغيّب من أخلاقه دَعَرُ[1]

إنّ الضغينة تلقاها ، وإن قدمت ،
كالعرّ يكمُن حيناً ، ثم ينتشرُ[2]

•

وفي كتاب الهند : الحازمُ يحذرُ عدوّه على كلّ حال ، يحذرُ المواثبةَ إن قَرُبَ ، والمعاودةَ إن بَعُدَ ، والكمينَ إنِ انكشفَ ، والاستطرادَ إن ولّى ، والكرَّةَ إن فرّ .

•

وأوصى بعضُ الحكماءِ ملكاً فقال : لا يكوننّ العدوُّ الذي كشفَ لك عن عداوتهِ بأخوفَ عندك من الظّنينِ الذي يَستترُ لك بمُخاتلتهِ ، فإنه ربما تخوّفَ الرجلُ السّمّ الذي هو أقتلُ الأشياءِ ، وقتله الماءُ الذي هو مُحيي الأشياءِ ؛ وربما تخوّفَ أن تقتلَه الملوكُ التي تملكُه ، ثم تقتلُه العبيدُ التي يملِكُها .

•

ولم يقل أحد في العدوّ المُندمِل العداوةِ ، مثلَ قول الأخطل :

---

١ الدعر : الفساد .
٢ العر : الجرب .

إنَّ الضَّغينةَ تَلقاها ، وإن قَدُمت ،
كالعُرِّ يَكمُنُ حيناً ، ثم يَنتشرُ

وقد أشار الحسن بن هانىء الى هذا المعنى فأجاده حيث يقول :

وابنِ عمٍّ ، لا يُكاشِفُنا ، قد لبِسناه على غَمَرِه[1]
كَمَنَ الشَّنْآنُ ، فيه لنا ، ككُمونِ النار في حَجَرِه[2]

•

وشبَّهوا العدوَّ إذا كان هذا فعلَه بالحيّة المُطرقةِ . قال ابن أخت تأبَّط شرّاً :

مُطرِقٌ يَرشَحُ مَوتاً ، كما
أطرقَ أفعى يَنفُثُ السُّمَّ صِلّ[3]

•

وقال عبدالله بن الزبير لمعاوية ، ويقال : بل معاوية قالها لعبدالله بن الزبير : ما لي أراك تُطرِقُ إطراقَ الأفعوانِ في أصول الشجر ؟

•

---

١ الغمر : الحقد .

٢ الشنآن : البغض . واراد بحجره : حجر القادح .

٣ يرشح : يعرق . ينفث : يقذف . الصل : الأفعى .

وفي كتاب الهند : إذا أحدثَ لك العدو صداقةً لعِلّةٍ ألجأته إليك فمع ذهابِ العِلّة رجوعُ العَداوةِ ، كالماءِ تُسخّنه ، فإذا أمسكتَ عنه عادَ الى أصلِه بارداً ؛ والشجرةُ المُرّةُ لو طَلَيتَها بالعسل لم تُثمِر إلا مُرّاً .

•

وقال دُريد بن الصمة :

وما تَخفى الضغينةُ حيث كانت ، ولا النظرُ المريضُ من الصحيحِ

•

وقال زُهير :

وما يكُ في صديقٍ ، أو عدُوٍّ ، تُخبّرك العيونُ عن القلوبِ

•

وقيل لزياد : ما السرورُ ؟ قال : مَن طال في العافية والكفاية عُمرُه ، حتى يرى في عدوّه ما يَسرُّه .

من أخبار الازارقة

كان أولَ من خرجَ من الخوارجِ بعد عليّ رضي الله عنه : حوثرةُ الأقطعُ ، فإنه كانَ خرجَ إلى النُّخيلةِ واجتمعَ إليه جماعةٌ من الخوارجِ ؛ ومعاويةُ بالكوفةِ ، وقد بايعَه الحسنُ والحُسينُ وقيسُ بن سعد بن عُبادة ، ثم خرجَ الحسنُ يُريدُ المدينةَ ، فوجّه إليه معاويةُ ، وقد تجاوزَ في طريقِه ، يسأله أن يكونَ المتولّي لمحاربتِهم ؛ فقال الحسنُ عليه السلام : والله لقد كففتُ عنكَ لحقْنِ دماءِ المسلمين ، وما أحسِب ذلك يسَعُني ، فكيف أن أقاتلَ قوماً أنتَ أولى بالقتالِ منهم !

فلما رجَعَ الجوابُ إليه ، وجّه إليهم جيشاً أكثرُه من أهلِ الكوفة ، ثم قال لأبي حَوثرةَ : تقدّم فاكفِني أمرَ ابنِك .

فسار إليه أبوه ، فدعاه إلى الرجوعِ ، فأبى ، فداوره فصمّمَ ؛ فقال له : أي بني ، أجيئُك بابنِك لعلّك تَراه فتَحِنّ إليه .

فقال له : يا أبتِ ، أنا واللهِ إلى طعنةٍ نافذةٍ أتقلّبُ فيها على كُعوبِ الرّمح أشوقُ مني إلى ابني .

فرَجعَ إلى معاويةَ فأخبرَه ؛ فقال : يا أبا حوثرةَ ، عتَا[1] هذا .

فلما نظر حوثرة إلى أهلِ الكوفة ، قال : يا أعداءَ اللهِ ، أنتم بالأمسِ تقاتلون معاويةَ لتَهُدُّوا سُلطانَه ، واليومَ تقاتلون معَه لتشدُّوا سلطانَه . ثم جعلَ يَشُدُّ عليهم ويقول :

احمِلْ على هذي الجُموعِ حوثَره ،
فعَنْ قريبٍ ستَنالُ المَغفِره

فحمل عليه رجل من طيّءٍ فقتلَه ، فرأى أثرَ السُّجودِ قد لوّحَ جبهتَه ، فندِمَ على قتلِه .

•

وكان مِرداسُ أبو بِلال قد شهِدَ صِفّينَ مع عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأنكرَ التحكيمَ ، وشهِدَ النّهْروانَ[2] ونجا فيمن نجا .

فلما خرج من حبْس ابن زياد[3] ، ورأى شدّةَ الطلبِ للشُّراةِ[4] ، عزَمَ على الخروجِ ، فقال لأصحابه : إنه واللهِ ما

---

١ عتا : استكبر وجاوز الحد .

٢ شهد النهروان : اي موقعة النهروان ، وهي وقعة مشهورة دارت في كورة النهروان بين علي بن ابي طالب والخوارج .

٣ اي عبد الله بن زياد ، حبس مرداساً ، ثم خلى عنه .

٤ الشراة : الخوارج . قال الجوهري : سموا بذلك لقولهم : انا شرينا انفسنا في طاعة الله ، اي بعناها بالجنة حين فارقنا الائمة الجائرة .

يسَعُنا المُقامُ مع هؤلاء الظالمين ، تَجري علينـــا أحكامُهم ، مُجانِبينَ للعَدْلِ مُفارِقينَ للفصْلِ[1] ، والله إنَّ الصبرَ على هذا لَعظيمٌ ، وإنَّ تجريدَ السيفِ وإخافةَ السبيلِ لشديدٌ ، ولكنّا نَنْتَبِذُ[2] عنهم ولا نجرِّدُ سيفاً ولا نُقاتِلُ إلا مَنْ قاتلنا .

فاجتمع إليه أصحابُه زُهاءَ ثلاثين رجلاً ؛ منهم : حُرَيْث ابن حَجْل وكَهْمَسُ بن طَلْق ، فأرادوا أن يُولّوا أمرهم حُرَيْثاً فأبى ، فولّوا أمرهم مِرداساً .

فلما مضى بأصحابه لقيهم عبدُ الله بن رَباح الأنصاريّ ، وكان له صديقاً ، فقال له : يابن أخي ، أين تريد ؟

فقال : أريــــد أن أهرُب بديني ودين أصحابي من أحكام هؤلاء الجَوَرة .

قال له : أعَلِم أحدٌ بكم ؟

قال : لا .

قال : فارجع .

قال : أوَتخافُ عليَّ مكروهاً ؟

قال : نعم ، وأن يُؤتى بك .

---

١ الفصل : قول الحق . والقضاء بين الحق والباطل .

٢ ننتبذ : نتنحى .

قال : فلا تَخف ، فإني لا أجرِّدُ سيفاً ، ولا أُخيفُ أحداً ، ولا أُقاتِلُ إلا مَن قاتلني .

ثم مضى حتى نزل آسَك[1] ، فمرّ به مالٌ يُحمَلُ إلى ابن زيادٍ ، وقد بلغ أصحابُه الأربعين ، فحطّ ذلك المالَ فأخذ منه عَطاءَه وأعطياتِ أصحابه وترك ما بقي ، وقال : قولوا لصاحبكم : إنما أخذْنا أعطياتنا .

فقال له أصحابه : لماذا تترُكُ الباقي ؟

قال : إنهم يَقسِمون هذا الفَيءَ كما يُقيمون الصلاةَ ، فلا تقاتِلوهم ما داموا على الصلاةِ .

فوجّه إليهم ابنُ زيادٍ أسْلَمَ بن زُرْعَةَ الكِلابيّ في ألفينِ ، فلما وصَلَ إليهم ، قال له مِرْداس : اتّقِ اللهَ يا أسلَم ، فإنّا لا نريدُ قِتالاً ولا نُروِّعُ أحداً ، وإنما هَرَبنا من الظُلْمِ ، ولا نأخذُ من الفَيء إلا أعطياتِنا ، ولا نقاتِلُ إلا من قاتَلنا .

قال : لا بُدّ من ردّكم الى ابن زياد .

قال : وإن أراد قتْلنا .

قال : وإن أرادَ قتلَكم .

قال : فتَشْرَكَ في دمائنا .

قال : نعم .

---

[1] آسك : بلدة بالأهواز .

فشدّوا عليه شدّةَ رجل واحد فهزموه وقتلوا أصحابَه .

ثم وجّه إليهم ابنُ زيادٍ عبّاداً[1] فقاتَلهم يوم الجمعةِ حتى كان وقتُ الصلاةِ ، فناداهم أبو بلال : يا قوم ، هذا وقتُ الصلاةِ فوادِعُونا حتى نُصلّي .

فوادعوهم . فلما دخلوا في الصلاة شدّوا عليهم فقتلوهم ، وهم بينَ راكعٍ وساجدٍ وقائمٍ في الصلاةِ وقاعد ، فقـالَ عمْرانُ بنُ حِطّان يرثي أبا بلال :

يا عينُ بكّي لمِرْداسٍ ومَصْرَعِه ،
يا رَبَّ مِرْداسٍ اجعَلْني كمِرداسِ

أبقيتَني هائماً أبكي لِمَرْزِئتي ،
في مَنْزِلٍ مُوحِشٍ من بَعدِ إيناسِ

أنكرتُ بَعدَكَ ما قد كنتُ أعْرِفه ،
ما الناسُ بَعدَكَ يا مِرْداسُ بالنّـاسِ

إمّـا شربتَ بكأسٍ دارَ أوّلُها
على القُرون ، فذاقوا جُرْعةَ الكاسِ

•

وليسَ في الفِرَق كلها أشـدُّ بصائرَ من الخوارجِ ، ولا

---

١ هو عباد بن أخضر ، واخضر زوج أمه ، فنسب اليه .

أكثر اجتهاداً ، ولا أوطنَ أنفساً على الموت ، فمنهم الذي طُعِنَ فأنفذه الرمحُ فجعلَ يسعى إلى قاتِله ويقول : عَجِلْتُ إليك ربِّ لترضى .

•

ولما مالتِ الخوارجُ إلى أصبهانَ حاصرتْ بها عتّابَ بنَ ورقاءَ سبعةَ أشهرٍ يقاتلهم في كل يوم فيُناديهم :

يابنَ أبي الماحوز والاشرارِ[1] ، كيف ترَوْنَ يا كِلابَ النارِ

شَدَّ أبي هُرَيرةَ الهرّارِ[2] ، يَغزوكمُ بالليلِ والنهارِ

وهو من الرحمنِ في جِوارِ

فتعاظَمهم ذلك . فكمَن له عَبيدةُ بنُ هلالٍ فضربَه ، واحتَمله أصحابُه ، فظنّتِ الخوارجُ أنه قد قُتلَ ، فكانوا إذا توافَقوا ينادونهم : ما فعل الهرّارُ ؟

فيقولون : ما به من بأس ؛ حتى أبلَّ من علّته . فخرج إليهم ، فقال : يا أعداءَ الله ، أترونَ بي بأساً ؟

فصاحوا به : قد كنّا نرى أنك لَحقتَ بأمّك الهاويةِ في النارِ الحامية .

---

١ هو الزبير بن علي بن الماحوز ، وكان على الخوارج .

٢ ابو هريرة : كنية رجل يقال له شريح وكان مع عتاب .

فلما طال الحِصارُ على عتّاب ، قال لأصحابه : ما تنتظرون؟ إنكم والله ما تُؤْتَوْن من قِلّة ، وإنكم فُرسانُ عشائرِكم ، ولقد حاربتموهم مِراراً فانتصفتم منهم ، وما بقي من هذا الحِصارِ إلا أنْ تَفْنى ذخائرُكم ، فيموتَ أحدُكم فيَدْفِنَه صاحبُه ، ثم يموتَ هو فلا يجدُ من يَدْفِنُه ، فقاتلوا القومَ وبكم قُوّةٌ من قبلِ أن يضعُفَ أحدُكم عن أن يمشيَ إلى قِرْنه .

فلما أصبح صلّى بهم الصبحَ ، ثم خرجَ إلى الخوارجِ وهم غارّون[1] ، وقد نَصبَ لواءً لجاريةٍ يقال لها ياسمين ، فقال : من أراد البقاءَ فليلحق بلواءِ ياسمين ، ومن أراد الجهاد فليلحق بلوائي .

قال : فخرجَ في ألفينِ وسبعمائة فارسٍ ، فلم تشعُرْ بهم الخوارجُ حتى غَشُوهم ، فقاتلوهم بجِدٍّ لم ترَ الخوارجُ مثلَه ، فقتلوا أميرَهم الزُّبيرَ بن عليّ وانهزمت الخوارجُ ، فلم يَتبعهم عتّاب بن ورقاء .

•

وخرجَ قُرَيبُ بن مُرّةَ الأزْديُّ وزحّافُ الطائيُّ ، وكانا مجتهدَين بالبصرةِ في أيامِ زيادٍ ، فاعترضا الناسَ ، فلقيا شيخاً

---

١ غارون : غافلون .

من بني ضُبيعة فقتلاه ، وتنادى الناسُ ، فخرج رجل من بني قُطَيْعة بالسيف ، فناداه الناسُ من بعض البيوت : الحَرورِيّةَ ، انجُ بنفسِك .

فنادَوْه : لسنا حروريّةً ، نحن الشُرَطُ ؛ فوقف فقتلوه .

وبلغ أبا بِلالٍ خبرُهما ، وكان على دين الخوارجِ إلا أنه كانَ لا يرى اعتراضَ الناسِ ، فقال : قُرَيبٌ ، لا قرّبَه الله من الخير ؛ وزحّافٌ ، لا عفا الله عنه ، فلقد ركباها عَشْواء مُظْلمة[1] .

ثم جعلا لا يمُرّان بقَبيلة إلا قتلا مَن وجَدا فيها ، حتى مرّا ببني عليّ بن سودٍ ، من الأزد . وكانوا رُماةً ، وكان فيهم مائةٌ يجيدون الرّمي ، فرموهم رمياً شديداً ، فصاحوا : يا بني عليّ ، البُقيا ، لا رِماء بيننا .

فقال رجل منهم :

لا شيءَ للقومِ سوى السهامِ ، مشْحوذةً في غَلَس الظلامِ

فهربَت عنهم الخوارجُ ، فاشتقّوا مقبُرةَ بني يشكرٍ حتى خرجوا إلى مُزَينة ، واستقبلهم الناس فقتلوا عن آخرِهم .

---

١ اي سارا في امرهما على غير هدى ، واراد اعتراضهما للناس .

ثم عاد الناس الى زياد ، فقال : ألا ينهى كلُّ قومٍ سفهاءهم ؟ فكانت القبائلُ إذا أحسّت بخارجيٍّ فيهم أوثقوه وأتوا به زياداً ، فمنهم من يَحبسه ومنهم من يقتله .

ولزيادٍ أخرى في الخوارج : أنه أُتيَ بامرأةٍ منهم فقتَلها ، ثم عَرّاها ، فلم تَخرُجِ النساءُ إلا بعد زياد ، وكُنّ إذا أُرغِمْنَ على الخروجِ قلنَ : لولا التّعريةُ لسارَعْنا .

•

ومن مشاهيرِ فُرسانِ الخوارج : عمرو القَنا ، من بني سعد بن زيد مَناةٍ ، وعَبيدةُ بنُ هلال ، من بني يَشكُر بن بكر بن وائلٍ ، وهو الذي طعَن صاحبَ المهلّبِ في فخذهِ ، فشكّها مع السَّرْج . وهما اللذان يقول فيهما ابن المُنْجِبِ السَّدُوسي من فُرسان المهلّب ، وكان قال له مولاه خِلاج : وَدِدْتُ أنّا فَضَضنا عسكرَهم ، فأستلِبَ منه جاريتين ، إحداهما لك وأخرى لي :

أخِلاجُ إنك لن تُعانِقَ طَفْلةً ، شَرِقاً بها الجاديُّ كالتِّمثالِ [1]

---

[1] الطفلة : الناعمة. الجادي : الزعفران ، نسبة الى جادية : قرية من عمل البلقاء من أرض الشام .

حتى تُعانِقَ في الكتيبـةِ مُعلِماً،
عمرَو القَنا وعَبيـدةَ بنَ هِـلالِ[1]

وترى المُقعطَرَ في الكتيبة مُقدِماً،
في عُصْبَةٍ قَسَطوا مـع الضُّلاّلِ[2]

والمُقعطَرُ: من مشاهـيرِ فُرسانِهم. وقَطَريّ: أنجَدُهم قاطبـــةً. وصالحُ بن مِخراقٍ: من بُهَمِهم؛ وكذلك سَعْدُ الطَّلائع.

•

ولما اختلَفَ أمرُ الخوارجِ وانحاز قَطَريّ فيمن معه وبقي عبدُ ربّه، قال المهلَّب لأصحابه: إن اللهَ تعالى قد أراحكم من أقرانٍ أربعة: قَطَريّ بنِ الفُجاءة، وصالحِ بنِ مِخراقٍ، وعَبيدةَ بنِ هلالٍ، وسعدِ الطّلائع؛ وإنما بين أيديكم عبدُ ربّه في خُشارٍ[3] من خُشار الشيطان.

•

وكانتِ الخوارجُ تقاتلُ على القَدَح يؤخَذُ منها والسَّوْطِ

---

١ المعلم: الذي قد شهر نفسه بعلامة.
٢ المقعطر: من عبد القيس. قسطوا: جاروا.
٣ الخشار: سفلة الناس ورذالهم.

والعلقِ[1] الحبيسِ أشدَّ قتالٍ . وسقط في بعضِ أيامِهم رمحٌ لرجلٍ من مُرادَ من الخوارجِ فقاتلوا عليه حتى كثُر الجراحُ والقتلُ ، وذلك مع المغربِ ، والمراديُّ يرتجزُ :

الليلُ ليلٌ فيه وَيْلٌ وَيْلُ ، وسالَ بالقومِ الشُّراةِ السَّيلُ
إنْ جازَ للأعداءِ فينا قَوْلُ

•

وتفرّقتْ مقالةُ الخوارجِ على أربعةِ أضْرُبٍ . فقال نافعُ بنُ الأزرقِ باستعراضِ الناسِ[2] ، والبراءةِ من عثمانَ وعليٍّ وطلحةَ والزُّبيرِ ، واستحلالِ الأمانةِ ، وقتلِ الاطفال .

وقال أبو بَيْهسٍ هيصمُ بنُ جابرٍ الضُّبعيّ : إنّ أعداءَنا كأعداءِ الرسول صلى الله عليه وسلّم يَحِلُّ لنا المُقامُ فيهم كما أقامَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأقامَ المُسلمون بين المشركين . وأقولُ : إنّ مُناكحتَهم ومواريثَهم تجوزُ ، لأنهم مُنافقون يُظهِرون الاسلامَ ، وأنّ حُكمَهم عند الله حُكم المشركين .

---

١ العلق : الجراب أو الترس أو السيف .
٢ يريد اعتراضه الناس بقتلهم لا يبالي أمسلماً قتل أم كافراً .

وقال عبدُ الله بنُ إباضٍ : لا نقولُ فيمن خالَفنا ، إنه مُشرِكٌ ، لأنّ معَهم التّوحيدَ والاقرارَ بالكتابِ والرسولِ ، وإنما هم كُفّارٌ للنّعَمِ ، ومواريثُهم ومَناكِحُهم والاقامةُ معَهم حِلّ ، ودَعْوةُ الاسلامِ تجمعُهم .

وقالت الصُّفريةُ بقول عبدِ الله بنِ إباضٍ ، ورأتِ القعودَ حتى صارت عامّتُهم قَعَداً[1] . وإنما سُمّوا صُفْريةً لاصْفِرار وُجوهِهم ، وقيل : لأنهم أصحاب ابن الصّفّار .

---

١ القعد : المقيمون من الخوارج بين أظهر أعدائهم من المسلمين .

تحت ظلال القنا

العقد الفريد

٢٠٠ غ.ل.

العقد الفريد

٣

الايدي السخية

مكتبة صادر
بيروت

٣

الايدي السخية

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب،
فيه أدب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

الأيدي السخيّة

هو كتاب الزبرجدة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

٣

الأيدي السخية

مكتبة صادر
بيروت

مطبعة المناهل : ٥٧ - ١٩٥١

كتاب الزبرجدة

في الأجواد والأصفاد

قال الفقيه أبو عمر أحمدُ بنُ محمد بنِ عَبْد ربّه ، تغمّده الله برحمته : قد مضى قولُنا في الحروب وما يدْخُلُها من النّقصِ والكمالِ ، وتَقدُّمِ الرجال ؛ على منازِلهم من الصبر والجَلَدِ ، والعُدّةِ والعَدَدِ . ونحن قائلون بعونِ الله وتوفيقه في الأجوادِ والأصفادِ[1] ، إذ كان أشرفَ ملابسِ الدنيا ، وأزينَ حُلَلِها ، وأجلَبها لحمدٍ ، وأدفعَها لذمٍّ ، وأسترَها لعَيْبٍ ، كَرمُ طبيعةٍ يتحلى بها السّمحُ السّريُّ ، والجوادُ السخيُّ ؛ ولو لم يكن في الكرمِ إلا أنه صفةٌ من صفاتِ الله تعالى تسمّى بها ، فهو الكريمُ عَزّ وجلّ . ومن كان كريماً من خَلقِهِ ، فقد تسمّى باسمِهِ ، واحتذى على صفته .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كَريمُ قومٍ فأكرموه .

---

[1] الأصفاد ، واحدها صفد : العطاء .

وفي الحديثِ المأثورِ : الخَلقُ عِيالُ الله ، فأحَبُّ الخَلقِ إلى الله أنفَعُهم لِعيالِه .

•

وقال الحسنُ والحُسينُ لعبدِ الله بنِ جعفر : إنكَ قد أسرفتَ في بَذْلِ المالِ ؛ قال : بأبي وأمّي أنتما ، إن الله قد عوّدني أن يتفضّلَ عليّ ، وعوّدتُه أن أتفضّلَ على عِبادِه ، فأخافُ أن أقطَعَ العادةَ فيقطعَ عني .

•

وقال المأمونُ لمحمدِ بنِ عَبّادِ المهلّبي : أنتَ مِتلافٌ ؛ قال : مَنْعُ الجودِ سُوءُ ظَنٍّ بالمعبودِ . يقولُ الله عز وجل: وما أنفَقتم مِنْ شيءٍ فَهو يُخلِفهُ وهُوَ خيرُ الرّازقينَ .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنفِق بِلالُ ولا تَخْشَ من ذي العَرْش إقلالاً .

مدح الكرم وذم البخل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : اصطناعُ المعروف يَقِي مَصارعَ السُّوءِ .

وقال عليه الصلاة والسلام : إن اللهَ يُحِبُّ الجودَ ومكارمَ الأخلاقِ ، ويُبْغِضُ سَفْسافَها .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقومٍ من العرب : مَن سيِّدُكم ؟ قالوا : الجَدُّ ابنُ قيْسٍ على بُخْلٍ فيه ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : وأيُّ داءٍ أدْوى من البُخْلِ[١] !

يقول الله تعالى : ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه فأولئك هُمُ المُفْلِحونَ .

•

وقال أكثم بن صَيْفيّ حكيم العَرب : ذلِّلوا أخلاقَكم للمَطالبِ ، وقودوها إلى المحامِد ، وعلِّموها المكارمَ ، ولا تقيموا على خُلقٍ تَذُمّونه من غيرِكم ، وصِلوا من رَغِب

---

١ أي : أي عيب اقبح منه !

إليكم ، وتحلّوا بالجودِ يكسبكم المحبّةَ ، ولا تقتعدوا البُخلَ[1] ، فتتعجّلوا الفقر .

أخذه الشاعر فقال :

أمِنْ خوفِ فقرٍ تعجّلتَه ، وأخّرتَ إنفاقَ ما تجمعُ

فصِرْتَ الفقيرَ ، وأنتَ الغنيُّ ، وما كنتَ تعدو الذي تصنعُ

•

وكتب رجلٌ من البخلاءِ إلى رجلٍ من الأسخياءِ يأمُره بالإبقاءِ على نفسِه ويخوّفُه بالفقرِ . فردّ عليه : الشّيطانُ يَعِدُكُمُ الفقرَ ويأمرُكم بالفحشاء واللهُ يَعِدُكُمْ مغفرةً منه وفضلاً ؛ وإني أكرهُ أن أترُكَ أمراً قد وقعَ لأمرٍ لعلّه لا يقعُ .

•

وكان خالدُ بن عبدالله القَسْري يقول على المِنبَر : أيها الناسُ ، عليكم بالمعروفِ ، فإن الله لا يُعدِمُ فاعلَه جوازيَه[2] ، وما ضعُفَتِ الناسُ عن أدائِه قَوِي الله على جزائه .

وأخذه من قولِ الحُطيئة :

---

[1] لا تقتعدوا البخل : لا تتخذوه مطية .

[2] جوازيه : المكافأة عليه .

مَن يَفعلِ الخيرَ لا يَعدمْ جوازيَهُ،
لا يَذهبُ العُرفُ بينَ اللهِ والناسِ

وأخذَه الحطيئةُ من بعضِ الكُتبِ القديمةِ . يقولُ اللهُ تعالى فيما أنزَله على داودَ عليهِ السلام : مَن يَفعلِ الخيرَ يجدْه عندي ، لا يذهبُ العُرْفُ بيني وبينَ عبدي .

•

وكانَ سعيدُ بنُ العاصِ يقولُ على المِنْبرِ : مَن رَزقَه اللهُ رِزقاً حسناً فليُنْفِقْ منه سِرّاً وجَهراً ، حتى يكونَ أسعدَ الناسِ بهِ ، فإنما يتركُ ما يتركُ لأحدِ رجلينِ : إمّا لمُصلحٍ فلا يَقِلُّ عليهِ شيءٌ ، وإما لمُفسِدٍ فلا يبقى له شيء .

أخذه الشاعر فقال :

أَسْعِدْ بمالِكَ في الحياةِ ، فإنما
يَبقى ، خلافَك ، مُصْلِحٌ أو مُفْسِدُ

فإذا جَمعتَ لمُفْسِدٍ لم يُغْنِهِ ،
وأخو الصَّلاحِ قَليلُه يتزيَّدُ

•

وقال أبو ذرّ : إنَّ لكَ في مالِكَ شريكَينِ : الحَدَثانَ والوارثَ ، فإنِ استطعتَ ألاّ تكونَ أخسَّ الشُّركاءِ حظّاً فافعَل .

•

وقال بُزُرْجُمِهْر الفارسيّ : إذا أقبلَتْ عليك الدنيا فأنفِق منها فإنها لا تفنى ، وإذا أدبَرَتْ عنك فأنفِق منها فإنها لا تبقى .

أخذ الشاعر هذا المعنى فقال :

لا تَبخَلنْ بدُنْيا ، وهي مُقْبِلةٌ ،
فليس يَنْقُصُها التبذِيرُ والسَّرَفُ

وإنْ تولّتْ ، فأحرى أن تجودَ بها ،
فالحمدُ منها ، إذا ما أدْبَرَتْ ، خَلَفُ

•

وكان كِسْرى يقول : عليكم بأهلِ السَّخاءِ والشجاعةِ ، فإنهم أهلُ حُسنِ الظن بالله تعالى ، ولو أن أهلَ البُخلِ لم يدخُل عليهم من ضرر بُخلِهم ، ومَذَمّةِ الناسِ لهم ، وإطباقِ القلوبِ على بُغضِهم ، إلاّ سوءُ ظنّهم بربّهم في الخَلَف ، لكانَ عظيماً .

وأخذ هذا المعنى محمودٌ الورّاقُ فقال :

مَنْ ظَنّ باللهِ خيراً جادَ مُبتدِئاً ،
والبُخلُ مِن سُوءِ ظَنّ المرءِ باللهِ

•

محمد بن يزيد بن عُمر بن عبد العزيز قال : خرجتُ مع

موسى الهادي أميرِ المؤمنين من جُرجان، فقال لي: إما أن تحمِلَني وإما أن أحمِلَك؛ ففهِمتُ ما أرادَ فأنشدتُه أبياتَ ابن صِرْمة الأنصاريّ:

فأوصيكُمُ بالله، أوّلَ وَهلةٍ،
وأحسابِكُم، والبِرُّ باللهِ أوّلُ

وإنْ قومُكم سادوا فلا تَحسُدُوهمُ؛
وإن كنتمُ أهلَ السيادةِ فاعدِلوا

وإن أنتمُ أعوزتمُ، فتعفّفُوا؛
وإن كانَ فضلُ المالِ فيكم، فأفضِلوا

فأمر لي بعشرين ألفاً.

•

وقال عبدُ الله بنُ عبّاس: ساداتُ النّاس في الدنيا الأسخياءُ وفي الآخرةِ الأتقياء.

•

وقال أبو مُسلم الخَولانيّ: ما شيءٌ أحسنَ من المعروفِ إلاّ ثوابَه، وما كلّ مَن قدَرَ على المعروفِ كانت له نيّةٌ، فإذا اجتَمعتِ القُدرةُ والنّيّةُ تَمّتِ السعادةُ؛ وأنشد:

إنّ المكارمَ كُلَّها حَسَنٌ، والبَذْلَ أحسنُ ذلكَ الحَسَنِ

كم عارفٍ بي لستُ أعرفه، ومُخَبَّرٍ عنّي، ولم يَرَني

يأتيهمُ خَبري، وإن بَعُدَتْ داري، وبُوعِدَ عنهمُ وَطني

إني لِحُرِّ المالِ مُمْتَهِنٌ؛ ولِحُرِّ عِرْضي غيرُ ممتهنِ

•

وقال خالدُ بن عبد الله القَسْري: من أصابه غُبارُ مَركبي فقد وجَبَ عليَّ شُكْرُه.

•

وقال عمرو بن العاص: واللهِ لَرجلٌ ذَكَرني، ينامُ على شِقّةٍ مرّةً وعلى شِقّةٍ أخرى، يراني موضِعاً لحاجته، لأوجَبُ عليَّ حقاً إذا سألَنيها، مني إذا قضيتُها له.

•

وقال عبد العزيز بن مَروان: إذا أمكنني الرجلُ من نفسه حتى أضعَ مَعروفي عنده، فيَدُهُ عندي أعظمُ من يدي عندَه. وأنشدَ لابنِ عبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما:

إذا طارقاتُ الهمِّ ضاجعتِ الفتى،
وأعملَ فِكْرَ الليلِ، والليلُ عاكرُ

وباكَرني في حاجةٍ، لم يَكُن لها
سِوايَ، ولا مِنْ نَكبةِ الدّهرِ ناصرُ

فرَجْتُ بمـالي همَّه عن خِناقِه ،
وزايَله الهـمُّ الطَّروقُ المُساوِرُ

وكان له فضـلٌ عليَّ بظنِّـهِ
بيَ الخيرَ ، إني لِلَّذي ظنَّ شاكرُ

•

وقيل لأبي عُقيلٍ البليغِ العِراقيّ : كيف رأيت مَروانَ ابنَ الحكَم عند طَلبِ الحاجة إليه ؟ قال : رأيتُ رَغبتَه في الإنعام فوق رَغبتهِ في الشكر ، وحاجتَه الى قضاء الحاجةِ أشدُّ من حاجةِ صاحبِ الحاجة .

•

وقال زياد : كفى بالبُخلِ عاراً أنَّ اسمه لم يقَعْ في حمْدٍ قطُّ ، وكفى بالجُودِ فخراً أن اسمَه لم يقع في ذمٍّ قط .

•

وقال آخر :

لقد علِمْتِ ، وقد قطَّعْتِني عـذلاً ،
ماذا من الفَضْلِ بين البُخْلِ والجُودِ

إلاَّ يَكُنْ وَرَقٌ يومـاً أرَاحُ به
للخابطين ، فـإني ليِّنُ العُـودِ[1]

---

[1] أراح : مضارع راح للمعروف : اخذته له خفة وحمية .

لا يعدَمُ السائلون الخيرَ أفعلَه،
إمّا نوالاً، وإمّا حُسْنَ مرْدودِ

قوله: إلاّ يكن وَرَق، يريد المال، وضَرَبه مثلاً. ويقال: أتى فلان فلاناً يختبِطُ ما عندَه، والاختباطُ: ضَرْبُ الشجرِ ليسقطَ الورقُ لتأكلَه السائمةُ، فجعل طالبَ الرزقِ مثل الخابط.

•

وقال أسماء بن خارجة: ما أحِبُّ أن أرُدَّ أحداً عن حاجةٍ طلبها، لأنه لا يخلو أن يكونَ كريماً فأصونَ له عِرْضَه، أو لئيماً فأصونَ عِرضي منه.

•

وقال أرِسْطوطاليسُ: من انتجعَك من بلادِه فقد ابتدأك بحُسنِ الظنّ بك والثقةِ بما عندَك.

الترغيب في حسن الثناء

واصطناع المعروف

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إذا أردتم أن تعلَموا ما للعبدِ عند ربّه ، فانظروا ما يتبعُه من حُسنِ الثناءِ .

•

وكتبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعريّ : اعتبر مَنزِلتَك من اللهِ بمنزِلتِك من الناسِ ، واعلم انّ ما لك عند الله مثلُ ما للناسِ عندَك .

•

وقيل لبعضِ الحكماء : ما أفادَك الدهرُ ؟ قال : العِلمَ به ؛ قيلَ : فما أحمدُ الأشياءِ ؟ قال : أن تَبقى للإنسان احدوثةٌ حَسنةٌ .

•

وقال بعضُ أهلِ التفسير في قولِ الله تعالى : واجْعَل لي لِسانَ صِدْقٍ في الآخَرِين . إنه أرادَ حُسْنَ الثناءِ من بعده.

•

وقال أكثمُ بن صَيْفي : إنما أنتم أخبارٌ فطَيِّبوا أخبارَكم.
أخذ هذا المعنى حَبيبٌ الطائيُّ فقال :

وما ابنُ آدمَ إلاّ ذِكْرُ صالحةٍ ،
أو ذِكْرُ سيّئةٍ يَسْري بها الكَلِمُ

أمَا سَمِعتَ بدَهرٍ بادَ أُمّتُه ،
جاءت بأخبارِها مِن بعدِها أُمَمُ ؟

•

وقال أبو بكر محمد بن دُريد :
وإنما المرءُ حديثٌ بعدَه ،
فكُنْ حديثاً حَسناً لمن وعَى

•

وقالوا : الأيامُ مَزارعُ ، فما زَرعتَ فيها حصدتَه .

•

ومن قولنا في هذا المعنى وغيره من مكارم الأخلاق :

يا مَن تَجلّدَ للزّمانِ ، أمَا زمانُك منك أجْلَدْ ؟
سَلِّطْ نُهاكَ على هَواكَ ، وعُدَّ يومَكَ ليسَ من غَدْ
إنّ الحياةَ مَزارعٌ ، فازرَعْ بها ما شِئْتَ تَحصُدْ
والناسُ لا يَبقى سوى آثارِهم ، والعَيْنُ تُفقَد

أوَمَا سمعت بمن مَضى ، هذا يُـذَمُّ وذاك يُحْمَدْ
والمـــالُ إن أصلحتَــه يَصْلُحْ ، وإن أفسدتَ يَفسُدْ

•

وقال الأحنفُ بن قيس : ما ادَّخَرَتِ الآباءُ للأبنـاءِ ، ولا أبقتِ الموتى للأحياءِ ، شيئاً أفضلَ من اصطناعِ المعروفِ عند ذوي الأحساب .

•

وقالوا : تَربيبُ المعروفِ[1] أولى من اصطناعِـه ، لأنَّ اصطناعَه نافلةٌ ، وتربيبَه فريضة .

•

وقالوا : أحْيِ مَعروفَك بإماتـــةِ ذكرِه ، وعَظّمْه بالتصغيرِ له .

•

وقالتِ الحكماءُ : مِن تَمامِ كَرمِ المُنْعِمِ التغافُلُ عن حُجَّتِه ، والإِقرارُ بالفضيلةِ لشاكرِ نِعْمَتِه .

•

وقالوا : للمَعْروفِ خِصالٌ ثلاثٌ : تَعْجيلُه وسَترُه

---

[1] تربيب المعروف : تعهده وانماؤه .

وتَيْسيرُه ، فمَنْ أخلَّ بواحدةٍ منها فقد بَخَسَ المعروفَ حقَّه ، وسقَطَ عنه الشكر .

●

وقيل لمعاوية : أيُّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : مَن كانت له عندي يدٌ صالحةٌ ؛ قيل : فإن لم تكُن له ؛ قال : فمن كانت لي عنده يدٌ صالحة .

●

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من عَظُمت نعمةُ الله عندَه عظُمت مَؤونةُ الناسِ عليه ، فإن لم يَقُم بتلك المَؤونةِ عَرَّضَ النِّعمةَ للزوال .

●

أبو اليَقْظان قال :

أخذ عُبيدُ الله بن زياد عُروةَ بن أُذينة[١] أخا أبي بلال وقطع يدَه ورجلَه وصلبه على باب داره ، فقال لأهله وهو مصلوب : انظروا الى هؤلاء المُوكَّلين بي فأحسنوا إليهم فإنهم أضيافُكم .

●

ابنُ المبارك عن حُميدٍ عن الحسنِ قال : لأن أقضيَ حاجةً لأخٍ لي أحَبُّ إليَّ من عبادةِ سنة .

●

---

١ لعلها أدية .

وقال إبراهيم بن السِّنْدي : قلتُ لرجلٍ من أهل الكوفةِ ، من وجوهِ أهلِها ، كان لا يَجِفُّ لِبْدُه[1] ، ولا يستريحُ قلبُه ، ولا تسكنُ حركته في طلب حوائجِ الرجال ، وإدخالِ المرافقِ على الضعفاء ، فقلتُ له : أخبرني عن الحالة التي خفَّفَت عنكَ النَّصَبَ ، وهوَّنَت عليكَ التَّعبَ في القيام بحوائجِ الناسِ ، ما هي ؟

قال : قد واللهِ سمِعتُ تغريدَ الطيرِ بالأسحارِ ، في فُروع الأشجار ؛ وسمعتُ خفْقَ أوتارِ العِيدانِ ، وترجيعَ أصواتِ القِيان ، فما طَرِبتُ من صوتٍ قطّ طَرَبي من ثناءٍ حَسَنٍ بلسانٍ حَسَنٍ على رجلٍ قد أحسنَ ، ومن شُكرِ حُرٍّ لِمُنعمٍ حُرٍّ ، ومن شفاعةِ مُحْتَسِبٍ لطالبٍ شاكرٍ .

قال إبراهيم : فقلتُ له : للهِ أبوكَ ، لقد حُشِيتَ كرماً .

•

إسماعيلُ بن مَسْرورٍ عن جعفرِ بن محمد قال : إنَّ الله خلقَ خلقاً من رحمته برَحمتِهِ لرحمته ، وهم الذين يقضُون الحوائج للناس ، فمن استطاعَ منكم أن يكونَ منهم فليكن .

---

[1] لبده : اي لبد فرسه .

الجود مع الاقلال

قال الله تباركَ وتعالى فيما حكاه عن الأنصار : ويُؤثِرون على أنفُسِهم ولو كان بهِم خَصاصة ، ومَن يُوقَ شُحَّ نفسِه فأولئك هم المُفلِحون .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أفضلُ العَطِيَّةِ ما كان من مُعْسِرٍ الى مُعسر .

وقال عليه الصلاة والسلام : أفضلُ العطيَّة جُهدُ المُقِلّ .

•

وقالت الحكماء : القليلُ من القليلِ أحمدُ من الكثيرِ من الكثير .

أخذ هذا المعنى حَبيبٌ فنظَمه في أبياتٍ كتب بها الى الحسن بن وَهْبٍ الكاتبِ وأهدى إليه قلماً :

قد بَعثنا إليك، أكرَمك اللهُ،
بشيءٍ، فكن له ذا قَبولِ

لا تَقِسْهُ الى نَدى كَفّكَ الغَمر،
ولا نَيْلِكَ الكثيرِ الجزيلِ

واستجز قِلَّةَ الهدية منّي ؛
إنَّ جُهْدَ المُقِلِّ غيرُ قليلِ

•

وقالوا : جُهد المُقِلّ أفضلُ من غِنى المُكْثِر .

•

وقال صَريعُ الغواني :

ليسَ السَّماحُ لمُكثِرٍ في قومه ، لكن لمُقْتِرٍ قومِه المتجَدِّدِ

•

وقال أبو هُرَيرة : ما وَدِدْتُ أنَّ أحداً ولدتني امُّه إلاّ أمّ جعفرِ بن أبي طالب ، تَبِعْتُه ذاتَ يومٍ وأنا جائعٌ ، فلما بلغَ البابَ التفتَ فرآني ، فقال لي : ادخُل ، فدخلت ؛ ففكّر حيناً فما وجدَ في بيتِه شيئاً إلاّ نِحْياً[1] كان فيه سَمْنٌ مُرّ ، فأنزله من رفٍّ لهم ، فشقّه بين أيدينا ، فجعلنا نلعَقُ ما كان فيه من السمنِ والرُّبّ[2] ، وهو يقول :

ما كلّفَ الله نفساً فوقَ طاقتِها ؛
ولا تَجودُ يَدٌ إلاّ بما تَجِدُ

•

---

١ النحي : الزق ، او ما كان للسمن خاصة .

٢ رب السمن : ثفله الأسود .

وقيل لبعض الحكماء : مَن أجودُ الناس ؟ قال : مَن جادَ من قِلّةٍ ، وصانَ وجه السائلِ عن المَذلّة .

•

وقال حمّادُ عَجرد :

أورِقْ بخيرٍ تُؤمّلْ للجَزيلِ ، فما
تُرْجى الثّمارُ ، إذا لم يُورقِ العُودُ

بُثّ النوالَ ولا تَمْنَعْكَ قِلّتُه ،
فكُلُّ ما سدّ فقراً ، فهو مَحْمودُ

وللبَخيلِ على أموالِه عِلَلٌ
زُرقُ العيونِ ، عليها أوْجُهٌ سُودُ

•

وقال حاتم :

أُضاحِكُ ضَيفي قبلَ إنزالِ رَحْلِه ،
ويُخْصِبُ عندي ، والمَحَلُّ جَديبُ

وما الخِصبُ للأضيافِ أن يَكثُرَ القِرى ،
ولكنّما وَجْهُ الكريمِ خَصيبُ

•

وقال عبد الملك بن مروان : ما كنت أُحِبُّ أنّ أحداً وَلدني من العربِ إلا عُروة بن الوَرْد لقوله :

أتهزأ منّي أن سَمِنتَ ، وأن ترى
بجسمي مسَّ الجوعِ ، والجوعُ جاهدُ

لأني امرؤٌ عافي إنائيَ شِرْكةٌ ،
وأنتَ امرؤٌ عافي إنائِك واحدُ

أقسّمُ جِسْمي في جُسومٍ كثيرةٍ ،
وأحسُو قَراحَ الماءِ ، والماءُ باردُ

•

ومن أحسنِ ما قيلَ في الجود مع الإقلالِ ، قولُ أبي تمام حبيب :

فلو لم يكُن في كفّه غيرُ روحه ،
لجادَ بها ، فليتّقِ اللهَ سائلُه

•

ومن أفرط ما قيل في الجود ، قولُ بكْرِ بن النطّاح :

أقولُ لمُرْتادِ النّدى عند مالكٍ :
تمسّكْ بجَدْوى مالكٍ وصِلاتِه

فتًى جعَلَ الدُّنيا وقاءً لِعرْضه ،
فأسدى بها المعروفَ قبلَ عِداتِه

فلو خَذلَتْ أمواله جودَ كفّه ،
لقاسَمَ مَنْ يرجوه شطْرَ حياتِه

وإن لم يَجُزْ في العُمر قَسْمٌ لمالكٍ،
وجازَ له أعطاهُ من حَسَناتِهِ

وجاد بها من غيرِ كُفْرٍ بربّهِ،
وأشركَهُ في صَوْمِهِ وصَلاتِهِ

•

وقال آخر في هذا المعنى وأحسن :

ملأتُ يدي من الدُّنيا مِراراً،
وما طَمِعَ العَواذِلُ في اقتصادي

ولا وَجَبَتْ عليَّ زَكاةُ مالٍ؛
وهل تَجِبُ الزَّكاةُ على الجَوادِ؟

•

العطية قبل السؤال

قال سعيد بن العاصي : قبّح الله المعروفَ إن لم يكن ابتداء من غير مسألة ، فالمعروف عِوضٌ عن مسألة الرجل إذا بذلَ وجهَه ، فقلبه خائفٌ ، وفرائصُه ترتعدُ ، وجبينُه يَرْشَحُ ؛ لا يدري أيرجعُ بنُجحِ الطلبِ ، أم بسوءِ المُنقلَبِ ؛ قد انتُقِع لونه ، وذهب دم وجهه . اللّهمّ فإن كانت الدنيا لها عندي حظّ فلا تجعَل لي حظّاً في الآخرة .

•

وقال أكثم بن صيفيّ : كلُّ سؤالٍ وإن قلّ أكثرُ من كلّ نوالٍ وإن جلّ .

•

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : من كانت له اليّ منكُم حاجةٌ فليَرْفَعْها في كتابٍ لأصونَ وجُوهَكُم عن المسألة .

•

حبيب قال :

عَطاؤكَ لا يَفْنَى، ويَسْتَغرِقُ المُنَى،
وتَبقَى وجُوهُ الراغبين بمائِهـــا

وقال حبيب أيضاً :

ذلُّ السؤالِ شجاً في الحلقِ معترضٌ ،
من دونه شرَقٌ من خلفِه جرَضُ [1]

ما ماءُ كفِّك، إن جادت وإن بخِلت ،
من ماءِ وجهي، إذا أفنيتُه، عِوَضُ

إنّي بأيسرِ ما أدنيتَ منبسطٌ ،
كما بأكثرِ ما أقصيتَ منقبضُ

•

وقالوا : مَنْ بذلَ إليكَ وجهه فقد وفّاك حقّ نِعمتِك .

•

وقالوا : أكملُ الخصالِ ثلاثٌ : وقارٌ بلا مَهابةٍ ، وسماحٌ بلا طلبِ مكافأةٍ ، وحِلمٌ بغيرِ ذلّ .

•

وقالوا : السخيّ من كان مسروراً ببذله، متبرّعا بعطائه ، لا يلتمسُ عرَضَ دنيا فيحبَطَ عملُه ، ولا طلبَ مكافأة فيسقطَ شكرُه ، ولا يكونُ مَثلُه فيما أعطى مَثَلَ الصائد الذي يُلقي الحَبَّ للطائرِ ، لا يُريدُ نفعَها ولكن نفعَ نفسِه .

•

---

[1] الجرض : الغصص ، أو الابتلاع بجهد .

نظرَ المنذرُ بن أبي سَبْرةَ الى أبي الأسود الدُّؤلي ، وعليه قميصٌ مَرقوعٌ ، فقال له : ما أصْبرَكَ على هذا القميص ؟

فقال له : رُبَّ مَمْلوكٍ لا يُستطاعُ فِراقُه .

فبعث إليه بتَخْتٍ من ثيابٍ ؛ فقال أبو الأسود :

كساني ، ولم أستَكْسِه ، فَحمِدْتُه ،
أخٌ لكَ يُعطيكَ الجزيلَ وناصرُ

وإنَّ أحقَّ الناسِ ، إن كنتَ شاكراً ،
بشُكرِكَ من أعطاكَ والعِرْضُ وافِرُ

•

وسأل معاويةُ صَعصعةَ بنَ صُوحان : ما الجُودُ ؟ فقال : التبرُّعُ بالمال ، والعطِيّةُ قبلَ السؤال .

•

ومن قولِنا في هذا المعنى :

كريمٌ على العِلّاتِ ، جَزْلٌ عَطاؤهُ ،
يُنيلُ ، وإن لم يُعتمَد لنَوالِ

وما الجُودُ مَنْ يُعطي إذا ما سألتَه ،
ولكنَّ مَنْ يُعطِي بغيرِ سُؤالِ

•

وقال بَشّار العُقَيلي[1] :

مالِكيّ يَنشَقُّ عن وجهِه الجَدْبُ،
كما انشقّتِ الدُّجى عن ضياءِ

فثجوجُ السماءِ قَبضُ يديه،
لِقَريبٍ ونازحِ الدارِ نائي[2]

ليس يُعطيك للرَّجاءِ ولا الخوْف،
ولكن يَلَذُّ طعمَ العَطاءِ

لا ولا أن يُقالَ شيمتُه الجُودُ،
ولكنْ طَبائعُ الآباءِ

•

وقال آخر :

إنّ، بين السُّؤالِ والاعتذارِ،
خُطّةً صَعبةً على الأحرارِ

•

وقال حبيب :

لئن جحَدْتُكَ ما أوليتَ من نِعَمٍ،
إنّي لفي اللُّؤمِ أمضى منكَ في الكَرَمِ

---

١ قال بشار هذه الأبيات في عقبة بن سلم ونسبه فيها الى مالك احد اجداده .

٢ الثجوج : شدة سيلان المطر .

أنسَى ابتسامُكِ ، والألوانُ كاسفةٌ ،
تَبسُّمَ الصُّبْحِ في داجٍ من الظُّلَمِ

رَددتَ رَوْنقَ وجهي في صحيفتِهِ ،
ردَّ الصِّقال بَهاءَ الصارمِ الخَذِمِ[1]

وما أبالي ، وخيرُ القوْلِ أصدَقُه ،
حَقنتَ لي ماءَ وَجْهي ، أو حَقنتَ دَمي

---

١ الخذم : القاطع .

استنجاح الحوائج

كانوا يستفتحون حوائجَهم بركعتين ، يقولون فيهما : اللّهمّ بك أستنجِحُ ، وباسمِكَ أستَفتِحُ ، وبمحمدٍ نبيّك إليك أتوجّه ؛ اللّهمّ ذلّل لي صُعوبتَه ، وسهّل لي حُزُونتَه ، وارزُقني من الخيرِ أكثرَ مما أرجو ، واصرِف عنّي من الشرّ أكثرَ مما أخافُ .

•

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : استعينوا على حوائجكم بالكِتمانِ لها ، فإنّ كلّ ذي نِعْمةٍ محسود .

•

وقال خالد بن صَفوانَ : لا تَطْلُبوا الحوائجَ في غيرِ حينها ، ولا تطلُبوها من غيرِ أهلِها ، فإنّ الحوائجَ تُطْلَبُ بالرّجاءِ وتُدْرَكُ بالقضاءِ[1] .

---

١ بالقضاء : اي باتمامها ، والوفاء بها .

وقال : مِفْتاحُ نُجْحِ الحاجةِ الصبرُ على طولِ المدّةِ ، ومِغْلاقُها اعتراضُ الكَسَلِ دونها .

●

قال الشاعر :

إني رأيتُ ، وفي الأيامِ تجربةٌ ،
للصَّبرِ عاقبةً محمودةَ الأثَرِ

وقلَّ من جدَّ في أمرٍ يُحاوله ،
فاستصحَبَ الصَّبرَ ، إلا فازَ بالظَّفرِ

●

ومن أمثالِ العربِ في هذا : مَن أدْمَنَ قَرْعَ البابِ يوشك أن يُفتحَ له .

أخذَ الشاعر هذا المعنى فقال :

لا تيأسَنَّ ، وإن طالتْ مُطالبةٌ ،
إذا تضايق أمرٌ أن ترى فرجا

أخلِق بذي الصَّبر أن يحظى بحاجته ،
ومُدْمنِ القَرْعِ للأبوابِ أن يَلِجا

●

وقال خالد بنُ صَفوان : فَوْتُ الحاجةِ خيرٌ من طَلَبِها إلى غيرِ أهلِها ، وأشدُّ من المُصيبةِ سوءُ الخَلَفِ منها .

●

وقالوا : صاحبُ الحاجة مَبْهوتٌ ، وطَلَبُ الحوائجِ كلّها تَعْزيرٌ[١] .

•

وقالتِ الحكماء : لا تطلبْ حاجتَكَ من كذّابٍ ، فإنه يُقرّبها بالقولِ ، ويُبعدُها بالفعلِ ؛ ولا من أحمقَ فإنّه يريدُ نفعَكَ فيضرُّك ؛ ولا من رجلٍ له أكلةٌ من جهةِ رجلٍ ، فإنه لا يؤثر حاجتَك على أكْلته .

•

وقال دِعْبل بن عليّ الخُزاعيّ :

جِئْتُكَ مُسترفِداً بلا سَببٍ إليك ، إلا بحُرْمةِ الأدبِ
فاقضِ ذِمامي ، فإنّني رجلٌ غيرُ مُلِحٍّ عليك في الطّلبِ

•

وقال شَبيب بن شَيْبَة : إني لأعرفُ أمراً لا يتلاقى به اثنان إلا وَجبَ النُّجْحُ بينهما ؛ قيل له : وما ذاك ؟ قال : العقلُ ، فإن العاقلَ لا يَسألُ ما لا يُمكنُ ، ولا يَرُدُّ عما يُمكن .

•

---

١ تعزير : تشديد .

وقال الشاعر :

أتيتُكَ لا أُدلي بقُربَى ولا يدٍ
إليكَ ، سوى أنّي بجودِكَ واثقُ

فإن تُولِني عُرفاً أكُن لك شاكراً ،
وإن قلتَ لي عُذراً أقُل أنتَ صادقُ

•

وقال الحسَنُ بن هانىء :

فإن تُولِني منك الجميلَ فأهلُه ،
وإلاّ فإنّي عاذِرٌ وشكُورُ

•

وقال آخر :

لعَمْرُكَ ما أخلقتُ وجهاً بذَلتُه
إليكَ ، ولا عرّضتُهُ للمَعايرِ

فتىً وَفرتْ أيدي المكارمِ عِرضَه
عليه ، وخلّتْ مالَه غيرَ وافرِ[1]

•

ودخل محمدُ بن واسع على بعض الأمراءِ ، فقال : أتيتُكَ

---

١ وفرت عرضه : صانته .

في حاجة فإن شئتَ قضيتَها وكُنَّا كريمَين ، وإن شئتَ لم تَقْضِها وكنَّا لئيمَين .

أراد إن قضيتَها كنتَ أنتَ كريماً بقضائِها ، وكنتُ أنا كريماً بسؤالك إياها ، لأني وضعتُ الطَّلِبة في مَوضِعها . فإن لم تقضِها كنتَ أنت لئيماً بمَنعِك ، وكنتُ أنا لئيماً بسُوءِ اختياري لك .

وسرق حبيبٌ هذا المعنى فقال :

عَيَّاشُ ! إنكَ للَئيمُ ، وإنني ، إذ صِرتَ مَوضِعَ مَطلبي ، للئيمُ

•

ودخل سَوَّارٌ القاضي على عبدِ الله بن طاهرٍ صاحبِ خُراسان فقال : أصلح اللهُ الأمير :

لنا حاجـةٌ ، والعُذْرُ فيها مُقدَّمٌ ،
خَفيفٌ مُعنَّاها ، مُضاعفةُ الأجرِ

فإن تَقضِها ، فالحمدُ لله وحـدَه ،
وإن عاقَ مَقدورٌ ، ففي أوسعِ العُذرِ

قال له : ما حاجتُك أبا عبد الله ؟

قال : كِتابٌ لي إن رأى الأميرُ ، أكرمه الله ، أن

يُنفِـذه في خاصّتِـه ، كتبه الى موسى بنِ عبد الملك في تَعجيل أرزاقي .

قال : أوَغيرَ ذلك أبا عبـد الله نُعجِّلها لك من مالِنا ؟ وإذا وَدِدتَ كنتَ مُخيَّراً بينَ أن تأخُذَ أو ترُدّ.

فأنشد سَوّارٌ يقول :

فبابُـك أيمنُ أبوابِهـم ، ودارُكَ مأهولةٌ عـامِرَهْ
وكفُّك، حينَ ترى المُجتدينَ ، أنـدى من الليلةِ الماطِرهْ
وكلبُـك آنسُ بالمُعتفينَ من الأمِّ بابنتِهـا الزائرهْ[١]

•

ودخلَ أبو حازمٍ الأعرجُ على بعضِ أهـل السلطان ، فقال : أتيتُك في حاجةٍ رفعتُها الى الله قبلك ، فإن يأذنِ الله في قضائِها قضيتَهـا وحَمِدناك ، وإن لم يأذن في قضائِها لم تَقضِها وعَذَرناك .

•

وفي بعض الحديث : اطلبوا الحوائجَ عند حِسانِ الوُجوه. أخذه الطائيّ فنظَمه في شعره فقال :

قد تأوّلتُ فيكَ قولَ رسول الله ، إذ قال مُفصِحاً إفصاحا :

---

١ هذا الشعر لنصيب .

إنْ طلبتُم حوائجاً عند قَوْمٍ ، فتنقَّوْا لها الوُجوهَ الصِّباحا
فلعَمْري ، لقد تَنقَّيتُ وجْهاً ما به خابَ من أراد النَّجاحا

•

قال المنصور لرجل دخل عليه : سَلْ حاجَتك .

قال : يُبقيك الله يا أميرَ المؤمنين .

قال : سَلْ حاجتك ، فإنك لستَ تَقْدِر على مثل هذا المَقامِ في كل حين .

قال : والله يا أمير المؤمنين ما أستَقْصِرُ عُمرك ، ولا أخافُ بخلَكَ ، وإنّ عطاءَكَ لشرفٌ ، وإنّ سؤالك لزَيْنٌ ، وما بامرىءٍ بذَلَ إليك وجهَه نَقْصٌ ولا شَيْنٌ :

فوَصله وأحسن إليه .

•

استنجاز المواعيد

من أمثالهم في هذا : أنجزَ حُرٌّ ما وعَد .

•

وقالوا : وَعدُ الكريم نَقْدٌ ، ووعْدُ اللئيمِ تَسْوِيفٌ .

•

وقال الزُّهري : حقيقٌ على من أورقَ بوَعدٍ أن يُثمِر بفِعْلٍ .

•

وقال المُغيرةُ : من أخّرَ حاجةً فقد ضَمِنها .

•

وقال المُوبَذان الفارسيّ : الوَعدُ السَّحابةُ ، والإنجازُ المطرُ .

•

وقال غيرهُ : المواعِدُ رؤوسُ الحوائجِ ، والإنجازُ أبدانُها .

•

وقال عبدالله بن عمر : خُلفُ الوعدِ ثُلثُ النِّفاقِ ، وصِدْقُ الوعدِ ثُلثُ الايمانِ ، ومـا ظَنُّك بشيء جعَله الله

تعالى مِدْحةً في كتابِهِ، وفخراً لأنبيائه، فقال تعالى: واذكرْ في الكتابِ إسْماعيلَ إنّهُ كانَ صادِقَ الوَعْدِ.

•

وذكر جبّارُ بن سَلْمى عامرَ بن الطُّفَيل، فقال: كان واللهِ إذا وَعدَ الخيرَ وفى، وإذا أوعدَ بالشرّ أخلفَ، وهو القائل:

ولا يَرهَبُ ابنُ العمّ، ما عِشتُ، صولَتي،
ويأمنُ مِنّي صوْلَةَ المُتَهدِّدِ

وإنّي، وإن أوعَدْتُه، أو وَعدتُه،
لَيَكذِبُ إيعادي ويَصدُقُ موْعدي

•

وقال ابن أبي حازم:

إذا قلتَ في شيء: «نعم» فأتِمّه،
فإنّ نعم دَينٌ على الحُرّ واجبُ

وإلا فقُل: «لا» تسترِحْ وتُرِح بها،
لئلا يقولَ النّاسُ إنك كاذبُ

•

ولو لم يكن في خُلفِ الوعدِ إلا قولُ الله عز وجل: يا

أيّها الذينَ آمنوا لِمَ تقولونَ ما لا تفعلونَ . كَبُرَ مقتاً عِنْدَ اللهِ أنْ تقولوا ما لا تفعلونَ ؛ لكفى .

•

وقال عُمرُ بن الحارثِ : كانوا يفعلون ولا يقولون ، ثم صاروا يقولون ويفعلون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون : فزعم أنهم ضنّوا بالكذبِ فضلاً عن الصّدقِ .

•

وفي هذا المعنى يقولُ الحسن بن هانىء :

قال لي : ترضى بوعدٍ كاذبٍ ؟
قلتُ : إن لم يكُ شَحْمٌ فنَفَش[1]

•

ومثله قول عبّاس بن الأحنف ، ويقال إنه لمسلم بن الوليد ، صريعِ الغواني :

ما ضرَّ من شَغَلَ الفؤادَ ببُخلِه ،
لو كان علّلني بوعدٍ كاذبِ

•

---

[1] النفش : الصوف المنفوش .

صبراً عليك ، فما أرى لي حيلةً ،
إلاّ التمسُّكَ بالرّجاءِ الخائبِ

سأموتُ من كَمدٍ ، وتَبقى حاجتي ،
فيما لديك ، وما لها من طالبِ

•

قال عبدُ الرحمن ابن أمّ الحَكَم لعبد الملك بنِ مروانَ في مواعيدَ وَعَدها إياه فمَطله بها : نحن إلى الفعْلِ أحوجُ منا الى القول ، وأنت بالإنجازِ أولى منك بالمَطلِ ، واعلم أنك لا تستحقُ الشكرَ إلا بإنجازِك الوعد واستِتمامِك المعروف .

•

القاسمُ بنُ معْن المَسعوديّ قال : قلتُ لعيسى بن موسى : أيها الأميرُ ، ما انتفعتُ بك مذ عرفتُك ، ولا أوصلتَ لي خيراً مذ صَحِبتك .

قال : ألم أكلّم لك أميرَ المؤمنين في كذا وأسأله لك كذا؟

قال : قلت : بلى ، فهل استنجزتَ ما وَعدتَ ، واستَتممت ما بدأت ؟

قال : حال من دون ذلك أمورٌ قاطعةٌ ، وأحوالٌ عاذرة .

قلت : أيها الأمير ، فما زِدْتَ على أن نَبَّهتَ العجز من رَقْدَتِه ، وأثرتَ الحُزنَ من رَبَضَته ، إنّ الوعدَ إذا لم

بشفعه إنجازٌ يحققه ، كان كلفظٍ لا معنى له ، وجسمٍ لا روحَ فيه .

•

وقال عبدُ الصمد بن الفضل الرقاشي لخالد بن دَيْسم ، عامل الريّ :

أخالدُ ! إنّ الريّ قد أجحفتْ بنا ،
وضاق علينا رَحبُها ومَعاشُها

وقد أطمعتْنا منك يوماً سحابةٌ
أضاءت لنا برقاً ، وأبطا رشاشُها

فلا غيمُها يصحو فييْئَسَ طامعاً ،
ولا ماؤها يأتي فتُروى عِطاشُها[1]

•

وقال سعيدُ بن سلْم : وعد أبي بشّاراً العُقيليّ حين مدحه بالقصيدةِ التي يقول فيها :

صدّتْ بخدٍّ وجلَتْ عن خدّ ، ثم انثنَتْ كالنّفسِ المُرتدّ

فكتب إليه بشّار بالغد :

ما زال ما منّيتني من همّي ، والوعدُ غمّ فأرِحْ من غمّي
إن لم تُرِد حَمْدي فراقِبْ ذمّي

---

١ قوله : ييئس خطأ ، والصواب : يوئس ، لان الياء الساكنة تقلب واواً بعد الضمة .

فقال له أبي : يا أبا مَعاذ ، هلاّ استنجحتَ الحاجةَ بدونِ الوعيد؟ فإذ لم تفعل فتربَّص ثلاثاً وثلاثاً ، فإني والله ما رضيتُ بالوعدِ حتى سمعتُ الأبرشَ الكلبيّ يقول لهشام : يا أميرَ المؤمنين ، لا تَصنعْ إليّ معروفاً حتى تَعِدَني ، فإنه لم يأتني منك سَيْبٌ على غيرِ وَعْدٍ إلا هان علي قَدْرُه ، وقلّ منّي شُكرُه ؛ قال له هشام : لئن قلتَ ذلك لقد قاله سيّدُ أهلِك أبو مُسلم الخَوْلانيّ : إنّ أوقعَ المعروفِ في القلوبِ ، وأبردَه على الأكبادِ ، معروفٌ مُنتظَرٌ ، بوعدٍ لا يُكدِّرُه المَطْلُ.

•

وكان يحيى بنُ خالد بن برْمك لا يقْضي حاجةً إلا بوعدٍ ، ويقول : من لم يَبِتْ على سُرورِ الوَعدِ لم يجد للصَّنيعةِ طَعْماً.

•

وقالوا : الخُلْفُ ألأمُ من البُخلِ ، لأنه من لم يفعلِ المعروفَ لزِمَه ذمُّ اللؤمِ وحدَه ، ومَن وَعدَ وأخلَفَ لزِمَه ثلاثُ مذمّاتٍ : ذمُّ اللؤمِ ، وذمُّ الخُلفِ ، وذمُّ الكذبِ.

•

قال زيادُ الأعجم :

لله دَرُّك مِن فتًى ، لو كنتَ تفعلُ ما تقولْ

لا خيرَ في كَذِبِ الجواد ، وحبّذا صِدْقُ البخيلْ

•

استبطأ حبيبٌ الطائيُّ الحسنَ بنَ وهبٍ في عِدَةٍ وعدَها إياه ، فكتب إليه أبياتاً يستعجِلُه بها ، فبعثَ إليه بألفِ درهم ، وكتب إليه :

أعجلْتَنا فأتاك عاجلُ برِّنا ... قلاًّ ، ولو أخّرتَه لم يَقْلِلِ
فخذِ القليلَ وكن كمن لم يسألِ ، ... ونكونُ نحن كأننا لم نفعَلِ

•

وقال عبد الله بن مالك الخزاعي : دخلتُ على أميرِ المؤمنين المهديَّ وعنده ابنُ دأب وهو يُنشد قولَ الشمّاخ :

وأشعثَ قد قدَّ السِّفارُ قميصَه ،
يَجُرُّ شِواءً بالعصا ، غيرَ مُنضَجِ [1]

دعوتُ إلى ما نابني ، فأجابني
كريمٌ من الفِتْيان ، غيرُ مُزلَّجِ [2]

فتىً يملأ الشِّيزى ، ويُرْوي سِنانَه ،
ويضرِبُ في رأس الكميِّ المُدجَّجِ [3]

---

١ الاشعث : المغبر الشعر المتلبده . السفار : السفر .
٢ المزلج : البخيل ، والناقص المروءة .
٣ الشيزى : اراد بها الجفنة المصنوعة من الخشب الاسود المسمى بالشيزى ، الكمي : المتكمي ، المتستر بالسلاح . المدجج : الكامل السلاح .

فتًى ليس بالراضي بأدنى مَعيشةٍ ،
ولا في بُيوت الحيِّ بالمتَوَلّج[1]

فرفع رأسه إليّ المهديُّ وقال : هذه صِفَتك أبا العبّاس .
فقلت : بل نِلْتُها يا أمير المؤمنين .
فضحك لي وقال : هل تُنْشِدُ من الشّعر شيئاً ؟
قلتُ : نعم يا أميرَ المؤمنين .
قال : فأنشدني .
فأنشدته قولَ السّموأل :

إذا المرءُ لم يَدْنَس من اللؤم عِرْضُه ،
فكُلُّ رداءٍ يرْتديهِ جميلُ

وإنْ هو لم يحْمِل على النفس ضَيْمَها ،
فليسَ إلى حُسْنِ الثّناءِ سَبيلُ

إذا المرءُ أعْيَته المُروءةُ يافعاً ،
فمَطْلَبُها ، كَهْلاً ، عليه ثقيلُ

تُعيّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا
فقلتُ لها إنّ الكِرامَ قليلُ

وما ضَرّنا أنّا قليلٌ ، وجارُنا
عَزيزٌ ، وجارُ الأكْثرينَ ذَليلُ

---

١ المتولج : الداخل .

ونحنُ أناسٌ لا نَرى القتلَ سُبّةً ،
إذا ما رأتْـه عامرٌ وسَلولُ

يُقرّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لنا ،
وتَكْرَهُـهُ آجالُهم فتَطولُ

وما مـاتَ منّا سيّدٌ حَتْفَ أنفِه ،
ولا طُلّ منّا ، حيثُ كان ، قَتيـلُ

تَسيلُ ، على حدّ السيوفِ ، نفوسُنا ،
وليست ، على غيرِ السّيوفِ ، تَسيلُ

ونُنكرُ ، إن شئنا ، على الناسِ قولَهم ،
ولا يُنكرون القولَ حينَ نقولُ

فنحنُ كماءِ المُزنِ ما في نِصابنا
كَهامٌ ، ولا فينا يُعَدّ بخيـلُ[1]

وأسيافُنا في كلّ شَرْقٍ ومَغربٍ ،
بها من قِراعِ الدّارعين فُلولُ

فقال : أحسنت ! اجلس ، بهذا بلغتم ، سَلْ حاجتك .
قلت : يا أمير المؤمنين ، تكتب لي في العطاء ثلاثين رجلاً من أهلي .

---

١ الكهام : الكليل الحد .

قال : نعم ، فرضٌ عليَّ إذا وعدتُ .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنك متمكّن من القُدرة وليس دونَكَ حاجزٌ عن الفعل ، فما معنى العِدَة ؟

فنظر الى ابن دأبٍ كأنه يريد منه كلاماً في فضلِ الموعِد ؛ فقال ابنُ دأب :

حلاوةُ الفِعل بوعدٍ يُنْجَزُ ، لا خيرَ في العُرْفِ كنهبٍ يُنهَزُ

فضحك المهديّ وقال :

الفِعْلُ أحسنُ ما يكونُ ، إذا تقدّمهُ ضمانُ

•

وقال المُهلَّب بن أبي صُفْرة لبَنيه : يا بَنيَّ ، إذا غدا عليكم الرجلُ وراحَ مُسلِّماً فكفى بذلك تَقاضياً .

•

وقال الشاعر :

أروحُ بتَسْليمي عليك ، واغتَدي ،
وحَسْبُكَ بالتّسليمِ مني تَقاضِيا

•

وقال آخر :

كفاكَ مُخبِّراً وَجْهي بِشَاني ،
وَحَسْبُكَ أن أراكَ وأن تراني

وما ظَنّي بمن يَعْنيهِ أمري،
ويَعلمُ حاجتي، ويرى مَكاني

•

كتب العتّابي الى بعض أهل السلطان: أما بعدُ، فإنّ سحائبَ وَعْدِك قد أبرقَت، فليكن وَبْلُها سالماً من عِلَلِ المَطلِ، والسلام.

•

وكتب الجاحظُ إلى رجلٍ وَعده: أما بعدُ، فإن شجرة وَعْدِك قد أورقَت، فليكُن ثمرُها سالماً من جوائح المطلِ، والسلام.

•

ووعد عبدُ الله بن طاهر دِعْبلاً بغُلامٍ، فلما طالَ عليه تصدّى له يوماً، وقد ركِبَ إلى بابِ الخاصّةِ، فلما رآه قال: أسأتَ الاقتضاءَ، وجَهِلتَ المأخذَ، ولم تُحسِنِ النظرَ، ونحن أولى بالفضلِ، فلك الغلامُ والدابّةُ حينا ننزلُ إن شاء اللهُ تعالى. فأخذ دِعْبل بعِنانِه وأنشده:

يا جَوادَ اللسانِ من غيرِ فِعْلٍ،
ليتَ في راحتَيْك جودَ اللسانِ

عَينَ مِهْرانَ قد لَطَمتَ مِراراً ،
فاتَّقِي ذا الجلالِ في مِهْرانِ[1]

عُزْتَ عَيناً فَدَعْ لمِهْران عيناً ،
لا تَدَعْه يَطوفُ في العِمْيانِ

قال : فنزَل له عن دابتِه ، وأمرَ له بالغلام .

•

وسأل خَلفُ بن خَليفة أبانَ بن الوليدِ جاريةً فوعَده بها ، وأبطأت عليه ، فكتب إليه :

أرى حاجتي عند الأمير ، كأنَّها
تَهُمُّ زماناً عنده بمُقامِ

وأخضَرُ عن إذكارِه ، إن لقيتُه ،
وصِدْقُ الحياء مُلْجِمٌ بلجامِ

أراها إذا كان النهارُ نَسيئةً ،
وبالليل تُقضى عند كلِّ منامِ

فيا رَبِّ أخرِجْها ، فإنك مخرجٌ
مِنَ المَيْت حيّاً ، مفصِحاً بكلامِ

---

١ في قوله : عين مهران قد لطمت ، اشارة الى المثل القائل : هو يلطم عين مهران ، اي يكذب .

فتعلمَ ما شكري ، إذا ما قضيتها ،
وكيف صلاتي عندها وصيامي

•

وكتب أبو العتاهية إلى رجلٍ وعَده بعِدَة ومَطله بها :

لا جعلَ اللهُ لي إليك ، ولا   عندك ، ما عشتُ ، حاجةً أبدا
ما جئتُ في حاجةٍ أُسَرُّ بها   إلا تثاقلتَ ثم قلتَ : غدا

•

وكتب دِعْبل إلى رجلٍ وعَده وعداً وأخلفَه :

أحَسِبتَ أرضَ الله ضيّقةً   عنّي ، فأرضُ الله لم تَضِقِ
وجعلتَني فَقْعاً بقرقرة ،   فوَطِئتَني وَطْئاً على حَنَقِ[1]
فإذا سألتُك حاجةً أبداً ،   فاضرِب لها قُفلاً على غَلَقِ
وأعِدَّ لي غُلاًّ وجامعةً ،   فاجمعْ يديَّ بها إلى عُنُقي[2]
ما أطولَ الدُّنيا وأوسعَها ،   وأدلَّني بمسالكِ الطُّرُقِ

•

---

١ الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة . القرقرة : الأرض المطمئنة اللينة . أخذ قوله هذا من المثل القائل : هو اذل من فقع بقرقرة .

٢ الجامعة : الغل ، لأنها تجمع اليدين الى العنق .

ومن قولنا في رجل كتب إليّ بِعِدَةٍ في صحيفةٍ ومطلني بها :

صَحيفةٌ طابَعُها اللؤمُ ، عُنوانُها ، بالجَهلِ ، مختومُ
يُهْدَى لها ، والخُلفُ في طَيِّها ، والمَطلُ والتَّسويفُ واللُّومُ
مِن وَجهِهِ نَحسٌ ، ومن قُربِهِ رِجْسٌ ، ومن عِرفانِهِ شومُ
لا تَهتَضِمْ ، إن بِتَّ ضيفاً له ، فخُبزُهُ في الجَوفِ هاضومُ[1]
تَكلِمُهُ الألحاظُ من رِقّةٍ ، فَهْوَ ، بلَحظِ العَيْنِ ، مَكلومُ
لا تأتَدِمْ شيئاً على أكلِه ، فإنّه ، بالجُوعِ ، مأدومُ

●

وقلت فيه :

صحيفةٌ كُتِبَتْ ليتٌ بها وعسى ،
عُنوانُها راحةُ الرّاجي إذا يَئِسا

وَعْدٌ له هاجسٌ في القلبِ ، قد بَرِمَتْ
أحشاءُ صَدْري به من طولِ ما هَجَسا

بَراعةٌ غَرَّني منها وَميضُ سَنًى ،
حتى مَددتُ إليها الكفَّ مُقتَبِسا

---

[1] الهاضوم : كل دواء يساعد على هضم الطعام .

فصادفتْ حَجَراً لو كنتَ تضربُه ،
من لؤمه ، بِعَصا موسى لمَا انبَجسا

كأنما صيغ من بُخلٍ ومن كَذِبٍ ،
فكانَ ذاكَ له روحاً وذا نَفَسا

•

وقلت فيه :

رَجاءٌ دونَ أقربِهِ السّحابُ ،
ووَعْدٌ مثلُ ما لَمَعَ السّرابُ

وتَسْويفٌ يَكِلُّ الصبرُ عنه ،
ومَطْلٌ ما يقومُ له حِسابُ

وأيامٌ خَلَتْ من كلّ خيرٍ ،
ودنيا قد توزّعها الكِلابُ

•

لطيف الاستمناح

قالَ الحكماء : لطيفُ الاستمناحِ سببُ النجاح ، والأنفُسُ ربما انطلَقت وانشرَحت بلطيفِ السؤال ، وانقبضَت وامتنَعت بجفاءِ السائل ؛ كما قال الشاعر :

وجفَوتَني ، فقطعتُ عنك فوائدي ،
كالدَّرِّ يَقطَعُه جَفاءُ الحالبِ

•

وقال العتَّابي : إن طلبتَ حاجةً الى ذي سلطانٍ فأجمِل في الطلب إليه . وإياكَ والالحاحَ عليه ، فإنَّ إلحاحَكَ يَكلِمُ عِرضَك ، ويُريقُ ماءَ وجهك ، فلا تأخذ منه عِوَضاً لما يأخذُ منك ؛ ولعلَّ الإلحاحَ يجمعُ عليك إخلاقَ الوجه وحِرمانَ النجاح ، فإنه ربما ملَّ المطلوبُ إليه حتى يستخفَّ بالطالب .

•

وقال الحسنُ بن هانىء :

تأنَّ مواعيدَ الكرامِ ، فرُبما
حملتَ من الالحاحِ سَمحاً على بُخلِ

•

وقال آخر :

إنْ كنتَ طالبَ حاجة ، فتَجمَّلِ ،
فيها بأحسنِ ما طلبتَ ، وأجْملِ

إنَّ الكريمَ ، أخا المُروءة والنُّهى ،
مَن ليسَ في حاجاتِه بمُثقَّلِ

•

المدائنيّ قال : قَدِمَ قومٌ من بني أُمية عَلى عبد الملك بن مَروان ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، نحنُ ممّن تَعرِفُ ، وحقّنا ما لا يُنكَرُ ، وجِئناكَ من بعيدٍ ، ونَمُتُّ بقريبٍ ، ومهما تُعطِنا فنحنُ أهلُه .

•

دخل عبد الملك بن صالح على الرشيد فقال : أسألك بالقرابةِ والخاصّةِ ، أم بالخلافةِ والعامّة ؟

قال : بل بالقَرابةِ والخاصّة .

قال : يداكَ يا أميرَ المؤمنين بالعطيّةِ أطلقُ من لساني بالمسألة .

فأعطاه وأجزلَ له .

•

ودخل أبو الرَّيّان على عبدِ الملك بن مَروان ، وكان عنده

أثيراً، فرآه خاثراً ، فقال : يا أبا الزيّان ، ما لك خاثراً؟

قال : أشكو إليك الشَّرَفَ يا أميرَ المؤمنين .

قال : وكيف ذلك ؟

قال : نُسألُ ما لا نَقدِرُ عليه ونَعتذِرُ فلا نُعذَر .

قال عبد الملك : ما أحسنَ ما استمنحتَ واعتررْتَ[1] يا أبا الزيّان ! أعطوه كذا وكذا .

•

العتّابي قال :

كتب الشَّعْبيُّ الى الحجّاجِ يسأله حاجةً ، فاعتلَّ عليه ، فكتب إليه الشَّعْبي : والله لاعذرتُك وأنتَ والي العراقين ، وابنُ عظيمِ القريتين ؛ فقضى حاجتَه . وكان جدُّ الحجّاج لأمّه عُروة بن مسعودٍ الثَّقفيّ .

•

العتْبيّ قال :

قدم عبدُ العزيز بنُ زُرارةَ الكِلابيُّ على أميرِ المؤمنين معاوية ، فقال : إني لم أزل أهزُّ ذوائبَ الرِّحالِ إليك ، فلم أجِد مُعوَّلاً إلا عليك ، أمتطي الليلَ بعد النهارِ ، وأَسِمُ المجاهلَ بالآثار ، يقودني إليك أملٌ ، وتسوقني بَلوى ، والمُجتهِد

---

١ اعتررت : طلبت المعروف .

يُعـذَر ، وإذا بلغتُـــك فَقَطْني[1] ؛ فقال : احطُط عن راحلتك رحلها .

•

ودخل كُرَيز بن زُفَر بن الحارث على يزيـدَ بن المهلّب فقال : أصلَح الله الأمـير ، أنت أعظمُ من أن يُستعان بك وَيُستعانَ عليك ، ولستَ تفعلُ من الخيرِ شيئاً إلاّ وهو يَصغُر عنك وأنت أكبرُ منه ، وليس العَجبُ أن تَفعـلَ ، ولكن العَجبَ أن لا تفعَل .

قال : سَلْ حاجتك .

قال : قد حملتُ عن عشيرتي عَشْرَ دِيات .

قال : قد أمرتُ لك بها وشفعتُها بمثلها .

•

العُتبي عن أبيه قال :

أتى رجلٌ إلى حاتم الطائي فقال : إنهـا وقعت بيني وبين قومي دِياتٌ فاحتملتُها في مالي وأملي ، فعَدِمتُ مالي وكنتَ أملي ، فإن تحمِلْها عني فربَّ همٍّ فرَّجتَه ، وَغمٍّ كفيتَـه ، ودَينٍ قضيتَه ؛ وإن حال دونَ ذلك حائلٌ لم أذُمَّ يومَك ، ولم أيأسْ من غدِك . فَحَملها عنه .

•

---

[1] قطني : حسبي .

المدائنيّ قال :

سأل رجلٌ خالداً القَسْريَّ حاجةً ، فاعتلّ عليه ؛ فقال له : لقد سألتُ الأمير من غيرِ حاجةٍ .

قال : وما دعاك إلى ذلك ؟

قال : رأيتُك تُحبّ مَن لك عنده حُسنُ بلاءٍ ، فأردتُ أن أتعلّقَ منك بحَبْل مَودّة .

فوصلَه وحباه وأدنى مكانَه .

•

الأصمعيّ قال :

دخل أبو بكرٍ الهَجَريُّ على المَنصورِ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نغَض فَمي[1] ، وأنتم أهلَ البيتِ بركةٌ ، فلو أذِنتَ لي فقبّلتُ رأسَك .

قال : اختر منها ومن الجائزة .

فقال : يا أمير المؤمنين أهونُ عليّ من ذَهابِ دِرْهمٍ من الجائزةِ ألاّ تَبقى حاكّةٌ[2] في فَمي .

فضَحك المنصور وأمر له بجائزة .

•

---

١ نغض فمي : اي قلقت اسناني .

٢ الحاكّة : السن .

وذكروا أن جاراً لأبي دُلف ببغدادَ لَزِمه كبيرُ دين فادحٍ حتى احتاجَ إلى بَيْعِ دارِه ، فساوموه بها ، فسألهم ألفي دينار ؛ فقالوا له : إن دارَك تُساوي خمسمائة ؛ قال : وجواري من أبي دُلف بألف وخمسمائة . فبلغ أبا دُلف ، فأمر بقضاءِ دَينه ، وقال له : لا تَبِع دارَك ولا تَنتقِل من جوارِنا .

•

ووقَفَت امرأةٌ على قَيس بن سعد بن عُبادة ، فقالت : أشكو إليك قِلَّة الجِرْذانِ ؛ قال : ما أحسن هذه الكناية ! املأوا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً .

•

ابراهيم بن أحمد عن الشيباني قال :

كان أبو جعفرٍ المنصورُ أيام بني أمية إذا دخل البصرة دخل مُستتراً ، فكان يجلِسُ في حَلقةِ أزْهرَ السَّمانِ المُحدِّثِ ، فلما أفضَتَ الخلافةُ إليه ، قدِمَ عليه أزهرُ ، فرحَّبَ به وقرَّبه ، وقال له : ما حاجتُك يا أزهر ؟

قال : داري مُتهدِّمةٌ ، وعليَّ أربعة آلاف دِرهم ، وأريد أن يَبني محمدٌ ابني بعيالِه .

فوصله باثني عشر ألفاً ، وقال : قد قَضينا حاجتَك يا أزهرُ ، فلا تأتِنا طالباً .

فأخذها وارتحل . فلما كان بعد سنةٍ أتاه ، فلما رآه أبو جعفر ، قال : ما جاءَ بك يا أزهر ؟

قال : جئتك مُسلّماً .

قال : إنه يقع في خَلَدِ أمير المؤمنين أنّك جئتَ طالباً .

قال : ما جئتُ إلا مسلّماً .

قال : قد أمرنا لك باثني عشرَ ألفاً ، واذهب فلا تأتِنا طالباً ولا مُسلّماً .

فأخذها ومضى . فلما كان بعد سنة أتاه ، فقال : ما جاءَ بك يا أزهر ؟

قال : أتيتُ عائداً .

قال : إنه يقع في خَلَدِ أمير المؤمنين أنك جئتَ طالباً .

قال : ما جئتُ إلاّ عائداً .

قال : قد أمرنا لك باثني عشرَ ألفاً ، واذهب فلا تأتِنا لا طالباً ولا مُسلّماً ولا عائداً .

فأخذها وانصرف . فلما مضت السنة أقبل ، فقال له : ما جاء بك يا أزهر ؟

قال : دُعاء كنت أسمعُك تدعو به يا أميرَ المؤمنين ، جئتُ لأكتُبَه .

فضحك أبو جعفر ، وقال : إنه دُعاءٌ غير مُستجابٍ ،

وذلك أنني قد دعوتُ الله تعالى به أن لا أراكَ فلم يَستجب لي ، وقد أمرنا لك باثني عشر ألفاً ، فاذهب وتعالَ متى شئتَ فقد أعيتني فيك الحيلة .

•

أقبلَ أعرابيّ الى داود بن المُهلّب فقال له : إني مدحتُك فاستمِع .

قال : على رِسْلِك .

ثم دخل بيته وتقلّدَ سيفه وخرج . فقال : قُلْ ، فإن أحسنت حكّمناك ، وإن أسأت قتلناك .

فأنشأ يقول :

أمِنتُ بداوُدٍ وَجودِ يَمينه ،
من الحَدَث المَخشِيّ والبؤس والفقرِ

فأصبحتُ لا أخشى بداوُدَ نَبوةً ،
من الحدَثانِ ، إذ شددتُ به أزْري

له حُكمُ لُقمانٍ ، وصورة يوسفٍ ،
ومُلكُ سُليمانٍ ، وعَدْلُ أبي بَكرِ

فتىً تَفرَقُ الأموالُ من جودِ كفّه ،
كما يَفرَقُ الشيطانُ من ليلةِ القدْرِ

فقال : قد حكّمناك ، فإن شئتَ على قَدرِك ، وإن شئتَ على قَدري .

قال : بل على قدري . فأعطاه خمسين ألفاً .

فقال له جلساؤه : هلاّ احتكمتَ على قَدْر الأمير .

قال : لم يكُ في ماله ما يَفي بقَدْرِه .

قال له داود : أنتَ في هذه أشعرُ منك في شعرِك .

وأمر له بمثل ما أعطاه .

•

الأصمعي قال : كنت عند الرشيدِ إذ دخل عليه إسحاق ابن إبراهيم المَوْصلي فأنشده :

وآمرةٍ بالبُخلِ قلتُ لها اقصِري ،
فليس إلى ما تأمُرين سَبيلُ

فَعالي فَعالُ المُكثِرين تجمّلاً ،
ومالي ، كما قد تعلمين ، قليلُ

فكيفَ أخافُ الفقرَ أو أحْرَمُ الغِنى ،
ورأيُ أميرِ المؤمنين جميلُ !

فقال له الرشيد : لله أبياتٌ تأتينا بها ! ما أحسنَ أصولَها ، وأبين فصولها ، وأقلّ فضولها ! يا غلام ، أعطه عشرين ألفاً .

قال : والله لا أخذتُ منها دِرهماً .

قال : ولمَ ؟

قال : لأنّ كلامَك والله يا أميرَ المؤمنين خيرٌ من شعري .

قال : أعطوه أربعين ألفاً .

قال الأصمعي : فعلِمتُ والله أنه أصيدُ لدراهمِ الملوك مني.

•

العُتبي عن أبيه قال :

قَدم زيد بن مُنْية من البَصْرة على مُعاوية ، وهو أخو يَعْلَى بن مُنْيةَ صاحبِ جملِ عائشة رضي الله عنها ومتولّي تلك الحروب ورأسِ أهل البصرة ، وكانت ابنةُ يَعْلى عند عُتبة بن أبي سفيان ، فلما دخل على مُعاوية شكا دَيْنه ، فقال : يا كعبُ ، أعطه ثلاثين ألفاً ؛ فلما ولّى قال : وليومِ الجملِ ثلاثين ألفاً ؛ ثم قال له : الحق بصِهْرك ، يعني عُتبة ، فقدم عليه مِصْر ، فقال : إني سِرْت إليك شهرينِ ، أخوضُ فيهما المَتالفَ ، ألبسُ أرديَة الليلِ مرةً ، وأخوضُ في لُجج السّرابِ أخرى ، مُوقَراً[1] من حُسنِ الظنّ بك ، وهارباً من دهرٍ قَطِمٍ[2] ، ومن دَينٍ لزمٍ ، بعد غِنًى جدَعْنا به أنوفَ الحاسدين .

---

١ موقراً : مزوداً ومحملاً .

٢ قطم : صؤول .

فقال عُتبة : إن الدهرَ أعاركم غِنى ، وخَلطكم بنا ، ثم استردّ ما أمكنَه أخذُه ، وقد أبقى لكم منّا ما لا ضيعةَ معه ، وأنا رافعٌ يدي ويدَك بيدِ الله .

فأعطاه ستين ألفاً كما أعطاه معاوية .

•

إبراهيم الشيبانيّ قال :

قال عبد الله بن عليّ بن سُويد بن مَنْجوف :

أعدمَ أبي إعدامة شديدة بالبصرة وأنْفَض[1] ، فخرجَ إلى خُراسان فلم يُصِب بها طائلا ، فبينا هو يشكو تعذُّرَ الأشياء عليه إذ عدا غلامُه على كُسوته وبَغلتِه فذهب بهما . فأتى أبا ساسانَ حُضَينَ بن المُنذِر الرَّقاشِيّ فشكا إليه حاله ؛ فقال له : والله يابن أخي ما عمُّك ممن يَحمِلُ محامِلَك ، ولكن لعلّي أحتالُ لك .

فدعا بكُسوة حَسَنة فألبسني إياها ، ثم قال : امضِ بنا ؛ فأتى باب والي خُراسانَ فدخلَ وتركني بالباب ، فلم ألبث أن خرجَ الحاجبُ فقال : أين عليُّ بن سُويد ؟

فدخلت إلى الوالي ، فإذا حُضين على فِراش إلى جانبه ،

---

١ أنفض : هلك ماله وفني زاده .

فسلّمتُ على الوالي ، فردّ علي ، ثم أقبل عليه حُضين فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، هذا عليُّ بن سُويد بن مَنجوفٍ سيّدُ فتيانِ بكر بن وائل وابنُ سيّدِ كُهولها ، وأكثرُ الناسِ مالاً حاضراً بالبصرةِ ، وفي كل موضع ملكت بـه بكرُ بن وائل مالاً ، وقد تحمّل بي إلى الأمير في حاجة .

قال : هي مَقضيّة .

قال : فإنه يسألك أن تمُدَّ يدك في ماله ومَراكبه وسلاحِهِ إلى ما أحببتَ .

قال : لا واللهِ لا أفعلُ ذلك به ، نحن أولى بزيادته .

قال : فقد أعفيناك من هذه إذ كرهتَها ، فهو يسألك أن تُحمّله حوائجك بالبَصرة .

قال : إن كانت حاجةٌ فهو فيها ثِقة ، ولكن أسألك أن تكلّمه في قَبول مَعونةٍ منّا ، فإنا نحبُّ أن يُرى على مثله من أثرِنا .

فأقبل عليّ أبو ساسان فقال : يا أبا الحسنِ ، عزمتُ عليك أن لا تَرُدَّ على عمّك شيئاً أكرمك به .

فسكتُّ . فدعا لي بمال ودوابٍّ وكساءٍ ورَقيق . فلما خرجت قلت : أبا ساسان ، لقد أوقفتني على خُطّةٍ ما وقفتُ على مثلِها قط .

قال : اذهب إليك يابن أخي ، فعمُّك أعلم بالناسِ منك ، إن الناسَ إن علِموا لك غِرارةً من مالٍ حشَوا لك اخرى ، وإن يعلموك فقيراً تعدَّوا عليك مع فقرِك .

•

إبراهيم الشَّيْباني قال :

وُلد لأبي دُلامةَ ابنةٌ ليلاً فأوقد السِّراجَ وجعلَ يخيطُ خريطةً من شُقَقٍ[1] ، فلما أصبحَ طواها بين أصابعه وغدا بها الى المهديِّ ، فاستأذنَ عليه ، وكان لا يُحجَبُ عنه . فأنشده :

لو كان يَقعُدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ
قومٌ لَقيل اقعدُوا يا آلَ عبّاسِ

ثم ارتقُوا من شُعاعِ الشمسِ في دَرَجٍ
الى السماء ، فأنتم أكرمُ الناسِ

قال له المهديّ : أحسنتَ والله أبا دُلامة ! فما الذي غدا بك إلينا ؟

قال : وُلِدَت لي جاريةٌ يا أمير المؤمنين .

قال : فهل قلتَ فيها شعراً ؟

قال : نعم قلتُ :

---

[1] الشقق ، واحدتها شقة : السبيبة المستطيلة من الثياب .

فما وَلَدَتْكِ مريمُ أمُّ عيسى ، ولم يَكفُلْكِ لقمانُ الحكيمُ
ولكن قد تَضُمُّكَ أمُّ سوءٍ إلى لَبّاتِها ، وأبٌ لئيمُ

قال : فضحكَ المهديّ وقال : فما تُريد أن أعينَك به في تربيتها أبا دلامة ؟

قال : تملأ هذه يا أمير المؤمنين ، وأشار إليه بالخَريطة بين إصبعيه .

فقال المهدي : وما عسى أن تَحمِلَ هذه ؟

قال : من لم يَقنَع بالقليلِ لم يقنَع بالكثير .

فأمر أن تملأ مالاً . فلما نُشِرت أخذَت عليهم صحنَ الدارِ فدخل فيها أربعة آلاف درهم .

•

وكان المهدي قد كسا أبا دلامة ساجاً[1] ، فأخذ به وهو سكران ، فأتي به الى المهدي ، فأمر بتمزيق الساج عليه ، وأن يُحبَسَ في بيت الدّجاج ؛ فلما كان في بعض الليل وصحا أبو دلامةَ من سُكره ورأى نفسه بين الدّجاجِ ، صاح : ياصاحب البيت ! فاستجاب له السجّان فقال : ما لك يا عدو الله ؟

---

١ الساج : الطيلسان الاخضر أو الأسود .

قال له : ويلك ! من أدخلني مع الدّجاج ؟

قال : أعمالك الخبيثة ، أُتي بك أميرُ المؤمنين وأنتَ سكرانُ فأمر بتمزيقِ ساجك وحبْسِك مع الدّجاج .

قال له : ويلك ! أوَتقدِرُ على أن تُوقدَ سِراجاً ، وتجيئني بدواة ووَرَق ؟ فأتاه بدواةٍ وورقٍ ، فكتب أبو دلامة الى المهديّ :

أمِن صَهْباءَ صافيةِ المِزاجِ ، كأنّ شعاعَها لهبُ السّراجِ
تَهَشُّ لها النفوسُ وتَشتهيها ، إذا بَرزت تَرَقرقُ في الزُّجاجِ
أميرَ المؤمنين فدتكَ نفسي ، علامَ حبَستَني وخرقتَ ساجي؟
أُقادُ الى السجونِ بغيرِ ذنبٍ ، كأني بعضُ عُمّالِ الخَراج
ولو معهم حُبستُ لهانَ وَجدي ، ولكني حُبستُ مع الدّجاجِ
دجاجاتٌ يُطيفُ بهنّ دِيكٌ ، يُناجي بالصّياح إذا يُناجي
وقد كانت تُخبّرني ذُنوبي بأني ، من عَذابك، غيرُ ناجي
على أني ، وإن لاقيتُ شرّاً ، لخيرِك ، بعد ذاك الشرّ ، راجي

ثم قال : أوصِلْها الى أمير المؤمنين ؛ فأوصلَها إليه السجّان ، فلما قرأهـا أمر بإطلاقه وأدخله عليـه ، فقال له : أين بِتّ الليلة أبا دُلامة ؟

قال : مع الدّجاجِ يا أمير المؤمنين .
قال : فما كنت تَصنع ؟
قال : كنت أقاقي معهن حتى أصبحت .
فضحك المهديّ وأمر له بصِلة جَزيلة ، وخَلع عليه كُسوة شريفة .

•

وكتب أبو دُلامة الى عيسى بن موسى ، وهو والي الكوفة ، رُقعةً فيها هذه الأبيات :

إذا جئتَ الأميرَ فقُلْ سلامٌ عليك ، ورحمةُ الله الرّحيمِ
فأمّا بعدَ ذاك ، فلي غريمٌ من الأنصار ، قُبِّح من غريمِ
لزومٌ ،ما علمتُ ،لبابِ داري ، لُزومَ الكَلبِ أصحابَ الرّقيمِ[1]
له مائةٌ عليّ ونِصفُ أخرى ، ونِصفُ النّصفِ في صكٍّ قديمِ
دراهمُ ما انتفعتُ بها ، ولكنْ وصلتُ بها شيوخَ بني تميمِ

قال : فبعث إليه بمائة ألف درهم .
ولَقي أبو دُلامَة أبا دُلفٍ في مَصادٍ له وهو والي العراق ، فأخذ بِعِنانِ فرسه وأنشده :

---

١ أصحاب الرقيم : أهل الكهف .

إنّي حلفتُ لئن رأيتُك سالماً بقُرى العراقِ ، وأنت ذو وَفْرِ
لتُصلّيَنّ على النبيّ محمدٍ ، ولتملأنّ دراهماً حِجْري

فقال : أما الصلاة على النبيّ ، فنعم ، صلى الله عليه وسلم ؛ وأما الدراهم ، فعندما نرجعُ إن شاء الله تعالى .

قال له : جُعلت فِداك ، لا تُفرّق بينهما . فاستلفها وصُبّت في حِجْره حتى أثقلته .

●

ودخل أبو دلامة على المهديّ ، فأنشده أبياتاً أعجب بها ، فقال له : سَلْني أبا دُلامةَ واحتكم وأفرِط ما شئت .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، كلبٌ أصطاد به .

قال : قد أمرنا لك بكلب ؛ وهاهنا بلغتْ أمنيّتك ؟

قال : لا تعجَل عليّ يا أمير المؤمنين ، فإنه بقي عليّ .

قال : وما بقي عليك ؟

قال : غلامٌ يقود الكلب .

قال : وغلامٌ يقود الكلب .

قال : وخادمٌ يطبخ الصّيد .

قال : وخادمٌ يطبخ الصّيد .

قال : ودار نسكنُها .

قال : ودار تسكنها .

قال : وجارية تأوي اليها .

قال : وجارية تأوي إليها .

قال : قد بقيَ الآن المَعاش .

قال : قد أقطعناك ألفَيْ جَريبٍ[1] عامرة وألفَي جَريب غامرة .

قال : وما الغامرة يا أمير المؤمنين ؟

قال : التي لا تَعْمَر .

قال : أنا أُقطِعُ أميرَ المؤمنين خمسين ألفاً من فَيافي بني أسد .

قال : قد جعلتُها كلّها لك عامرة .

قال : فيأذن لي أمير المؤمنين في تَقبيل يده ؟

قال : أما هذه فدَعْها .

قال : ما منعتني شيئاً أيسرَ على أمّ ولدي فَقْداً منه .

•

ودخل أبو دُلامة على أبي جعفر المنصور يوماً وعليه قَلَنْسوة طويلة ، وكان قد أخذ أصحابه بلُبْسِها وأخذَهم بلُبس دَراريعَ ، عليها مكتوبٌ بين كتفي الرجل : فسيكفيكَهُمُ اللهُ وهو

---

[1] الجريب : ثلاثة آلاف وستمائة ذراع .

السَّميعُ العَليم . وأمرهم بتعليقِ السيوف على أوساطهم ، فدخل عليه أبو دلامة في ذلك الزّيّ ، فقال له : كيف أصبحت أبا دلامة ؟

قال : بشَرّ حال يا أمير المؤمنين .

قال : كيف ذلك ؟ ويلك !

قال : وما ظنّك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهُه في وسطه ، وقد نَبذ كتابَ الله عز وجل وراءَ ظهره ؟

قال : فضحك أبو جعفر وأمر بتغييرِ ذلك ، وامر لأبي دُلامة بصِلة .

•

وأوصل أبو دُلامة الى العبّاس بنِ المنصور رقعةً فيها هذه الأبيات :

قِفْ بالدّيارِ ، وأيُّ الدهرِ لم تَقِفِ ،
على منازلَ بينَ الظّهرِ والنّجَفِ [1]

وما وُقوفُكَ في أطلالِ منزِلةٍ ،
لولا الذي استحدثَتْ في قلبِكَ الكَلَفِ

---

[1] الظهر : موضع . النجف : موضع بظهر الكوفة ، وهو دومة الجندل بعينها .

إن كنتَ أصبحتَ مَشغوفاً بجاريةٍ،
فلا وربّكَ لا تَشفيكَ من شَغفِ

ولا تَزيدُكَ إلا العَلَّ من أسفٍ،
فهل لقلبِكَ من صَبْرٍ على الأسفِ؟

هذي مقالةُ شيخٍ من بني أسَدٍ،
يُهدي السلامَ إلى العبّاسِ في الصُّحُفِ

تَخُطُّها من جَواري المِصْرِ كاتبةٌ،
قد طالما ضُرِبَتْ في اللام والألف[1]

وطالما اختلَفت، صِنْفاً وشانيةً،
إلى مُعلّمِها باللوح والكَتِفِ[2]

حتى إذا ما استوى الثَّدْيانِ، وامتلأت
منها، وخيفَتْ على الإشرافِ والقرَفِ

صِينَتْ ثلاثَ سِنينٍ ما ترى أحداً،
كما تُصانُ ببحرٍ دُرّةُ الصَّدفِ

---

١ ضربت في اللام والألف، أي ضربها معلمها لتتقن الخط.
٢ الكتف: عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان كانوا يكتبون فيه.

بينا الفتى يتمشّى نحو مَسْجِدِهِ،
مُبادِراً لصلاةِ الصبحِ بالسُّدَفِ[1]

حانت له نَظْرَةٌ منها، فأبصرَها
مُطِلّةً بين سِجْفَيها من الغُرَفِ

فخرّ في التُّرْبِ ما يدري غداتَئذٍ،
أخرّ مُنكشِفاً أم غيرَ مُنكشِفِ

وجاءه القومُ أفواجاً بمائهمُ،
ليَنْضَحوا الرجلَ المَغشيّ بالنُّطَفِ[2]

فوَسْوَسُوا بقرآنٍ في مَسامعِهِ،
خوفاً من الجنّ، والانسانُ لم يخَفِ

شيئاً، ولكنّه من حُبِّ جاريةٍ
أمسى وأصبحَ، من موتٍ، على شرفِ

قالوا: لك الخيرُ ما أبصرتَ؟ قلتُ لهم:
جِنّيّةٌ أقصدتني من بني خَلَفِ

أبصرتُ جاريةً محجوبةً لهمُ،
تطلّعت من أعالي القصرِ ذي الشُّرَفِ

---

١ السدف، واحدتها سدفة: الظلمة.

٢ النطف: الماء الصافي.

فقلتُ : مَنْ أيُّكم ، واللهُ يأجُرُه ،
يُعيرُ قُوَّتَه منّي الى ضَعفي ؟

فقامَ شيخٌ بَهيٌّ من تِجارِهمُ ،
قد طالما خَدَعَ الأقوامَ بالحَلِف

فابتاعَها لي بألفَي أحمرٍ ، فغدا
بها إليّ فألقاها على كَتِفي

بِتْنا كذلك حتى جاءَ صاحبُها ،
يَبْغي الدَّنانيرَ بالميزانِ ذي الكِفَف

وذاكَ حقٌّ على زَنْدٍ ، وكيف به ،
والحقُّ في طَرَفٍ والعَينُ في طَرَف

وبين ذاك شُهودٌ لم أبالِ بهم ،
أكنتُ معترفاً أم غيرَ مُعترف

فإن تَصِلْني قَضيتُ القومَ حقَّهمُ ،
وإن تَقُلْ لا ، فحقُّ القومِ في تَلَف

فلما قرأ العبّاس الأبيات أعجب بها واستظرفها ، وقضى عنه ثمن الجارية .

واسم أبي دلامة زَنْد .

إبراهيم بن المهديّ قال : قال لي جعفر بن يحيى يوماً : إني استأذنت أمير المؤمنين في الحِجامة وأردت أن أخلوَ وأفرَّ من أشغال الناس وأتروّحَ[1] ، فهل أنت مُساعدي ؟

قلت : جعلني الله فِداك ، أنا أسعدُ الناس بمُساعدتِك ، وآنسُ بمُخالاتِك .

قال : بكّر إليّ بُكورَ الغُراب .

قال : فأتيتُ عند الفجر الثاني فوجدتُ الشمعةَ بين يديه ، وهو قاعدٌ ينتظرني للميعاد .

قال : فصلّينا ثم أفضنا في الحديث حتى جاء وقت الحِجامة ، فأُتي بحَجّامٍ فحجَمنا في ساعة واحدة ، ثم قُدّمَ إلينا طَعامٌ فطَعِمنا ، فلما غسلنا أيديَنا خُلِعَ علينا ثيابُ المُنادمةِ ، وضُمّخنا بالخَلوق[2] ، وظَلِلْنا بأسرِّ يومٍ مَرَّ بنا .

ثم إنه ذكرَ حاجةً فدعا الحاجبَ ، فقال : إذا جاءَ عبدُ الملك القَهْرمانيّ فأذن له . فنَسي الحاجب ، وجاء عبدُ الملك ابن صالحٍ الهاشمي على جَلالتِه وسِنّه وقَدره وأدبه ، فأذِن

---

١ تروح بالمروحة : أخذ الريح بها . ولعله اراد هنا بتروح ارتاح ، اي سر ونشط .

٢ الخلوق : ضرب من الطيب اعظم اجزائه الزعفران .

له الحاجب . فما راعنا إلا طَلْعةُ عبد الملك ، فتغيّر لذلك جعفرُ بن يحيى وتنغّصَ عليه ما كان فيه . فلما نظر عبدُالملك إليه على تلك الحال دعا غلامَه فدفع إليه سيفَه وسَوادَه وعِمامته ، ثم جاء ووقَف على باب المجلس ، وقال : اصنعوا بي ما صَنعتم بأنفسكم .

قال : فجاء الغلامُ فطرحَ عليه ثيابَ المُنادمةِ ، ودعا بالطعام فطَعِمَ ، ثم دعا بالشرابِ فشَرِب ثلاثاً ، ثم قال : ليُخفَّفْ عني ، فإنه شيءٌ ما شربتُه قط . فتهلّل وجهُ جعفر وفَرِح به .

وكان الرشيد قد عَتب على عبد الملك بن صالح ووَجد عليه . فقال له جعفر بن يحيى : جعلني الله فِداك ، قد تفضّلتَ وتطوّلتَ وأسعدتَ ، فهل من حاجةٍ تبلغُها مقدرتي ، أو تُحيطُ بها نِعْمتي ، فأقضيها لك مُكافأةً لما صنعت ؟

قال : بلى ، إن قلبَ أميرِ المؤمنين عاتبٌ عليّ ، فسَلْه الرضا عنّي .

قال : قد رَضي عنك أميرُ المؤمنين .

ثم قال : عليّ أربعةُ آلاف دينار .

قال : حاضرة ، ولكن من مالِ أمير المؤمنين أحبُّ اليك .

قال : وابني إبراهيمُ أحبُّ أن أشُدَّ ظهرَه بصِهْرٍ من أولاد أمير المؤمنين .

قال : قد زوَّجه أميرُ المؤمنين ابنتَه عائشة .

قال : وأحبُّ أن تَخْفُقَ الألوية على رأسه .

قال : قد ولاَّه أميرُ المؤمنين مصر .

قال : وانصرف عبدُ الملكِ ، ونحن نَعْجَبُ من إقدامه على قضاءِ الحوائجِ من غير استئذان أميرِ المؤمنين .

فلما كان من الغد وقفنا على بابِ الرشيد ودخل جعفرٌ ، فلم تلبَثْ أن دُعِي بأبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وإبراهيم ابن عبد الملك ، فعُقِد النكاحُ ، وحُملتِ البِدَرُ الى منزل عبد الملك ، وكُتِبَ سجلُّ إبراهيمَ على مصر .

وخرج جعفرٌ فأشارَ إلينا ، فلما صار الى منزله ، ونحن خلفه ، نزل ونزلنا بنزوله ؛ فالتفت إلينا فقال : تعلَّقت قلوبُكم بأولِ أمرِ عبدِ الملك فأحببتم معرفة آخره ، وإني لمَّا دخلتُ على أميرِ المؤمنين ومَثَلْتُ بين يديه وابتدأتُ القِصَّة من أوَّلِها ، فجعل يقول : أحسنَ واللهِ ! أحسنَ واللهِ ! فما صنعت ؟ فأخبرتُه بما سأل وبما أجبتُه به ؛ فجعلَ يقولُ في ذلك : أحسنتَ ! أحسنتَ ! وخرج إبراهيمُ والياً على مصر .

•

قدِمَ رجلٌ على ملِك من ملوكِ الأكاسرة ، فمكثَ ببابه

حيناً لا يَصِلُ اليه ، فتلطّفَ في رُقعةٍ أوصلها إليه ، وفيها أربعةُ أسطر .

في السطرِ الأول : الضُرُّ والأملُ أقدماني عليك .

والسطرِ الثاني : الفقر لا يكون معه صَبر .

والسطرِ الثالث : الانصرافُ بلا فائدةٍ فِتْنةٌ وشماتةٌ للعدو .

والسطرِ الرابع : فإما نَعَمْ مُثمِرةٌ ، وإما لا مُريحة .

فلما قرأهـا وقّع تحت كلِّ سطرٍ منها بألف مثقالٍ وأمر له بها .

•

ودخل رجلٌ من الشعراءِ على يحيى بن خالدِ بن بَرمَكَ فأنشده :

سألتُ النَّدى : هل أنت حُرٌّ ؟ فقال : لا !
ولكنّني عَبْدٌ ليحيى بنِ خالدِ

فقلتُ : شِراءٌ ؟ قال : لا ! بل وراثةٌ
تَوارثني عن والدٍ بعد والدِ

فأمر له بعشرة آلاف .

•

ودخل أعرابيٌّ على خالد بن عبد الله القَسْري فأنشده :

أخالدُ ! إني لم أزُرْكَ لخلَّةٍ ،
سوى أنّني عافٍ وأنتَ جوادُ

أخالدُ ! بينَ الحمدِ والأجرِ حاجتي ،
فأيّهما تأتي ، فأنتَ عِمادُ

فأمر له بخمسةِ آلافِ درهم .

•

ومن قولِنا في هذا المعنى ، ودخلتُ على أبي العبّاس القائدِ فأنشدته :

اللهُ جرّدَ للندى والباسِ سَيفاً ، فقلّده أبا العبّاسِ
مَلكٌ ، إذا استقبلتَ غرّةَ وجهه ، قبضَ الرّجاءُ إليكَ روحَ الباسِ
وَجهٌ عليه من الحياء سكينةٌ ، ومحبّةٌ تجْري مع الأنفاسِ
وإذا أحبّ اللهُ يوماً عبدَه ، ألقى عليه محبّةً للناسِ

ثم سألتُه حاجةً فيها بعضُ الغلَظ ، فتلكّأ عليّ ، فأخذت سِحابةً[1] من بين يديه فوقّعتُ فيها على البديهة :

ما ضرَّ عندكَ حاجتي ما ضرَّها ؟
عذراً إذا أعطيتَ نفسَك قدْرَها

---

١ السحابة : القرطاس .

انظُرْ الى عَرْضِ البِلادِ وطُولِها ،
أَوَلستَ أكرَمَ أهلِها وأبرَّها ؟

حاشى لجُودِكَ أن يُوعِّرَ حاجتي ،
ثِقَتي بجُودِكَ سهَّلَت لي وَعْرَها

لا يَجتني حُلْوَ المحامدِ ماجدٌ ،
حتى يَذوقَ من المطالبِ مُرَّها

فقضى الحاجة وسارَع إليها .

•

وأبطأ عبدُ الله بن يحيى[1] عن الديوان ، فأرسلَ إليه المتوكّلُ يتعرّفُ خبره ، فكتب إليه :

عَليلٌ من مَكانَينِ : من الإفلاسِ والدَّينِ
ففي هذين لي شُغلٌ ، وحسبي شُغلُ هذَينِ

فبعث إليه بألفِ دينار .

•

عبدُ الله بن منصور قال : كنتُ يوماً في مجلسِ الفضلِ بن يحيى ، فأتاه الحاجبُ فقال : إنّ بالبابِ رجلاً قد أكثر في طلب الإذن ، وزعمَ أن له يداً يَمُتُّ بها .

---

[1] هو وزير المتوكل .

فقال : أدخله .

فدخلَ رجلٌ جميلٌ رثُّ الهيئة ، فسلَّم فأحسنَ ، فأومأ إليه بالجلوسِ ، فجلس . فلما عَلِم أنــه قد انطلقَ وأمكنَه الكلام قال له : ما حاجتك ؟

قال له : قد أعربتْ بها رَثاثةُ هيئتي وضعفُ طاقتي .

قال : أجل ، فما الذي تمُتُّ به ؟

قال : وِلادةٌ تَقرُبُ من ولادتِــك ، وجِوارٌ يدنو من جوارِك ، واسمٌ مُشتقٌ من اسمك .

قال : أمّا الجِوار فقد يُمكِنُ أن يكونَ كما قلتَ ، وقد يوافِقُ الاسمُ الاسمَ ، ولكن ما عِلمُك بالولادة ؟

قال : أعلَمتْني أمّي أنهـا لما وضَعتْني ، قيل : إنه وُلِدَ الليلةَ ليحيى بنِ خالدٍ غلامٌ وسُمّي الفضل ؛ فسمَّتني فُضيلاً ، إعظاماً لاسمِك أن تُلحِقَني به .

فتبسَّم الفضل وقال : كم أتى عليك من السِّنين ؟

قال : خمسٌ وثلاثون سنة .

قال : صدقْتَ ، هذا المِقدارُ الذي أتيتُ عليه ، فما فعلَتْ أمُّك ؟

قال : توفّيَت رحمها الله .

قال : فما منعك من اللُّحوق بنا فيما مضى ؟

قال : لم أرضَ نفسي للقائك في عاميّةٍ وحداثةٍ تُقعِدُني عن لقاء الملوك .

قال : يا غلامُ ، أعطِه لكلّ عامٍ من سِنيه ألفاً ، وأعطِه من كُسوتِنا ومَراكبِنا ما يصلُح له .

فلم يخرج من الدار إلا وقد طاف به إخوانُه وخاصّةُ أهلِه .

•

وكتب حبيبٌ الطائي الى أحمدَ بن أبي دُواد :

اعلمْ ، وأنتَ المرءُ غيرَ مُعلّمٍ ؛
وافهمْ ، جُعلتُ فِداكَ ، غيرَ مُفهَّمِ

أنّ اصطناعَ العُرفِ ، ما لم تُولهِ
مُستكمِلاً ، كالثوبِ ما لم يُعلَمِ

والشُّكرُ ، ما لم يُستَتَرْ بصَنيعةٍ ،
كالخطّ تقرؤه ، وليسَ بمُعْجَمِ

وتَفنُّني في القولِ إكثارٌ ، وقد
أسرجتَ في كرم الفعال فألجِمِ

•

وقال دِعبِلُ بن عليّ الخُزاعيّ في طاهر بن الحُسين :

أيا ذا اليمينينِ والدّعوتَين ، ومَن عنده العُرفُ والنّائلُ

أترضى لِمثليَ أنّي مُقيمٌ ببابك ، مُطَّرَحٌ ، خاملُ ؟
رَضيتُ ، من الوُدّ والعائدات ، ومن كلّ ما أمّلَ الآملُ
بتسليمة بين خمسٍ وستٍّ ، إذا ضمّكَ المجلسُ الحافلُ
وما كنتُ أرضى بذا من سواك ؛ أيرضى بذا رجلٌ عاقلُ ؟
وإن نابَ شُغلٌ ، ففي دون ما تُدبّرُه شُغُلٌ شاغلُ
عليكَ السلامُ ، فإنّي امرؤٌ ، إذا ضاقَ بي بَلَدٌ ، راحلُ

•

ونظر زيادٌ الى رجلٍ من ضَبّةَ يأكلُ أكلاً قبيحاً ، وهو أقبحُ الناس وجهاً ، فقال : يا أخا ضَبّةَ ، كم عيالك ؟

قال : سبعُ بناتٍ أنا أجمل منهنّ ، وهنّ آكل منّي .

فضحك زياد وقال : لله دَرُّك ، ما ألطفَ سؤالك ! افرضوا له ولكلّ واحدةٍ منهن مائةً وخادماً ، وعجّلوا له ولهنّ أرزاقهم .

فخرج الضّبي وهو يقول :

إذا كنتَ مُرتادَ السّماحةِ والندَى ،
فنادِ زياداً ، أو أخاً لزيادِ

يُجِبْكَ امرؤٌ يُعطي على الحمدِ مالَه ،
إذا ضَنّ بالمعروفِ كلُّ جوادِ

وما ليَ لا أُثني عليكَ ، وإنما
طَريفيَ من مَعروفِكم وتِلادي ؟

•

ووقف دِعْبِلٌ ببعضِ أمراء الرَّقةِ ، فلمّا مَثَل بين يديه قال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إنّي لا أقولُ كما قال صاحبُ مَعْن :

بأيِّ الحالتَيْنِ عليكَ أُثني ، فإنّي عند مُنصرَفي مَسُولُ
أبالحُسنى ، وليس لها ضِياءٌ عليَّ ، فمن يُصَدِّقُ ما أقولُ
أم الأخرى ، ولستَ لها بأهلٍ ، وأنتَ لكلِّ مَكرُمةٍ فعُولُ

ولكنّي أقول :

ماذا أقولُ ، إذا أتيتُ مَعاشري
صِفْراً يداي من الجَوادِ المُجْزِلِ ؟

إن قلتُ أعطاني كذبتُ ، وإن أقُل
ضنَّ الأميرُ بمالِه لم يجمُلِ

ولأنتَ أعلمُ بالمكارم والعُلا ،
مِن أن أقولَ فعلتَ ما لم تَفعَلِ

فاختَر لنفسك ما أقولُ ، فإنني
لا بدَّ مُخبِرُهم ، وإن لم أُسألِ

قال له : قاتلَكَ اللهُ ! وأمر له بعشرة آلاف درهم .

•

العُتبي قال :

دخل ابن عَبْدَل[1] على بِشر بن مروان لما وَلي الكوفة فقعد بين السّماطين ، ثم قال : أيها الأمير ، إني رأيتُ رُؤيا فأذَن لي في قَصصِها ؛ فقال : قُل . فقال :

أغفيتُ قبلَ الصُّبحِ نَومَ مُسهَّدٍ ،
في ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أنامُها

فرأيتُ أنّك رُعتَني بوَليدةٍ
مَفلوجَةٍ ، حَسَنٍ عليّ قِيامُها[2]

وبِبَدْرَةٍ حُمِلت إليّ ، وبَغلةٍ
شَهباءَ ، ناجيةٍ يَصِرُّ لِجامُها[3]

قال له بِشر بن مروان : كلّ شيء رأيتَ فهو عندي إلاّ البغلة ، فإنها دهماء فارهة[4] ؛ قال : امرأتي طالقٌ ثلاثاً إن كنتُ رأيتُها إلا دهماء ، إلا أني غَلِطتُ .

●

---

١ شاعر اموي .

٢ المفلوجة : المنفرجة الاسنان

٣ الناجية : السريعة .

٤ الفارهة : النشيطة .

الشَّيباني عن البُطَين الشاعر قال :

قدِمتُ على عليّ بن يحيى الأرمِنيّ فكتبتُ إليه :

رأيتُ في النوم أنّي راكبٌ فرساً ،
ولي وَصيفٌ ، وفي كفّي دنانيرُ

فقال قومٌ لهم حِذقٌ ومعرفة :
رأيتَ خيراً ، وللأحلامِ تَعبيرُ

رُؤْياكَ فسِّر غداً عند الأمير تَجِدْ
تَعبيرَ ذاكَ ، وفي الفالِ التَّباشيرُ

فجئتُ مُستبشِراً مُستشعِراً فرَحاً ،
وعند مثلِكَ لي بالفِعلِ تَيْسيرُ

قال : فوقّع لي في أسفل كتابي : أضغاثُ أحلامٍ ، وما نحنُ بتأويل الأحلامِ بعالمين . ثم أمرَ لي بكلّ شيء ذكرتُه في أبياتي ورأيتُه في منامي .

•

وقال بشّار العُقيلي :

حتى متى ليتَ شِعري ، يابن يَقْطين ،
أُثني عليك بما لا منك تُوليني ؟

أما عَلِمتَ ، جزاكَ اللهُ صالحـةً
عنّي ، وزادكَ خيراً يابنَ يَقطينِ

أنّي أُريدُكَ للدنيـا وزينتِها ،
ولا أُريـدُكَ يومَ الدّينِ للدّينِ ؟

•

وقال آخرُ في مثل هذا المعنى :

يابنَ العَـلاء ويا ابن القَرْم مِرداسِ !
إني لأُطْرِيك في أهـلي وجُلاّسي[1]

أُثني عليـك ، ولي حالٌ تُكذّبُني
فيما أقولُ ، فأستَحيي من النـاسِ

حتى إذا قِيلَ : ما أعطاكَ من صَفَدٍ ؟
طأطأتُ من سُوءِ حالي عندها راسي[2]

١ هو عمرو بن العلاء بن مرداس . والشعر لأبي العتاهية . القرم : السيد .
٢ الصفد : العطاء .

الاخذ من الامراء

حدّثنا جعفرُ بن محمد عن يزيدَ بن سِمعان عن عبدِ الله بن نور عن عبدِ الحميد بن وَهب عن أبي الخَلاّل، قال :

سألتُ عثمانَ بن عفّان عن جائزة السلطان ؛ فقال : لحمٌ طَريٌّ زَكيٌّ .

•

جعفر بن محمد عن يحيى بن محمد العامريّ عن المُعتمِر عن عِمْرانَ بن حُدَيرٍ ، قال :

انطلقتُ أنا ورجلٌ الى عِكرِمةَ ، فرأى الرجلُ عليه عِمامةً مُتخرّقةً ، فقال الرجل : عندنا عمائمُ ، ألا نبعَثُ إليك بعِمامةٍ منها ؟ قال عِكرِمة : إنّا لا نَقبلُ من الناسِ شيئاً إنما نقبل من الأمراء .

•

وقال هشامُ بن حسّان :

رأيتُ على الحسنِ البصريّ خَميصةً[١] لها أعلامٌ يصلّي فيها ، أهداها إليه مَسلمةُ بنُ عبدِ الملك .

•

---

١ الخميصة : كساء اسود مربع له علمان .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يَلبَسُ خُفَّينِ أسوَدَين أهداهما إليه النَّجاشيُّ صاحبُ الحَبشة .

•

وقال نافعٌ : كان عبدُ الله بن عمر يقبل هدايا أهل الفِتنة ، مثل المُختار وغيره .

•

ودخل مالكُ بن أنسٍ على هارونَ الرشيد ، فشكا إليه دَيناً لزِمه ، فأمرَ له بألفِ دينارٍ عينٍ . فلما وضَعَ يديه للقيامِ قال : يا أميرَ المؤمنين ، وزوَّجتُ ابني محمداً فصار عليَّ فيه ألفُ دينار ؛ قال : ولابنه ألفُ دينار .

فلقد مات مالك وتركها لورثتِه في مِزْود .

•

وقال الأصمعي : حدَّثني إسحاقُ بن يحيى بن طلحة قال :

كان الربيع بن خُثَيم في ألفٍ ومائةٍ من العَطاء ؛ فكلَّمَ فيه أبي معاويةَ ، فألحقه بألفين . فلما حضَر العَطاء نُودي الربيعُ بن خُثَيم ، فقيل له : في ألفين ، فقعد ، فنظروا فوجدوا على اسمهِ مكتوباً : كلَّم فيه يحيى بنُ طلحة أميرَ المؤمنين ، فألحقه بألفين .

•

وقال رجلٌ لإبراهيمَ بن أدهمَ : يا أبا إسحاقَ ، كنتُ أريدُ أن تقبلَ منّي هذه الجُبّة كُسوة .

قال : إن كنتَ غنيّاً قبلتُها منك ، وإن كنتَ فقيراً لم أقبلْها منك .

قال : فإني غنيّ .

قال : وكم مالُك ؟

قال : ألفا دينار .

قال : فأنت تودُّ أنها أربعةُ آلاف ؟

قال : نعم .

قال : فأنت فقيرٌ ، لا أقبلُها منك .

•

وأمر إبراهيمُ بن الأغلب ، المعروفُ بزيادةِ الله ، بمالٍ يُقسّمُ على الفقهاءِ ، فكان منهم من قَبِل ، ومنهم من لم يَقبل ، فكان أسدُ بنُ الفُراتِ فيمَن قَبِل . فجعلَ زيادةُ الله يَغمِصُ[1] على كلّ من قَبِل منهم . فبلغَ ذلك أسدَ بنَ الفُراتِ ، فقال : لا عليه ، إنّما أخذنا بعضَ حقوقِنا واللهُ سائلُه عمّا بقي .

•

---

[1] يغمص : يعيب .

وقد فخَرتِ العربُ بأخذِ جوائزِ الملوكِ ، وكان من أشرفِ ما يتموّلونه ، فقال ذو الرمّة :

وما كان مالي من تُراثٍ ورثتُه ،
ولا دِيَةٍ كانت ، ولا كَسْبِ مأثمِ

ولكنْ عطاءُ الله من كل رِحْلةٍ ،
الى كل مَحْجوبِ السُّرادق خِضْرمِ [١]

•

وقال آخر يهجو مروانَ بن أبي حفصة ويَعيبه بأخذِه من العامّة ، ويفخَرُ بأنه لا يأخذُ إلا من الملوك ، فقال :

عَطايا أميرِ المؤمنين ، ولم تكن
مُقَسَّمةً من هؤلا وأولئكا

وما نِلتَ حتى شِبْتَ إلاّ عطيّةً
تقوم بها ، مَصرورةً في ردائكا

---

١ الخضرم : الكثير العطاء .

تفضيل بعض الناس على بعض

في العطاء

ذكرَ عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه الفقراء ، فقال : إن سعيدَ بن حِذْيَم منهم ، فأعطاه ألفَ دينار ، وقال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا أعطيت فأغْنِ .

•

وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفدٌ من العربِ فأعطاهم وفضّلَ رجلاً منهم ؛ فقيلَ له في ذلك ؛ فقال : كلُّ القوم عِيالٌ عليه .

•

وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنين المؤلّفةَ قلوبُهم[١] ، فأعطى الأقرعَ بن حابسٍ التّميميَّ وعُيينةَ بنَ حِصْنٍ الفَزاريَّ مائةً من الإبل ، وأعطى العبّاسَ بنَ مِرداسَ السُّلميَّ خمسين ؛ فشقّ ذلك عليه ، فقال أبياتاً ، فأتاه بها وأنشده إياها ، وهي :

---

١ المؤلفة قلوبهم : من التألف وهو المداراة والايناس لرجال حديثي عهد بكفر ليثبتوا على الاسلام رغبة فيما يصل اليهم من المال . (النهاية لابن الاثير) .

أيذهبُ نَهبي ونَهْبُ العُبَيْد بين عُيَينة والأقرعِ[1]
ولا كان حِصْنٌ، ولا حابسٌ، يفوقان مِرداسَ في مَجْمَعِ
وما كنتُ غيرَ امرىءٍ منهم، ومَن تَضعِ اليومَ لم يُرفَعِ

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لبِلالٍ : اقطَعْ عنّي لسانَ العبّاس ؛ فأعطاه حتى أرضاه .

•

وقال صَفْوان بنُ أميّة : لقد غزوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما خَلَق الله خلقاً أبغضَ إليَّ منه ، فما زال يُعطيني حتى ما خَلَق الله خلقاً أحب إليَّ منه . وكان صفوان بن أمية من المؤلّفة قلوبُهم .

•

---

١ العبيد : اسم فرس العباس .

شكر النعمة

•

سليمانُ التَّيميّ قال :

إنَّ الله أنعم على عِباده بقَدْرِ قُدرتِه ، وكلَّفهم من الشُّكرِ بقدر طاقتِهم .

•

وقالوا : مكتوبٌ في التوراةِ : اشكُرْ لمن أنعَم عليك ، وأنعِمْ على من شَكَرك .

•

وقالوا : كُفرُ النّعمةِ يُوجِبُ زوالَها ، وشُكرُها يُوجِبُ المَزيدَ فيها .

•

وقالوا : مَنْ حَمِدَك فقد وفّاك حقَّ نِعمتِك .

•

وجاء في الحديث : مَن نشَر معروفاً فقد شكَره ، ومن سَتَره فقد كَفَره .

•

وقال عبدُ الله بن عبّاس : لو أنَّ فِرْعونَ مِصْرَ أسدى إليَّ يداً صالحةً لشكرتُه عليها .

•

وقالوا : إذا قَصُرَت يـداك عن المكافأةِ ، فليطُل لسانُك بالشكر .

•

وقالوا : ما نَحَلَ الله تعالى عِباده شيئاً أقلّ من الشُّكر ، واعتَبِر ذلك بقول الله عزّ وجلّ : وقليلٌ مِن عِباديَ الشَّكُور .

•

محمد بن صالح عن الواقدي قال : دخلت على يحيى بن خالد البرمكي ، فقلت : إنّ هاهنا قوماً جاؤوا يشكرون لك معروفاً ؛ فقال : يا محمد ، هؤلاء يشكرون معروفاً ، فكيف لنا بشكر شكرهم ؟

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما أنعَمَ الله على عبده نِعمة فرأى عليه أثرَها إلا كَتَبَ : حبيبُ الله شاكراً لأنعُمِهِ ؛ وما أنعَمَ الله على عَبدِهِ نعمةً فلم يَرَ أثرها عليه إلا كَتَبَ : بغيضُ اللهِ كافراً لأنعمِهِ .

•

وكتب عديّ بن أرطاةَ الى عمر بن عبد العزيز : إني بأرضٍ كَثُرَت فيها النِّعَمُ ، وقد خِفتُ على من قِبَلي من المسلمين قِلّةَ الشُّكر والضعفَ عنه . فكتب إليه عمرُ رضي الله عنه :

إن الله تعالى لم يُنعِم على قومٍ نعمةً فحَمِدوه عليها إلا كان ما أعطَوه أكثرَ مما أخذوا . واعتَبِر ذلك لقول الله تعالى :

ولقد آتَيْنا داوُدَ وسُليمانَ عِلماً وقالا الحمدُ لله الذي فضَّلَنا . فأيُّ نعمةٍ أفضلُ مما أُوتي داوُد وسُليمان ؟

•

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها تُنشِد أبيات زُهير بن جَناب :

ارفَع ضعيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُهُ
يوماً ، فتُدرِكَهُ عواقبُ ما جَنى[1]

يَجزيك أو يُثني عليك ، فإنَّ من
أثنى عليك بما فعلتَ ، كمن جَزى

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : صَدَق يا عائشةُ ، لا شَكَرَ اللهُ من لا يشكُرُ الناس .

•

الخُشَنِيُّ قال : أنشَدني الرياشيّ :

إذا أنا لم أشكُرْ على الخير أهلَه ،
ولم أذْمُمِ الجِبْسَ اللئيم ، المُذَمَّما[2]

---

١ لا يحر : لا يرجع .
٢ الجبس : الجبان واللئيم .

فَفِيمَ عرفتُ الخيرَ والشكرَ باسمِه ،
وشقَّ ليَ اللهُ المسامعَ والفما ؟

وأنشدني في الشكر :

سأشكرُ عَمْراً ما تراخت مَنيّتي
أياديَ لم تُمنَن ، وإن هي جَلّتِ

فتىً غيرَ محجوبِ الغنى عن صديقِه ،
ولا مُظهِرَ الشكوى ، إذا النعلُ زَلّتِ

رأى خَلّتي من حيثُ يَخفى مكانُها ،
فكانت قذى عينيه حتى تجلّتِ

•

قلة الكرام في كثرة اللئام

قال النبي صلى الله عليه وسلم : النّاس كإبلٍ مائةٍ لا تكاد تَجِد فيها راحلة[1] .

•

وقالتِ الحكماءُ : الكِرامُ في اللئامِ كالغُرَّةِ في الفرس .

•

وقال الشاعر :

تُفاخِرُني بكَثرتِها قُرَيْظٌ، وقبلي والِدَ الحَجَلَ الصقورُ[2]
فإن أكُ في شِرارِكُمُ قليلًا، فإني في خِيارِكُمُ كثيرُ
بُغاثُ الطّيرِ أكثرُها فِراخاً، وأمُّ الصقرِ مِقلاتٌ نَزُورُ[3]

•

وقال السَّموأل :

تُعيّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا، فقلتُ لها : إنَّ الكِرامَ قليلُ
وما ضرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ، وجارُ الأكثرينَ ذليلُ

•

---

١ الراحلة : الصالحة لأن ترحل .

٢ والد : فاخر بكثرة الولد .

٣ المقلات : التي تلد واحداً ثم لا تلد بعد ذلك . النزور من النساء : القليلة الولد .

وقال حبيب :

ولقد نكونُ ، ولا كريمَ نَنالُه،
حتى نخوضَ إليــه ألفَ لئيمِ

•

قال ابن أبي حازم :

وقالوا : لو مَدحتَ فتىً كريماً ؟
فقلتُ : وكيفَ لي بفتىً كريمِ !

بلوتُ ومَرَّ بي خَمسون حَولاً،
وحَسْبُكَ بالمُجرِّبِ من عَليمِ

فلا أحـدٌ يُعَدّ ليوم خيرٍ ؛
ولا أحـدٌ يَعودُ على عَديمِ[1]

•

وقال دِعْبل :

ما أكثرَ الناسَ لا بَل ما أقلَّهمُ،
واللهُ يَعلَمُ أني لم أقُل فَنَـدا[2]

إني لأغلِقُ عيـني ، ثم أفتحـها
على كثيرٍ ، ولكن ما أرى أحدا

•

---

١ يعود على عديم : ينفعه ، يصنع اليه معروفاً .
٢ الفند : الكذب .

وأحسنُ ما قيلَ في هذا المعنى قولُ حبيبٍ الطائيّ :

إنّ الجيادَ كثيرٌ في البلاد ، وإن
قلّوا ، كما غيرُهم قلٌّ ، وإن كثروا

لا يَدهَمنّكَ من دَهمائهم عَجبٌ ،
فإنّ جُلّهمُ ، أو كلّهم ، بَقرُ[1]

وكلّما أضحتِ الأخطارُ بينَهمُ
هلكى ، تبيّنَ من أضحى له خَطرُ

لو لم تُصادِفْ شِياتُ البُهْمِ أكثرَ ما
في الخيلِ ، لم تُحمَدِ الأوضاحُ والغُرَرُ[2]

---

١ الدهماء : جماعة الناس .

٢ الشيات ، واحدتها شية : سواد في بياض او بياض في سواد . الأوضاح ، واحدها وضح : التحجيل في القوائم . الغرر ، واحدتها غرة : بياض في الجبهة .

من جاد أولا وضن آخرا

نزل أعرابيٌّ برجلٍ من أهلِ البَصرة ، فأكرَمه وأحسَن إليه ، ثم أمسَكَ فقال الاعرابي :

تسرّى ، فلما حاسَبَ المرءُ نفسَه ،
رأى أنّه لا يستقرُّ له السَّرْو[1]

•

وكان يَزيدُ بن منصور يُجري لبشّارٍ العقيليّ وظيفةً في كلِّ شهر ، ثم قطعها عنه ، فقال :

أبا خالد ! ما زِلتَ سابحَ غَمْرَةٍ
صغيراً ، فلما شِبْتَ خيَّمتَ بالشاطي[2]

جرَيتَ زماناً سابقاً ، ثم لم تزَل
تأخّرُ حتى جئتَ تقْطو مع القاطي[3]

---

١ تسرى : تكلف السرو ، وهو المروءة في شرف .
٢ خيم : أقام .
٣ القاطي : الثقيل المشي .

كسنّور عبدِ الله بيع بدرهمٍ
صَغيراً ، فلما شبّ بيع بقيراط[1]

•

وقال مُسلم بن الوليد صريعُ الغواني لمحمدِ بن منصور ابن زيادٍ :

أبا حسنٍ قد كُنتَ قدّمتَ نعمةً ،
وألحقتَ شُكراً ، ثم أمسكتَ وانيا

فلا صَبْرَ لم تَلْحَقك منّي مَلامةٌ ،
أسأتَ بنا عوْداً ، وأحسنتَ باديا

فأقسِمُ لا أجزيكَ بالسُّوءِ مثلَه ؛
كفى بالذي جازَيتَني لك جازيا

•

---

١ سنور عبد الله : يضرب مثلاً لمن يكون مرجواً في صغره فاذا كبر تراجع ولم يفلح .

من ضن اولا ثم جاد آخراً

قدِم الحارثُ بن خالدِ المَخزوميّ على عبدِ الملك فلم يَصله فرجع وقال فيه :

صَحبتُك إذ عَيْني عليها غِشاوةٌ،
فلما انجلَتْ قطّعتُ نفسي ألومُها

حَبَستُ عليك النفسَ ، حتى كأنما
بكفّيك يَجْري بُؤْسُها ونعيمُها

فبلغ قولُه عبدَ الملك ، فأرسل إليه فردّه ، وقال : أرأيتَ عليك غضاضةً من مقامك ببابي ؟

قال : لا ، ولكني اشتقتُ إلى أهلي ووطني ، ووجدت فضلاً من القول ، فقلت : وعليّ دَيْن لزمني .

قال : وكم دَينك ؟

قال : ثلاثون ألفاً .

قال : فقَضاءُ دَينك أحبُّ إليك أم ولاية مكة ؟

قال : بل ولاية مكة .

فولاّه إياها .

•

وقدِمَ الحطيئةُ المدينـةَ فوقَف الى عُتَيبة بن النّهّاس العِجْليّ فقال : أعطِني .

فقال : ما لك عندي حق فأعطيكَه ، وما في مالي فَضْل عن عيالي فأعودَ به عليك .

فخرج عنه مُغضباً ، وعرّفه به جلساؤه ، فأمر بردّه ، ثم قال له : يا هذا ، إنك وقَفتَ إلينا فلم تستأنِس ، ولم تسلّم ، وكتمتَنا نفسَك ، كأنك الحُطيئة ؟ قال : هو ذلك .

قال : اجلِس ، فلك عندَنا كل ما تُحب .

فجلس ، فقال له : من أشعرُ الناس ؟

قال : الذي يقول :

ومن يجعلِ المعروفَ من دونِ عِرْضه
يَفِرْه ، ومن لا يَتّقِ الشتمَ يُشتَمِ

يعني زُهيراً . قال : ثم من ؟

قال : الذي يقول :

من يَسألِ الناسَ يحرموه ، وسائلُ اللهِ لا يَخيبُ

يعني عَبيداً . قال : ثم من ؟

قال : أنا .

فقال لوكيله : خذ بيدِ هذا فامضِ به الى السوق ، فلا يُشيرنّ الى شيء إلاّ اشتريتَه له .

فمضى معه الى السوق فعَرضَ عليـــه الخَزّ والقَزّ، فلم يلتفت الى شيء منه . وأشار الى الأكسية والكرابيس[1] الغِلاظ والأقبية[2] فاشترى له منها حاجته، ثم قال : أمسك .

قال : فإنه قد أمَرني أن أبسط يدي بالنفقة .

قال : لا حاجةَ في أن يكون له على قومي يَدٌ أعظم من هذه ، ثم أنشأ يقول :

سُئلتَ ، فلم تَبْخل ولم تُعطِ طائلا ،
فسيّانِ لا ذَمّ عليكَ ولا حَمْـدُ

وأنتَ امرؤٌ لا الجودُ منك سَجيّةٌ ،
فتُعطِي، وقد يُعْدي على النائِلِ الوُجْدُ[3]

---

١ الكرابيس ، واحدها كرباس : ثوب غليظ من القطن الأبيض .

٢ الأقبية ، واحدها قباء : وهو ما يسمى القنباز .

٣ يعدي : يعين . الوجد : اليسار والسعة .

من مدح أميراً فخيبه

قال سَعيد بن سَلْم : مدحني أعرابيّ فأبلَغ ، فقال :

ألا قل لساري الليل : لا تخشَ ضِلّةً ؛
سعيدُ بن سَلْمٍ نورُ كلّ بلادِ

لنا سيّدٌ ، أربى على كلّ سيّدٍ ،
جوادٌ ، حَثا في وجهِ كلّ جَوادِ[1]

قال : فتأخرتُ عنه قليلاً . فهجاني فأبلغ ، فقال :

لكلّ أخي مَدْحٍ ثوابٌ علمتُه ،
وليسَ لِمَدْحِ الباهليّ ثوابُ

مَدحتُ سعيداً ، والمديحُ مَهزّةٌ ،
فكان كصَفْوانٍ عليه تُرابُ[2]

●

---

١ حثا : اي حثا التراب ، في وجوه الاجواد ، اي الكرماء ، واراد بذلك ان الاجواد يقصرون عنه في العطاء فيسبقهم سبق الجواد الكريم الذي يثير الغبار في وجه المتخلف عنه من الخيل .

٢ قوله مهزة : اي يهز للمعروف . الصفوان : الحجر الصلد .

ومدحَ الحسنُ بن رَجاء أبا دُلَف فلم يُعطِه شيئاً ، فقال :

أبا دُلَفٍ ما أكذبَ الناسَ كلَّهُم
سِوايَ ، فإني في مَديحك أكذِبُ

•

وقال آخرُ في مثل هذا المعنى :

إني مدحتُك كاذباً ، فأثبتَني ،
لمَّا مدحتُك ، ما يُثابُ الكاذِبُ

•

وقال آخرُ في مثل هذا المعنى :

لئن أخطأتُ في مَدحِكَ، ما أخطأتَ في مَنعِي
لقد أحللتُ حاجاتي بوادٍ غيرِ ذي زَرْعِ

•

ومَدح حبيبٌ الطائيّ عيَّاشَ بن لَهيعة ، وقدِمَ عليه مصرَ ، واستسلفه مائتي مِثقالٍ ؛ فشاور فيها زوجتَه ، فقالت له : هو شاعرٌ يمدحُك اليومَ ، ويهجوك غداً ؛ فاعتلَّ عليه واعتذرَ إليه ولم يقضِ حاجتَه . فقال فيه :

عيَّاشُ إنكَ للَّئيمُ ، وإنني مُذ صِرتَ موضعَ مطلبي للَّئيمُ

ثم هجاه حتى مات . وهجاه بعدَ موتِه ، فقال فيه :

لا سُقِيَتْ أطلالُكَ الدائره ، ولا انقضَتْ عَثرتُكَ العاثِره

يا أسدَ الموتِ تخلّصتَه من بين فَكَّيْ أسدِ القاصره[1]

•

ومن قولِنا في هذا المعنى ، وسألتُ بعضَ موالي السلطانِ إطلاقَ محبوسٍ ، فتلكّأ فيه ، فقلت :

حاشا لِمثلِكَ أن يَفُكَّ أسيرا ،
أو أن يكونَ من الزمانِ مُجيرا

لبِسَتْ قوافي الشعرِ فيك مَدارعاً
سوداً ، وصَكّت أوجُهاً وصُدورا

هلاّ عطفْتَ برحمةٍ ، لمّا دَعَتْ
ويلاً عليكَ مدائحي ، وثُبورا

لو أنّ لُؤمَكَ عادَ جوداً عُشرُه ،
ما كان عندَكَ حاتمٌ مَذكورا

•

قال : ومدح ربيعةُ الرَّقّيّ يزيدَ بنَ حاتمٍ الأزديَّ ، وهو والي مصر ، فاستبطأه ربيعة . فشخصَ عنه من مِصر وقال :

---

١ القاصرة : موضع يمر به السائر اذا سار من مكة يقصد مصر .

أراني ، ولا كُفرانَ لله ، راجعاً
بخُفَّي حُنينٍ من نوالِ ابنِ حاتمِ

فبلغَ قوله يزيدَ بن حاتم . فأرسلَ في طلبه ، فرُدَّ إليه . فلما دخَل عليه قال له : أنتَ القائل :

أراني ، ولا كُفرانَ لله ، راجعاً

قال : نعم .

قال : فهل قلتَ غير هذا ؟

قال : لا والله !

قال : لترجِعنَّ بخُفَّي حُنين مملوءين مالاً .

فأمَرَ بخَلْع نَعليه ومُلِئتا له مالاً ؛ فقالَ فيه لما عُزِلَ عن مصر ووُلّي يزيدُ بن أُسَيد السُّلَمي مكانه :

بكى أهلُ مصرٍ بالدّموعِ السواجمِ ،
غداةَ غَدا منها الأغرُّ ابنُ حاتمِ

وفيها يقول :

لشتّانَ ما بينَ اليزيدَيْن في النّدى :
يزيدِ سُليمٍ والأغرِّ ابنِ حاتمِ

فَهمُّ الفتى الأزديّ إنفـاقُ مالِه ،
وهمُّ الفتى القيْسيّ جمعُ الدراهمِ

فلا يَحسَبِ التِّمتامُ أني هَجَوتُه ،
ولكنّني فَضّلتُ أهلَ المكارم[1]

•

---

١ التمتام : الذي يعجل في كلامه ولا يفهمه .

أجواد اهل الجاهلية

الذين انتهى إليهم الجُودُ في الجاهلية ثلاثة نفر : حاتمُ بنُ عبد الله بن سعد الطائي ، وهَرِمُ بن سِنانٍ المُرّيّ ، وكعب ابن مامةَ الإيادي .

ولكنّ المضروبَ به المثل : حاتمٌ وحدَه ، وهو القائلُ لغُلامه يَسارٍ ، وكان إذا اشتدّ البردُ وكَلِبَ الشتاءُ أمر غلامَه فأوقد ناراً في يَفاعٍ[١] من الأرضِ لينظرَ إليها مَن أضلّ الطريقَ ليلاً فيَصمِد نحوَه ، فقال في ذلك :

أوقِدْ ! فإنّ الليلَ ليلٌ قَرٌّ ، والريحَ يا مُوقِدُ ريحٌ صِرٌّ

عسى يَرى نارَكَ من يَمُرّ ؛ إن جلبَتْ ضيفاً فأنتَ حُرٌّ

ومرّ حاتمٌ في سَفرِه على عَنَزةٍ ، وفيهم أسيرٌ . فاستغاثَ بحاتمٍ ولم يحضُره فَكاكُه ، فاشتراه من العَنَزيين وأطلقَه ، وأقام مكانَه في القيدِ حتى أدّى فِداءَه .

وقالوا : لم يكن حاتمٌ مُمسِكاً شيئاً ما عدا فرسَه وسلاحَه ؛ فإنه كان لا يجود بهما .

---

١ اليفاع : التل .

وقالت نَوارُ امرأة حاتم : أصابتْنا سنةٌ اقشعَرَّت لها الأرضُ واغبرَّ أفقُ السماء ، وراحت الإبل حُدْباً حدابير[1] ، وضَنَّت المراضِعُ على أولادِها فما تَبضُّ بقطرة ، وحلَقت[2] السنةُ المال وأيقنّا بالهلاك .

فوالله إنّا لفي ليلة صِنَّبْرٍ[3] ، بعيدةٍ ما بين الطَّرفين ، إذ تَضاغى[4] صِبْيتُنا جوعاً ، عبدُ الله وعديّ وسَفّانةُ ، فقام حاتم الى الصَّبِيَّيْنِ ، وقمتُ أنا الى الصَّبِيّةِ ؛ فوالله ما سكتوا إلا بعدَ هدأةٍ من الليل .

وأقبل يعلّلني بالحديثِ ، فعرفتُ ما يُريد فتناومت .

فلما تَهوّرتِ[5] النجومُ ، إذا شيءٌ قد رفع كِسْرَ البيتِ[6] ثم عاد ؛ فقال : من هذا ؟

قالت : جارتُكَ فلانةُ ، أتيتُك من عند صِبْية يتعاوَون عواءَ الذئاب ، فما وجدتُ مُعوَّلاً إلاّ عليك يا أبا عديّ .

فقال : أعجِليهم فقد أشبَعكِ اللهُ وإيّاهم .

---

١ الحدابير ، واحدتها حدبار وحدبير : الناقة الضامرة .

٢ حلقت المال : اهلكته واستأصلته كما تحلق الموسى الشعر .

٣ صنبر : شديدة البرد .

٤ تضاغى : صاح .

٥ تهورت : ذهبت وولت .

٦ كسر البيت : الشقة السفلى من الخباء .

فأقبلت المرأة تحمِلُ اثنين ويمشي جانِبَيها أربعة ، كأنها نَعامةٌ حولها رئالها ، فقام الى فرسِه فوَجأ لَبّتَه[1] بمُديةٍ فخَرّ ، ثم كَشَطه عن جلِده ودفع المُدية الى المرأةِ ، فقال لها : شأنَكِ .

فاجتمعنا على اللحم نَشوي ونأكل ، ثم جعل يمشي في الحيّ يأتيهم بيتاً بيتاً ، فيقول : هُبُّوا أيها القومُ عليكم بالنار .

فاجتَمعوا والتفَع[2] في ثوبِهِ ناحيةً ينظرُ إلينا ، فلا والله إن[3] ذاق منه مُزْعة[4] ، وإنه لأحوجُ إليه مِنّا ، فأصبَحنا وما على الأرضِ من الفرس إلا عَظمٌ وحافرٌ ، فأنشأ حاتم يقول :

مَهلًا نَوارُ ! أقلّي اللومَ والعَذَلا ،
ولا تقُولي لشيءٍ فاتَ : ما فعَلا ؟

ولا تقولي لمالٍ كنتُ مُهلِكَه :
مَهلًا ، وإن كنتُ أُعطي الإنسَ والخَبَلا[5]

يرى البخيلُ سبيلَ المال واحدةً ؛
إنّ الجوادَ يرى في ماله سُبلا

---

١ وجأ : شق . لبته : اعلى صدره .
٢ التفع : التف .
٣ ان : ما .
٤ المزعة : القطعة من اللحم .
٥ الخبل : الجن .

ورُؤِي حاتمٌ يوماً يضرِبُ ولَده لمَّا رآه يضرِبُ كلبةً كانت تدُلُّ عليه أضيافَه ، وهو يقول :

أقولُ لابني، وقد سطَتْ يديه بكَلْبةٍ لا يزال يَجْلِدُها[1]

أوصيكَ خيراً بها ، فإنّ لها عندي يداً لا أزالُ أحْمَدُها

تدُلّ ضَيْفي عليّ، في غَلَسِ الليل ، إذا النارُ نام مُوقِدُها

وذكرت طيّء عند عَديّ بنِ حاتم : أنّ رجلاً يُعرَفُ بأبي الخَيْبريّ مرّ بقبرِ حاتمٍ فنزل به وجعل ينادي : أبا عَدِيّ ، أقرِ أضيافك .

قال : فيقال له : مهلاً ! ما تُكلّمُ من رِمّةٍ باليةٍ ؟

فقال كالمستهزىء : إن طيّئاً يزعُمون أنه لم ينزِل به أحد إلا قراه .

فلما كان في السَّحرِ وثب أبو الخَيبري يَصيحُ : واراحلتاه ! فقال له أصحابه : ما شأنك ؟

قال : خرجَ والله حاتمٌ بالسيفِ حتى عقرَناقتي وأنا أنظرُ إليها. فتأملوا راحلتَه فإذا هي لا تنبعثُ، فقالوا : قد والله أقراك . فنحروها وظلّوا يأكلون من لحمِها ، ثم أردفوه وانطلقوا.

---

[1] سطت يديه : ضربتهما بالسوط . بكلبة : اي بسبب كلبة كان يجلدها .

فبينما هم في مَسيرِهم إذ طلَع عليهم عديٌّ بن حاتم ومعه جملٌ قد قرَنه ببعيره ، فقال : إن حاتماً جاء في النوم فذكر لي قولَك وأنه أقراكَ وأصحابَك راحلتَك وقال لي أبياتاً ردَّدها عليّ حتى حفظتُها وهي :

أبا الخَيْبريّ ، وأنتَ امرُؤٌ حَسودُ العَشيرة ، شَتّامُها
فماذا أردتَ إلى رِمّةٍ بداويّةٍ ، صَخِبٍ هامُها ؟[1]
أتبغي أذاها وإعسارَها ، وحولَك غَوْثٌ وأنعامُها ؟[2]
وإنّا لَنُطْعِمُ أضيافَنا من الكُوم، بالسّيف نَعْتامُها[3]

وأمرني بدفع راحلةٍ عوضَ راحلتِك فخذها ؛ فأخذَها .

ولحاتم بن عبدالله أيضاً :

أماويّ ! قد طال التجنّبُ والهَجْرُ ،
وقد عذَرَتنا عن طِلابكمُ العُذْرُ[4]

---

١ الداوية : الفلاة . الهام ، واحدتها هامة : طائر زعمت العرب أنه يخرج من رأس القتيل فلا يزال يصيح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره .

٢ هو الغوث بن طيء ، جد حاتم الأعلى واليه ينتهي نسبه .

٣ الكوم ، واحدتها كوماء : الناقة العظيمة السنام . نعتامها : نختارها .

٤ العذر ، واحدها عذار : ما سال على خد الفرس من اللجام .

أماويَّ! إنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ،
ويَبقى من المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ

أماويَّ! إمّا مانعٌ فمُبَيَّنٌ؛
وإمّا عطاءٌ لا يُنَهْنِهُه الزَّجْرُ[1]

أماويَّ! إني لا أقولُ لسائلٍ،
إذا جاء يوماً، حلَّ في ماليَ النَّذْرُ

أماويَّ! ما يُغني الثَّراءُ عن الفتَى،
إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاق بها الصَّدرُ[2]

أماويَّ! إنْ يُصبح صَدايَ بقَفْرةٍ
من الأرضِ، لا ماءٌ لديَّ ولا خمرُ

تَرَيْ أنَّ ما أنفقتُ لم يكُ ضرَّني؛
وأنَّ يدي مما بَخِلتُ به صِفْرُ

إذا أنا دلّاني الذين يلُونَني
بمُظلِمةٍ لُجٍّ، جوانبُها غُبْرُ[3]

---

١ ينهنهه: يكفه ويمنعه.

٢ حشرجت، اي نفسه، والحشرجة: الغرغرة عند الموت.

٣ بظلمة لج: اي حفرة عميقة.

وراحوا سِراعاً يَنفضُون أكفَّهم،
يقولون: قد أدمى أظافرَنا الحَفر

أماويُّ! إنَّ المالَ مالٌ بذلتُه،
فأوّلُه شُكرٌ وآخرُه ذِكر

وقد يَعلمُ الأقوامُ، لو أنَّ حاتماً
أراد ثَراءَ المالِ، كان له وَفر

فإني، وجَدّي، رُبَّ واحدِ أمّه
أجرتُ، فلا قَتلٌ عليه ولا أسْر

ولا أظلِمُ ابنَ العمِّ، إن كان إخوتي
شُهوداً، وقد أوْدى بإخوتِه الدَّهر

غَنينا زماناً بالتَّصعْلُكِ والغِنى،
وكُلاًّ سَقاناه بكاسَيْهما الدهر[1]

فما زادنا بَأْواً على ذي قرابةٍ
غِنانا، ولا أزرى بأحلامِنا الفَقر[2]

•

---

١ التصعلك: الفقر.

٢ البأو: أن يفخر المرء بنفسه ويرفعها.

وأمّا هَرِمُ بنُ سِنانٍ فهو صاحبُ زُهيرٍ الذي يقول فيه :

متى تُلاقِ ، على عِلاّتِـه ، هَرِماً ،
تَلْقَ السماحةَ في خَلْقٍ وفي خُلُقِ

وكان سِنانٌ أبو هَرِم سيّدَ غَطفانَ ، وماتت أمُّه وهي حاملٌ بـه ، وقالت : إذا أنا مِتُّ فشُقّوا بطني فإنّ سيّدَ غَطفانَ فيه . فلما ماتت شَقُّوا بطنَها فاستخرجوا منه سِناناً . وفي بني سِنان يقولُ زهير :

قومٌ أبوهم سِنـانٌ ، حينَ تَنْسبُهم ،
طابوا وطابَ من الأولادِ ما وَلَدُوا

لو كانَ يَقعُدُ ، فوقَ الشمسِ ، من كرمٍ ،
قومٌ بأوّلِهم أو مَجْدِهم قَعَدُوا

جِنٌّ إذا فزِعوا ، إنسٌ إذا أمِنُوا ،
مُرَزّؤونَ ، بَهاليلٌ إذا قَصِـدوا

مُحسَّدونَ على مـا كانَ من نِعَمٍ ،
لا يَنزِعُ اللهُ منهم ما لَه حُسِدُوا

وقال زُهيرٌ في هرمِ بن سِنان :

وأبيضَ فيّـاضٍ ، يداه غمامـةٌ
على مُعتَفِيه ، مـا تُغِبّ نوافلُه[١]

١ ما تغب : ما تنقطع .

تراه ، إذا ما جئتَــهُ ، مُتهلِّلاً ،
كأنكَ تُعطيـه الذي أنتَ سائِلُهْ

أخو ثقة ، لا تُتلِفُ الخمرُ مالَه ،
ولكنّه قد يُتلِفُ المالَ نائلُه

أخذ الحسنُ بن هانىء هذا المعنى فقال :

فتىً لا تَغولُ الخمرُ شحمةَ ماله ،
ولكنْ أيادٍ عُوَّدٌ وبوادي

وقال زهير في هرم بن سنان وأهلِ بيته :

إليكَ أعملتُها فُتْلاً مَرافقُهـا ،
شَهْرينِ ، يَجهضُ من أرحامِها العَلَقُ[1]

حتى دفعْنَ الى حُلْوٍ شمائلُـه ،
كالغيثِ يَنبُتُ في آثارِه الوَرَقُ

من أهلِ بيتٍ برى ذو العرشِ فضلَهم ،
يُبْنى لهم ، في جِنانِ الخُلْدِ ، مُرتفَقُ

المُطعِمون ، إذا ما أزمةٌ أزمَتْ ،
والطيِّبون ثياباً ، كلّما عَرِقوا

---

١ العلق : الدم الجامد .

كأنَّ آخرَهم ، في الجُودِ ، أوّلُهم ؛
إنَّ الشمائلَ والأخلاقَ تتّفقُ

إن قامروا قمَروا ، أو فاخروا فخَروا ،
أو ناضلوا نَضلوا ، أو سابقوا سَبقوا

تَنافَسُ الأرضُ موتاهم ، إذا دُفِنوا ،
كما تُنُوفِسَ عند الباعة الوَرِقُ[1]

وقال فيهم أيضاً :

وفيهم مَقاماتٌ ، حِسانٌ وُجوهُهم ،
وأنديةٌ يَنتابُها القولُ والفِعْلُ

على مُكثِريهم حَقُّ مَنْ يَعتَفيهِم ،
وعند المُقِلّينَ السماحةُ والبَذْلُ

فما كان من خَيرٍ أتَوْه ، فإنما
تَوارَثَه آباءُ آبائِهم قَبْلُ

وهل يُنْبِتُ الخَطّيَّ إلاّ وَشيجُه ،
وتُغرَسُ إلاّ في مَنابِتِها النّخْلُ ؟

•

---

١ الورق : الذهب .

وأما كعبُ بن مامةَ الإياديّ ، فلم يأتِ عنه إلا ما ذُكِر من إيثارِه رفيقَه النَّمَريّ بالماء حتى ماتَ عطشاً ونجا النمريّ ، وهذا أكثرُ من كل ما أُثني لغيره .

وله يقول حبيب :

يجودُ بالنفسِ إن ضنَّ البخيلُ بها ،
والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجُودِ

وله ولحاتم الطائي يقول :

كعبٌ وحاتمٌ ، اللّذان تقسّما
خُطَطَ العُلا من طارفٍ وتَليدِ

هذا الذي خَلَفَ السَّحابَ ، ومات ذا ،
في المجدِ ، مِيتةَ خِضْرِمٍ صِنْديدِ

إلاّ يكُن فيها الشهيدَ ، فقومُـه
لا يَسمَحون بـه بألفِ شَهيدِ

أجواد أهل الاسلام

وأما أجوادُ أهلِ الاسلام فأحدَ عشرَ رجلًا في عصرٍ واحدٍ لم يكن قبلَهم ولا بعدَهم مثلُهم .

فأجوادُ الحجازِ ثلاثةٌ في عصرٍ واحد : عُبيدُ الله بن عبّاس ، وعبدُ الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص .

وأجواد البصرة خمسة في عصر واحد ، وهم : عبدُ الله بن عامر بن كُرَيز ، وعُبيدُ الله بن أبي بكرة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومُسلم بن زياد ، وعبيد الله بن مَعمر القرشيّ ، ثم التَّيْميّ ، وطَلْحةُ الطَّلَحات ، وهو طلحةُ بن عبد الله ابن خَلف الخُزاعيّ ، وله يقول الشاعر يرثيه ، ومات بِسِجِسْتان وهو والٍ عليها :

نَضَّر اللهُ أعظُماً دَفَنوها بسِجِسْتان، طلحةَ الطلَحاتِ

وأجوادُ أهل الكوفةِ ثلاثةٌ في عصرٍ واحد ، وهم : عَتّاب ابن ورقاء الرِّياحي ، وأسماءُ بن خارجة الفَزاري ، وعِكْرِمةُ ابن رِبْعي الفيّاض .

فمن جود عبيد الله بن عبّاس ، أنه أولُ من فطَّر جيرانه ، وأول من وضع الموائد على الطُرق ، وأول من حَيّا على طعامه ، وأول من أنهَبه ، وفيه يقول شاعر المدينة :

وفي السَّنة الشَّهباء أطعمتَ حامضاً
وحلْواً ، ولحماً تامِكاً ومُمَزَّعا[1]

وأنتَ ربيعٌ لليتامى وعِصْمةٌ ،
إذا المَحلُ من جوّ السماء تَطَلّعا

أبوك أبو الفضلِ الذي كان رحمةً ،
وَغوثاً ونُوراً للخلائق أجمعا

●

ومن جوده : أنه أتاه رجل وهو بفِناء داره ، فقام بين يديه فقال : يابن عباس ، إن لي عندك يداً ، وقد احتجتُ اليها .

فصعّد فيه بصرَه وصوّبه ، فلم يعرفه ، ثم قال له : ما يدك عندنا ؟

قال : رأيتُك واقفاً بزمزم وغلامُك يَمتَح[2] لك من مائها ، والشمسُ قد صهرَتك ، فظلّلتُك بطرَفِ كِسائي حتى شربت .

---

١ السنة الشهباء : التي لا خضرة فيها ولا مطر . تامكا : مكتنزاً . ممزعاً : مقطعاً مفرقاً .

٢ يمتح : يستقي .

قال : إني لأذكُرُ ذلك ، وإنـــه يتردَّدُ بين خاطري وفِكري .

ثم قال لِقَيِّمه : ما عندك ؟

قال : مائتا دينار وعشرة آلاف دِرْهم .

قال : فادفعها إليه وما أراها تَفي بحقّ يده عندنا .

فقال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيلَ ولدٌ غيرُك لكان فيه ما كفاه ، فكيف وقد ولد سيّدَ الأولين والآخرين محمداً صلى الله عليه وسلم ، ثم شَفَعه بك وبأبيك !

•

وَمن جودِه أيضاً : أن معاويةَ حَبَس عن الحُسينِ بن علي صِلاتِه حتى ضاقَت عليه حالُه . فقيل له : لو وَجّهت إلى ابنِ عمك عُبيدِ الله ، فإنه قد قدمَ بنحوٍ من ألفِ ألفِ دِرْهم .

فقال الحُسينُ : وأين تَقعُ ألفُ ألفٍ من عُبيدِ الله ، فوالله لهو أجودُ من الريحِ إذا عَصفت ، وأسخى من البحر إذا زَخر .

ثم وجَّهَ إليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه حَبْسَ معاويةَ عنه صِلاتِه وضيقَ حاله ، وأنه يحتاجُ إلى مائةِ ألف دِرْهم .

فلما قرأ عُبيدُ الله كتابَه ، وكان من أرقّ الناسِ قلباً وألينِهم عطفاً ، انهملت عَيناه ، ثم قال : ويلكَ يا معاويةُ مما

اجترحتْ يداك من الإثم حين أصبحتَ لَيِّنَ المهاد، رفيعَ العِماد، والحُسَينُ يشكو ضيقَ الحالِ، وكثرةَ العيالِ!

ثم قال لقهرمانه: احمِل إلى الحُسَين نصفَ ما أملِكه من فِضّةٍ وذهبٍ وثوبٍ ودابةٍ، وأخبِرْه أني شاطرته مالي، فإن أقنَعه ذلك وإلا فارجِع واحمِل إليه الشَّطرَ الآخر.

فقال له القيِّمُ: فهذه المُؤَنُ التي عليك من أينَ تقوم بها؟

قال: إذا بَلغنا ذلك دللتُك على أمرٍ يُقيمُ حالَك.

فلما أتى الرسولُ برسالته إلى الحُسَين، قال: إنا لله! حمَلتُ والله على ابنِ عمي وما حَسِبْته يتّسعُ لنا بهذا كلّه.

فأخذ الشطر من ماله. وهو أول من فعلَ ذلك في الإسلام.

•

ومن جوده: أن معاويةَ بنَ أبي سُفيانَ أهدى إليه وهو عندَه بالشامِ من هدايا النَّيروزِ حُللاً كثيرةً ومِسكاً وآنيةً من ذَهبٍ وفِضّة ووجّهها مع حاجبه، فلما وضَعها بين يديه نظرَ إلى الحاجب وهو ينظر إليها، فقال: هل في نفسِك منها شيء؟

قال: نعم والله، إنّ في نفسي منها ما كان في نفسِ يعقوبَ من يوسفَ عليهما السلام.

فضَحِكَ عُبيد الله ، وقال : فشأنَكَ بها فهي لك .

قال : جُعِلتُ فِداكَ ، أخافُ أن يبلُغَ ذلك معاوية فيَجِدَ عليَّ .

قال : فاختِمها بخاتَمِك وادفَعها إلى الخازنِ فإذا حانَ خروجُنا حَملها إليك ليلاً .

فقال الحاجب : والله لَهذه الحيلةُ في الكرمِ أكثرُ من الكرم ، ولَوَدِدْتُ أنّي لا أموتُ حتى أراكَ مكانه ، يعني معاوية .

فظنَّ عُبيدُ الله أنها مَكيدةٌ منه ، قال : دَع عنك هذا الكلام فإنّا قوم نَفي بما وَعَدنا ، ولا ننقُضُ ما أكَّدنا .

•

ومن جودِهِ أيضاً : أنه أتاه سائلٌ وهو لا يعرِفُه ، فقال له : تصدَّق ، فإني نُبِّئتُ أن عُبيدَ الله بن عبّاس أعطى سائلاً ألفَ درهم واعتذر إليه .

فقال له : وأينَ أنا من عُبيدِ الله ؟

قال : أينَ أنت منه في الحسبِ أم كثرةِ المال ؟

قال : فيهما .

قال : أما الحسبُ في الرجل ، فمروءته وفِعْله ، وإذا شئت فعَلتَ ، وإذا فعلتَ كنتَ حَسيباً .

فأعطاه ألفي درهمٍ واعتذرَ له من ضيقِ الحال ؛ فقال له السائل : إن لم تكن عُبيدَ الله بنَ عبّاس فأنت خيرٌ منه ، وإن كنتَ هو فأنتَ اليومَ خيرٌ منك أمسِ .

فأعطاه ألفاً أخرى . فقال السائل : هذه هِزّةُ كريمٍ حسيبٍ ، والله لقد نقرتُ حبّةَ قلبي فأفرغتُها في قلبِك ، فما أخطأتُ إلا باعتراضِ الشك بين جوانحي .

•

ومن جوده أيضاً : أنه جاءه رجل من الأنصار فقال : يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه وُلد لي في هذه الليلة مولودٌ ، وإني سمّيتُه باسمك تبرُّكاً منّي به ، وإنّ أمّه ماتت.

فقال عبيدُ الله : باركَ الله لك في الهبة وأجزلَ لك الأجر على المصيبة .

ثم دعا بوكيله ، فقال : انطلق الساعةَ فاشترِ للمولود جارية تحضِنُه ، وادفع اليه مائتي دينار للنّفقة على تربيته ؛ ثم قال للأنصاري : عُد الينا بعدَ أيام فإنك جِئتنا وفي العيش يُبسٌ وفي المال قلّة .

قال الأنصاري : لو سَبقتَ حاتماً بيوم واحد ما ذكرَتْه العربُ أبداً ، ولكنه سبقك ، فصِرْتَ له تالياً ، وأنا أشهدُ أن عَفوَك أكثرُ من مجهودِه ، وطَلّ كرمِك أكثرُ من وابله .

•

ومن جودِ عبدِالله بن جعفر أن عبد الرحمن بن أبي عَمّار دخل على نخّاسٍ يعرِضُ قِياناً له ، فعَلِق واحـدةً منهن ، فشُهِر بذكرهـا حتى مشى اليه عطـاءٌ وطاووس ومُجاهـدٌ يَعذُلونه ، فكان جوابه أن قال :

يَلُومني فيـكَ أقوامٌ أُجالسُهم ،
فما أُبالي أطارَ اللومُ أم وَقعَا

فانتهى خبره الى عبدِالله بن جعفر ، فلم يكن له هَمٌّ غيره ؛ فحجَّ فبعثَ الى مولى الجارية ، فاشتراهـا منه بأربعيـن ألفَ درهمٍ ، وأمر قَيِّمةَ جواريه أن تُزيّنها وتحلّيها ، ففعلت .

وبلغَ الناسَ قدومُهُ فدخلوا عليه ، فقالَ : ما لِي لا أرى ابنَ أبي عمّار زارنا !

فأخبِرَ الشيخُ ، فأتاه مسلّماً . فلما أرادَ أن يَنهَضَ استجاسه ثم قال : ما فَعل حُبُّ فلانَة ؟

قال : في اللحم والدمِ والمُخّ والعَصَب .

قال : أتعرفُها لو رأيتَها ؟

قال : لو أُدخِلتُ الجنّةَ لم أنكِرْها .

فأمرَ بها عبدُ الله أن تخرُجَ اليه ، وقال له : إنمـا اشتريتُها لك ، ووالله ما دنوتُ منها ، فشأنَك بها مُباركاً لك فيها .

فلما ولى قال : يا غلام ، احمِل معه مائة ألف درهم يَنعمُ بها معها .

قال : فبكى عبدُ الرحمن فرحاً ، وقال : يا أهلَ البيتِ ، لقد خصَّكم الله بشرفٍ ما خصَّ به أحداً قبلكم من صُلبِ آدم ، فَتَهْنَئْكُم هذه النعمةُ ، وبورك لكم فيها .

•

ومن جوده أيضاً : أنه أعطى امرأةً سألته مالاً عظيماً ، فقيل له : إنها لا تعرفك وكان يُرضيها اليسيرُ .

قال : ان كان يُرضيها اليسير فإني لا أرضى الا بالكثير ، وان كانت لا تعرفني فأنا أعرفُ نفسي .

•

ومن جود سعيد بن العاص : أنه مَرِض وهو بالشام ، فعاده معاوية ومعه شُرَحْبِيلُ بن السِّمط ، ومُسْلِمُ بن عُقبة المُرِّيُّ ، ويزيدُ بن شَجرة الرَّهاويُّ ، فلما نظرَ سعيدٌ معاويةَ وثب عن صدرِ مجلسه إعظاماً لمعاويةَ . فقال له معاوية : أقسمتُ عليك أبا عثمان أن لا تتحرَّك ، فقد ضَعُفتَ بالعلَّة .

فسقط ، فتبادرَ معاويةُ نحوه حتى حَنا عليه وأخذ بيده ، فأقعده على فراشه وقعد معه ، وجعلَ يُسائله عن عِلتِه ومنامه وغذائه ، ويَصِفُ له ما ينبغي أن يتوقاه ، وأطال القعود معه .

فلما خرجَ التفتَ الى شُرَحْبيلَ بنِ السِّمط ، ويزيدَ بن شجرةَ ، فقال : هل رأيتما خَللاً في مالِ أبي عُثمان ؟

فقالا : ما رأينا شيئاً نُنكِرُه .

فقال لمسلم بن عُقبة : ما تقول ؟

قال : رأيت .

قال : وما ذاك ؟

قال : رأيتُ على حَشَمِهِ ومواليه ثِياباً وَسِخة ، ورأيتُ صحنَ دارهِ غيرَ مَكنوسٍ ، ورأيتُ التجّارَ يُخاصِمون قَهرمانَه .

قال : صدقتَ ، كلُّ ذلك قد رأيتُه .

فوجّه إليه مع مُسلمٍ بثلاثمائة ألفٍ . فسبَق رسولٌ يُبشّرُه بها ويُخبرُه بما كان ؛ فغَضِب سَعيدٌ وقال للرسول : إنَّ صاحبَك ظنَّ أنه أحسنَ فأساء ، وتأوّلَ فأخطأ ، فأمّا وَسَخُ ثيابِ الحَشَم فمن كَثرةِ حركتِه اتّسخَ ثوبُه ؛ وأمّا كَنْسُ الدارِ فليست أخلاقُنا أخلاقَ مَن جعل داره مرآتَه ، وتزيينَه لُبْسَه ، ومعروفَه عِطْرَه ، ثم لا يبالي بمن ماتَ هَزلاً من ذي لُحمةٍ أو حُرمةٍ ؛ وأما مُنازعةُ التجّار قَهرماني ، فمن كَثرةِ حوائجه وبَيْعِه وشرائِه لم يجدْ بدّاً من أن يكونَ ظالماً أو مظلوماً ؛ وأما المالُ الذي أمر به أميرُ المؤمنين ،

فوصلتَه كلُّ ذي رَحِمٍ قاطعة ، وَهَنَأتْه كرامتُه المُنعَمُ بها عليه ، وقد قَبِلناه وأمرنا لصاحبِك منه بمائةِ ألف ، ولشُرَحْبيل بن السِّمط بمثلِها ، وليزيدَ بن شَجَرة بمثلِها ، وفي سَعةِ الله وبَسْطِ يَدِ أميرِ المؤمنين ما عليه مُعَوَّلُنا .

فركِبَ مُسْلِمُ بن عُقبةَ الى معاويةَ فأعلمه ، فقال : صدقَ ابنُ عمّي فيما قال ، وأخطأتَ فيما انتهيتَ إليه ، فاجعلْ نصيبَك من المال لِرَوْحِ بن زِنْباعٍ عقوبةً لك ، فإنه من جَنى جنايةً عُوقِبَ بمثلِها ، كما أنه مَن فعل خيراً كُوفيءَ عليه .

●

ومن جودِه أيضاً : أن معاويةَ كان يداولُ بينه وبينَ مَرْوان بنِ الحَكَم في ولايةِ المدينة ، فكانَ مَروانُ يُقارِضُه[1]، فلما دخل على مُعاويةَ قال له : كيف تركتَ أبا عبد الملك ؟ يعني مَرْوان .

قال : تركتُه مُنفِّذاً لأمرِك ، مُصْلِحاً لعملِك .

قال معاوية : إنه كصاحب الخُبزةِ كُفِي إنضاجَها فأكلها .

قال : كلا يا أميرَ المؤمنين ، إنه من قومٍ لا يأكلون إلاّ ما حَصدوا ، ولا يحصُدون إلاّ ما زرعوا .

---

١ يقارضه : ينظر كل واحد منهما الى صاحبه شزراً .

قال : فما الذي باعدَ بينَك وبينه ؟

قال : خِفْتُه على شَرفي وخافني على مثله .

قال : فأي شيء كان له عندك ؟

قال : اسوءه حاضراً وأمرُّه غائباً .

قال : يا أبا عثمان ، تركتَنا في هذه الحروب .

قال : حملتَ الثّقلَ وكُفيتَ الحزم .

قال : فما أبطأ بك ؟

قال : غِناك عني أبطأني عنك ، وكنتُ قريباً ، لو دعوتَ لأجبناك ، ولو أمرتَ لأطعناك .

قال : ذلك ظنُّنا بك .

فأقبل معاوية على أهلِ الشام ، فقال : يا أهلَ الشام ، هؤلاء قومي وهذا كلامهم .

ثم قال : أخبرني عن مالكَ ، فقد نُبِّئْتُ أنك تتحرّى فيه .

قال : يا أميرَ المؤمنين ، لنا مالٌ يخرُجُ لنا منه فَضْلٌ ، فإذا كان ما خرجَ قليلاً أنفقناه على قلّتِه ، وإن كان كثيراً فكذلك ، غيرَ أنّا لا ندَّخِرُ منه شيئاً عن مُعسِرٍ ، ولا طالبٍ ، ولا مستحمِلٍ ، ولا نستأثرُ منه بفِلذة لحمٍ ، ولا مُزْعةِ شَحْمٍ .

قال : فكم يدوم لك هذا ؟

قال : من السنةِ نصفَها .

قال : فما تصنَعُ في باقيها ؟

قال : نجدُ من يُسلِّفُنا ويُسارعُ الى مُعاملتِنا .

قال : ما أحد أحوجُ الى أن يُصلِح من شأنِه منك .

قال : إنّ شأنَنا لصالحٌ يا أميرَ المؤمنين ، ولو زِدْتُ في مالي مثلَه ما كنتُ إلاّ بمثلِ هذه الحال .

فأمر له معاوية بخمسين ألفَ درهم ، وقال : اشترِ بها ضيعةً تُعينُكَ على مُروءتِك .

فقال سعيد : بل أشتري بها حمداً وذِكراً باقياً ، أُطعِمُ بها الجائع ، وأزوّجُ بها الأيِّمَ ، وأفكُّ بها العاني ، وأواسي بها الصديقَ ، وأُصلِحُ بها حال الجار .

فلم تأتِ عليه ثلاثةُ أشهرٍ وعنده منها درهم . فقال معاوية : ما فضيلةٌ بعد الايمان باللهِ هي أرفع في الذّكر ، ولا أنبهُ في الشّرَف من الجُودِ ، وحَسبُكَ أنّ الله تبارك وتعالى جعل الجُودَ إحدى صِفاتِه .

•

ومن جودِه أيضاً ما حكاه الأصمعيّ ، قال : كان سَعيدُ ابنُ العاصِ يَسْمُرُ معه سُمّارُه إلى أن يَنقضيَ حينٌ من الليلِ ، فانصرفَ عنه القومُ ليلةً ورجلٌ قاعدٌ لم يَقُم ، فأمرَ سَعيدٌ بإطفاءِ الشّمعةِ وقال : حاجتُكَ يا فتى ؟

فذكر أنَّ عليه دَيناً أربعةَ آلاف درهم ، فأمر له بها .
وكان إطفاؤُه لشمعةٍ أكثرَ من عطائِه .

•

ومن جود عُبيد الله بن أبي بَكرةَ : أنه أدْلى إليه رجلٌ بحُرْمةٍ ، فأمرَ له بمائةِ ألفِ درهمٍ ، فقال : أصلحكَ الله ، ما وصلني أحدٌ بمثلِها قطُّ ، ولقد قطعتُ لساني عن شُكْرِ غيرِك ، وما رأيتُ الدنيا في يَدِ أحدٍ أحسنَ منها في يدِك ، ولولا أنتَ لم تبقَ لها بَهْجةٌ إلا أظلمت ، ولا نورٌ إلا انطمس .

•

ومن جودِ عُبيدِ الله بن مَعمرٍ القُرشيّ : أنّ رجلاً أتاه من أهلِ البَصْرةِ ، كانتْ له جاريةٌ نَفيسةٌ قد أدَّبها بأنواعِ الأدبِ حتى بَرَعت وفاقَت في جميعِ ذلك ، ثم إنّ الدهرَ قَعد بسيّدِها ومالَ عليه . وقَدِمَ عُبيدُ الله بن مَعمرٍ البصرة من بعضِ وُجوهِه ، فقالت لسيّدها : إنّي أريدُ أن أذكُرَ لك شيئاً أستحي منه ، إذ فيه جَفاءٌ منّي ، غيرَ أنه يُسهِّلُ ذلك عليّ ما أرى من ضيقِ حالِك ، وقلّةِ مالِك ، وزَوالِ نِعْمتِك ، وما أخافُه عليك من الاحتياجِ وضيقِ الحال ، وهذا عبيدُ الله بنُ معمرٍ قَدِمَ البصرةَ ، وقد علمتَ شرفَه وفضلَه وسَعةَ كفّه وجودَ نفسه ، فلو أذِنتَ لي فأصلحتُ

من شأني ، ثم تقدّمتَ بي إليه وعَرضتَني عليه هديّةً ، رجوتُ أن يأتيك من مُكافأتِه ما يُقيلُك الله به ويُنهضك إن شاء الله.

قال : فبكى وَجْداً عليها وجَزَعاً لفراقِها منه ، ثم قال لها : لولا أنك نَطقْتِ بهذا ما ابتدأتُكِ بـه أبداً . ثم نَهضَ بها حتى أوقَفها بين يدي عُبيدِ الله ، فقال : أعزّكَ اللهُ ، هذه جاريةٌ ربّيْتُها ورَضيتُ بها لك فاقبلْها منّي هديّةً .

فقال : مثْلي لا يَستَهدي من مثلِك ، فهل لك في بيعِها ، فأجزِلَ لك الثمنَ عليها حتى ترضى ؟

قال : الذي تَراه .

قال : يُقنِعُك مني عشرُ بِدَرٍ في كل بَـدْرةٍ عشرةُ آلاف دِرهم ؟

قال : والله يا سيدي ما امتدّ أملي إلى عُشرِ ما ذكرت ، ولكن هذا فَضلُك المعروفُ ، وجودُك المشهور .

فأمر عُبيدُ الله بإخراجِ المـال حتى صارَ بين يدي الرجلِ وقبَضه ، وقال للجارية : ادخلي الحجاب .

فقال سيدها : أعزّك الله ، لو أذِنتَ لي في وَداعِها ؟

قال : نعم .

فوقَفَت وقامَ ، وقال لها وعيناه تَدْمعان :

أبوحُ بحُزْنٍ من فِراقكِ موجِع ،
أقاسي به ليلًا يُطيــلُ تفكُّري

ولولا قعودُ الدهرِ بي عنكِ ، لم يكُن
يُفرِّقُنا شيءٌ سوى الموتِ ، فاعذُري

عليكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننــا ،
ولا وصلَ إلا أن يَشاء ابنُ مَعمرِ

قال عُبيد الله بن مَعمر : قد شِئتُ ذلك ، فخُذْ جاريتَك ، وبارَك الله لك في المال .

فذهب بجاريتِه ومالِه ، فعادَ غنياً .

•

فهؤلاءِ أجوادُ الإسلام المشهورون في الجودِ المَنسوبون إليه ، وهم أحدَ عشرَ رجلًا كما ذكرنا وسمَّينا ، وبعدَهم طبقــةٌ أخرى من الأجوادِ ، قد شُهِروا بالجودِ ، وعُرِفوا بالكرمِ ، وحُمِدَت أفعالُهم ، وسنذكُر ما أمكننا ذكرُه منها إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية من الاجواد

فمنهم الحكم بن حنطب . قيلَ لنُصيبِ بن رَباحٍ : خرفَ شِعرُكَ أبا مِحْجَن ؟ قال : لا ، ولكن خَرِفَ الكرمُ ، لقد رأيتني ومدحتُ الحَكَمَ بن حَنطب ، فأعطاني ألفَ دينار ومائة ناقة وأربعمائة شاة .

•

وسأل أعرابيٌّ الحَكَمَ بن حنطب ، فأعطاه خمسمائة دينار ؛ فبكى الأعرابيُّ ؛ فقال : ما يُبكيك يا أعرابيُّ ؟ لعلّك استَقْللتَ ما أعطيناك ؟ قال : لا والله ، ولكني أبكي لما تأكلُ الأرضُ منك . ثم انشأ يقول :

وكأنَّ آدمَ ، حينَ حانَ وفاتُه ، أوصاكَ ، وهو يجُود بالحَوباءِ[1]

ببَنيه أن ترعاهمُ فرَعيتَهم ، وكَفَيْتَ آدمَ عَيْلةَ الأبناءِ

•

العُتبيّ قال : أخبرني رجلٌ من أهل مَنْبِجَ ، قال : قدِمَ علينا الحكمُ بن حَنْطب وهو مُملِقٌ فأغنانا ؛ قال له : كيفَ أغناكم وهو مُملِقٌ ؟ قال : علّمنا المكارمَ فعادَ غنيُّنا على فقيرنا .

•

---

١ الحوباء : النفس .

ومنهم معن بن زائدة . وكان يقالُ فيه : حدّث عن البحر ولا حرجَ ، وحدّث عن معنٍ ولا حرجَ . وأتاه رجلٌ يسأله أن يحمِله ، فقال : يا غلام ، أعطِه فرساً وبرذوناً وبغلاً وعَيراً وبعيراً ، وقال : لو عرفتُ مركوباً غيرَ هذه لأعطيتُك .

●

العُتبيّ قال : لمّا قدِم معنُ بن زائدة البَصرةَ واجتمع إليه الناس ، أتاه مروانُ بن أبي حفصة فأخذ بعِضادتَي الباب[1] ، فأنشده شعره الذي قال فيه :

فما أحجمَ الأعداءُ عنك بقيّةً
عليك ، ولكن لم يروا فيكَ مطمعا

له راحتانِ الحتفُ والجودُ فيهما ،
أبى اللهُ إلاّ أن يَضُرّ وينفعا

●

ومنهم يزيد بن المُهلّب . وكان هشامُ بنُ حسّانَ إذا ذكره قال : واللهِ إن كانت السُّفُنُ لتجري في جودِه .

وقيل ليزيدَ بن المُهلّب : ما لك لا تبني داراً ؟ قال : منزلي دارُ الإمارةِ أو الحَبْس .

●

١ عضادتا الباب : خشبتان من جانبيه .

ولما أُتي يزيدُ بن عبد الملك برأسِ يزيدَ بن المهلّب نال منه بعضُ جلسائِه ، فقال له : مَهْ ! إنَّ يزيدَ بن المهلّب طلبَ جَسيماً ، وركِبَ عظيماً ، ومات كريماً .

•

ودخل الفرزدقُ على يزيدَ بن المهلّب في الحبس فأنشده :

صحَّ في قيدِكَ السماحةُ والجود،
وفكُّ العُناةِ والإفضالُ

قال : أتمدحني وأنا في هذه الحال ؟ قال : أصبتُك رخيصاً فاشتريتُك . فأمر له بعشرة آلاف .

•

وقال سُليمان بن عبد الملك لموسى بن نُصير : اغرَم دِيتَك خمسين مرةً .

قال : ليس عندي ما أغرَمُ .

قال : والله لتغرَمنَّ دِيتَك مائة مرة .

قال يزيدُ بن المُهلّب : أنا أغرَمُها عنه يا أمير المؤمنين .

قال : اغرَم .

فغرَمها عنه مائةَ ألفٍ .

•

العُتبيّ قال : أخبرني عوانةُ قال :

استعمل الوليدُ بن عبد الملك عثمانَ بنَ حَيّان المُرّيّ على المدينة وأمره بالغِلظةِ على أهل الظِّنّةِ ، فلمّا استُخلِفَ سليمانُ أخذه بألفي ألف درهم . فاجتمعت القيسيةُ في ذلك ، فتحمّلوا شَطْرَها وضاقوا ذَرْعاً بالشَّطرِ الثاني ، ووافق ذلك استعمالُ سليمان يزيدَ بن المهلّب على العراق. فقال عمرُ بن هُبيرة: عليكم بيزيدَ بن المُهلّب ، فما لها أحدٌ غيره .

فتحمّلوا الى يزيدَ وفيهم عُمرُ بن هُبيرة ، والقعقاعُ ابن حَبيب ، والهُذيلُ بن زُفَر بن الحارثِ ، وانتهوا إلى رُواقِ يزيد .

قال يحيى بن أقتل ، وكان حاجباً ليزيد بن المهلّب ، وكان رجلاً من الأزد: فاستأذنت لهم ، فخرج يزيدُ الى الرُّواقِ فقرّب ورحّب ، ثم دعا بالغَداءِ ، فأتوا بطعام ما أنكروا منه أكثره مما عرَفوا . فلما تغدّوا ، تكلم عثمان بن حيّان ، وكان لَسِناً مُفوّهاً ، وقال : زادك الله في توفيقِك أيها الأمير ، ان الوليد بن عبد الملك وجّهني الى المدينة عاملاً عليها وأمرني بالغلظةِ على أهل الظِّنّة والأخذ عليهم ، وان سليمان أغرمني غرماً ، والله ما يَسعهُ مالي ولا تحمله طاقتي ، فأتيناك لتَحمِلَ من هذا المال ما خفّ عليك ، وما بقي والله ثقيلٌ عليّ .

ثم تكلم كلٌ منهم بما حضره ، وقد اختصرنا كلامهم . فقال يزيد بن المهلب : مَرحباً بكم وأهلاً ، إن خيرَ المال ما قُضِيَت فيه الحقوق ، وحُمِلت به المغارمُ . وإنما لي من المال ما فضُلَ عن إخواني ، وايم اللهِ ، لو علمتُ أن أحداً أملأ بحاجتكم مني لهديتُكم اليه ؛ فاحتكموا وأكثروا .

فقال عثمانُ بن حَيّان : النّصفُ ، أصلحَ اللهُ الأميرَ .

قال : نعَم وكرامةٌ ، اغدوا على مالِكم فخذوه .

فشكروا له وقاموا فخرجوا . فلما صاروا على باب السُّرادق ، قال عُمر بن هُبيرةَ : قَبّحَ اللهُ رأيكم ! والله ما يبالي يزيدُ أنِصفَها تحمّل أم كلَّها ، فمن لكم بالنصف الباقي ؟

قال القوم : هذا واللهِ الرأيُ .

وسمع يزيدُ مناجاتهم ، فقالَ لحاجبه : انظر يا يحيى إن كان بَقي على القوم شيءٌ فليرجعوا .

فرجعوا اليه ، وقالوا : أقِلنا .

قال : قد فعلتُ .

قالوا : فإن رأيتَ أن تحمِلَها كُلَّها فأنت أهلُها ، وإن أبَيتَ فما لها أحدٌ غيرك .

قال : قد فعلتُ .

وغدا يزيد بن المهلب الى سليمان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتاني عثمان بن حيّان وأصحابه .

قال : أمَسَّك في المال ؟

قال : نعم .

قال سليمان : والله لآخذنّه منهم .

قال يزيد : إني قد حملته .

قال : فأدّه .

قال يزيد : والله ما حملته إلا لأؤدّيَه ؛ ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، إن هذه الحَمالةَ وإن عظُم خطبُها ، فحَمْدُها والله أعظمُ منها ، ويَدي مبسوطةٌ بيدِك ، فابسُطها لسؤّالها .

ثم غدا يزيدُ بالمالِ على الخزّانِ فدفَعه إليهم . فدخلوا على سليمانَ فأخبروه بقبضِ المال ؛ فقال : وَفَت يمينُ سليمان، احمِلوا إلى أبي خالدٍ مالَه ؛ فقالَ عديُّ بن الرّقاع العامليّ :

وللهِ عَينا مَن رأى كحَمالةٍ، تحمّلها كبْشُ العِراقِ يزيدُ

•

الأصمعيَ قال : قدِمَ على يزيدَ بن المُهلَّب قومٌ من قُضاعةَ من بني ضِنّة ، فقال رجلٌ منهم :

والله ما تَدْري ، إذا ما فاتَنا
طلبٌ إليك ، من الذي نتطلّبُ

ولقد ضَرَبنا في البلاد ، فلم تَجِدْ
أحداً سواكَ إلى المكارمِ يُنسَبُ

فاصبِرْ لعادتنا ، التي عوّدتنا ،
أو لا فأرْشِدْنا إلى من نَذهبُ

فأمر له بألف دينـــار . فلما كان في العام المُقبل وفد عليه فقال :

ما لي أرى أبوابَهم مَهجورةً ،
وكأنّ بابَك مَجْمَعُ الأسواقِ ؟

حابوك أم هابوك أم شامُوا النَّدَى
بيدَيك ، فاجتمعُوا من الآفاقِ ؟

إنّي رأيتُك للمكارمِ عاشِقاً ؛
والمَكْرُماتُ قليلةُ العُشّاقِ

فأمر له بعشرة آلاف دِرْهم .

●

ومَرّ يزيدُ بن المُهلّب في طريق البَصرة بأعرابية فأهدت اليه عَنزاً فقبِلها ، وقال لابنه معاوية : ما عندك من نفقة ؟

قال : ثمانمائة درهم .

قال : ادفعها اليها .

قال : إنها لا تَعْرِفك ويُرضيها اليسير .

قال : إن كانت لا تعرفني ، فأنا أعرفُ نفسي ، وإن كان يُرضيها اليسيرُ ، فأنا لا أرضى إلا بالكثير .

•

ومنهم يزيد بن حاتم . وكتب اليه رجلٌ من العلماء يستوصله، فبعث اليه بثلاثين ألف درهم ، وكتب اليه : أما بعدُ، فقد بعثتُ اليك بثلاثين ألفاً لا أكثرها امتناناً، ولا أقلّلها تجبُّراً، ولا أستثيبُك عليها ثناءً ، ولا أقطعُ لك بها رجاء ، والسلام.

•

وكان ربيعة الرّقّي قد قدم مصرَ فأتى يزيدَ بن حاتم الأزدي فلم يُعطِه شيئاً ، فخرج وهو يقول :

أراني ، ولا كُفرانَ لله ، راجعاً
بخُفّي حُنَينٍ من نَوالِ ابنِ حاتمِ

فسألَ عنه يزيدُ ، فأخبِرَ أنه قد خرجَ ، وقال كذا ، وأنشدَ البيتَ ؛ فأرسل في طلبه ، فأتِيَ به ، فقال : كيفَ قلتَ ؟

فأنشدَه البيتَ .

فقال : شُغِلنا عنك .

ثم أمر بخُفّيه فخُلعا من رِجلَيه ومُلِئا مالاً ، وقال : ارجع بهما بدلاً من خُفّي حُنين .

فقال فيه لمّا عُزِل عن مصر ووُلّي مكانَه يزيدُ ابن أُسَيْد :

بكى أهلُ مصرٍ بالدُّموع السَّواجِمِ ،
غداةَ غدا منها الأغرُّ ابنُ حاتِمِ

وفيها يقول :

لَشتّانَ ما بَينَ اليزيدَيْنِ ، في النّدى :
يزيدِ سُلَيمٍ والاغرِّ ابنِ حاتِمِ

فهَمُّ الفتى الأزْدِيِّ إتلافُ مالِه ؛
وهَمُّ الفتى القَيْسيِّ جَمْعُ الدَّراهم

فلا يَحسبِ التَّمْتامُ أني هَجوتُه ،
ولكنّني فضّلتُ أهلَ المَكارم

•

وخرجَ إليه رجلٌ منَ الشعراءِ يَمدحُه ، فلما بلغَ مصرَ وجدَه قد مات ، فقال فيه :

لئن مصرُ فاتَتْني بما كنتُ أرتجي ،
وأخلَفَني منها الذي كنتُ آمُلُ

فما كلُّ ما يخشى الفتى بمُصيبِه ؛
ولا كلُّ ما يَرجو الفتى هُوَ نائلُ

وما كانَ بيني ، لو لقيتُكَ سالماً ،
وبينَ الغِنى إلاّ ليالٍ قلائلُ

•

ومنهم أبو دُلَف واسمُه القاسم بنُ إسماعيل ، وفيه يقول عليُّ بن جَبلة :

إنّما الدُّنيا أبو دُلَفٍ ، بَينَ مَبْداهُ ومُحْتَضَرِه
فإذا ولّى أبو دُلَفٍ ، ولّتِ الدُّنيا على أثرِه

•

وقال فيه رجلٌ من شعراء الكوفة :

اللهُ أجرى منَ الأرزاقِ أكثرَها ،
على العِباد ، على كَفَّيْ أبي دُلَفِ

باري الرياحَ فأعطى ، وهي جاريَةٌ ،
حتى إذا وقَفَتْ أعطى ولم يَقِفِ

ما خطَّ «لا» كاتباه في صَحيفته ،
يوماً ، كما خُطَّ «لا» في سائرِ الصُّحُفِ

فأعطاه ثلاثين ألفاً .

•

ومدحه آخرُ فقال له :

يُشْبِهُهُ الرعدُ ، إذا الرعدُ رَجَفْ ،
كأنّه البرقُ ، إذا البرقُ خَطَفْ

كأنّـه الموتُ ، إذا الموتُ أزِف ،
تَحْمِلُه الى الوغَى الخيلُ القُطُفُ[1]

إنْ سارَ سارَ المجدُ، أو حلَّ وقَف،
انظُرْ بعَيْنَيـك الى أسنى الشَّرَفْ

هـل نالَـه بقُدْرةٍ ، أو بكُلَـف ،
خَلْقٌ من الناس سِوى أبي دُلَفْ ؟

فأعطاه خمسين ألفاً .

•

ومن أخبـار معن بن زائدة ، قال شراحيل بن معْن ابن زائدة :

حجَّ هارونُ الرشيدُ وزميلُه أبو يوسف القاضي ، وكنتُ كثيراً ما أسايِرُه ، إذ عرَضَ له أعرابيٌّ من بني أسدٍ فأنشدَه شِعْراً مدَحه فيه وأفرَط ؛ فقال له هارون : ألم أنْهكَ عن مثلِ هـذا في مَدْحِك يا أخا بني أسد ؟ إذا قلتَ فينا فقُل كقولِ القائل في أبي هذا :

بنو مَطَرٍ يومَ اللقـاء ، كأنّهم
أسودٌ ، لها في غِيـل خفّانَ أشبُلُ

---

١ أزف : قرب . القطف ، واحدها قطوف : الفرس تقارب الخطو في سرعة .

هُمُ يَمنعون الجارَ ، حتى كأنّما
لجارِهمُ ، بين السِّماكينِ ، مَنزِلُ

بَهاليلُ في الاسلام سادُوا، ولم يكُن
كأوّلِهم في الجاهليّة أوّلُ[1]

وما يَستطيعُ الفاعلون فَعالَهم ،
وإن أحسنُوا في النّائباتِ وأجمَلُوا

هُمُ القومُ، إن قالوا أصابُوا، وإن دُعوا
أجابوا، وإن أعطَوْا أطابوا وأجزَلوا

•

ومنهم خالد بن عبد الله القَسْريّ ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

الى خالدٍ ، حتى أنَخنَ بخالدٍ ،
فنِعْمَ الفتى يُرجَى ، ونِعْمَ المُؤمَّلُ

•

بينا خالدُ بن عبد الله القَسْريّ جالسٌ في مِظلّةٍ له إذ نظَر الى أعرابيّ يَخُبّ به بعيرُه مُقبِلاً نحوه ، فقال لحاجبه : إذا قَدِمَ فلا تَحجُبْه . فلما قَدِمَ أدخَله عليه ، فسلّم وقال :

أصلحَكَ اللهُ ! قلَّ ما بيدِي ، فما أُطيقُ العيالَ ،إذ كَثُروا

---

[1] البهاليل ، واحدها بهلول : السيد الجامع لكل خير .

أناخَ دهرٌ ألقى بكَلْكَلِه ، فأرسلُوني إليكَ وانتظروا

فقال خالد : أرسلوك وانتظروا ؟ واللهِ لا تنزِلُ حتى تنصرِفَ إليهم بما يَسُرُّهم ؛ وأمر له بجائزةٍ عظيمةٍ وكُسوةٍ شريفة .

●

ومنهم عدي بن حاتم . دخل عليه ابنُ دارةَ فقال : إني مدحتُك ؛ قال : أمسِكْ حتى آتيَك بمالي ، ثم امدَحْني على حسبِه ، فإني أكرَه أن لا أعطيَك ثمنَ ما تقولُ ، لي ألفُ شاةٍ وألفُ دِرهمٍ وثلاثة أعبُدٍ وثلاثُ إماءٍ وفرَسي هذا حُبِسٌ في سبيل الله ، فامدَحْني على حسب ما أخبرتُك ؛ فقال :

تَحِنُّ قَلوصي في مَعَدٍّ ، وإنما
تُلاقي الربيعَ في ديار بني ثُعَلْ

وأبقى الليالي من عديٍّ بن حاتمٍ
حُساماً، كنَصْلِ السيفِ سُلَّ من الخِلَلْ[1]

أبوكَ جوادٌ لا يُشَقُّ غُبارُه ؛
وأنتَ جوادٌ ما تَعَذَّرُ بالعِلَلْ

فإن تَتَّقوا شرّاً ، فمثلُكُمُ اتَّقى ؛
وإن تفعلوا خيراً ، فمثلُكُمُ فَعَلْ

قال له عَديّ : أمسِكْ ، لا يبلغُ مالي أكثرَ من هذا .

---

١ الخلل ، واحدتها خلة : جفن السيف المغشى بالأدم .

اصفاد الملوك على المدح

سعيد بن مُسلم الباهليّ قال :

قدم على الرشيد أعرابيّ من باهلةَ وعليه جُبّةٌ حَبِرة ورِداءٌ يَمانٍ ، قد شدّه على وسطِه ، ثم ثناه على عاتقِه ، وعمامتُه قد عَصَبها على فَوْدَيْه ، وأرخى لها عَذَبةً من خلفِه ، فمثَل بين يدي الرشيد ؛ فقال سعيد : يا أعرابي ، خُذْ في شرفِ أمير المؤمنين .

فاندفع في شعره ؛ فقال الرشيد : يا أعرابي ، أسمعُك مُستحسناً وأنكِرُك مُتّهِماً ، فقل لنا بيتين في هذين ، يعني محمداً الأمينَ وعبدَ الله المأمونَ ابنيه وهما عن حِفافَيه .

فقال : يا أمير المؤمنين ، حَملْتني على الوَعْر القَرْدد[1]، ورجَعتني عن السَّهل الجَدَد[2] . رَوعةُ الخلافةِ ، وبُهْرُ الدَّرجةِ ، ونُفورُ القَوافي على البديهةِ ، فأرْوِني تتألّف لي نوافرُها ، ويَسكُنْ روعي .

---

١ القردد : ما ارتفع وغلظ من الأرض .

٢ الجدد : الارض الغليظة .

قال : قد فعلتُ ، وجعلتُ اعتذارَك بدلاً من امتحانِك.

قال : يا أميرَ المؤمنين ، نَفَّستَ الخناقَ ، وسهّلتَ مَيْدانَ السِّباق ؛ فأنشأ يقول :

بَنَيتَ لعَبْدِ اللهِ ثم محمّد
ذُرَى قُبّةِ الإسلام ، فاخضرّ عودُها

هما طُنُباها ، باركَ اللهُ فيهما ،
وأنتَ أميرَ المؤمنين عمودُها[1]

فقال الرشيد : وأنتَ يا أعرابيُّ ، باركَ اللهُ فيك ، فسَلْ ولا تكُنْ مسألتُك دونَ إحسانِك .

قال : الهُنَيْدةَ[2] يا أميرَ المؤمنين .

فأمر له بمائة ناقةٍ وسَبْعِ خِلَع .

•

وقال مروانُ بن أبي حفصة : دخلتُ على المهديّ فاستنشدني؛ فأنشدته الشعر الذي أقول فيه :

طَرقَتْكَ زائرةٌ ، فَحيّ خيالَها ، بيضاءُ تَخْلِط بالحَياءِ دَلالَها

قادتْ فؤادَك فاستقادَ ، ومثلُها قادَ القلوبَ إلى الصِّبا فأمالَها

---

١ الطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت ، أو هو الوتد .
٢ الهنيدة : اسم للمائة من الابل ، أو لما فوقها ودونها ، أو للمائتين .

حتى انتهيتُ إلى قولي :

شَهِدَتْ من الأنفالِ آخرُ آيةٍ   بتُراثِهِم ، فأردتمُ إبطالَهَا

أوتجحدون مقالةً عنْ رَبِّكم ،   جبريلُ بلَّغها النبيَّ ، فقالَهَا ؟

هل تَطمِسون من السماءِ نُجومَها   بأكفِّكم أو تسترُون هِلالَهَا ؟

قال : وأنشدته أيضاً شِعري الذي أقول فيه :

يابنَ الذي ورِثَ النبيَّ محمداً ،
دون الأقارب من ذَوي الأرْحامِ

الوَحْيُ بين بَني البَناتِ وبينَكم ،
قُطِعَ الخِصامُ فلاتَ حينَ خِصامِ

ما للنساءِ مع الرِّجالِ فريضةٌ ،
نَزَلَتْ بذلك سورةُ الأنعامِ

أنّى يكونُ ، وليس ذاك بكائنٍ ،
لبَني البناتِ وِراثةُ الأعمامِ ؟

ألغى سِهامَهمُ الكتابُ ، فحاوَلوا
أن يشْرَعوا فيها بغيرِ سِهامِ

ظَفِرتْ بنو ساقي الحَجيجِ بحقِّهم ،
وغُرِرتُمُ بتَوَهُّمِ الأحلامِ

قال مروان بن أبي حفصة : فلما أنشدتُ المهديّ الشعرين ، قال : وجَب حقُّك على هؤلاء ، وعنده جماعةٌ من أهل بيتِه ، قد أمرتُ لك بثلاثين ألفاً ، وفرضتُ على موسى خمسةَ آلاف ، وعلى هارونَ مثلَها ، وعلى عليّ أربعة آلاف ، وعلى العبّاسِ كذا ، وعلى فلانٍ كذا ، فحسبتُ سبعين ألفاً .

قال : فأمرَ بالثلاثين ألفاً فأتي بها ، ثم قال : اغدُ على هؤلاء ، وخُذ ما فرضتُ لك .

فأتيتُ موسى ، فأمر لي بخمسةِ آلافٍ ، وأتيت هارونَ ، فأمر لي بمثلِها ، وأتيتُ عليًّا ، فقال : قصّر بي دونَ إخوتي فلن أُقصّرَ بنفسي ، فأمر لي بخمسةِ آلافٍ ؛ فأخذتُ من الباقين سبعين ألفاً .

•

ودخل أعشى رَبيعةَ على عبدِ الملك بن مروانَ وعن يمينِه الوليدُ ، وعن يَسارِه سُليمان ؛ فقال له عبد الملك : ماذا بَقي يا أبا المُغيرةِ ؟

قال : مضى ما مضى وبقي ما بَقي ؛ وأنشأ يقول :

وما أنا في حقّي ؛ ولا في خُصومتي ،
بمُهتَضَمٍ حقّي ، ولا قارعٍ سِنّي

ولا مُسلِمٍ مَولايَ من سُوء ما جنى ،
ولا خائف مولاي من سُوء ما أجني

وفَضْلِيَ في الأقوال والشعرِ أنّني
أقولُ الذي أعني، وأعرِفُ ما أعني

وأنّ فؤادي ، بين جنبيّ ، عالمٌ
بما أبصرتْ عيني وما سمعَتْ أذني

وأنّي ، وإن فضّلتُ مروانَ وابنَه
على الناس، قد فضّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

فضحِكَ عبدُ الملك ، وقال للوليد وسليمان : أتلومانِي على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف .

•

العُتبيّ قال : دخل الفرزدق على عبد الرحمن ابن أم الحكم، فقال له عبدُ الرحمن : أبا فِراس ، دَعْني من شعرِك الذي لا يأتي آخرُه حتى يُنسى أوّلُه ، وقُل فيّ بيتين يَعقِلان أفواهَ الرُّواة وأُعطِيكَها عطيةً لم يُعطِكَها أحدٌ قبلي .

فغدا عليه وهو يقول :

وأنت ابنُ بَطحاوَيْ قُريشٍ ، فإن تشأ
تكُنْ في ثقيفٍ سَيْلَ ذي حَدَبٍ غَمْرِ ١

١ بطحاوي قريش : اراد قريش البطحاء ، سمي بذلك الذين كانوا ينزلون الشعب بين اخشبي مكة، وسمي الذين كانوا ينزلون خارجه بقريش الظواهر. الحدب : الحدور في صبب .

وأنتَ ابنُ فَرْعٍ ماجدٍ ، لِعَقيلةٍ
تَلَقَّتْ له الشمسُ المُضيئةُ بالبَدْرِ

قال : أحسنتَ ! وأمر له بعشرة آلاف .

•

أبو سُويد قال : أخبرني الكُوفيّ قال :

اعترض الفضلَ بنَ يحيى بن خالد في وقتِ خروجه الى خُراسان فتىً من التجّار كان شَخَص الى الكوفة ، فقُطِع به وأُخِذ جميعُ ما كان معه ، فأخذ بعِنان دابّة الفضل وقال :

سأُرسِلُ بَيتاً ، ليس في الشّعر مثلُه ،
يُقطّعُ أعناقَ البُيوتِ الشّواردِ

أقام النّدى والبأسُ في كلّ منزلٍ ،
أقامَ بهِ الفضلُ بنُ يحيى بن خالدِ

قال : فأمر له بمائة ألف دِرهم .

•

العُتْبيّ : قال أبو الجَنوب مَروان بنُ أبي حَفْصَة أبياتاً ورفعها الى زُبيدة ابنة جعفر يمدح ابنها محمداً وفيها يقول :

لله دَرُّكِ يا عَقيلةَ جَعفرٍ ،
ماذا وَلَدتِ من العُلا والسُّؤددِ !

إنّ الخلافةَ قد تبيّنَ نُورُها،
للناظرِينَ، على جَبينِ مُحمَّدِ

فأمرتُ أن يُملأ فمُهُ دُرّاً.

•

وقال الحسنُ بن رجاء الكاتب: قدِم علينا عليُّ بن جَبلة إلى عَسْكر الحسنِ بن سَهل والمأمون هناك بانياً على خديجةَ ابنةِ الحسن بن سهل، المعروفةِ ببُوران، ونحنُ إذ ذاكَ نُجري على نيّفٍ وسبعينَ ألف فلاح، وكان الحسن بن سهل مع المأمون يتصبّحُ، فكان الحسنُ يجلسُ للناس الى وقت انتباهه. فلما قدِمَ عليُّ بن جَبلة نزل بي، فقلتُ له: قد قوي شُغلُ الأمير.

قال: إذاً لا أُضيعُ معكَ.

قلت: أجَلْ.

فدخلت على الحسن بن سهل في وقت ظُهوره فأعلمتُه مكانه؛ فقال: ألا ترى ما نحنُ فيه؟

قلت: لستَ بمشغُول عن الأمر له.

فقال: يُعطَى عشرة آلافٍ الى أن نتفرّغ له.

فأعلمت عليَّ بن جبلة؛ فقال في كلمة له:

أعطيتَني يا وَليّ الحقّ، مُبتدئاً،
عطيّةً كافأت حَمْدي ولم ترَني

ما شِمتُ برقَكَ حتى نِلتُ رَيِّقه،
كأنما كنتَ بالجَدْوى تُبادرُني

•

عرض رجلٌ لابن طَوْقٍ ، وقد خرج متنزّهاً في الرّحبة ، فناوله رقعةً فيها جميعُ حاجته ، فاخذها فإذا فيها :

جعلتُكَ دُنيايَ . فإن أنتَ جُدتَ لي
بخيرٍ ، وإلا فالسّلامُ على الدُّنيا

فقال : والله لأصدّقنّ ظنّك ؛ فأعطاه حتى أغناه .

•

عرض دِعبلُ بن عليّ الشاعرُ لعبد الله بن طاهر الخُراساني، وهو راكبٌ في حَرّاقة له في دجلة ، فأشار اليه برُقعةٍ ، فأمر بأخذها فإذا فيها :

عَجِبتُ لحَرّاقة ابنِ الحُسينِ، كيفَ تَسيرُ ولا تَغرَقُ
وبحرانِ : من تحتِها واحدٌ وآخرُ من فَوْقِها مُطبِقُ
وأعجبُ مِن ذاكَ عِيدانُها، إذا مَسّها كيف لا تُورِقُ

فأمر له بخمسة آلاف دِرهم وجارية وفرسٍ .

•

وخرج عبد الله بن طاهر ، فتلقّاه دعبل برقعة فيها :

طلعتْ قناتُكَ بالسَّعادة فوقَها ،
مَعقودةٌ بلواءِ مُلْكٍ مُقبلِ [1]

تهتزُّ فوقَ طَريدتَيْنِ ، كأنما
تهفو يُقصُّ لها جَناحا أجْدلِ

رَبحَ البَخيلُ ، على احتيالٍ ، عِرضَه
بِنَدَى يديْكَ ، ووَجْهِكَ المُتهلّلِ

لو كانَ يَعلمُ أنّ نيْلَكَ عاجلٌ ،
ما فاضَ منه جَدْوَلٌ في جَدْوَلِ

فأمر له بخمسة آلاف .

•

ووقف رجلٌ من الشعراء إلى عبد الله بن طاهر فأنشده :

إذا قيلَ : أيّ فتىً تَعلمون أهشُّ إلى البأسِ والنّائلِ

وأضربَ للهامِ يومَ الوغى ، وأطْعَمَ في الزّمنِ الماحِلِ ؟

أشارَ إليك جميعُ الأنام ، إشارةَ غرْقَى إلى ساحلِ

فأمر له بخمسين ألف درهم .

•

---

١ يريد بالقناة التي يعقد فوقها لواء الأمير .

أحمد بن مُطير قال : أنشدتُ عبدَ الله بنَ طاهرٍ أبياتاً كنتُ مدحتُ بها بعضَ الولاة وهي :

له يومُ بؤسٍ ، فيه للناس أبؤسٌ ،
ويومُ نعيمٍ ، فيه للناسِ أنْعُمُ

فيَقْطُرُ يومَ الجود، من كفّه، النّدى ،
ويقطُر يومَ البؤس ، من كفّه ، الدّم

فلو أنّ يومَ البؤس لم يَثْنِ كفّه
عن الناس، لم يُصبِحْ على الأرضِ مُجرِمُ

ولو أنّ يومَ الجود فرّغَ كفّه
لبَذْل الندى ، ما كان بالأرضِ مُعدِمُ

فقال لي عبدُ الله : كم أعطاكَ ؟ قلتُ : خمسةَ آلاف ؛ قال : فقَبِلتَها ؟ قلت : نعم ؛ قال لي : أخطأتَ ، ما ثمنُ هذه إلا مائة ألف .

•

ودخل حمّادُ عَجْرَدَ على أبي جعفرٍ بعد موتِ أبي العبّاس أخيه فأنشده :

أتوكَ بعد أبي العبّاس ، إذ بانا ،
يا أكرمَ الناسِ أعراقاً وعيدانا

لو مجَّ عودٌ على قومٍ عُصارتَه،
لَمَجَّ عودُكَ فينا الشهْدَ والبانا

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

•

القَحْذَميّ قال : جاء موسى شهوات إلى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، فقال : إنّ هنا جاريةً تعشّقتُها ، وأبَوْا أن يَنقصوني عن مائتي دينار .

فقال : بُورِكَ فيها .

فذهب إلى سعيدِ بن خالد بن أسيد ، وأمه عائشة بنت طلحة الطّلحات ، فدَعا بمِطْرفِ خزٍّ فبَسطَه وعقَد في كلّ رُكن من أركانِه مائةَ دينار ، وقال لموسى : خذِ المِطْرَفَ بما فيه ؛ فأخذه ، ثم غدا عليه فأنشده :

أبا خالدٍ ، أعني سعيدَ بنَ خالدٍ ،
أخا العُرْف، لا أعني ابنَ بنْتَ سَعيدِ[1]

عَميدَ الندى ، ما عاش يَرضى به الندى،
فان ماتَ لم يرضَ الندى بعَميد

---

١ ابن بنت سعيد : سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، وامه بنت سعيد بن العاص.

دَعُوه دَعُوه ! إنكم قد رَقدتُمْ ،
وما هو عن أحسابِكم برَقودِ

•

العتبي قال : سمعت عمي ينشد لأبي العباس الزُّبيري :

وكلُّ خليفةٍ ووليِّ عَهْدٍ ، لكُم ، يا آلَ مرْوانَ ، الفِداءُ
إمارتُكم شِفاءٌ ، حيث كانت ، وبعضُ إمارةِ الأقوامِ داءُ
فأنتم تُحْسِنون اذا مَلَكتم ، وبعض القوم إن ملكوا أساءوا
أأجعلُكم وغيرَكم سواءً ، وبَيْنَكم وبينَهمُ الهَواءُ ؟
هُمُ أرضٌ لأرجلِكُم ، وأنتم لأيديهم وأرجلِهم سماءُ

فقلت له : كم أعطي عليها ؟ قال : عشرين ألفاً .

•

الأصمعيّ قال : حدثني رُؤبةُ قال : دخلتُ على أبي مُسلم صاحب الدعوة ، فلما أبصرني نادى : يا رؤبة ! فأجبته :

لبّيك ، إذ دعوتني ، لبّيكا! أحمدُ ربّاً ساقني إليكا
الحمدُ والنّعمةُ في يَدَيْكا

قال : بل في يدي الله تعالى ؛ قلت له : وأنت إذا أنعمت أجدْتَ . ثم قلت : يأذنُ لي الأمير في الانشاد ؟ قال : نعم ؛ فأنشدته :

مازال يأتي المُلْكَ من أقطارِه، وعن يَمينه وعن يَسارِه
مُشمّراً لا يُصطلى بنارِه، حتى أقرّ المُلكَ في قرارِه

فقال : يا رؤبةَ إنك أتيتَنا وقد شفّ المالُ واستنفدَه الإنفاقُ ، وقد أمرنا لك بجائزةٍ وهي تافهة يسيرة ، ومنك العَوْدُ وعلينا المُعَوَّلُ ، والدهرُ أطرقُ مُستَتِبٌّ ، فلا تجعَل بيننا وبينك الأسِدّة .

قال رُؤبة : فقلتُ : الذي أفادني الأميرُ من كلامه أكثرُ من الذي أفادني من ماله .

•

ودخل نُصيب بن رَباح على هِشام فأنشده :

إذا استبقَ الناسُ العُلا سَبقتَهمُ
يمينُك ، عَفواً ، ثم صَلّت شِمالُك[1]

فقال هشام : بلغتَ غايةَ المدح فسَلْني .

فقال : يا أمير المؤمنين ، يداك بالعطيّةِ أطلقُ من لساني بالمسألة .

قال : لا بدّ أن تفعل ؛ قال : لي ابنة نَفضتُ عليها من سَوادي فكَسَدَها ، فلو أنفقها أميرُ المؤمنين بشيء يجعله لها .

---

١ صلت : تبعت وجاءت تالية .

قالَ : فأقطَعها أرضاً ، وأمر لها بحُلّي وكسوة ، فنفقَتِ السوداءُ .

•

الرِّياشيُّ عن الأصمعي قال : مَدحَ نُصيبُ بن رَباحٍ عبدَ الله بن جعفرٍ ، فأمر له بمالٍ كثيرٍ ، وكُسوةٍ شريفةٍ ، ورَواحلَ مُوقَرةٍ بُرًّا وتَمراً ؛ فقيل له : أتفعلُ هذا بمثلِ هذا العبد الأسود ؟

قال : أما لئن كان عبداً إنّ شِعْرَه فيَّ لحُرٌّ ، ولئن كان أسودَ إنّ ثناءَه لأبيضُ ، وإنما أخذَ مالاً يفنى ، وثياباً تَبْلى ، ورواحلَ تُنضى ؛ وأعطى مديحاً يُرْوى ، وثناء يَبقى .

•

وذكروا عن أبي النَّجْم العِجليّ أنه أنشَد هِشاماً شعرَه الذي يقول فيه :

الحمدُ لله الوهوبِ المُجْزِلِ

وهو من أجودِ شعرِه ، حتى انتهى إلى قوله :

والشمسُ في الجوّ كعَينِ الأحْوَلِ

وكان هشامٌ أحولَ ، فأغضَبه ذلك ، فأمر بـه فطُرِد . فأمّل أبو النّجم رَجعتَه ، فكان يأوي إلى المسجد .

فأرِق هِشامٌ ذاتَ ليلة فقال لحاجبه : ابغِني رجلا عربيـاً فَصيحاً يُحدّثني ويُنشدني .

فطلب له ما سأل ، فوجدَ أبا النَّجمِ ، فأتى بـه . فلما دخل عليه قال : أينَ تكونُ منذُ أقصيناكَ ؟

قال : حيثُ ألفاني رسولُك .

قال : فمن كانَ ، أبا النجمِ ، أبا مَثواكَ ؟

قال : رجلين أتغدّى عند أحدهما وأتعشّى عند الآخر .

قال : فما لك من الوَلد ؟ قال : ابنتان .

قال : أزوّجتَهما ؟ قال : زوّجتُ إحداهما .

قال : فَبِمَ أوصيتَها ليلة أهديتَها ؟ قال : قلتُ لها :

سُبّي الحَماة وابْهَتي عليها ، وإن أبتْ فازدلفي إليها

ثم اقرعي بالعود مِرْفَقيها ، وجَدّدي الحُلْفَ به عليها

قال : فهل أوصيتَها بعدَ هذا ؟ قال : نعم :

أوصيتُ من بَرّة قلباً بَرّا ، بالكلبِ خيراً والحماةِ شرّا

لا تَسأمي خَنْقاً لها وجرّا ، والحَيّ عُمّيهم بشرٍّ طُرّا

وإن كَسَوْكِ ذَهباً ودُرّا ، حتى يَرَوْا حُلْو الحياة مُرّا

قال هِشام : ما هكذا أوصى يعقوبُ وَلدَه .

قال أبو النجم : ولا أنا كيعقوبَ ولا ولدي كولده .

قال : فما حال الأخرى ؟ قال : هي ظَلاَّمَةُ التي أقول فيها :

كأنَّ ظلاَّمَةَ ، أختَ شيبانْ ، يتيمةٌ ، ووالداها حَيّانْ
الرأسُ قَمْلٌ كله وصِئْبانْ ، وليس في الرِّجلين إلا خيطانْ
فهي التي يُذْعَرُ منها الشَّيطانْ

قال هشام لحاجبه : ما فعلتَ بالدنانير التي أمرتُك بقَبْضِها ؟

قال : هي عندي ، وهي خمسمائة دينار .

قال له : ادفعها لأبي النجم ليجعلَها في رِجْلَي ظلاَّمةَ مكان الخيطين .

•

أبو عُبيدةَ قال : حدَّثني يونس بن حبيب قال :

لما استُخلِفَ مروانُ بن محمد دخلَ عليه الشعراء يهنّئونه بالخلافة ، فتقدَّمَ إليه طُريحُ بن إسماعيل الثَّقَفي ، خالُ الوليدِ ابن يزيد ، فقال : الحمدُ لله الذي أنعمَ بك على الاسلام إماماً ، وجعلَك لأحكامِ دينِه قِواماً ، ولأمةِ محمدٍ المصطفى جُنَّةً ونظاماً ؛ ثم أنشده شعرَه الذي يقول فيه :

تَسوءُ عِداكَ ، في سَدادٍ ونَعْمةٍ ،
خلافتُنا تِسعينَ عاماً وأشهُرا

فقال مروان : كم الأشهر ؟ قال : وفاءُ المائة يا أمير المؤمنين ، تبلغ فيها أعلى درجةٍ وأسعدَ عاقبةٍ في النُّصرة والتمكين . فأمر له بمائة ألف درهم .

ثم تقدَّم إليه ذو الرُّمَّة مُتحانياً كَبْرة قد انحلَّت عِمامتُه مُنحدرةً على وجهه ، فوقف يُسوِّيها ؛ فقيل له : تقدَّم ؛ قال : إني أُجِلُّ أميرَ المؤمنين أن أخطُب بشَرفه مادحاً بلَوثة عِمامتي .

فقال مَروان : ما أملتُ أنه قد أبقت لنا منك مَيٌّ ، ولا صيدحٌ[1] ، في كلامِك إمتاعاً .

قال : بلى والله يا أميرَ المؤمنين ، أردُ منه قَراحاً ، والأحسن امتداحاً . ثم تقدَّم فأنشد شعراً يقول فيه :

فقلتُ لها : سيري ! أمامَكِ سيِّدٌ ،
تَفرَّعَ من مَروانَ او من مُحمَّدِ

فقال له : ما فعلتْ مَيٌّ ؟

فقال :

طُويَت غَدائِرُها بِبُردِ بِلىً ، ومَحا التُّرابُ محاسنَ الخَدِّ

فالتفت مروان الى العَبّاس بن الوليد ، فقال : أما ترى

---

١ مي : صاحبة ذي الرمة . صيدح : ناقته .

القوافي تَنْثالُ انثيالاً ؟ يُعطى بكلّ من سمّى من آبائي ألفَ دينار .

قال ذو الرُّمّة : لو علمتُ لبلغتُ عبدَ شمس .

•

الربيعُ حاجبُ المنصورِ قال : قلتُ يوماً للمنصورِ : إنّ الشعراءَ ببابك وهم كثيرون طالت أيامُهم ، ونَفِدت نفقاتُهم ؛ فقال : اخرُج إليهم فاقرأ عليهم السلام ، وقُل لهم : من مَدَحني منكم فلا يَصِفني بالأسد ، فإنما هو كلبٌ من الكلاب ، ولا بالحَيّةِ ، فإنما هي دُويبةٌ مُنتنةٌ تأكل التراب ، ولا بالجَبَل ، فإنما هو حجرٌ أصمّ ، ولا بالبحر ، فإنما هو غُطامطٌ[١] لَجِبٌ ، ومن ليس في شعره هذا فليدخل ، ومن كان في شعره فلينصرف .

فانصرفوا كُلُّهم إلا إبراهيمَ بنَ هَرمة ، فإنه قال له : أنا له يا ربيع ، فأدخلني .

فأدخله . فلما مَثَل بين يديه ، قال المنصور : يا ربيعُ ، قد علمتُ أنه لا يُجيبُك أحدٌ غيره ، هات يابنَ هرمةَ .

فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

---

١ غطامط : عظيم الأمواج .

لهُ لحظاتٌ عن حِفافَيْ سريرِه،
إذا كرَّها فيها عذابٌ ونائلُ

لهُ طِينةٌ بيضاءُ من آل هاشمٍ،
إذا اسودَّ من كُومِ الترابِ القبائلُ

إذا ما أبى شيئاً مضى كالذي أبى؛
وإن قال إنّي فاعلٌ، فهو فاعلُ

فقال: حسبُك، هاهنا بلغتُ، هذا عينُ الشعر، قد أمرتُ لك بخمسة آلاف درهم.

فقمْتُ إليه وقبّلتُ رأسه وأطرافه ثم خرجتُ، فلما كِدْتُ أن أخفى على عينيه سمعتُه يقول: يا إبراهيم.

فأقبلتُ إليه فَزِعاً، فقلتُ: لبّيكَ، فِداك أبي وأمي.

قال: احتفظ بها فليس لك عندنا غيرُها.

فقلت: بأبي وأمي أنت، أحفظُها حتى أُوافيك بها على الصراطِ بخاتَم الجِهْبذ.

•

علي بن الحسين قال: أنشدَ عليُّ بن الجَهم جعفراً المتوكل شعرَه الذي أوله:

هي النّفسُ ما حمّلْتَها تتحمّلُ

وكان في يد المتوكل جوهرتان . فأعطاه التي في يمينه ، فأطرقَ متفكراً في شيء يقوله ليأخذ التي في يساره ، فقال : ما لك مفكراً؟ إنما تفكر فيما تأخذ به الأخرى، خذها لا بورك لك فيها . فأنشأ يقول :

بشرٌ من رَى إمامُ عدلٍ ، تغرفُ من بحره البحارُ
يُرجى ويُخشى لكلِّ أمرٍ ، كأنه جنةٌ ونارُ
الملكُ فيه وفي بنيه، ما اختلفَ الليلُ والنهارُ
يداه في الجود ضرتان ، عليه كلتاهما تغارُ
لم تأتِ منه اليمينُ شيئاً ، إلا أتت مثله اليسارُ

•

وقال آخر في الهول :

إذا سألَ النّدى عن كل مكرُمة ،
لم تُلفِ نسبتَها إلا إلى الهولِ
لو زاحمَ الشمسَ ألفى الشمسَ مُظلمةً ،
أو زاحم الصُمَّ ألجاها إلى الميلِ[1]
أمضى من الدهر ، إن نابته نائبةٌ ،
وعندَ أعدائه أمضى من السّيلِ

•

---

١ الصم : الجبال .

ودخل شاعرٌ من أهل الريّ يقال له أبو يزيد علـى عبد الله ابن طاهر صاحب خراسان فأنشده :

اشرَبْ هنيئاً ، عليكَ التاجُ مُرتفقاً ،
من شاذِيَاخَ ، ودَعْ غمدانَ لليَمنِ [1]

فأنتَ أولَى بتاجِ المُلْكِ تَلْبَسُهُ ،
من هَوْذةِ بنِ عليٍّ وابنِ ذي يَزَنِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

•

ودخلت ليلى الأخيلية على الحجّاج فأنشدته :

إذا وَردَ الحجّاجُ أرضاً مَريضةً ،
تَتَبّعَ أقصَى دائِها فشفَاهَا

شَفاها من الدّاء العُضَال ، الذي بها ،
غُلامٌ إذا هَزّ القَنَاةَ سَقَاهَا

فقال لها : لا تقولي غلامٌ ، ولكن قولي هُمامٌ ؛ ثم قال: أيُّ النساء أحبُّ اليك أنزلك عندها ؟

---

١ مرتفقاً : ثابتاً دائماً . شاذياخ : مدينة نيسابور أم بلاد خراسان ، وكانت قديماً بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين . غمدان : قصر لملوك اليمن بين صنعاء وطيوة .

قالت : ومَن نِساؤك أيها الأمير ؟

قال : أمُّ الجُلاس ابنةُ سعيد بن العاص الأمويّة ، وهِندُ ابنةُ أسماء بن خارجة الفَزارية ، وهندُ ابنةُ المُهلّب بن أبي صُفرة العَتَكية .

قالت : القَيْسية[1] أحبُّ اليّ .

فلما كان من الغد دخلت عليه ، قال : يا غلام ، أعطِها خمسمائة .

قالت : أيها الأمير ، أحْسِبُها أُدْماً[2] .

قال قائل : إنما أمر لك بشاء .

قالت : الأميرُ أكرمُ من ذلك .

فجعلها إبلاً إناثاً على استحياء ، وانما كان أمر لها بشاء .

---

١ القيسية : تريد هند بنت أسماء .

٢ الأدم : البيض من الابل ، وهي أكرمها .

الايدي السخية

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة

٢ تحت ظلال القنا

٣ الأيدي السخيّة

٤ وفود العرب

٢٠٠ غ.ل.

العقد الفريد

٤

وفود العرب

مكتبة صادر
بيروت

٤

وفود العرب

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب .
فيه أدب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

●

وفود العرب

هو كتاب الجمانة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٤

وفود العرب

مكتبة صادر
بيروت

مطبعة المناهل : ٥٨ — ١٩٥١

كتاب الجمانة في الوفود

قال الفقيه أبو عُمر أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه :

قد مضى قولنا في الأجواد والأصفاد على مَراتبهم ومنازلهم، وما جرَوْا عليه وما نَدبوا اليه، من الأخلاق الجميلة، والأفعال الجزيلة، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الوفود الذين وَفدوا على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى الخلفاء والملوك ، فإنها مَقامات فَضْل، ومَشاهد حَفْل، يُتخيّر لها الكلام، وتُستهذب الألفاظ ، وتُستجزل المعاني .

ولا بد للوافد عن قومه أن يكون عميدَهم وزعيمَهم الذي عن قُوَّته يَنْزِعون ، وعن رأيه يُصْدِرون، فهو واحد يَعْدِل قبيلة ، ولسان يُعرِب عن ألسنة .

وما ظنُّك بوافد قوم يتكلّم بين يدي النبيّ ، صلى الله عليه وسلم، أو خَليفته ، أو بين يدي مَلِك جبّار في رَغبة أو رَهبة، فهو يُوطّد لقومه مَرّة ، ويتحفّظ من أمامه أخرى ؛ أتُراه مُدّخراً نتيجةً من نتائج الحِكْمة ، أو مُستبقياً غريبةً من غرائب الفِطنة ، أم تظنّ القوم قدّموه لفضل هذه الخُطّة إلاّ

وهو عندهم في غاية الحَذْلقة واللَّسن[1]، ومَجْمع الشعر والخطابة؟

ألا ترى أنّ قيسَ بن عاصم المِنْقريّ لمّا وَفد على النبيّ، صلى الله عليه وسلم، بَسط له رداءَه وقال: هذا سيّد الوَبَر؟ ولما تُوفي قيس بن عاصم قال فيه الشاعر[2]:

عليكَ سلامُ الله قيسَ بن عاصمٍ،
ورحمتُه ما شاء أن يترحّما

تحيّةَ من ألبسْتَه منك نعمةً،
إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سلّما

وما كان قيسٌ هُلكُه هُلكَ واحدٍ،
ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدّما

---

١ الحذلقة: التظرف والتكيس في الكلام. اللسن: الفصاحة.

٢ هو عبدة بن الطبيب.

وفود العرب على كسرى

ابن القَطامي عن الكلبي قال :

قدِم النعمان بن المنذر[1] على كسرى[2] وعنده وفود الروم والهند والصين، فذكروا من ملوكهم وبلادهم، فافتخر النعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الأمم، لا يستثني فارسَ ولا غيرها.

فقال كسرى ، وأخذته عِزّة المُلك : يا نُعمانُ ، لقد فكّرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرتُ في حال من يَقدَم عليّ من وفود الأمم ، فوجدتُ الرومَ لها حظٌّ في اجتماع أُلفتها[3] ، وعِظم سُلطانها ، وكثرةِ مدائنها ، ووثيقِ بُنيانها ، وأنّ لها ديناً يُبيّن حلالها وحرامها ، ويرُدّ سفيهها ، ويُقيم جاهلها .

ورأيت الهند نحواً من ذلك في حِكمتها وطِبّها، مع كثرة أنهار بلادها وثمارِها ، وعجيبِ صِناعاتها ، وطيّبِ أشجارها ،

---

١ النعمان بن المنذر : هو أبو قابوس .

٢ كسرى : هو كسرى الثاني ابرويز بن هرمز بن انوشروان .

٣ يريد نظامها وسياستها .

ودقيق حسابها ، وكثرة عددها .

وكذلك الصين في اجتماعها، وكثرة صناعات أيديها في آلة الحرب وصناعة الحديد، وفروسيّتها وهمّتها ، وأنّ لها مُلكاً يجمعها.

والتُّرك والخزَر[1] على ما بهم من سوء الحال في المعاش ، وقلّة الرّيف والثمار والحُصون، وما هو رأسُ عِمارة الدنيا من المساكن والملابس، لهم ملوك تضمّ قواصيَهم، وتُدبّر أمرَهم.

ولم أرَ للعرب شيئاً من خِصال الخير في أمر دين ولا دُنيا، ولا حَزْمٍ ولا قوّةٍ ؛ مع أن مما يدلُّ على مَهانتِها وذُلّها وصِغَر هِمّتها، محلّتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة، والطّير الحائرة ؛ يقتُلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضُهم بعضاً من الحاجة؛ قد خرجوا من مَطاعمِ الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذّاتها ، فأفضل طعام ظَفِر به ناعمُهم لحومُ الإبل التي يَعافها كثيرٌ من السباع ، لثِقَلها وسوء طَعْمِها وخوفِ دائها؛ وإنْ قَرى أحدُهم ضيفاً عدّها مَكرُمة، وإن أطعِم أكلةً عدّها غنيمة؛ تنطق بذلك أشعارُهم ، وتفتخر بذلك رجالهم؛ ما خلا هذه التنوخيّة[2]

---

١ الخزر : فرع من شعوب سكيثيا في شرق اوروبا ونزلوا ضفتي نهر الأتل اي الفولكا ، حتى ظهر الروس فطردوهم ، وبهم سمي بحر قزوين بحر الخزر .

٢ التنوخية : أراد بهم سكان اليمن وهم من تنوخ ، استثناهم لان جده كسرى انوشروان أمد سيف بن ذي يزن فاسترجع ملك آبائه من الحبشة، فصار ملوك اليمن كعمال لملوك فارس وتأدبوا بآدابهم .

التي أسّس جدّي اجتماعها، وشدّ مملكتها، ومنعها من عدوّها، فجرى لها ذلك الى يومنا هذا، وإنّ لها مع ذلك آثاراً ولبوساً، وقُرى وحُصوناً، وأموراً تُشبه بعضَ أمور الناس، يعني اليمن.

ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذِلّة والقِلّة، والفاقة والبؤس، حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مَراتب الناس.

قال النعمان: أصلح اللهُ الملكَ، حقٌ لأمةٍ المَلِكُ منها أن يَسموَ فضلُها، ويَعظُمَ خَطبُها، وتَعلو درجتها؛ إلا أنّ عندي جواباً في كل ما نَطق به الملك، في غير ردّ عليه ولا تكذيبٍ له، فإن أمّنني من غَضبه نطقتُ به.

قال كسرى: قلْ، فأنت آمن.

قال النعمان: أما أمتك أيها الملكُ فليست تُنازَع في الفَضل، لموضِعها الذي هي به من عُقولها وأحلامها، وبسطة محلّها، وبحبوحة عزّها، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك. وأما الأمم التي ذكرتَ، فأي أمّة تَقرِنُها بالعرب إلا فضلَتها؟

قال كسرى: بماذا؟

قال النعمان: بعزّها ومَنَعتها وحُسن وُجوهها وبأسها وسخائها وحِكمة ألسنتها وشدةِ عقولها وأنفتها ووفائها.

فأما عزُّها ومَنَعتها، فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوّخوا البلاد، ووطّدوا المُلك، وقادوا الجند، لم يَطمع فيهم طامع، ولم يَنلْهم نائل، حصونُهم ظهورُ خيلهم، ومِهادهم الأرضُ، وسُقوفُهم السماءُ، وجُنّتُهم السيوفُ، وعُدّتهم الصبر؛ إذ غيرها من الأمم، إنما عِزُّها الحجارةُ والطينُ وجزائرُ البحور.

وأما حُسن وجوهها وألوانها، فقد يُعرف فضلُهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة[1]، والصين المُنْحَفَة[2]، والتُرك المُشوّهة، والروم المقشّرة[3].

وأما أنسابُها وأحسابُها، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءَها وأصولَها وكثيراً من أوّلها، حتى إنّ أحدَهم ليُسأل عمّن وراء أبيه دُنْياً[4]، فلا يَنسبه ولا يَعرِفه، وليس أحدٌ من العرب إلا يُسمّي آباءه أباً فأباً، حاطوا بذلك أحسابهم، وحَفِظوا به أنسابهم، فلا يدخُل رجل في غيرِ قومه، ولا يَنتسبُ إلى غير نَسبه، ولا يدّعي إلى غير أبيه.

وأما سَخاؤها، فإنّ أدناهم رجلاً الذي تكون عنده البَكْرة

---

١ المنحرفة: لعله اراد المنحرفة الامزجة الكثيرة الامراض.

٢ المنحفة: المهزولة، قال ذلك لصفرة لون أهل الصين.

٣ المقشرة: اي كأن جلدها نزع عن وجهها، دلالة على ابيضاضها.

٤ دنيا: لحاً لاصق النسب.

والنابِ[1] ، عليها بلاغُه[2] في حُموله وشِبَعه ورِيّه ، فيَطرُقُه الطارق الذي يَكتفي بالفِلذة ويجتزىء بالشَّربة، فيعقِرُها له، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يُكسِبُه حُسنَ الأحدوثة وطيب الذِّكر.

وأما حِكمةُ ألسنتهم ، فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورَونقِ كلامهم وحُسنِه ووَزنِه وقوافيه ، مع مَعرفتِهم بالأشياءِ ، وضَربِهم للأمثال ، وإبلاغهم في الصفاتِ ، ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس. ثم خَيلُهم أفضلُ الخيل، ونِساؤهم أعفّ النساء ، ولِباسهم أفضل اللّباس ، ومعادنهم الذهبُ والفضة ، وحجارةُ جبلِهم الجَزْع[3]، ومطاياهم التي لا يَبلغ على مثلها سَفْر[4] ، ولا يُقطع بمثلها بَلد قَفْر.

وأما دينها وشريعتها ، فإنهم متمسّكون به ، حتى يبلغَ أحدَهم من نُسكه بدينه أنّ لهم أشهراً حُرُماً[5]، وبلداً مُحرَّماً،

---

١ الناب : الناقة المسنة .

٢ البلاغ : الكفاية.

٣ الجزع : خرز يماني فيه سواد وبياض .

٤ السفر : المسافرون .

٥ الاشهر الحرم اربعة : ذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم ، ورجب . وسميت الحرم لان العرب كانت لا تستحل فيها القتال الا طيء وخثعم .

وبيتاً مَحْجوجاً ، يَنْسُكون فيه مناسكهم[1] ، ويَذْبَحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجلُ قاتلَ أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رَغْبته منه ، فيَحْجُزه كرمُه ، ويمنعُه دينُه عن تناوله بأذى.

وأما وفاؤها، فإن أحدهم يلحظ اللَّحظة ويومىء الإيماءة فهي وَلْثٌ[2] وعُقدة لا يحلُّها إلا خُروجُ نَفْسِه . وإنَّ أحدَهم ليرفع عُوداً من الأرض فيكون رَهْناً بدَيْنه ، فلا يَغْلَقُ رَهْنُه[3] ، ولا تُخْفَرَ ذِمَّته ؛ وإنَّ أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به ، وعسى أن يكون نائياً عن دارِه ، فيُصابُ ، فلا يَرْضى حتى يُفني تلك القبيلة التي أصابته، أو تَفنى قبيلتُه ، لما أُخْفِرَ من جواره ؛ وإنه ليَلجأ إليهم المجرمُ المُحْدِث[4] من غيرِ معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله.

وأما قولك أيها الملك : يَئِدون أولادهم[5] ؛ فإنما يفعله مَن

---

١ المناسك: هي فروض الحج وتعبداته .

٢ الولث : العهد .

٣ غلق الرهن : استحقه المرتهن، وذلك اذا لم يفتك في الوقت المشروط. والمراد هنا انه يجعل العود بمنزلة رهن فلا بد ان يفتكه ولا يرضى بانتكاث عهده .

٤ المحدث : المرتكب جناية .

٥ يئدون اولادهم : يدفنونهم أحياء . كان بعض العرب في الجاهلية يفعلون ذلك ببناتهم في سني الجدب او اذا خافوا العار والهوان لهن .

يفعله منهم بالإناث أنفةٌ من العار وغَيْرةٌ من الأزواج .

وأما قولك: إن أفضلَ طعامهم لحومُ الابل على ما وصفتَ منها ؛ فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً له ، فعَمَدوا الى أجلّها وأفضلِها ، فكانت مراكبَهم وطعامهم ؛ مع أنها أكثر البهائم شُحوماً ، وأطيبُها لحوماً ، وأرقّها ألباناً ، وأقلّها غائلةً ، وأحلاها مَضْغةً ؛ وإنه لا شيء من اللُّحمانِ يُعالَج ما يعالَج به لحمُها إلا استبان فضلُها عليه .

وأما تحارُبهم وأكلُ بعضِهم بعضاً ، وتركُهم الانقياد لرجل يسوسُهم ويجمعهم ؛ فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا آنست من نفسها ضعفاً ، وتخوّفت نُهوضَ عدوّها اليها بالزّحف ، وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهلُ بيتٍ واحد يُعرف فضلهم على سائر غيرهم ، فيُلقون اليهم أمورَهم ، وينقادون لهم بأزمّتهم ؛ وأما العرب ، فإنّ ذلك كثيرٌ فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا مُلوكاً أجمعين ، مع أنفتهم من أداء الخراج والوَطْف[1] بالعَسْف .

وأما اليمن التي وصفها الملك ، فإنما أتى جدّ الملك الذي أتاه عند غَلبة الحَبَش له[2] ، على مُلك متّسق ، وأمر مجتمع ، فأتاه

---

١ الوطف : طردك الطريدة ثم تكون في اثرها .

٢ اراد غلبة الحبش على سيف بن ذي يزن واستنجاده بجد كسرى .

مسلوباً طريداً مُستصرِخاً ، قد تقاصر عن إيوانه[1] ، وصغُر في عينه ما شيّد من بنائه ؛ ولولا ما وَتِر به مَن يَليه من العرب ، لمالَ الى مَجال ، ولوَجَد من يُجيد الطعان ، ويَغضب للأحرار ، من غَلبة العَبيد الأشرار .

قال : فعجب كِسْرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لأهلٌ لموضِعك من الرِّياسةِ في أهل إقليمكَ ولما هو أفضل .

ثم كساه من كسوته ، وسَرَّحه الى موضِعه من الحيرة .

فلما قَدِم النُّعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها ممّا سمع من كسرى من تنقُّص العرب وتهجين أمرهم ، بعث الى أكثمَ بنِ صَيفيّ وحاجبِ بن زُرارة ، التميميّيْن ، والى الحارث بن عُباد وقيس بن مَسعود[2] ، البَكْريّيْن ، وإلى خالد بن جعفر وعَلقمة ابن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل ، العامريّيْن ، والى عمرو بن الشَّريد السُّلَميّ ، وعمرو بن مَعديكرب الزُّبيدي ، والحارث ابن ظالم المرّي . فلما قدِموا عليه في الخَوَرْنق[3] قال لهم :

---

١ تقاصر عن الشيء : أمسك عنه مع القدرة عليه . وفي الجملة تنازع على الفاعل : (ما شيد من بنائه) بين تقاصر عن ايوانه وصغر في عينه .

٢ قيس بن مسعود الشيباني البكري ذو الجدين . كان صاحب مسلحة كسرى على الطف ، وكان له مهارة ترعى فوق المنجشانية على ستة أميال من البصرة في مكان يعرف بروضة الخيل وهو حد بين العجم والعرب .

٣ الخورنق : قصر كان للنعمان بالحيرة .

قد عَرفتم هذه الأعاجم وقُرْبَ جِوار العرب منها، وقد سمعت من كسرى مقالات تخوّفتُ أن يكون لها غور ، أو يكون إنما أظهرها لأمرٍ أراد أن يتّخذ به العرب خَولاً كبعض طماطمته[1] في تأديتهم الخراجَ اليه ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ؛ فاقتصّ عليهم مَقالاتِ كِسرى وما ردّ عليه .

فقالوا : أيها الملك ، وفّقك الله ، ما أحسنَ ما رددت ، وأبلغ ما حَجَجْتَه به ! فمُرْنا بأمرك ، وادْعُنا الى ما شئت .

قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما مَلَكتُ وعززتُ بمكانكم، وما يُتخوّف من ناحيتكم ؛ وليس شيء أحبّ إليّ مما سدّد الله به أمرَكم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزّكم .

والرأيُ أن تَسيروا بجماعتكم أيها الرّهط وتَنْطلقوا الى كِسرى ، فإذا دخلتم نَطق كلُّ رجل منكم بما حَضره ، ليعلم أنّ العرب على غير ما ظنّ أو حدّثته نَفسُه ، ولا ينطِق رجل منكم بما يُغضبه، فإنه ملك عظيم السلطان، كثير الأعوان، مُترَف مُعجَب بنفسه ؛ ولا تَنخزلوا[2] له انخزالَ الخاضعِ الذّليل، وليكن أمرٌ بين ذلك تَظهر به وَثاقةُ حلومكم، وفضلُ منزلتكم ، وعظمةُ أخطاركم .

---

١ الطماطمة : من في لسانهم عجمة . واراد رعيته من الأجانب .

٢ لا تنخزلوا : اي لا يرد مقالكم تذلل .

وليكن أولَ من يبدأ بالكلام أكثمُ بن صَيفيّ ، لِسَنّه محلّه ، ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها ؛ وإنما دعاني الى التقدمة بينكم عِلمي بميل كلّ رجل منكم الى التقدّم قبل صاحبه ؛ فلا يكوننّ ذلك منكم فيجدَ في آدابكم مَطعناً ، فإنه ملك مُترف ، وقادر مُسلّط .

ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائفِ حُلل الملوك ، كلّ رجل منهم حُلّة ، وعمّمه عِمامة وختّمه بياقوتة ، وأمر لكل رجل منهم بنَجيبة مَهْرية[1] وفرس نَجيبة ، وكتب معهم كتاباً :

« أما بعد ، فإن الملِك ألقى إليّ من أمر العرب ما قد علم ، وأجبتُه بما قد فهِم ، بما أحببتُ أن يكون منه على عِلم ، ولا يَتلجلج في نفسه[2] أن أمّةً من الأمم التي احتجزتْ دونه بمملكتها ، وحمَت ما يليها بفضل قوّتها ، تبلُغها في شيء من الأمور التي يتعزّز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة .

وقد أوفدت أيها الملك رهطاً من العرب لهم فَضْل في أحسابهم وأنسابهم ، وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك ، وليُغمِض عن جفاء إن ظهر من مَنطِقهم ، وليُكرمني بإكرامهم ، وتعجيل

---

١ المهرية : نسبة الى مهرة بن حيدان .

٢ لا يتلجلج في نفسه : اي لا يخالج نفس كسرى انه ينال شيئاً يأنف منه أهل الحزم من امة العرب التي استقلت بملكها عن دولة فارس .

مَراحِهم ، وقد نسبتُهم في أسفل كتابي هذا الى عشائرهم . »

فخرج القوم في أهْبَتِهم ، حتى وقفوا بباب كِسرى بالمدائن ، فدفعوا اليه كتابَ النُّعمان ، فقرأه وأمر بإنزالهم الى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم .

فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مرازبته[1] ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسيٍّ عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الوَلاء والمَراتب التي وَصفهم النعمان بها في كتابه ، وأقام التَّرْجُمان ليؤدي اليه كلامهم ، ثم أذِن لهم في الكلام .

فقام أكثم بن صَيفيّ فقال : إن أفضلَ الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال مُلوكُها ، وأفضلَ الملوك أعمُّها نفعاً ؛ وخيرَ الأزمنة أخصبُها ، وأفضلَ الخُطباء أصدقُها .

الصِّدق منجاة ، والكَذِب مَهواة ، والشرّ لجاجة[2] ، والحزم مركب صَعب ، والعَجْز مركب وَطِيء[3] . آفة الرأي الهوى ، والعَجْز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصّبر .

حُسن الظّنّ وَرْطة ، وسُوء الظن عِصمة . إصلاح فساد

---

١ مرازبته : رؤساء دولته ، واحدهم مرزبان .

٢ اللجاجة : تماحك الخصمين وتماديهما .

٣ وطيء : سهل لين .

الرعية خيرٌ من إصلاح فساد الراعي . مَن فسدت بطانته كان كالغاصّ بالماء . شرُّ البلاد بلادٌ لا أميرَ بها . شرّ الملوك من خافه البريء .

المرء يَعجِز لا المحالة[1] . أفضل الأولاد البَرَرة . خيرُ الأعوان مَن لم يُراءِ بالنصيحة. أحقّ الجنود بالنصر من حسُنت سريرته .

يكفيك من الزاد ما بلّغكَ المحلّ . حسبك من شرٍّ سماعُه . الصمتُ حُكم[2] وقليلٌ فاعله . البلاغة الايجاز . مَن شدّد نفّر ، ومن تراخى تألّف .

فتعجّب كسرى من أكثم ، ثم قال : ويحك يا أكثم ! ما أحكمك وأوثق كلامَك لولا وَضْعُكَ كلامَك في غير موضعه!

قال أكثم : الصدقُ يُنبيء عنك لا الوعيد .

قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى .

قال أكثم : رُبّ قول أنفذُ من صَول .

ثم قام حاجب بن زُرارة التميميّ فقال : وَرِي زندُك[3] ،

---

١ المحالة : الحيلة .

٢ الحكم : الحكمة.

٣ ورى الزند : خرجت ناره . الزند : العود يقتدح به .

وعلَت يدك ، وهيب سلطانك .

إن العرب أمة قد غلُظت أكبادها، واستحصدَت مِرّتها[1]، ومَنعت دِرّتها[2] ؛ وهي لك وامقة ما تألّفتها، مُسترسلة ما لاينْتها ، سامحة ما سامحتها ؛ وهي العَلقم مرارة ، والصاب غضاضة ، والعَسل حلاوة ، والماء الزُّلال سلاسة .

نحن وفودها اليك ، وألسنُها لديك ، ذِمّتنا محفوظة ، وأحسابنا ممنوعة ، وعشائرنا فينا سامعة مُطيعة ، إن نَؤُبْ لك حامدين خيراً فلك بذلك عُمومُ مَحْمدتِنا ، وان نَذُمّ لم نختص بالذم دونها .

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حَجَرَ التّلال بألوان صَخْرها .

قال حاجب : بل زَئير الأسد بصَوْلتها .

قال كسرى : وذلك .

ثم قام الحارث بن عُباد البكريّ فقال: دامت لك المملكة باستكمال جَزيل حظّها ، وعُلوّ سَنائها .

مَن طال رِشاؤه كثُر مَتْحه[3] ، ومن ذهب ماله قَلّ

---

١ استحصدت : استحكمت . المرة : طاقة الحبل .

٢ الدرة : اللبن .

٣ الرشاء : الحبل . المتح : نزع الماء من البئر .

مَنْحُهُ . تَنَاقَلَ الأقاويل يُعْرَف به اللُّب، وهذا مَقام سيوجِف[1] بما يُنطَق فيه الرَّكْب، وتعرف به كُنْهَ حالنا العجمُ والعرب.

ونحن جيرانك الأدنَوْن، وأعوانك المُعينون ؛ خُيولنا جَمّة ، وجُيوشنا فَخْمة ؛ إن استنجدتنا فغير رُبُض[2] ، وإن استَطرقتنا فغير جُهُض[3]، وإن طلبتنا فغير غُمُض[4]، لا ننثني لذُعر ، ولا نَتنكّر لدهر ؛ رِماحنا طِوال ، وأعمارنا قِصار .

قال كسرى : أنفسٌ عزيزة ، وأمة والله ضعيفة .

قال الحارث : أيها الملك ، وأنَّى يكون لضعيف عِزّة ، أو لصَغير مِرّة ؟

قال كسرى: لو قَصُر عُمرك، لم تَستَولِ على لسانك نفسُك.

قال الحارث : أيها الملك ، إنّ الفارس إذا حَمل نفسه على الكَتيبة ، مُغرِّراً بنفسه على الموت ، فهي مَنيّة استقبلها، وحياة استدبرها ؛ والعرب تعلم أني أبعث الحربَ قُدُماً ، وأحبِسها وهي تَصَرَّفُ بهم؛ حتى إذا جاشت نارُها، وسَعَرت

---

١ يوجف : يسرع في سيره .

٢ اراد غير قاعدين عن نجدتك .

٣ اي ان استعنت بنا لبيناك .

٤ اي لا تنام .

اظاها ، وكشفت عن ساقها ، جعلتُ مقادَها رُمحي ، وبرْقَها سيفي، ورَعْدَها زَئيري، ولم أقصّر عن خوض خضاخِضها[1]، حتى أنغمس في غمرات لُججها، وأكونَ فُلْكاً لفرساني الى بحبوحة كَبْشِها[2] ، فأستَمْطرها دماً ، وأترك حماتها جَزَرَ السّباع[3] وكلّ نسرٍ قشعم[4] .

ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أكذلك هو ؟

قالوا : فَعاله أنطق من لسانه .

قال كسرى : ما رأيتُ كاليوم وفداً أحشدَ ، ولا شهوداً أوفد .

ثم قام عمرو بن الشّريد السّلمي فقال : أيها الملك ، نَعِم بالك ، ودام في السرور حالك ؛ إن عاقبة الكلام مُتدَبَّرة ، وأشكال الأمور مُعتبرة ، وفي كثيرٍ ثَقْلة[5] ، وفي قليل بُلغة ، وفي الملوك سَورة العز[6] .

---

١ الخضاخض من الاماكن : الكثير الشجر والماء .

٢ الكبش : سيد القوم .

٣ جزر السباع : قطعاً .

٤ القشعم : المسن .

٥ الثقلة : ثقل الطعام في الجوف ، استعارها لما لا خير فيه من الكلام .

٦ سورة العز : سطوته .

وهذا موطن له ما بعده ، تَشْرُف فيه مَن شرُف ، وخمَل فيه مَن خَمَل . لم نأتِ لضَيْمك ، ولم نَفِدْ لسُخْطك ، ولم نتعرض لِرِفْدك[1]؛ إن في أموالنا مُرتفَداً ، وعلى عزّنا مُعتَمَداً؛ إن أوْرَيْنا ناراً أثقبنا[2]، وإن أوِدَ[3] دهرٌ بنا اعتدلنا؛ إلا أنّا مع هذا لجِوارك حافظون ، ولمن رامك مُكافحون؛ حتى يُحمَد الصَّدَر[4] ، ويستطاب الخبر .

قال كسرى : ما يقوم قَصْدُ منطِقك بإفراطك ، ولا مَدْحك بذَمّك .

قال عمرو : كفى بقليلِ قصْدي هادياً ، وبأيْسر إفراطي مُخبراً، ولم يُلَمْ من عَرَفتْ نفسُه عما يعلم، ورضي من القصد بما بلغ .

قال كسرى : ما كل ما يَعْرف المرءُ ينطق به ، اجلس.

ثم قام خالد بن جعفر الكِلابيّ فقال : أحْضَر الله الملكَ إسعاداً ، وأرشده إرشاداً ؛ إنّ لكل منطق فُرصة ، ولكل

---

١ الرفد : العطاء .

٢ أورى : أوقد . أثقب : أشعل .

٣ أود : اعوج .

٤ الصدر : الرجوع .

جابة[1] غُصّة ؛ وعِيّ المنطق أشد من عِيّ السكوت ، وعِثار القول أنكى من عِثار الوَعْث[2] ؛ وما فرْصة المنطق عندنا إلا بما نهوى ، وغُصّة المنطق بما لا نهوى غير مُستساغة ، وتزكي ما أعلم من نفسي ويَعلم مَن سَمِعني أنني له مُطيق أحبُّ إليَّ من تكلُّفي ما أتخوّف ويُتخوّف مني .

وقد أوفدنا اليك ملكُنا النُّعمان ، وهو لـك من خير الأعوان، ونِعْم حاملُ المعروف والاحسان. أنفسنا بالطاعة لك باخِعة[3]، ورِقابُنا بالنصيحة خاضعة ، وأيدينا لك بالوفاء رَهينة .

قال له كسرى: نطقتَ بعقل، وسَموت بفَضْل، وعلَوت بنُبْل .

ثم قام عَلقمة بنُ عُلاثة العامريّ فقال: أنهجَتْ[4] لك سُبلُ الرَّشاد ، وخضعت لـك رقاب العباد ؛ إن للأقاويل مناهج ، وللآراء مَوالج[5] ، وللعَويص مخارج ؛ وخير القول أصدقُـه ، وأفضل الطّلَب أنجحُه .

---

١ الجابة : الاجابة

٢ الوعث : الطريق الصعب العسر .

٣ باخعة : خاضعة مقرة .

٤ أنهجت : وضحت .

٥ موالج : مداخل .

إنّا وإن كانت المحبّة أحضرتنا ، والوفادة قرّبتنا ، فليس من حضرك منّا بأفضل ممن عزب عنك ، بل لو قِسْتَ كلّ رجل منهم ، وعلمتَ منهم ما علِمنا ، لوجدتَ له في آبائه دُنياً أنداداً وأكفاء ، كلّهم إلى الفضل منسوب ، وبالشّرف والسّؤدد موصوف ، وبالرأي الفاضل والأدب النافذ معروف ؛ يحمي حِماه ، ويروي نَدامَاه[1] ، ويذود[2] أعداه ؛ لا تخمد نارُه ، ولا يحترز منه جارُه .

أيها الملك ، من يَبلُ[3] العربَ يَعرفْ فضلهم ، فاصطنع العرب فإنها الجبال الرواسي عِزّاً ، والبحورُ الزواخر طُمِيّاً[4] ، والنجوم الزواهر شرفاً ، والحصى عدداً ؛ فإن تَعرف لهم فضلهم يُعِزّوك ، وإن تَستنصرخهم لا يَخذلوك .

قال كسرى ، وخشي أن يأتي منه كلامٌ يحمله على السّخط عليه : حَسْبُك ، أبلغتَ وأحسنت .

ثم قام قيس بن مَسعود الشّيباني فقال : أطاب الله بك

---

١ نداماه ، واحدهم ندمان : النديم على الشراب .

٢ يذود : يدفع .

٣ يبلو : يجرب .

٤ طمياً : امتلاء وعلا .

المراشد، وجنّبك المصائب، ووقاك مكروه الشّصائب[1]، ما أحقّنا إذ أتيناك بإسماعك ما لا يُحْنِق صَدْرك، ولا يَزرع لنا حقداً في قلبك.

لم نَتقدّم أيها الملك لمُساماة[2]، ولم نَنتسب لمُعاداة، ولكن لتعلم أنت ورعيتك ومَن حضرك مِن وفود الأمم أنّا في المنطق غيرُ مُحجِمين، وفي البأس غيرُ مُقصّرين، إن جُورينا فغير مَسْبوقين، وإن سُومينا فغيرُ مَغلوبين.

قال كسرى: غير أنكم إذا عاهدتم غيرُ وافين. وهو يعرّض به في تركه الوفاء بضمانه السّواد[3].

قال قيس: أيها الملك، ما كنت في ذلك الا كوافٍ غُدر به، أو كخافر[4] أخفر بذمّته.

قال كسرى: ما يكون لضعيف ضمان، ولا لذليل خفارة.

قال قيس: أيها الملك، ما أنا فيما أخفر من ذِمّتي، أحقّ بإلزامي العارَ منك فيما قُتل من رعيّتك، وانتُهك من حُرمتك.

---

١ الشصائب: الشدائد، الواحدة شصيبة.

٢ المساماة: المغالبة في السمو والرفعة.

٣ اي سواد العراق.

٤ الخافر: المجير.

قال كسرى: ذلك لأن من ائتمن الخانة[1] واستنجد الأثمة ناله من الخطإ ما نالني ، وليس كلّ الناس سواء ؛ كيف رأيت حاجب بن زرارة ، لم يُحكِم قواه فيُبرم ، ويعهد فيُوفي ، ويَعِد فيُنجز ؟

قال : وما أحقّه بذلك وما رأيته إلاّ لي .

قال كسرى : القوم بُزْل[2] ، فأفضلها أشدّها .

ثم قام عامر بن الطّفيل العامريّ فقال: كثُر فنون المنطق، ولَبْس القول[3] أعمى من حِندِس الظّلماء[4] ؛ وإنما الفخر في الفَعال ، والعزّ في النّجدة، والسّودد مُطاوعة القُدرة ، وما أعلمك بقدْرنا ، وأبصرك بفضلنا، وبالحرى ، إن أدالت الأيام، وثابت الأحلام ، أن تُحدث لنا أموراً لها أعلام[5] .

قال كسرى : وما تلك الأعلام؟

قال : مُجتمع الأحياء من ربيعة ومُضر ، على أمرٍ يُذكر .

قال كسرى : وما الأمر الذي يُذكر ؟

---

١ الخانة : جمع خائن .

٢ البزل ، واحدها بازل : الجمل المسن .

٣ لبس القول : جعله مشتبهاً بغيره ، خافياً .

٤ حندس الظلماء : ظلمتها .

٥ لها اعلام : اي مشهورة .

قال : ما لي عِلم بأكثر مما خبرني به مُخبر .

قال كسرى : متى تكاهنت يابن الطُّفيل ؟

قال : لستُ بكاهن ، ولكني بالرُّمح طاعن .

قال كسرى : فإن أتاك آتٍ من جهة عَينك العوراء ما أنت صانع ؟

قال : ما هَيبتي في قفاي بدون هَيبتي في وجهي ، وما أذهَبَ عيني عَيث[1] ، ولكن مُطاوعة العَبث .

ثم قام عمرو بن معديكرب الزُّبيديّ فقال : إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فبلاغ المَنطق الصَّواب ، ومِلاك النُّجعة الارتياد[2] ، وعفو الرأي خير من استكراه الفِكرة ، وتوقُّف الخِبرة خير من اعتساف الحَيرة ؛ فاجتَبِذ[3] طاعتَنا بلفظك ، واكتَظم بادرتنا بحِلمك ، وألِن لنا كنفك يَسلُس لك قيادُنا ، فإنا أناس لم يُوقَس[4] صفاتَنا قِراعُ مَناقير من أراد لنا قَضماً ، ولكن منَعنا حِمانا من كل مَن رام لنا هضماً .

ثم قام الحارث بن ظالم المُرّي فقال : إنّ من آفة المَنطِق

---

١ العيث : الافساد .

٢ النجعة : طلب الكلأ . الارتياد : تفقد ما في الارض من المراعي والمياه .

٣ اجتبذ : اجتذب .

٤ لم يوقس : لم يخدش .

الكذب ، ومن لؤم الأخلاق الملق ، ومن خطل الرأي خفة الملك المسلط ؛ فإن أعلمناك أن مواجهتنا لك عن ائتلاف ، وانقيادنا لك عن تصاف ؛ فما أنت لقبول ذلك منا بخليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ؛ ولكن الوفاء بالعهود ، وإحكام ولث العقود ؛ والأمر بيننا وبينك معتدل ، ما لم يأت من قبلك ميل أو زلل .

قال كسرى : من أنت ؟

قال : الحارث بن ظالم .

قال : إن في أسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالغدر ، وأقرب من الوزر .

قال الحارث : إن في الحق مغضبة ، والسرو[1] التغافل ، ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة ، فلتشبه أفعالك مجلسك .

قال كسرى : هذا فتى القوم . ثم قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم ، وتفنن فيه متكلموكم ، ولولا أني أعلم أن الأدب لم يثقف أودكم[2] ، ولم يحكم أمركم ، وأنه ليس

---

١ السرو : المروءة في شرف .

٢ اودكم : اعوجاجكم .

لكم مَلك يَجْمعكم فتنطقون عنده منطق الرعيّة الخاضعة الباخعة[1] ، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم ، وغلب على طباعكم، لم أجِز لكم كثيراً مما تكلّمتم به ؛ وإني لأكره أن أجبّه وفودي أو أحنق صُدورهم ، والذي أُحِبّ هو إصلاح مداركم، وتألّف شواذكم ، والإعذار الى الله فيما بيني وبينكم ، وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب ، وصفَحت عما كان فيه من خَلل ، فانصرفوا الى مَلككم فأحسِنوا مُوازرته ، والتزموا طاعته، وارْدَعوا سُفهاءكم، وأقيموا أوَدهم، وأحسنوا أدبهم ، فإنّ في ذلك صلاح العامة .

١ الباخعة ، من بخع بالحق : اقر به واذعن .

وفود حاجب بن زرارة

على كسرى

العُتْبي عن أبيه :

إن حاجب بن زرارة وفد على كسرى لمّا مَنع تميماً من رِيف العراق، فاستأذن عليه، فأوْصَل اليه: أسيّدُ العرب أنت؟

قال : لا .

قال : فسيّد مُضَر ؟

قال : لا .

قال : فسيّد بني أبيك أنت ؟

قال : لا .

ثم أذن له ، فلما دخل عليه ، قال له : من أنت ؟

قال : سيّد العرب .

قال : أليس قد أوصلتُ اليك ، أسيّد العرب ؟ فقلت لا ، حتى اقتصرتُ بك على بني أبيك فقلتَ لا ؟

قال له : أيها الملك ، لم أكن كذلك حتى دخلتُ عليك ، فلمّا دخلتُ عليك صِرتُ سيّد العرب .

قال كسرى : آه، املأوا فاه دُرّاً . ثم قال : إنكم معشر العرب غُدُر ، فإن أذِنتُ لكم أفسدتم البلاد ، وأغرتم على العباد ، وآذيتموني .

قال حاجب : فإني ضامن للملك أن لا يفعلوا .

قال : فمن لي بأن تفيَ أنت ؟ قال : أرْهنك قوسي .

فلما جاء بها ضحِكَ مَنْ حوله وقالوا : لهذه العصا يفي .

قال كسرى : ما كان ليسلّمها لشيء أبداً .

فقبضها منه ، وأذِن لهم أن يدخلوا الرّيف .

ومات حاجب بن زُرارة ، فارتحل عُطارد بن حاجب الى كسرى يطلب قوسَ أبيه ؛ فقال له : ما أنت الذي رهنتها ؟

قال : أجل .

قال : فما فعل ؟

قال: هلك، وهو أبي، وقد وفى له قومُه ووفى هو للملك.

فردّها عليه وكساه حُلّة .

فلما وفد الى النبي ، صلى الله عليه وسلم، عُطارد بن حاجب وهو رئيس تميم ، وأسلم على يديه ، أهداها للنبيّ ، صلى الله عليه وسلم، فلم يَقبلها. فباعها من رجل من اليهود بأربعة آلاف درهم.

ثم إن مُضر أتت النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا

رسول الله ، هلك قومُك وأكلتهم الضَّبُع ، يريدون الجوع ، والعرب يُسمّون السنة الضَّبُع والذّئب . قال جرير :

من ساقه السَّنة الحَصّاءُ والذّيبُ[1]

فدعا لهم النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فأحيوا ؛ وقد كان دعا عليهم ، فقال : اللهم اشدُد وطأتك على مُضر ، وابعث عليهم سنين كسِني يوسف .

[1] السنة الحصاء : الجرداء التي لا خير فيها .

وفود أبي سفيان الى كسرى

الأصمعيّ قال : حدّثنا عبدُ الله بن دينار عن عبد الله بن بَكر المُزّي قال : قال أبو سفيان :

أهديتُ لكسرى خَيلًا وأدَماً[1] ، فقبل الخيلَ وردّ الأدم ، وأُدخلت عليه ، فكان وجهه وجهين من عِظَمه ، فألقى إليّ مِخدّة كانت عنده ، فقلت : واجوعاه ! أهذه حظّي من كسرى بن هُرمز ؟

قال : فخرجتُ من عنده ، فما أمرّ على أحد من حَشمه إلا أعظمها ، حتى دُفعتْ الى خازن له ، فأخذها وأعطاني ثمانمائة إناء من فِضّة وذهب .

قال الأصمعي : فحدّثت بهذا الحديث النّوشَجان الفارسيّ ، فقال :

كانت وظيفة المِخدّة ألفاً إلا أن الخازن اقتطع منها مائتين.

١ الادم : الجلد .

وفود حسان بن ثابت

على النعمان بن المنذر

قال : وفد حسّان بن ثابت على النعمان بن المُنذر قال : فلقيت رجلاً ببعْض الطريق ، فقال لي : أين تُريد ؟

قلت : هذا الملك .

قال: فإنك، إذا جِئْتَه، متروك شهراً ثم تُترك شهراً آخر، ثم عسى أن يأذنَ لك ، فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مُصيب منه خيراً ، وإن رأيت أبا أُمامة النابغة فاظعَن ، فإنه لا شيء لك .

قال: فقدِمت عليه ففعل بي ما قال، ثم خلوتُ به وأصبتُ مالاً كثيراً ونادمتُه ، فبينا أنا معه إذا رجل يرتجز حولَ القُبّة ويقول :

أنامَ أم يَسْمع ربُّ القُبَّه ؟ يا أوْهبَ الناسِ لعُنْسٍ صُلْبَه [1]

---

[1] العنس ، واحدتها عنس بفتح العين : الناقة القوية .

ضَرّابةٍ بالمِشْفَر الأَذِبَّه ،   ذات نَجاء في يدَيها جَذْبَه[1]

فقال النعمان : أبو أمامة ! ائذنوا له. فدخل فحيّاه وشرب معه ، ووردت النّعم السُّود ؛ ولم يكن لأحد من العَرب بعيرٌ أسودُ غيره ، ولا يَفتحل أحدٌ فحلًا أسود . فاستأذنه النابغة في الانشاد فأذِن له ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

فإنّك شمسٌ والملوك كواكبٌ،
إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ

فأمر له بمائة ناقة من الابل السُّود برُعاتها . فما حسدتُ أحداً قطُّ حَسدي له في شعره وجَزيل عطائه .

١ المشفر من البعير بمنزلة الشفة للانسان . الأذبة : الذبان . النجاء : السرعة في السير . جذبة : طول واضطراب .

وفود قريش

على سيف بن ذي يزن بعد قتله الحبشة

نُعيم بن حمّاد قال : أخبرنا عبدُ الله بن المُبارك عن سُفيان الثَّوْري قال : قال ابن عبّاس :

لما ظَفِر سيفُ بن ذي يَزَن بالحبشة، وذلك بعدَ مولد النبيّ، صلى الله عليه وسلم ، أتته وفودُ العرب وأشرافُها وشعراؤها تُهنّئه وتمدحه وتذكر ما كان من بَلائه وطلَبه بثأر قومه . فأتاه وفدُ قريش ، فيهم : عبدُ المطّلب بن هاشم ، وأميّة بن عبد شمس ، وأسد بن عبد العزّى ، وعبدُ الله بن جُدعان ، فقَدموا عليه وهو في قصْر له يُقال له غُمدان ، وله يقول أبو الصّلت ، والد أمية بن أبي الصلت :

لِيَطْلُب الثأر أمثالُ ابن ذي يَزَنٍ،
لَجّجَ في البَحْر للأعداء أحوالا[1]

أتى هِرَقْلَ ، وقد شالت نَعامتُه،
فلم يَجد عِندَه القولَ الذي قالا[2]

---

١ لجج : خاض اللجة .

٢ شالت نعامته : غضب واخذته العزة .

ثم انثنى نحو كِسرى ، بعد تاسعةٍ
مِن السّنينَ ، لقد أبعدتَ إيغالا[1]

حتى أتى بِبَنِي الأحرار يَقْدُمهم ،
إنّكَ ، عَمْري، لقد أسرعتَ إرقالا[2]

مَن مِثْلُ كِسْرى وبَهْرام الجُنود له ،
ومِثْل وَهرزَ ، يوم الجَيْش ، إذ جالا[3]

لله دَرُّهم مِن عُصْبةٍ خَرجوا ،
ما إنْ رأينا لهم ، في الناس ، أمثالا

صِيداً جَحاجحةً ، بِيضاً خَضارمةً ،
أُسْداً تُربِّبُ ، في الغابات ، أشبالا[4]

أرسلت أُسْداً على سُودِ الكلاب ، فقد
غادرت أوجُهَهم ، في الأرض ، أفلالا[5]

---

١ الايغال ، من اوغل : باعد في السير .

٢ بنو الأحرار : الفرس . الارقال : الاسراع .

٣ كسرى : هو انوشروان . بهرام : لعله اراد بهرام جور احد ملوك فارس .
وهرز : هو وهرز اصبهد الديلمي الذي ارسله كسرى في اهل السجون لنجدة اليمن على الحبشة .

٤ صيداً : ملوكاً . جحاجحة وخضارمة : اي سادة . تربب : من التربيب ، وهو التربية .

٥ افلالا : منهزمين ، الواحد : فل .

اشربْ هنيئاً ، عليكَ التاجُ مُرتفقاً ،
في رَأسِ غُمدانَ داراً ، منكَ مِحْلالا[1]

ثم اطلِ بالمِسْكِ ، إذ شالت نعامتُهم ،
وأسبِل اليومَ ، في بُرْديك ، إسبالا[2]

تلك المكارمُ ، لا قَعبانِ من لبنٍ
شِيبا بماءٍ ، فعادا بعدُ أبوالا[3]

فطلبوا الاذن عليه ، فأذِن لهم ، فدخلوا فوجدوه مُتضمِّخاً بالعَنْبَر يلمع وبيصُ المسك[4] في مَفرق رأسه ، وعليه بُردان أخضران ، قد ائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ، وسيفُه بين يديه ، والملوك عن يمينه وشماله ، وأبناءُ الملوك والمَقاول[5] . فدنا عبد المطّلب فاستأذنه في الكلام ؛ فقال له : قُل ؛ فقال : إن الله تعالى أيها الملك أحلّك محلاً رفيعاً ، صَعْباً منيعاً ، باذخاً شامخاً ، وأنبتك مَنْبِتاً طابت أرُومته ، وعزّت جُرثومته ، ونَبُل أصله ، وبَسق فَرْعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت ،

---

١ مرتفق : ثابت دائم . غمدان : قصر لملوك اليمن . محلال : تحل فيه كثيراً .
٢ شالت نعامتهم : تفرقوا وهلكوا . الاسبال : ارخاء الثوب ، ويريد الخيلاء .
٣ القعبان ، مثنى قعب : قدح يحلب فيه . شيبا : مزجا .
٤ وبيص المسك : بريقه .
٥ المقاول ، واحدها مقول : الملك دون الملك الاعلى .

أبيتَ اللعن ، رأسُ العرب ، وربيعُها الذي بهِ تُخْصِب ، وملكها الذي له تَنْقاد ، وعمودها الذي عليه العِماد ، ومَعْقِلها الذي اليه يلجأ العباد ؛ سَلفك خير سَلَف ، وأنت لنا بعدهم خير خلَف ؛ ولن يَهْلِكَ من أنت خلَفه ، ولن يَخْمُل من أنت سَلفه .

نحن أيها الملك أهل حَرم الله وذمّته وسَدَنة بيته ، أشخصنا اليك الذي أنهجك[1] لكَشْفك الكَرب الذي فدحنا ، فنحن وفد التهنئة .

قال : من أنت أيها المتكلم ؟

قال : أنا عبدُ المطلب بن هاشم .

قال : ابنُ أختنا ؟

قال : نعم .

فأدناه وقرّبه ثم أقبل عليه وعلى القوم وقال : مَرْحباً وأهلاً ، وناقةً ورحْلاً ، ومستناخاً سهلاً ، ومَلِكاً رِبَحْلاً[2] ، يُعطي عَطاءً جَزْلاً ؛ فذهبت مثلاً .

وكان أوّل ما تكلّم به : قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف

---

١ أنهجك : سيرك ، جعلك تنهج ، تسير .

٢ الربحل : العظيم .

قرابتكم، وقَبِل وسيلتكم، فأهل الشرف والنباهة أنتم ، ولكم القُربى ما أقمتم ، والحِباء إذا ظَعنتم .

قال : ثم استنهضوا الى دار الضِّيافة والوفود ، وأُجريت عليهم الأنزال ، فأقاموا ببابه شهراً لا يصِلون اليه ، ولا يأذن لهم في الانصراف . ثم انتبه اليهم انتباهةً فدعا بعبد المطلب من بينهم ، فخلا به وأدنى مجلسه ، وقال: يا عبدَ المطلب ، إني مُفوِّض اليك من سِرِّ علمي أمراً لو غيرك كان لم أبُح له به ، ولكني رأيتك مَوضِعه فأطلعتُك عليه ، فليكن مَصوناً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغٌ أمره : إني أجد في العِلم المخزون ، والكتاب المكنون ، الذي ادّخرناه لأنفسنا ، واحتجبناه دون غيرنا؛ خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً؛ فيه شرفُ الحياة ، وفضيلة الوفاة ؛ للناس كافة ، ولرهطك عامة ، ولنفسك خاصّة .

قال عبد المطلب: مِثلُك يأيُّها الملك من بَرّ وسرّ وبشَّر، ما هو ؟ فداك أهل الوبَر ، زُمراً بعد زُمر .

قال ابنُ ذي يزن : إذا وُلد مولود بتِهامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الامامة ، الى يوم القيامة .

قال عبد المطلب : أبيتَ اللعن، لقد أُبتُ بخيرٍ ما آبَ به أحد ، فلولا إجلالُ الملِك لسألتُه أن يَزيدني في البِشارة ما

أزدادُ به سروراً .

قال ابن ذي يزن : هذا حينه الذي يُولد فيه أو قد وُلد ، يموت أبوه وأمُّه ، ويكفله جَدُّه وعمّه ؛ وقد ولدناه مِراراً ، والله باعثه جهاراً ، وجاعلٌ له منّا أنصاراً ؛ يُعِزّ بهم أولياءه ، ويُذلّ بهم أعداءه ، ويفتتح كرائم الأرض ، ويَضرب بهم الناس عن عُرض ؛ يُخمِد الأديان ، ويَدحَر الشيطانَ ، ويَكسِر الأوثان ، ويَعْبدُ الرحمن ؛ قولُه حُكم وفصل ، وأمره حَزم وعدْل ؛ يأمر بالمعروف ويَفعله ، وينهى عن المنكر ويُبْطله .

فقال عبدُ المطلب : طال عُمرك ، ودام مُلكك ، وعلا جَدُّك ، وعَزّ فخرك ؛ فهل الملِك يَسُرّني بأن يُوضِح فيه بعضَ الإيضاح ؟

فقال ابن ذي يزن : والبيت ذي الطُّنُب ، والعَلامات والنُّصب ، إنك يا عبدَ المطلب ، لجدُّه من غير كَذب .

فخرّ عبدُ المطلب ساجداً .

قال ابن ذي يزن : ارفعرأسَك ، ثَلِج صدرُك ، وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئاً مما ذكرتُ لك ؟

قال عبد المطلب : أيها الملك ، كان لي ابنٌ كنتُ له مُحبّاً وعليه حَدِباً مُشفقاً ، فزوّجته كريمةً من كرائم قومه ، يقال

لها آمنةُ بنت وَهْب بن عبد مناف ، فجاءت بغلام بين كتفيه شامة ، فيه كلُّ ما ذكرتَ من علامة ؛ مات أبوه وأمه ، وكفلتهُ أنا وعمّه .

قال ابن ذي يزن : ان الذي قلتُ لك كما قلت ، فاحفظ ابنك ، واحذر عليه اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل اللهُ لهم عليه سبيلاً ؛ اطوِ ما ذكرتُ لك ، دون هؤلاء الرّهط الذين معك ، فإني لست آمن أن تدخلهم النّفاسة ، من أن تكون لكم الرّياسة ؛ فيبغون له الغوائل ، ويَنصبون له الحبائل، وهم فاعلون وأبناؤهم. ولولا أني أعلم أنّ الموت مُجتاحي قبلَ مَبعثه لسرت بخيْلي ورَجْلي حتى أصير بيثربَ دارِ مُهاجره . فإني أجد في الكتاب الناطق ، والعلمِ السابق ، أنّ يثرب دارُ هِجرته ، وبيتُ نصرته ، ولولا أني أتوقّى عليه الآفاتِ ، وأحْذر عليه العاهات ، لأعْلنت على حداثة سنّه أمْره ، وأوطأت أقدام العرب عَقِبه ؛ ولكني صارفٌ ذلك اليك عن غير تقصير مني بمن معك .

ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعْبد ، وعشر إماء سُودٍ ، وخمْسة أرطال فِضّة ، وحلّتَين من حُلل اليمن ، وكَرِش مملوءة عنبراً . وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك ، وقال: إذا حال الحوْل فأنبئني بما يكون من أمره .

فما حال الحول حتى مات ابنُ ذي يزن ، فكان عبد المطلب ابن هاشم يقول : يا معشر قريش، لا يَغْبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فإنه الى نَفاد ، ولكن يَغْبطني بما يبقى لي ذِكْره وفخره لِعَقِبي ؛ فإذا قالوا له: وما ذاك ؟ قال: سيظهر بعد حين .

وفود عبد المسيح على سطيح

جرير بن حازم عن عِكرمة عن ابن عبّاس قال :

لما كان ليلةَ وُلد النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، ارتجّ إيوانُ كسرى ، فسقطتْ منه أربعَ عشرةَ شُرفة ؛ فعظُم ذلك على أهل مملكته ، فما كان أوشك أن كتب اليه صاحبُ اليمن يخبره أنّ بُحيرة ساوة غاضتْ تلك الليلة .

وكتب اليه صاحب السّماوة يُخبره أن وادي السماوة انقطع تلك الليلة .

وكتب اليه صاحب طَبَريّة أنّ الماء لم يجرِ تلك الليلة في بُحيرة طَبرية .

وكتب اليه صاحبُ فارس يُخبره أن بيوت النيران خَمدت تلك الليلةَ ولم تَخمُد قبل ذلك بألف سنة .

فلما تواترت الكتبُ أبرز سريره وظهر لأهل مملكته ، فأخبرهم الخبر ؛ فقال المُوبذان[1] : أيها الملك ، إني رأيت تلك الليلة رُؤيا هالتني .

---

١ الموبذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس .

قال له : وما رأيتَ ؟

قال : رأيتُ إبلاً صِعاباً ، تقود خيلاً عِراباً ، قد اقتحمت دِجْلة وانتشرت في بلادنا .

قال : رأيتَ عظيماً ، فما عندك في تأويلها ؟

قال : ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن أرسِل الى عاملك بالحيرة ، يُوجّه اليك رجلاً من عُلمائهم ، فإنهم أصحاب علم بالحِدثان .

فبعث[1] اليه عبد المسيح بن نُفَيلة الغَسّاني، فلما قَدِم عليه، أخبره كسرى الخبر، فقال له : أيها الملك، والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن جَهّزني الى خالٍ لي بالشام، يقال له سَطيح .

قال : جَهّزوه ؛ فلما قدِم على سَطيح وجده قد احتُضِر ، فناداه فلم يُجبه ، وكلّمه فلم يَرُدّ عليه ، فقال عبدُ المسيح :

أصمُّ أم يَسمع غِطْريفُ اليمن؟
يا فاصلَ الخُطّة أعيتْ مَن ومَن[2]

---

١ الضمير في بعث يعود الى عامل الحيرة .

٢ الغطريف : السيد . من ومن : كناية عن اصحاب العلم والمعرفة .

أتاكَ شيخُ الحيِّ من آل سَنَن،
أبيضُ فَضْفاضُ الرِّداءِ والبَدَن[1]

رسولُ قَيْلِ العُجْم يَهْوي للوَسَن،
لا يَرهبُ الرَّعْد ولا رَيْبَ الزَّمن[2]

فرفع اليه رأسه ، وقال : عبدُ المسيح، على جمل مُشيح[3]، إلى سَطيح ، وقد أوفى عن الضَّريح ؛ بعثك ملكُ بني ساسان، لارتجاج الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبَـذان ؛ رأى إبلاً صِعاباً، تقود خَيْلاً عِراباً؛ قد اقتحمتْ في الواد، وانتشرت في البلاد .

يا عبد المسيح، إذا ظهرت التّلاوة[4]، وفاض وادي السَّماوة، وغاضت بحيرة ساوة ، وظهر صاحب الهِراوة[5] ، وخمـدت نار فارس ؛ فليست بابل للفرس مقاماً ، ولا الشام لسَطيح شاماً ، يَملك منهم مُلوك ومَـلِكات ، عَدد سُقوط الشُّرفات ، وكل ما هو آتٍ آت . ثم قال :

---

١ فضفاض : واسع .
٢ القيل : الملك .
٣ مشيح : جاد في السير .
٤ التلاوة : القراءة بصوت رفيع . واراد تلاوة القرآن .
٥ صاحب الهراوة: اراد به النبي لانه كان يمسك عصا عند مشيه. والهراوة: العصا.

إنْ كان مُلْكُ بَني ساسان أفرطَهم،
فإنّ ذا الدّهرَ أطوارٌ دَهاريرُ[1]

منهم بنو الصّرح بَهْرام وإخوتُه،
والهُرْمُزانُ وَسابورٌ وسابور

فَرُبّما أصبَحوا منهم بمَنْزلة،
يَهاب صَوْلَتَهم الأُسْدُ المَهاصيرُ[2]

حَثّوا المطيَّ وجدُّوا في رِحالهمُ،
فما يَقوم لهم سَرْجٌ ولا كُورُ[3]

والناسُ أولادُ عَلاّتٍ، فمن عَلِموا
أن قد أقلّ، فمَحقُورٌ ومَهْجورُ[4]

والخيرُ والشّرُ مَقرونان في قَرَنٍ،
فالخيرُ مُتّبَع، والشرُّ محْذور

ثم أتى كسرى فأخبره، فغمّه ذلك. ثم تعزّى فقال: الى أن يَمْلِك منا أربعة عشر ملكاً يدور الزمان. فهلكوا كلّهم في أربعين سنة.

---

١ افرطهم: تركهم. دهارير: شديدة.
٢ المهاصير، واحدها مهصار أو مهصير: الأسد.
٣ الكور: الرحل بأداته.
٤ اولاد علات: اولاد امهات شتى من رجل واحد.

وفود همدان على النبي

صلى الله عليه وسلم

قدِم مالك بن نَمَط في وفد هَمْدان ، على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلقُوه مُقبلًا من تَبوك ، فقال مالك بن نَمَط : يا رسول الله، نصيّة[1] من هَمْدان، من كل حاضر وباد، أتَوْك على قُلُص نواج[2]، مُتصلة بحبائل الاسلام، لا تأخذهم في الله لوْمة لائم ، من مخْلاف خارف ويام وشاكر[3] . عَهْدُهم لا يُنقض عن سُنّة ماحِل[4] ولا سوداءَ عَنْقَفير[5]، ما أقام لعلَع[6]، وما جَرى اليَعْفور[7] بصُلّع[8] .

---

١ النصية : خيار القوم .

٢ القلص : الابل الفتية . نواج : مسرعة .

٣ المخلاف : الناحية، وهو لليمن كالرستاق لغيرهم. خارف ويام وشاكر : قبائل من اليمن .

٤ السنة : الطريقة . الماحل : الساعي بالنميمة والافساد .

٥ العنقفير : الداهية .

٦ لعلع : جبل كانت به وقعة .

٧ اليعفور : ولد الظبية .

٨ صلع : الارض لا نبات فيها .

فكتب اليهم النبيّ، صلى الله عليه وسلم: هذا كتاب من محمد رسول الله إلى مِخلاف خارف، وأهل جِناب الهضْب، وحِفاف الرّمل، مع وافدها ذي المشعار[1]، مالك بن نمط، ومن أسلم من قومه، أنّ لهم فِراعها[2] ووِهاطها[3] وعَزازها[4] ما أقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة، يأكلون عِلافها[5] ويرْعَون عَفاها[6]، لنا من دِفئهم[7] وصِرامهم[8] ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصّدقة الثّلْب[9] والناب والفَصيل والفارض[10] الداجن والكبش الحَوَرِيّ[11]، وعليهم الصالغ والقارح[12].

---

١ ذو المشعار: لقب الوافد، القادم. والمشعار: موضع في اليمن.
٢ الفراع: ما علا من الجبال والارض، الواحد: فرعة.
٣ الوهاط: المنخفض المطمئن منها.
٤ العزاز: ما صلب من الارض واشتد وخشن.
٥ العلاف، واحدها علف: وهو ما تأكله الدواب.
٦ عفاها: المباح الذي ليس لاحد فيه ملك ولا أثر.
٧ دفئهم: ابلهم وغنمهم.
٨ الصرام: النخل.
٩ الثلب: الجمل تكسرت أسنانه.
١٠ الفارض: المسن من الابل.
١١ الحوري: منسوب الى الحورة، وهي ما دبغ من الجلود بغير القرظ.
١٢ الصالغ من الشياه: كالقارح من الخيل، وهي التي دخلت في الخامسة أو السادسة.

٤

وفود النخعي على النبي

صلى الله عليه وسلم

قدم أبو عمرو النخَعيّ على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله ، إني رأيتُ في طريقي هـذه رُؤيا ، رأيت أتانـاً تركتُها في الحيّ ولدت جَدياً أسفع[1] أحْوى[2] .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : هل لك من أمَـة تركتَها مُصِرّةً حَمْلاً[3] ؟

قال : نعم ، تركتُ أمَةً لي أظنُّها قد حَملت .

قال : فقد ولدت غُلاماً وهو ابنُك .

قال : فما له أسفع أحوى ؟

قال : ادْنُ منّي .

فدنا منه . فقال : هل بك بَرَص تكتمه ؟

قال : نعم ، والذي بعثك بالحق نبيّاً مـا رآه مخلوق ولا عَلِم به .

---

١ اسفع : اسود مشرب حمرة .

٢ احوى ، من الحوة : سواد الى خضرة ، او حمرة الى سواد .

٣ مصرة حملا : مقيمة على حمل .

قال : فهو ذلك .

قال : ورأيتُ النُّعمان بن المنْذر عليه قرْطان ودُمْلَجان ومَسَكتان[1] .

قال : ذلكَ مُلْكُ العرب عاد إلى أفضل زيّه وبهْجَته .

قال : ورأيت عجوزاً شَمطاء تخرج من الأرض .

قال : تلك بقيّة الدنيا .

قال: ورأيتُ ناراً خرجتْ من الأرض فحالت بيني وبين ابنٍ لي يُقال له عمرو ، ورأيتها تقول : لظىّ لظىّ ، بصير وأعمى ، أطعِموني ، آكلكم آكلكم ، أهلِككم وما لكم .

فقال النبيّ، صلى الله عليه وسلم: تلك فِتنة في آخر الزمان .

قال : وما الفِتنة يا رسول الله ؟

قال : يَقتل الناس إمامهم ثم يَشتجرون اشتجارَ أطباق الرأس[2] ، وخالف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين أصابعه، يَحسب المُسيء أنه مُحسن ، وَدمُ المؤمن عند المُؤمن أحلى من شُرب الماء .

---

١ المسكة : السوار من عاج .
٢ اطباق الرأس : عظامها .

وفود كلب على النبي

صلى الله عليه وسلم

قدم قَطَن بن حارثة العُلَيْمي في وفد كلْب على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فذكر كلاماً ، فكتب له رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، كتاباً نسخته :

هذا كتاب من محمد رسول الله لعمائر[1] كلْب وأحلافها ، ومَن ظأرَه[2] الاسلام من غيرها ، مع قطن بن حارثة العُليمي، بإقامة الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة لحقّها ، في شدّة عَقدها ، ووفاء عَهْدها ؛ بمَحْضر شهود من المسلمين : سَعْد بن عُبادة ، وعبد الله بن أُنَيْس ، ودِحْية بن خليفة الكلْبي . عليهم في الهَمولة الرّاعية[3] البساط الظُؤار[4] ، في كل خمسين ناقـةً غيرُ

---

١ العمائر ، واحدتها عمارة : وهي اصغر من القبيلة .

٢ ظأره : اي عطفه عليه .

٣ الهمولة الراعية : التي اهملت ترعى بأنفسها .

٤ البساط ، واحدتها بسط : الناقة التي تركت وولدها لا يمنع منها . الظؤار : المرضعات ، واحدتها ظئر .

ذاتِ عَوار[1] ، والحَمولة[2] المائرة[2] لهم لاغية ؛ وفي الشَّوي[3] الوريّ[3] مسِنّة حامل أو حائل[3] ، وفيما سقى الجدول من العَين المعِين[4] العُشْر من ثمرها مما أخرجت أرضُها، وفي العِذي[5] شَطره بقيمة الأمين، فلا تزاد عليهم وظيفة ولا يُفرّق، يشهد الله تعالى على ذلك ورسوله ، وكتب ثابت بن قيس بن شمّاس .

---

١ العوار : العيب .
٢ الحمولة : الابل . المائرة : التي تحمل عليها الميرة .
٣ الشوي : اسم جمع للشاة . الوري : السمين . الحائل : غير الحامل .
٤ الماء المعين : الظاهر الجاري على وجه الارض بلا تعب .
٥ العذي من الزرع والنخيل : ما لا يسقى الا بماء السماء .

وفود ثقيف على النبي

صلى الله عليه وسلم

وفدت ثَقِيف على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فكتب لهم كتاباً حينَ أسلموا : ان لهم ذمّة الله ، وانّ واديَهم حرام عضاهه[1] وصَيْده وظُلْمٌ فيه ، وانّ ما كان لهم من دَيْن الى أَجل فبلغ أجله فإنه لِياط[2] مُبرَّأ من الله ورسوله، وانّ ما كان لهم من دَين في رَهْن وراء عُكاظ فإنه يُقضى الى رأسه ويُلاط بعُكاظ .

●

---

١ العضاه : شجر عظيم له شوك .
٢ اللياط : الربا .

وفود مذحج على النبي

صلى الله عليه وسلم

وفد ظَبْيان بن حدّاد في سَراة مَذحِج على النبيّ، صلى الله عليه وسلم، فقال بعد السلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والثناء على الله، عزّ وجلّ، بما هو أهله: الحمد لله الذي صَدَع[1] الأرض بالنبات، وفتق السماء بالرَّجع[2].

ثم قال: نحن قوم من سَراة مَذحِج من يُحابر بن مالك.

ثم قال: فتوقّلت[3] بنا القِلاص[4]، من أعالي الحَوْف[5] ورؤوس الهِضاب، ترفعها عُرَرُ الرُّبى[6]، وتخفِضها بُطنان الرَّقاق[7]،

---

١ صدع: شق.

٢ الرجع: المطر بعد المطر.

٣ توقلت: صعدت.

٤ القلاص: الابل الفتية، واحدتها قلوص.

٥ الحوف: بلد بعمان.

٦ العرر، واحدتها عرة: شحمة السنام العليا، اراد ذروة الربوة.

٧ البطنان: ما غمض من الارض. الرقاق: ما اتسع من الارض ولان، واحدها: رق.

وتلحفها دياجي الدُّجى .

ثم قال: وسَرَوات الطائف كانت لبني مَهْلائيل بن قينان، غرسوا وِديانه ، وذللوا خِشانه ، ورعَوا قُربانه[1] .

ثم ذكر نوحاً حين خرج من السفينة بمن معه ، قال : فكان أكثرَ بَنيه بَناتاً ، وأسرعَهم نباتاً ، عادٌ وثمود ، فرماهم الله بالدُّمالق[2] ، وأهلكهم بالصَّواعق .

ثم قال : وكانت بنو هانىء من ثمود تَسكن الطائف ، وهم الذين خطُّوا مشاربها ، وأتَوا جداولها[3] ، وأحيَوا غِراسها ، ورفعوا عَريشها .

ثم قال : وإنَّ حِميَر ملكوا مَعاقل الأرض وقرارها ، وكُهول الناس وأغمارها[4] ، ورؤوس الملوك وغِرارها[5] ، فكان لهم البيضاء والسَّوداء ، وفارسُ الحمْراء ، والجِزية الصَّفراء[6] ؛ فبَطِروا النِّعم ، واستحقّوا النِّقم ، فضرب الله بعضَهم ببعض .

---

١ قربانه ، واحدها قري : مجرى الماء .

٢ الدمالق : الاملس المستدير من الحجارة .

٣ اتوا جداولها : سهلوا طرق المياه اليها .

٤ الاغمار ، واحدها غمر : الحدث الذي لا تجربة له .

٥ الغرار ، واحدها غر : القليل الفطنة .

٦ الصفراء : اراد بها الذهب .

ثم قال : وإن قبائل من الأزدِ نزلوا على عهد عَمرو بن عامر ، ففتحوا فيها الشَّرائع[1] ، وبنَوا فيها المصانع[2] ، واتخذوا الدَّسائع[3] ، ثم تَرامت مَذحج بأسنَّتها ، وتنزّت[4] بأعنّتها ، فغلب العزيزُ أذلَّها ، وقتل الكثيرُ أقلَّها .

ثم قال : وكان بنو عمرو بن جَذيمة يَخبِطون عَضِيدها[5] ، ويأكلون حَصيدها ، ويُرَشِّحون[6] خَضيدها[7] .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : إن نعيم الدنيا أقل وأصغر عند الله من خُرْءِ بُعَيضة ، ولو عَدلت عند الله جَناح ذُباب لم يكن لكافر منها خَلاق[8] ، ولا لمُسلم منها لَحاق .

---

١ الشرائع ، واحدتها شريعة : مورد الشاربة .
٢ المصانع : المباني من القصور والحصون .
٣ الدسائع ، واحدتها دسيعة : الدسكرة .
٤ تنزت : توثبت .
٥ العضيد : ما قطع من الشجر .
٦ يرشحون : يقومون عليه ويصلحونه .
٧ الخضيد : المقطوع من شجر الثمر .
٨ خلاق : نصيب .

وفود لقيط بن عامر

ابن المنتفق على النبي صلى الله عليه وسلم

وَفَدَ لقيطُ بن عامر بن المُنْتَفِق على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، ومعه صاحب له ، يقال له نَهِيكُ بن عاصم بن المُنْتَفِق . قال لقيط : فخرجتُ أنا وصاحبي حتى قدِمنا لانسلاخ رجب ، فأتينا رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين انصرف من صلاة الغَداة ، فقام في الناس خطيباً ، فقال : أيها الناس ، ألا إنّي قد خبأت لكم صَوْتي منذ أربعة أيّام لتسمعوا الآن، ألا فهل من امرىء قد بعثه قومه ؟ — فقالوا: اعلَم لنا ما يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم — ألا ، ثم لعلّه أن يُلهيه حديثُ صاحبه أو يُلهيه ضالّ ، ألا وإني مسؤول هل بَلّغت ، ألا اسمعوا ، ألا اجلسوا .

فجلس الناس ، وقمتُ أنا وصاحبي ، حتى إذا فرغ لنا فؤادُه وبصرُه، قلت: يارسولَ الله، ما عندك من عِلم الغَيب؟

فضحك لعمرُ الله وهزّ رأسَه ، وعَلِم أني أبتغي سَقَطه ؛ فقال : ضَنّ ربُّك ، عزّ وجلّ ، بمفاتيحِ خَمْس من الغَيْب لا يعلمهنّ الا الله : عِلم المنيّة ، قد عَلِم متى مَنيّة أحدكم ولا

تَعلمونه ؛ وعِلم ما في غد ؛ وعِلم مــا في الرَّحم ، قد عَلِمه ولا تعلمونه؛ وعِلم الغَيْث ، يُشرف عليكم آزِلين مُسْنِتين[1] فيَظل يَضْحك ، قد عَلِم أن عونكم قريب — قال لقيط : لن نَعْدَم من ربّ يَضحك خيراً — وعِلم يوم الساعة ؛ قلت : يا رسول الله ، إنّي سائلُك عن حاجتي فلا تُعْجِلْني .

قال : سَلْ عما شِئْت .

قال : قلت : يا رسول الله ، عَلِّمنا ممّا لا يعلم الناس وممّا تعلم ، فإنّا من قَبيلٍ لا يصدّقون تصديقنا أحداً ، من مَذحِج التي تَدنو الينا ، وخَثْعم التي تُوالينا ، وعَشيرتنا التي نحن منها .

قال رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، تَلبثون مـا لبثتم ، ثم يُتوفى نبيُّكم ، ثم تَلبثون حتى تُبعث الصَّيحة[2] ، فلعَمْرُ إلهك ما تَدع على ظهرها من شيء إلا مات والملائكة الذين عند ربك ، فيُصْبح ربك يَطوف في الأرض وقد خَلت عليه البلاد ، فيُرسل ربُّك بهَضب[3] من عند العرْش ، فلعمر إلهك ما تَدَع على ظهرها من مَصرع قَتيل ، ولا مَدفن ميْت إلا شَقّت

---

١ الآزل : الذي صار في جدب وقحط . المسنت : المجدب .

٢ الصيحة : اي القيامة .

٣ الهضب : المطر .

القبر عنه حتى تخلقه من قِبَل رأسه، فيستوي جالساً. ثم يقول ربك: مَهْيَم[1] – لما كان فيه – فيقول: يا رب، أمس! اليوم! ولعهده بالحياة يحسبه حديث عهد بأهله.

فقلت: يا رسول الله، كيف يجمعنا بعدما قد تُفرّقنا الرياح والبِلى والسّباع؟

قال: أنبئك بمثل ذلك في إلّ الله[2]، أشرفتُ على الأرض وهي مَدرة يابسة، فقلت: لا تحيا هذه أبداً؛ ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث إلا أياماً حتى أشرفتُ عليها وهي شَرَبة[3] واحدة. ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نباتَ الأرض، فتخرجون من الأصواء – قال ابن إسحاق: الاصواء: أعلام القبور – ومن مصارعكم، فتنظرون اليه ساعة وينظر اليكم.

قال: قلت: يا رسول الله، كيف ونحن مِلء الأرض وهو شخص واحد ينظر الينا وننظر اليه؟

قال: أنبئك بمثل ذلك في إلّ الله، الشمس والقمر آية منه صغيرة، ترونهما ويريانكم ساعة واحدة.

---

١ مهيم: كلمة يمانية معناها: ما الامر وما الشأن.

٢ في ال الله: اي في ربوبيته وألوهيته وقدرته.

٣ الشربة: حوض يكون في اصل النخلة وحولها يملأ ماء لتشربه.

قال : قلت : يا رسول الله، فما يفعل بنا ربُّنا إذا لقِيناه؟

قال : تُعْرَضون عليه باديةً له صفحاتُكم لا تخفى منكم خافية، فيأخذ ربُّك ، عز وجل ، بيده غَرفة من الماء ، فيَنْضَح[1] بها قُبُلكم ، فلعمر إلهك ما تُخطىء وجه واحد منكم قطرةٌ ، فأما المسلم فتدع وجهَه مثل الريطة[2] البيضاء، وأما الكافر فتَخطِمه بمثل الحُمَم[3] الأسود ، ثم يَنصرف نبيّكم ويتفرّق على أثره الصالحون ؛ قال: فتسلكون جِسْراً من النار ، فيطأ أحدُكم الجمْر ، فيقول : حَس ؛ فيقول ربك ، عز وجل : أوإنّه ؟ فتطّلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله ناهلُه ، فلعمر إلهك ما يَبْسُط أحدٌ منكم يدَه إلا وقع عليها قدح يُطهّره من الطّوف[4] والبَول والأذى، وتُخنَس الشمس والقمر فلا تَرَون منهما أحداً .

قال : قلت : يا رسول الله ، فبِمَ نُبصر يومئذ ؟

قال : بمثل بَصر ساعتك ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال .

---

١ ينضح : يرش .

٢ الريطة : كل ملاءة ليست بلفقين .

٣ تخطمه : تصيب خطمه ، أنفه . الحمم : الفحم .

٤ الطوف : الحدث من الطعام .

قال: قلت: يا رسول الله، فبمَ نُجزى من سيئاتنا وحسناتنا؟

قال : الحسنة بعشر أمثالها ، والسيّئة بمثلها أو يعفو .

قال : قلت : يا رسول الله ، فما الجنة وما النار ؟

قال : لعمر إلهك ، إنّ للنار سبعة أبواب ما منها بابان إلا يَسير الراكبُ بينهما سبعين عاماً ، وإنّ للجنة لثمانيـة أبواب ، ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً .

قال : قلت : يا رسول الله ، فعلامَ نطّلع من الجنة ؟

قال : على أنهار من عسل مُصفّى، وأنهار من كأس ما بها صُداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمُهُ ، وماء غير آسِن، وفاكهة ، لعمر إلهك ما تعلمون ، وخَيرٌ من مثله معه، وأزواج مطهّرة .

قال : قلت : يا رسول الله ، أوَلنا فيها أزواج ، أوَمنهن صالحات ؟

قال : الصالحات للصالحين ، تلَـذّون بهنّ مثـل لذاتكم في الدنيا ويَلَذذن بـكم ، غير أن لا تَوالد .

قال لقيط : قلت : أقصى ما نحن بالغون ومُنتهون اليه . فلم يُجِبْه النبيّ ، صلى الله عليه وسلم . قال : قلت : يا رسول الله ، عَلامَ أبايعك ؟

قال : فبَسط إليّ يده وقال : على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وزِيال الشرك ، فلا تُشرك بالله إلهاً غيره .

قال : فقلت : وإن لنا ما بين المشرق والمغرب ؟

فقبض يدَه وظنّ أني أشترط عليه شيئاً لا يُعطينيه . قال: قلت : نَحُلُّ منها حيث شئنا ، ولا يجزي عن امرىء إلا نفسه؟

فبسط إليّ يده وقال : ذلك لك : حُلّ حيث شئت ، ولا يجزي عنك إلا نفسك . فانصرفنا عنه .

وفود قيلة على النبي

صلى الله عليه وسلم

خرجت قَيْلة بنتُ مَخرمة التميميّة تبغي الصُّحبة الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، وكان عمُّ بناتها، وهو أثوب بن أزهر، قد انتزع منها بناتِها، فبكت جُويرِيةٌ منهنّ حديباء قد أخذتها الفَرْصة[1] ، عليها سُبَيِّج[2] من صُوف ، فذهبت بها . فبينما هما تَرْتِكان الجمل[3] إذ انتفجت[4] منه الأرنب . فقالت الحُديباء : الفَصْيَة[5] ، والله لا يزال كعبك أعلى من كعب أثوب . ثم سنحَ الثعلب ، فسمّته اسماً نسِيه ناقلُ الحديث . ثم قالت فيه، مثل ما قالت في الأرنب . فبينما هما تَرْتِكان الجملَ إذ برَك الجملُ وأخذته رِعدة. فقالت الحُديباء : أخذتك ، والأمانةِ ، إخْذةَ أثوب .

---

١ الفرصة : ريح الحدب فيصير صاحبها احدب .
٢ السبيج ، تصغير سبيج : ثوب صوف اسود .
٣ ترتكان الجمل : تحملانه على السير السريع .
٤ انتفجت : وثبت .
٥ الفصية : التخلص من الضيق والبلية .

قالت قَيلة : فقلت لها : فما أصنع ؟ وَيحك !

قالت : قَلّبي ثيابك ظهورها لبُطُونها ، وادّحرجي ظهرك لبَطنك ، واقلبي أحلاس[1] جَملك .

ثم خلعت سُبَيِّجها فقلبته ، ثم ادّحرجت ظهرَها لبطنها ، فلمّا فعلتُ ما أمرَتني به انتفض الجمل ، ثم قام فنأج[2] وبال . فقالت : أعيدي عليه أداتك .

ففعلتُ ، ثم خرجنا نُرْتك ، فإذا أثوبُ يسعى وراءنا بالسّيف صَلتاً[3] ، فوألنا الى حِواء[4] ضخم فداراه ، حتى ألقى الجملُ الى رُواقه الأوسط ، وكان جملاً ذلولاً ، واقتحمتُ داخله ، وأدركني بالسيف فأصابت ظُبَتُه طائفةً من قرون رأسَيه ، ثم قال : ألقي إليّ ابنة أخي يا دفار[5] .

فألقيتُها اليه ، فجعلها على مِنكبيه وذهب بها ، وكنت أعلم به من أهل البيت . وخرجتُ الى أخت لي ناكح في بني شيبان أبتغي الصحبة الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فبينما

---

١ الاحلاس ، واحدها حلس : الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب .
٢ نأج : صاح .
٣ صلتاً : مجرداً .
٤ وألنا : لجأنا . الحواء : البيوت المجتمعة من الوبر .
٥ يا دفار : يا منتنة .

أنا عندها تحسَب أنّي نائمة ، إذ جاء زوجها من السّامر[1] ، فقال لها : وأبيك ، لقد وجدتُ لقَيْلة صاحبَ صِدقٍ .

قالت أختي : من هو ؟

قال : حُريث بن حسّان الشّيباني ، وافد بكر بن وائل ذا صباح .

فقالت أختي : لا تخبرها ، فتتبع أخا بكر بن وائل بين سَمْع الأرض وبَصرها ، ليس معها أحدٌ من قومها .

قالت: وسمعتُ ما قالا، فغدوتُ الى جَملي فشددتُ عليه، ثم نشدتُ عنه فوجدته غيرَ بعيد، فسألته الصُّحبة؛ فقال : نعم وكرامة، وركابه مُناخة. قالت : فسِرت معه صاحبَ صِدْق، حتى قدِمنا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي بالناس صلاة الغداة ، قد أقيمت حين شقّ الفجر ، والنجوم شابكة[2] في السّماء؛ والرجال لا تكاد تَعارفُ من ظُلمة الليل، فصَفَفْتُ مع الرجال ، وأنا امرأةٌ قريبةُ عهد بجاهليّة . فقال الرجل الذي يَليني من الصفّ : امرأة أنت أم رجل ؟

فقلت : لا بل امرأةٌ .

---

١ السامر : القوم الذين يسمرون بالليل .

٢ شابكة : اي ظهرت جميعها واختلط بعضها ببعض حتى كانت كأنها مشتبك بعضها ببعض .

فقال : إنك كِدت تَفْتنيني، فصلّي في النساء وراءك .

فإذا صَفٌ من نساء قد حدث عند الحُجرات لم أكن رأيته إذ دخلتُ فكنتُ فيهنّ ، حتى إذا طلعت الشمس دنوتُ ، فجعلتُ إذا رأيتُ رجلاً ذا رُواء وقِشْر[1] طمح اليه بصري لأرى رسولَ الله فوق الناس ، حتى جاء رجلٌ، فقال : السلام عليك يا رسول الله .

فقال : وعليك السلام ورحمة الله ؛ وعليه ، تَعني النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، أسمالُ مُلَيّتين كانتا بزَعْفران قد نفَضَتا[2]، ومعه عُسَيّب نَخلة مَقْشو[3] غير خوصتين من أعلاه، وهو قاعد القُرفصاء ، فلما رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، مُتخشّعاً في الجِلسة أرْعِدت من الفَرَق ؛ فقال جليسُه: يا رسول الله ، أرعدت المسكينة .

فقال رسول الله، ولم ينظر إليّ وأنا عند ظهره : يا مسكينة عليك السّكينة .

قالت : فلما قالها ، صلى الله عليه وسلم ، أذهب الله ما كان دخل في قلبي من الرُعب، وتقدّم صاحبي أولَ رجل فبايعه على

---

١ القشر : الثوب .
٢ نفضتا : نصل لون صبغهما ولم يبق الا الاثر .
٣ مقشو : مقشور .

الاسلام ، عَليْه وعلى قومه ، ثم قال : يا رسولَ الله ، اكتب بيننا وبين تَميم كتاباً بالدَّهْناء لا يُجاوزها الينا منهم إلا مُسافر أو مجاوز .

قال : يا غلام ، اكتب له بالدَّهناء .

قالت : فلما رأيْته أمر بأن يُكتَب له ، شُخِص بي[1] ، وهي وطني وداري ، فقلت : يا رسول الله ، إنه لم يسألك السويّة من الأرض إذ سألك ، إنما هذه الدهناء مقيَّد الجمل[2] ومَرْعى الغنم ، ونساءُ بني تميم وأبناؤها وراء ذلك .

فقال : أمسِك يا غلام ، صدقت المِسْكينة ، المُسْلم أخو المسلم ، يَسَعهما الماء والشجر ، ويتعاونان على الفُتّان[3] .

فلما رأى حُريث أن قد حِيل دون كتابه ، قال : كنت أنا وأنتِ كما قال في المَثل : حَتْفَها تحمل ضأنٌ بأظلافها .

فقلت : أما والله إن كنت لدليلاً في الظَّلماء ، جواداً لدى الرَّحل ، عفيفاً عن الرَّفيقة ، ولكن لا تَلُمْني أن أسأل حظي إذ سألتَ حظَّك .

---

١ شخص بي : اي قلقت .

٢ مقيد الجمل : اي مخصبة .

٣ الفتان : قال ابن الاثير في النهاية : يروى بضم الفاء وفتحها ، فالضم جمع فاتن ، اي يعاون احدهما الآخر على الذين يضلون الناس عن الحق ويفتنونهم . وبالفتح هو الشيطان لانه يفتن الناس عن الدين .

قال : وأي حظ لك في الدهناء لا أبا لك ؟

قلت : مُقيِّد جملي تريده لجمل امرأتك .

فقال: لا جَرَم، إني أشهد رسول الله أني لك أخ ما حييتُ إذ أثنيتِ عليّ عنده .

فقلت : إذ بدأتَها فلن أضيّعها .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: أيُلام ابن هذه أن يَفصل الخُطّة[1] ، وينتصر من وراء الحجَزة[2] ؟

قلت : فقد والله ولدتُه يا رسول الله حراماً ، فقاتل معك يوم الرّبذة[3]، ثم ذهب يَمتري من خيبر، فأصابته حمّاها ومات.

فقال : لو لم تكوني مسكينة لجررناك على وجهك. أيُغلب أحَيدكم على أن يصاحب صُويحبه في الدنيا معروفاً ، فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به استرجع ثم قال : رَبّ آسِني[4] لما أمضيت ، وأعنّي على ما أبقيت . فوالذي نفسُ محمد بيده إنّ

---

١ الخطة : الحال والأمر والخطب .

٢ الحجزة : هم الذين يمنعون بعض الناس عن بعض ويفصلون بينهم بالحق ، الواحد : حاجز .

٣ الربذة : من قرى المدينة .

٤ آسني : اجعل لي أسوة بما تعظني به .

أحدكم ليبكي فيَستَعبِر[1] له صُويحبه ، فيا عباد الله ، لا تُعذّبوا إخوانكم .

ثم كتب لها في قِطعة أدم أحمر : لقَيْلة والنّسوة من بنات قيلة أن لا يُظلَمن حقاً ، ولا يُكرهن على منكح ، وكل مؤمن ومُسلم لهن نَصير ، أحْسِنّ ولا تُسئْنَ .

•

---

١ يستعبر : يبكي .

كتاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة

من محمد رسول الله لأكَيْدِر دُومة[1] حين أجاب الى الإسلام، وخَلَعَ الأنداد[2] والأصنام، مع خالد بن الوليد سيف الله في دُومة الجندل وأكنافها : إن لنا الضاحية من الضَّحل والبَوْرَ والمَعامِيَ وأغفالَ الأرض والحَلْقة[3] ، والسلاحَ والحافر[4] والحِصْنَ[5] ؛ ولكم الضّامنة[6] من النخل والمَعينُ من المعمور ، ولا تُعْدَل سارحتُكم[7] ولا تُعدّ فاردتُكم[8] ، ولا يُحظر عليكم النبات ، تُقيمون الصلاة لوَقتها ، وتُؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق .

---

١ دومة : هي دومة الجندل من أعمال المدينة .
٢ الأنداد ، واحدها ند : صنو الشيء الذي يخالفه في اموره .
٣ الضاحي : البارز الظاهر من الأرض . الضحل : الماء القليل . البور : الأرض التي لم تزرع . المعامي : الارض المجهولة . أغفال الارض : ما لا أثر فيه من عمارة او نحوها . الحلقة : الدروع .
٤ الحافر : اي ذوات الحافر .
٥ الحصن : دومة الجندل .
٦ الضامنة : النخل الذي معهم في الحصن .
٧ لا تعدل سارحتكم : لا تصرف ماشيتكم وتمال عن المرعى .
٨ الفاردة : ما لا تجب فيه الصدقة .

كتابه صلى الله عليه وسلم

لوائل بن حجر الحضرمي

من محمد رسول الله إلى الأقيال العَباهلة[١] من أهل حضرموت ، بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، في التَّيعة[٢] شاة ، لا مُقوَرَّة[٣] الألياط[٤] ولا ضِناك[٥] ، وأنْطُوا الثَّبَجَة[٦] ؛ والتيمة[٧] لصاحبها ، وفي السُّيوب[٨] الخُمس ، لا خِلاط[٩] ولا وِراط[١٠] ، ولا شِناق[١١] ، ولا شِغار[١٢] ، ومن أجْبى[١٣] فقد أربى[١٤] ، وكل مُسكر حرام .

---

١ الاقيال العباهلة : الملوك القار ملكهم .
٢ التيعة : اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان .
٣ مقورة : مسترخية الجلود .
٤ الالياط ، واحدها ليط : العود ، استعاره للجلد لالتزاقه باللحم .
٥ الضناك : الكثيرة اللحم .
٦ الثبجة : الوسط .
٧ التيمة : الشاة الزائدة على الاربعين حتى تبلغ الفريضة الاخرى .
٨ السيوب ، واحدها السيب : يريد المال المدفون في الجاهلية او المعدن .
٩ الخلاط : المخالطة .
١٠ الوراط : ان تجعل الغنم في وهدة من الأرض لتخفى عن جامع الصدقات .
١١ الشناق : خلط الرجل غنمه او ابله بما لغيره .
١٢ الشغار : زواج كان في الجاهلية ، وهو ان يتبادل اثنان باختيهما او ابنتيهما فيتزوج كل واحد اخت الآخر او ابنته .
١٣ اجبى : باع الزرع قبل اوانه .
١٤ اربى : اخذ ربا .

حديث جرير بن عبد الله البجلي

قدم جرير بن عبد الله البَجَليّ على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فسأله عن منزله بِبِيشة[١]، فقال: سَهْلٌ ودَكْداكٌ[٢]، وسَلَمٌ وأراكٌ[٣]، وحَمْضٌ وعَلاكٌ[٤]، الى نخلة ونخلة، ماؤها ينبوع، وجنابها مَريع، وشتاؤها رَبيع.

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إن خير الماء الشَّبِمُ[٥]، وخير المال الغنم، وخير المرعى الأراك، والسَّلَم إذا أخلف[٦] كان لَجِيناً[٧]، وإذا سقط كان دَريناً[٨]، وإذا أكل كان لَبِيناً[٩].

وفي كلامه، عليه السلام: إنّ الله خلق الأرض السُّفلى من الزَّبد الجُفاء[١٠]، والماء الكُباء[١١].

---

١ بيشة: قرية من بلاد اليمن.

٢ الدكداك: ما تلبد من الرمل بالأرض ولم يرتفع كثيراً.

٣ السلم: شجر من العضاه. الأراك: شجر له حمل كعناقيد العنب.

٤ الحمض: كل نبت في طعمه حموضة. العلاك: شجر ينبت بناحية الحجاز.

٥ الشبم: البارد.

٦ أخلف: اخرج الخلفة، وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في الصيف.

٧ اللجين: الخبط، وذلك أن ورق السلم والاراك يخبط حتى يسقط.

٨ الدرين: حطام المرعى اذا تناثر وسقط على الارض.

٩ لبيناً: مدراً للبن الابل مكثراً له.

١٠ الجفاء: الغليظ، الكثيف.

١١ الكباء: اي العالي العظيم.

حديث عياش بن أبي ربيعة

بعث رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم، عيّاش بن أبي ربيعة الى بني عبد كُلال، وقال له: خُذ كتابي بيمينك وادفعه بيمينك في أيمانهم، فهم قائلون لك اقرأ، فاقرأ: «لَمْ يَكُنِ الذينَ كفروا مِنْ أهلِ الكتابِ والمشركينَ مُنفكّينَ.» فإذا فرغت منها فقل: آمن محمد وأنا أول المؤمنين، فلن تأتيك حجّة إلا وقد دُحِضت، ولا كتاب زُخرف إلا وذهب نوره ومَحّ لونُه[1]، وهم قارئون، فإذا رَطنوا فقد ترجموا، فقُل: حَسن، آمنت بالله وبما أُنزل من كتاب الله؛ فإذا أسلموا، فسَلْهم قُضُبَهم الثلاثة التي إذا تَخَصّروا بها[2] سجد لهم: وهي الأَثْل[3]، قَضيب مُلمّع ببياض، وقضيب ذو عُجَر[4] كأنه من خَيْزُران، والأسود البَهيم كأنه من ساسَم[5]، اخرُج بها فحرّقها في سُوقهم.

---

١ مح لونه: درس.

٢ تخصروا بها: أمسكوها بأيديهم.

٣ الاثل: شجر شبيه بالطرفاء.

٤ العجر: العقد، الواحدة عجرة.

٥ الساسم: شجر اسود، او هو الابنوس.

حديث راشد بن عبد ربه السلمي

عبد الله بن الحَكَم الواسطيّ عن بعض أشياخ أهل الشام قال قال :

استعمل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أبا سُفيان ابن حرب على نَجْران ، فولاه الصلاةَ والحرب ، ووجّه راشد بن عبد ربّه أميراً على القضاء والمظالم . فقال راشد بن عبد ربّه :

صَحا القلبُ عن سَلْمى، وأقْصَرَ شأوُه،
وردّت عليه ، ما نفَتْه ، تُماضِرُ[1]

وحَكّمه شيبُ القَذال عن الصِّبا؛
ولَلشّيبُ عن بَعض الغَواية زاجِرُ[2]

فأقْصَرَ جَهْلي اليومَ ، وارتدّ باطِلي
عن الجهل ، لمّا ابيضّ منّي الغَدائِرُ

---

١ اقصر : انتهى . الشأو : المدى والغاية . نفته : انكرته ، ازالته .
٢ القذال : جماع مؤخر الرأس .

على أنّه قد هاجَه ، بَعدَ صَحْوة ،
بمعرض ذي الآجام ، عِيسٌ بَواكر[1]

ولمّا دَنَتْ من جانب الغُوط أخصبت ،
وحَلّت ولاقاها سُلَيم وعامر

وخبّرها الرُّكبان أنْ ليس ، بينها
وبين قُرى بُصرى ونَجران ، كافر[2]

فألقت عَصاها واستقرّت بها النّوى ،
كما قرّ عَيناً ، بالاياب ، المُسافر[3]

•

---

١ الآجام ، واحدتها اجمة : الشجر الكثير الملتف . وذو الآجام : مكان .
العيس : الجمال .

٢ بصرى : مدينة في حوران . نجران : موضع بحوران ايضاً .

٣ هذا البيت للمعقر بن اوس ضمنه الشاعر اياته هذه .

وفود نابغة بني جعدة على النبي

صلى الله عليه وسلم

وفد أبو ليلى نابغةُ بني جَعدة على النبيّ، صلى الله عليه وسلم، فأنشده شعره الذي يقول فيه :

بَلغنا السماءَ مجـدُنا وسَناؤنا،
وإنا لنَبغي ، فوق ذلك ، مَظْهَرا

قال له النبي ، صلى الله عليه وسلم : إلى أين أبا ليلى ؟ قال: الى الجنة ؛ قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : إن شاء الله . فلما انتهى الى قوله :

ولا خيرَ في حِلمٍ ، إذا لم تَكُن له
بوادر تَحمي صَفوَه أن يُكَدَّرا

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : لا يفْضُضِ الله فـاك ؛ فعاش مائة وثلاثين سنـة لم تنفضّ له سِنّ . وبقي حتى وفـد على عبـد الله بن الزُّبير في أيامه بمكـة وامتدحه ؛ فقـال له : يا أبا ليلى ، إنّ أدنى وسائلك عندنا الشّعر ، لـك في مال الله

حَقَّان : حق بُرؤيتك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وحقٌ بِبِشرِكَ أهلَ الإسلام في فَيْئهم[1]. ثم أحسن صِلَتَه وأجازه .

---

١ الفيء : ما يفيء أي يعود من الغنيمة على المسلمين .

وفود طهفة بن أبي زهير النهدي

على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قدِمت وفود العرب على النبي، صلى الله عليه وسلم، قام طِهْفَة بن أبي زُهير، فقال: يا رسولَ الله، أتيناك من غَوْرَيْ تِهامة بأكوار المَيْس[1]، ترمي بنا العِيس، نَستحلب الصَّبير[2]، ونستَخلب الخبير[3]، ونَستَعضد البَرير[4]، ونَستَخيل الرِّهام[5]، ونستجيل الجَهام[6]؛ من أرض غائلة النّطاء[7]، غليظة الوطاء[8]؛ قد نشِفَ المُدْهُن[9]، ويبس الجِعْثِن[10]؛ ومات العُسْلوج[11]؛

---

١ الاكوار، واحدها كور: الرحل. الميس: شجر صلب.
٢ نستحلب: نستدر. الصبير: السحاب الابيض المتكاثف.
٣ نستخلب: نحتش بالمخلب اي المنجل. الخبير: العشب.
٤ نستعضد: نقطع. البرير: ثمر الاراك.
٥ نستخيل: نتخيل الماء في السحاب. الرهام، واحدتها رهمة: المطر الضعيف.
٦ نستجيل: نراه جائلا. الجهام: السحاب لا ماء فيه.
٧ غائلة: مهلكة. النطاء: البعد.
٨ الوطاء: ما يفترش للنوم.
٩ المدهن: ما حفره السيل.
١٠ الجعثن: أصل النبات.
١١ العسلوج: الغصن اذا يبس وذهبت طراوته.

وسَقط الأمْلوج[1] ، وهلك الهَدِيّ[2] ، ومات الوديّ[3] . بَرِئْنا يا رسول الله من الوثن والعَنَن[4] ، وما يُحدث الزمن ؛ لنا دعوة السّلام، وشريعة الاسلام؛ ما طمى البحر وقام تِعار[5] ؛ ولنا نَعَم هُمّل أغفال ، ما تَبِضُّ ببلال[6] ، ووقِير كثير الرَّسْل[7] قليل الرِّسْل[8]؛ أصابتها سُنيّة حمراء[9] ، مؤزلة[10] ليس بها عَلَل ولا نَهَل .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك لهم في مَحْضها ومَخْضها ومَذقها[11] ، وابعث راعيها في الدَّثْر[12] ، بيانع الثَّمَر ؛ وافجُر له الثَّمَد[13] ، وبارك له في المال والولد ؛ من

---

١ الاملوج : ورق شجر يشبه الطرفاء والسرو .

٢ الهدي : ما يهدى للبيت الحرام من النعم لينحر .

٣ الودي : فسيل النخل .

٤ العنن : الاعتراض . يريد الشرك .

٥ تعار : جبل ببلاد قيس.

٦ ما تبض ببلال : ما يقطر منها لبن .

٧ الوقير : القطيع من الغنم . الرسل : التفرق .

٨ الرسل : اللبن.

٩ سنية حمراء : سنة مجدبة .

١٠ مؤزلة : شديدة مجدبة .

١١ المحض: خالص اللبن. المخض: ما مخض من اللبن واخذ زبده مخيضاً. المذق: اللبن الممزوج بالماء .

١٢ الدثر : المال الكثير .

١٣ الثمد : الماء القليل لا مادة له .

أقام الصلاة كان مُسلماً ، ومن آتى الزكاة كان مُحسناً ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مُخلصاً . لكم يا بني نَهد ، ودائع الشرك[1] ، ووضائع المِلْك[2] ؛ لا تُلطِط[3] في الزكاة، ولا تُلحد في الحياة ، ولا تَثاقلْ عن الصلاة .

وكتب معه كتاباً الى بني نَهْد :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى بني نَهْد بن زيد: السلام على من آمن بالله ورسوله ، لكم يا بني نَهْد في الوظيفة الفَريضة[4] ، ولكم الفارض والفَريش[5] ، وذو العِنان الرَّكوب[6] ، والفِلْو الضَبيس[7] ، لا يُمنع سَرحكم[8] ، ولا يُعضَد طَلحكم[9] ، ولا يُحبس دَرّكم ،

---

١ ودائع الشرك : ما استودعوه من اموال من لم يدخلوا في الاسلام .
٢ الوضائع ، واحدتها وضيعة : ما يوظف على الملك من صدقة وزكاة .
٣ لا تلطط : لا تمنع .
٤ الوظيفة : النصاب في الزكاة . الفريضة : الهرمة المسنة . اي لا تأخذ في الصدقات هذا الصنف كما لا تأخذ خيار المال .
٥ الفارض : المريضة . الفريش من الابل : الحديثة العهد بالنتاج .
٦ الركوب : الفرس المذلل للركوب .
٧ الفلو : المهر . الضبيس : الصعب العسر الركوب .
٨ السرح : ما سرح من المواشي .
٩ يعضد طلحكم : يقطع شجركم .

ما لم تُضمِروا الإمآق[1] ، وتأكلوا الرِّباق[2] ، من أقرّ بما في هذا الكتاب ، فله من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الوفاء بالعهد والذمّة ، ومن أبى عليه فعليه الرِّبوة[3] .

---

١ الامآق : الغيظ والبكاء مما يلزمهم من الصدقة .

٢ تأكلوا الرباق : كناية عن نقض العهد . الرباق : الحبال يجعل فيها عرى وتشد بها البهيمة .

٣ الربوة : اراد بها زيادة الفريضة عقوبة له .

وفود جبلة بن الايهم

على عمر بن الخطاب رضي الله عنه

العجليّ قال : حدثني أبو الحسن عليّ بن أحمد بن عمرو بن الأجدع الكوفي بهيت[1] قال : حدّثني ابراهيم بن عليّ مولى بني هاشم ، قال : حدثنا ثِقات شيوخنا : أن جَبلة بن الأيهم بن أبي شَمِر الغسّاني لما أراد أن يُسلِم كَتَب الى عمرَ بنِ الخطاب من الشام يُعلمه بذلك ويَستأذنه في القدوم عليه، فسُرَّ بذلك عمرُ والمسلمون، فكتب اليه أن أقدِم ولك ما لنا وعليك ما علينا.

فخرج جَبلة في خمسمائة فارس من عَكّ وجَفْنة، فلما دنا من المدينة ألبَسهم ثيابَ الوَشي المنسوج بالذهب والفِضّة ، ولبس يومئذ جَبلةُ تاجه وفيه قُرط مارية ، وهي جَدّته ، فلم يبقَ يومئذ أحدٌ إلا خرج ينظر اليه حتى النّساءُ والصبيان ، وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه ، حتى حضرَ الموسمَ من عامِه ذلك مع عُمرَ بن الخطاب .

فبينا هو يطوف بالبيت إذ وَطِىء على إزاره رجلٌ من بني

---

[1] هيت : بلدة على الفرات .

فَزارة فحلّه ، فالتفت اليه جبلة مُغضَباً ، فلطمه فهشم أنفه ، فاستعدى عليه الفزاريّ عمرَ بنَ الخطاب ، فبعث اليه فقال : ما دعاك يا جبلة الى أن لطَمتَ أخاك هذا الفزاريّ فهشمت أنفه؟

فقال : إنه وطىء إزاري فحلّه ، ولولا حُرمة هذا البيت لأخذت الذي فيه عَيناه[1] .

فقال له عمر : أمّا أنت فقد أقررت ، إما أن تُرضيه وإلا أقدته منك .

قال : أتُقيده منّي وأنا مَلِك وهو سُوقة ؟

قال : يا جبلة ، إنه قد جمعك وإيّاه الاسلام ، فما تَفضُله بشيء إلا بالعافية .

قال : والله لقد رجوتُ أن أكون في الاسلام أعزّ منّي في الجاهليّة .

قال عمر : دَعْ عنك ذلك .

قال : إذن أتنصّر .

قال : إن تنصّرتَ ضربتُ عُنقَك .

قال : واجتمع قومُ جَبلة وبنو فزارة فكادت تكون فِتنة ؛ فقال جبلة : أخِّرْني الى غَدٍ يا أمير المؤمنين .

---

١ اي لاخذت رأسه .

قال : ذلك لك .

فلما كان جُنح الليل خرج هو وأصحابهَ فلم يَأنِ حتى دخل القُسطنطينية على هِرَقْل فتنصّر ، وأقام عنده .

وأعظم هرقلُ قدومَ جبلة وسُرّ بذلك ، وأقطعه الأموال والأرَضين والرِّباع .

فلما بعث عمر بن الخطاب رسولاً الى هِرَقل يدعوه الى الإسلام أجابه الى المصالحة على غير الإسلام ، فلما أراد أن يكتب جواب عمر ، قال للرسول : ألقيت ابنَ عمّك هذا الذي ببلدنا – يعني جَبلة – الذي أتانا راغباً في ديننا ؟

قال : ما لقيتُه .

قال : القَه ، ثم ائتِني أعطِك جوابَ كتابك .

وذهب الرسولُ الى باب جَبلة ، فإذا عليه من القَهارمة والحُجّاب والبَهجة وكثرة الجمْع مثلُ ما على باب هِرَقل . قال الرسول : فلم أزل أتلطّف في الاذن ، حتى أُذن لي ، فدخلتُ عليه ، فرأيت رجلاً أصهبَ اللّحية ذا سِبال[1] ، وكان عَهدي به أسمرَ أسودَ اللحية والرأس ، فنظرتُ اليه فأنكرتُه ، فإذا هو قد دعا بسُحالة الذهب[2] فذَرّها في لحيته حتى عاد

---

١ السبال ، واحدتها سبلة : ما على الشارب من الشعر .

٢ سحالة الذهب : ما سقط منه اذا برد .

أصهبَ ، وهو قاعد على سرير من قوارير[1] ، قوائمه أربعة أسود من ذهب ، فلما عرفني رفعني معه في السرير ، فجعل يُسائلني عن المسلمين ، فذكرت خيراً وقلت : قد أضعفوا أضعافاً على ما تعرف .

فقال : كيف تركت عمرَ بن الخطّاب ؟

قلت : بخير .

فرأيت الغمّ قد تبيّن فيه ، لما ذكرتُ له من سلامة عمر .

قال : فانحدرت عن السّرير؛ فقال : لِمَ تأبى الكرامة التي أكرمناك بها ؟

قلت : إنّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، نهى عن هذا .

قال : نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقّ قلبك من الدّنس ، ولا تُبالِ علامَ قعدْتَ .

فلما سمعتُه يقول : صلى الله عليه وسلم ، طَمِعتُ فيه ؛ فقلت له: ويحك يا جَبلة! ألا تُسلم وقد عرفتَ الاسلام وفضله؟

قال : أبَعْدَ ما كان منّي؟

قلت : نعم ، قد فعل رجلٌ من بني فزارة أكثر مما فعلت ، ارتدّ عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف . ثم رجع

---

[1] قوارير ، واحدتها قارورة : اناء من زجاج يجعل فيه الشراب .

الى الاسلام ، وقَبِل ذلك منه ، وخلّفته بالمدينة مُسْلماً .

قال: ذَرْني من هذا، إن كنت تَضْمن لي أن يزوّجني عمر ابنته ويولّيني الأمر بعده رجعتُ الى الاسلام .

قال : ضمنت لك التزويج ، ولم أضمن لك الامرة .

قال : فأومأ الى خادم بين يديه ، فذهب مُسْرعاً ، فإذا خَدَم قد جاؤوا يحملون الصناديق فيها الطعامُ، فوُضعت ونُصبت موائد الذهب وصِحاف الفضّة ، وقال لي : كُلْ .

فقبضت يدي ، وقلت : إنّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نهى عن الأكل في آنية الذّهب والفِضّة .

فقال: نعم ، صلى الله عليه وسلم، ولكن نَقّ قلبك و كُلْ فيما أحببت .

قال : فأكل في الذهب والفضة وأكلتُ في الخَليج[1]، فلما رُفع الطعام جيء بطِساس[2] الفضّة وأباريق الذهب، وأومأ الى خادم بين يديه ، فمرّ مُسرعاً ، فسَمِعت حِسّاً ، فالتفتُّ ، فإذا خَدَمٌ معهنّ الكراسي مُرصّعة بالجواهر ، فوُضعتْ عشرة عن يمينه وعشرةٌ عن يساره ، ثم سمعت حِسّاً ، فإذا عشر

١ الخليج : الجفنة .
٢ الطساس ، واحدها طس : وهو الطست .

جَوارٍ قد أقبلنَ مَطْمومات الشعر[1] مُتكسِّرات في الحَلْيِ عليهنَّ ثياب الدِّيباج ، فلم أرَ وُجوهاً قطُّ أحسنَ منهنَّ ، فأقعدهنَّ على الكراسيِّ عن يمينه ، ثم سمعتُ حسّاً ، فإذا عشر جوارٍ أخرى ، فأجلسهنَّ على الكراسي عن يساره .

ثم سمعت حسّاً ، فإذا جارية كأنها الشمس حُسناً وعلى رأسها تاج ، وعلى ذلك التاج طائر لم أرَ أحسنَ منه ، وفي يدها اليُمنى جام[2] فيه مِسْك وعَنْبر ، وفي يدها اليسرى جام فيه ماء ورد، فأومأتْ الى الطائر، أو قال فصَفَّرت بالطائر، فوقع في جام ماء الوَرْد فاضطرب فيه ، ثم أومأت اليه ، أو قال فصَفَّرت به، فطار حتى نزل على صَليب في تاج جبلة ، فلم يزل يرفرف حتى نَفَض ما في ريشه عليه ، وضحِك جبلة من شدَّة السرور حتى بدتْ أنيابه .

ثم التفت الى الجواري اللواتي عن يمينه ، فقال : بالله أطربْنني . فاندفعن يتغنَّيْن يَخْفِقن بعيدانهن ويقلْن :

لله دَرُّ عِصابة نادمتُهم
يوماً بجِلَّق ، في الزمان الأوَّلِ[3]

---

[1] مطمومات الشعر : مجزوزات .

[2] الجام : اناء من فضة .

[3] جلق : دمشق وغوطتها .

يَسْقون مَن وَرَدَ البريصَ عليهمُ
بَرَدى ، يُصفّق بالرّحيق السَّلْسَل[1]

أولاد جَفْنة حولَ قبرِ أبيهمُ ،
قبرِ ابن ماريةَ الكريم ، المُفْضِلِ

يُغشَون ، حتى ما تَهِرُّ كلابُهم ،
لا يَسألون عن السَّواد المُقبِلِ[2]

بِيض الوُجوه ، كريمة أحسابُهم ،
شُمُّ الأنوف ، من الطّراز الأوّل

قال : فضَحِك حتى بَدَت نواجِذُه[3] ، ثم قال: أتدري من قائل هذا ؟

قلتُ : لا .

قال : قائلُه حسّان بن ثابت شاعرُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ثم التفت الى الجواري اللاتي عن يساره، فقال: بالله أبكينا!

---

١ البريص وبردى : نهران في دمشق . الرحيق : الخمر . السلسل: اللين .
٢ يمدحهم بالكرم .
٣ نواجذه ، واحدها ناجذ : وهي اقصى الاضراس ، وعددها اربعة .

فاندفعن يتغنين يخفقن بعيدانهن ويقلن :

لمن الدارُ أقفرتْ بمعانِ ، بين أعلى اليرموك فالخمّان[1]

ذاك مغنى لآل جفنة، في الدهـ ـر ، محلاً لحادث الأزمان

قد أراني هناك دهراً مكيناً، عند ذي التاج مقعدي ومكاني

ودنا الفِصحُ، فالولائد ينظِمـ ـن ، سراعاً، أكلّة المرجان

لم يُعلّلن بالمغافير والصـ ـغ ،ولانقفِ حنظلِ الشريان[2]

قال: فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على لحيته، ثم قال: أتدري من قائل هذا ؟

قلتُ : لا أدري .

قال : حسان بن ثابت . ثم أنشأ يقول :

تنصّرت الأشرافُ من عار لطمة،
وما كان فيها ، لو صبرت لها ، ضررْ

تكنّفني منها لجاجٌ ونخوة،
وبعتُ لها العينَ الصحيحةَ بالعور

---

١ معان : مدينة في مملكة الشرق العربي . اليرموك : واد في فلسطين . الخمان: موضع من نواحي الشام .

٢ المغافير : صمغ ينضح بالماء ويشرب . الشريان: شجر من العضاه .

فيا ليتَ أمّي لم تَلِدْني ، وليتَني
رجَعتُ الى الأمر الذي قال لي عُمر

ويا ليتني أرعى المخاضَ بقفرة ،
وكنتُ أسيراً في رَبيعة أو مُضر

ويا ليتَ لي بالشام أدنى معيشةٍ ،
أجالس قومي ، ذاهبَ السّمْع والبَصر

ثم سألني عن حسّان : أحيٌّ هو ؟

قلت : نعم ، تركته حيّاً .

فأمر لي بكسوة ومال ، ونوق مُوقرة بُرّاً ، ثم قال لي : إنْ وجدته حيّاً ، فادفع اليه الهديّة وأقرِئه سلامي ، وإنْ وجدته ميتاً فادفعها الى أهله ، وانحر الجِمال على قَبره .

فلمّا قدمت على عُمر أخبرتُه خبر جَبلة وما دعوتُه اليه من الإسلام ، والشّرط الذي شرطه ، وأني ضَمنت له التّزويج ، ولم أضمن له الإمرة . فقال : هلاّ ضمنت له الإمرة ؟ فإذا أفاءَ اللهُ به الى الاسلام قضى عليه بحُكمه ، عزّ وجل .

ثم ذكرت له الهدية التي أهداها الى حسان بن ثابت . فبعث اليه ، وقد كُفَّ بصره ؛ فأتي به وقائدٌ يقوده ، فلما دخل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إني لأجد رياح آل جَفْنة عندك .

قال : نعم ، هذا رجل أقبل من عنده .

قال : هاتِ يابن أخي ، إنه كريم من كرام مدحتُهم في الجاهلية فحلف أن لا يلقى أحداً يعرفني إلاّ أهدى اليّ معه شيئاً .

فدفعت اليه الهديّة : المالَ والثيابَ ، وأخبرتُه بما كان أمر به في الابل إن وُجد ميتاً .

فقال : وددْت أني كنت ميتاً ، فنُحرت على قبري .

قال الزبير : وانصرف حسّان وهو يقول :

إنّ ابنَ جَفْنة من بقيّة مَعْشرٍ،
لم يَغْذُهم آباؤهم باللُّومِ

لم يَنْسني بالشام إذ هو ربُّها،
مَلِكاً ، ولا مُتنصّراً بالروم

يُعطي الجزيلَ ، ولا يَراه ، عنده،
إلاّ كَبعْض عطيّة المذموم

فقال له رجلٌ كان في مجلس عُمر : أتذكر ملوكاً كَفَرة أبادهم الله وأفناهم ؟

قال : ممن الرجل ؟

قال : مُزَنيّ .

قال : أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لطوقتك طَوقَ الحمامة .

قال : ثمّ جهّزني عمر الى قيصر وأمرني أن أضمن لجبلة ما اشترط به ، فلما قدِمت القُسطنطينية وجدتُ الناس مُنصرفين من جِنازته ، فعلمت أن الشّقاء غلب عليه في أم الكتاب .

وفود الاحنف على عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

المدائني قال : قدم الأحنفُ بن قيس التّميمي على عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، في أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلّموا عنده في أنفسهم وما ينوب كلّ واحد منهم ، وتكلم الأحنف فقال :

يا أمير المؤمنين ، إنّ مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزَلوا منازلَ الأمم الخالية ، والملوكِ الجبابرة ، ومنازل كسرى وقيصر ، وبني الأصفر ، فهم من المياه العذْبة ، والجِنان المُخْصِبة ، في مثل حَولاء السّلى وحدَقة البعير[1] تأتيهم ثمارُهم غضّة لم تتغير .

وإنا نزلنا أرضاً نشّاشة ، طَرَف في فلاة ، وطَرَف في مِلح أجاج ، جانبٌ منها منابت القصب ، وجانب سَبخة نشّاشة[2] ، لا

١ حولاء السلى ، وحدقة البعير : كناية عن الخصب .
٢ السبخة : ارض فيها نز وملح . نشاشة : نزازة .

يجفّ ترابها، ولا ينبت مرعاها، تأتينا منافعها في مثل مَريء[1] النعامة، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين، وتخرج المرأة بمثل ذلك تُرَنِّق ولدها تَرْنيق[2] العنز، تخاف عليه العدوّ والسبع، فإلاّ ترفع خسيستنا، وتُنعِش رَكيستنا[3]، وتَجْبر فاقتنا، وتزد في عيالنا عيالاً، وفي رجالنا رجالاً، وتُصفّر درهمنا[4]، وتُكبّر قفيزنا[5]، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء، هلكنا.

قال عمر: هذا والله السيّد! هذا والله السيّد! قال الأحنف: فما زلت أسمعها بعدها.

فأراد زيد بن جبلة أن يضع منه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس هناك، وأمه باهليّة. قال عمر: هو خير منك إن كان صادقاً. يريد إن كانت له نيّة.

فقال الأحنف:

أنا ابن الباهليّة، أرضعتني بثدي لا أجدّ ولا وخيم[6]

---

١ المريء: مجرى الطعام من الحلقوم الى المعدة.
٢ الترنيق: ادامة النظر.
٣ الركيسة: الشيء قلب اوله على آخره.
٤ تصفره: اي تجعله ذهباً أصفر.
٥ القفيز: مكيال.
٦ الأجد: اليابس القليل اللبن.

أغضّ على القذى أجفانَ عيني، إذا شرّ السّفيه الى الحَليم[1]

قال: فرجَع الوفد واحتَبس الأحنفَ عنده حولاً وأشهراً، ثم قال: إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حَذّرنا كل منافق صَنع اللسان، وإني خِفْتُك فاحتبستُك، فلم يبلُغني عنك إلا خيرٌ، رأيتُ لك جُولاً[2] ومَعْقولاً، فارجع الى منزلك واتّقِ الله ربّك.

وكتب الى أبي موسى الأشعري أن يحْتفر لهم نهراً.

---

١ شر : أتى منه الشر ، وشره : عابه .

٢ الجول : الرأي .

وفود الاحنف وعمرو بن الاهتم

على عمر بن الخطاب رضي الله عنه

العتبي عن أبيه قال: وفد الأحنف وعمرو بن الأهتم على عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه، فأراد أن يقرع بينهما في الرّياسة، فلما اجتمعت بنو تميم، قال الأحنف:

ثَوى قَدَحٌ عن قَوْمه طالما ثوى،
فلما أتاهم قالَ قُومُوا تناجَزوا[1]

فقال عمرو بن الأهتم: إنّا كنّا وأنتم في دار جاهليّة فكان الفَضْل فيها لمن جَهِل، فسفكنا دماءكم، وسَبَيْنا نساءكم، وإنا اليوم في دار الإسلام، والفَضْلُ فيها لمن حَلِم، فغفر الله لنا ولك.

قال: فغلب يومئذ عمرو بن الأهتم على الأحنف ووقعت القُرْعة لآل الأهتم. فقال عمرو بن الأهتم:

لمّا دعَتني للرّياسة مِنْقَرٌ،
لدَى مَجْلس أضحى به النّجْمُ باديا

---

١ تناجز القوم: تسافكوا دماءهم.

شَدَدْتُ لها أُزْرِي، وقد كُنْتُ قبلَها،
لأمثالها ممّا أشُدّ إزاريا

وعمرو بن الأهتم هو الذي تكلّم بين يدي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وسأله عن الزّبرقان؛ فقال عمرو: مُطاع في أذْنَيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره.

فقال الزّبرقان: والله يا رسول الله، إنّه ليعلم مني أكثر مما قال، ولكن حَسدني.

قال: أما والله يا رسول الله، إنه لزَمِر المروءة[1]، ضيّق العَطن، أحمق الولد، لئيم الخال، والله ما كذبتُ في الأولى، ولقد صدقتُ في الأخرى، رضيتُ عن ابن عمّي فقلتُ أحسن ما علمت، ولم أكذِب، وسَخِطتُ عليه فقلت أقبح ما علمت، ولم أكذب.

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحراً.

•

---

١ زمر المروءة: قليلها.

وفود عمرو بن معديكرب

على عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ اوفده سعد

لما فُتحت القادسيّة على يدي سعد بن أبي وقّاص ، أبلى فيها عمرو بن معديكرب بلاءً حسناً ، فأوفده سعدٌ على عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وكتب اليه معه بالفتح وأثنى في الكتاب على عمرو .

فلما قدِم على عمر بن الخطاب سأله عن سعد ؛ فقال : أعرابي في نمِرته[1] ، أسدٌ في تأمورته[2] ، نَبطيٌّ في جبايته[3] ، يقسم بالسويّة ، ويعدل في القضيّة ، وينفِر في السَّريّة[4] ، وينقل الينا حقّنا نقل الذرّة .

فقال عمر : لشدّ ما تقارضتما الثناء .

وكان عمر قد كتب الى سعدٍ يوم القادسية أن يُعطي الناس

---

١ النمرة : بردة من صوف تلبسها الاعراب .

٢ التأمورة : عرين الاسد .

٣ نبطي في جبايته : لعله اراد انه دقيق فيها .

٤ السرية : من خمسة انفس الى ثلثمائة او اربعمائة .

على قدر ما معهم من القرآن. فقال سعد لعمرو بن معديكرب: ما معك من القرآن ؟

قال : ما معي شيء .

قال: إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن .

فقال عمرو :

إذا قُتِلنا، ولا يَبكي لنا أحدٌ، قالت قريشٌ : ألا تِلكَ المقاديرُ
نُعطى السّويّةَ من طعنٍ له نَفَذ، ولا سويّةَ إذ نُعطى الدّنانيرُ

قال : فكتب سعد بأبياته الى عمر. فكتب اليه أن يُعطى على مقاماته في الحرب .

وفود أهل اليمامة

على أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وفد أهلُ اليمامة على أبي بكر الصدّيق ، رضي الله عنه ، بعد إيقاع خالد بهم وقَتْله مُسيلمة الكذّاب ؛ فقال لهم أبو بكر : ما كان يقول صاحبُكم ؟

قالوا : أعفِنا يا خليفة رسول الله .

قال : لا بدّ أن تقولوا .

قالوا : كان يقول : يا ضِفْدع ، كم تَنِقّين ، لا الشرابَ تمنعين ، ولا الماء تُكدّرين؛ لنا نِصْفُ الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريش قوم لا يَعْدِلون .

فقال لهم أبو بكر: ويحكم ! ما خرج هذا من إلّ ولا بِرّ، فأين ذُهب بكم ؟

قال أبو عُبيد : الإلّ: الله تعالى. والبَرّ: الرجل الصالح.

وفود عمرو بن معديكرب

على مجاشع بن مسعود

وفَد عمرو بن معديكرب الزُّبيديّ على مُجاشع بن مسعود السُّلَمي – وكانت بين عمرو وبين سُليم حروبٌ في الجاهليّة – فقدم عليه البصرةَ يسأله الصّلة ؛ فقال له : اذكر حاجتَك .

فقال له : حاجتي صِلةُ مِثلي .

فأعطاه عشرةَ آلاف دِرْهم ، وفرساً من بنات الغَبْراء ، وسَيفاً جُرازاً[1] ، ودِرعاً حَصينة ، وغلاماً خبّازاً .

فلما خرج من عنده ، قال له أهل المجلس : كيف وجدت صاحبك ؟

قال : لله دَرُّ بني سُليم ، ما أشدّ في الهيجاء لقاءها ، وأكرم في اللأواء[2] عطاءها ، وأثبت في المكرُمات بناءها ، والله يا بني

---

١ الجراز : القاطع .
٢ اللأواء : الشدة .

سليم لقد قاتلناكم في الجاهلية فما أجبناكم ، ولقد هاجيناكم فما أفحمناكم ، ولقد سألناكم فما أبخلناكم .

فلله مسؤولاً نوالاً ونائلاً،
وصاحبَ هيج ٍ يومَ هيج ٍ مُجاشع[١]

•

---

١ الهيج : الحرب .

وفود الحسن بن علي

رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه

أبو بكر بن أبي شَيبة قال :

وفد الحسن بن عليّ ، رضي الله عنهما ، على معاوية بعد عام الجماعة[1] ، فقال له معاوية : والله لأحبونّك بجائزة ما أجزتُ بها أحداً قبلك ، ولا أجيز بها أحداً بعدك ؛ فأمر له بمائة ألف .

وفي بعض الحديث أن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، دخل على ابنته فاطمة ، فوجد الحسن طِفلاً يلعب بين يديها ، فقال لها : إن الله تعالى سيُصلح على يَدَي ابنك هذا بين فِئتين عظيمتين من المُسلمين .

●

---

١ يوم الجماعة : يوم تصالح معاوية والحسن بن علي بن أبي طالب .

وفود زيد بن منية

على معاوية رحمه الله

العتبي قال :

قدم زيد بن مُنْية على معاوية من البَصرة — وهو أخو يَعْلى ابن مُنية صاحب جمل عائشة ومتولي تلك الحروب ، ورأس أهل البصرة ، وكان عُتبة بن أبي سفيان قد تزوج ابنة يَعْلى بن مُنْية — فلما دخل على معاوية شكا اليه دَيْناً لزِمه ؛ فقال : يا كعب ، أعْطِه ثلاثين ألفاً . فلما ولى قال: وليوم الجمل ثلاثين ألفاً أخرى ؛ ثم قال له : الحَقْ بصهرك ، يعني عُتبة .

فقدم عليه مِصْرَ ، فقال : إني سِرت اليك شهرين أخوضُ فيهما المَتالف ، ألبس أرْدية الليل مَرّة ، وأخوضُ في لُجَج السَّراب أخرى ، مُوقراً من حُسن الظن بك ، وهارباً من دهرٍ قَطِمٍ[1] ، ودَيْن لزِم ، بعد غِنىً جَدَعنا به أُنوف الحاسدين، فلم أجِدْ إلا اليك مَهْرباً ، وعليك مُعوَّلاً .

---

١ قطم : صؤول .

فقال عُتبة : مَرْحباً بك وأهلاً ، إنَّ الدهر أعاركم غِنى ، وخَلطكم بنا . ثم استرَدَّ ما أمكنه أخذُه ، وقد أبقى لكم منّا ما لا ضَيْعة معه ، وأنا واضع يدي ويدك بيد الله .

فأعطاه ستين ألفاً ، كما أعطاه معاوية رحمه الله .

•

وفود عبد العزيز بن زرارة

على معاوية رحمه الله

العتبي عن أبيه قال :

وفد عبدُ العزيز بنُ زُرارة على معاوية وهو سيّد أهل الكوفة، فلما أذِنَ له وقفَ بين يديه، وقال: يا أمير المؤمنين، لم أزل أهزّ ذوائبَ الرّحال اليك، إذ لم أجد مُعوّلاً إلا عليك؛ أمتطي الليل بعد النهار ، وأسِمُ المجاهلَ بالآثار ، يقودني اليك أمل، وتسوقني بَلوى ، والمجتهد يُعذر ، وإذ بلغتُك فقطْني[1].

فقال معاوية : احطُط عن راحلتك رَحلَها .

وخرج عبد العزيز بن زُرارة مع يزيدَ بن معاوية الى الصائفة[2] فهلك هناك ، فكتب به يزيدُ بن معاوية إلى معاوية ، فقال زرارة : أتاني اليوم نعيّ سيّد شباب العرب .

قال زُرارة : يا أمير المؤمنين ، هو ابني أو ابنك ؟

قال : بل ابنُك .

---

١ قطني : حسبي .

٢ الصائفة : الغزوة في الصيف .

قال : للموت ما تَلِد الوالدة .

أخذه سابقٌ البَرْبريّ فقال :

وللموت تَغْذو الوالداتُ سِخالها ،
كما لِخَراب الدّار تُبْنى المساكنُ[1]

وقال آخر :

لِلْموتِ يُولد منّا كلُّ مَوْلودِ ،
لا شيءَ يَبقى ولا يَفنى بمَوْجودِ

[1] سخالها : أولادها ، الواحد سخلة ، للذكر والانثى .

وفود عبد الله بن جعفر

على يزيد بن معاوية

المدائني قال :

قدم عبدُ الله بنُ جعفر على يزيدَ بنِ مُعاوية ، فقال له : كم كان عطاؤكَ ؟ فقال له : ألف ألف ؛ قال: قد أضْعفناها لك ؛ قال: فِداكَ أبي وأُمّي، وما قلتُها لأحد قبلك؛ قال: أضعفناها لك ثانية .

فقيل ليزيد : أتُعْطي رجلا واحداً أربعةَ آلاف ألف ! فقال : ويحكم ! إنما أعطيتُها أهلَ المدينة أجمعين ، فما يدُه فيها إلا عارية .

فلما كان في السنة الثانية قدِم عبدُ الله بن جعفر ، وقدم مولىً له يقال له نافع ، كانت له مَنزلة من يزيد بن معاوية . قال نافع : فلما قدمنا عليه أمر لعبد الله بن جعفر بألف ألف ، ورقى عنه ألفَ ألفٍ ، ثم نظر إليّ فتبسّم؛ فقلت : هذه لتلك الليلة . وكنتُ سامرتُه ليلة في خلافة معاوية وأسمعتُه فيها فذكّرته بها .

وقدِمَتْ عليه هدايا من مصر كثيرة ، فأمر بها لعبد الله بن جعفر ، وكانت له مائة ناقة ، فقلت لابن جعفر : لو سألتَه منها شيئاً نحتلبه في طريقنا ؟ ففعل ، فأمر بصَرْفها كلّها اليه . فلما أراد الوَداع أرسل إليّ فدخلتُ عليه ، فقال : ويلك ! إنما أخّرتك لأتفرّغ اليك ، هاتِ قولَ جميل :

خليليّ ! فيما عِشتما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حُبّ قاتِله قبْلي؟

قال : فأسمعتُه ؛ فقال : أحسنت والله ! هات حاجتك . فما سألته شيئاً إلا أعطانيه ؛ فقال : إن يُصْلح الله هذا الأمرَ من قِبَل ابن الزبير تَلْقَنا بالمدينة ، فإنّ هذا لا يحْسن إلا هناك . فمنَع والله من ذلك شُؤْمُ ابن الزُّبير .

وفود عبد الله بن جعفر

على عبد الملك بن مروان

قال بُدَيح :

وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان ، وكان زوّج ابنته أم كلثوم من الحجّاج على ألفي ألف في السّرّ وخمسمائة ألف في العلانية ، وحملها اليه الى العراق، فمكثت عنده ثمانية أشهر .

قال بُدَيْح : فلما خرج عبدُ الله بن جعفر الى عبد الملك بن مروان ، خرجنا معه حتى دخلنا دِمَشقَ ، فإنّا لنَحُطُّ رحالنا إذ جاءنا الوليدُ بن عبد الملك على بَغْلة وَرْدة ومعه الناس ، فقلنا : جاء الى ابن جعفر ليُحيّيه ويدعوَه الى منزله . فاستقبله ابنُ جعفر بالترحيب ؛ فقال له : لكنْ أنت لا مرحباً بك ولا أهلاً .

فقال : مهلاً يابن أخي ، فلستُ أهلاً لهذه المقالة منك .

قال : بلى ولشرٍّ منها .

قال: وفيمَ ذلك؟ قال: إنك عَمدت الى عَقيلة نساء العرب،

وسيّدة بني عَبْد مناف ، فزوّجتَها عَبدَ ثقيف .

قال : وفي هذا عَتَب عليّ يابن أخي ؟

قال : وما أكثرُ من هذا ؟

قال : والله إنّ أحقّ الناس أن لا يلومني في هذا لأنت وأبوك ، إنْ كانَ مَن قبلكم من الولاة ليَصِلون رَحِمي ، ويعرفون حقّي ، وإنك وأباك مَنَعْتماني ما عندكما حتى رَكِبني من الدَّين ما والله لو أنّ عبداً مُجدَّعاً حَبَشيّاً أعطاني بها ما أعطاني عبدُ ثقيفٍ لزوّجتها، فإنما فَدَيت بها رَقبتي من النّار.

قال: فما راجعه كلمةً حتى عطفَ عِنانَه، ومضى حتى دخل على عبد الملك- وكان الوليدُ إذا غضب عُرِف ذلك في وجهه- فلما رآه عبدُ الملك قال : ما لَكَ أبا العبّاس ؟

قال : إنك سَلّطت عبدَ ثقيف وملّكْتَه ورفعته ، حتى تزوّجَ نساء عبد مناف ؛ وأدركتْه الغَيرة .

فكتب عبدُ الملك الى الحجاج يَعزِم عليه أن لا يَضع كتابه من يده حتى يُطلّقها. فما قطع الحجّاج عنها رِزقاً ولا كرامةً يُجريها عليها حتى خرجت من الدنيا .

قال : وما زال واصلاً لعبد الله بن جعفر حتى هَلَك .

قال بُديح: فما كان يأتي علينا هلالٌ إلا وعندنا عِيرٌ مقبلة

من الحجّاج عليها لُطَفٌ[1] وكُسوة ومِيرة، حتى لَحق عبدُ الله ابن جعفر بالله.

ثم استأذن ابنُ جعفر على عبد الملك، فلما دخل عليه استقبله عبدُ الملك بالترحيب، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على سريره، ثم سأله فألطف المسألة، حتى سأله عن مَطْعمه ومَشْربه، فلما انقضت مسألته، قال له يحيى بن الحَكَم: أمن خَبيثة كان وجهك أبا جعفر؟

قال: وما خَبيثة؟

قال: أرضك التي جِئْت منها.

قال: سبحان الله! رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يُسمّيها طَيبة وتُسمّيها خَبيثةً! لقد اختلفتما في الدنيا وأظنكما في الآخرة مختلفَين.

فلما خرج من عنده هَيّأ له ابنُ جعفر هدايا وألطافاً. فقلت لبُدَيح: ما قِيمة ذلك؟ قال: قيمتُه مائة ألف، من وصَفاء ووصائف وكُسوة وحرير ولُطَف من لُطَف الحِجاز.

قال: فبَعثني بها، فدخلتُ عليه وليس عنده أحد، فجعلت أعرض عليه شيئاً شيئاً. قال: فما رأيتُ مثل إعظامه لكلّ ما عرضتُ عليه من ذلك، وجعل يقول كلما أريتُه شيئاً: عافى

---

[1] اللطف، واحدتها لطفة: هدية.

الله أبا جعفر ، ما رأيتُ كاليوم ، وما كُنّا نُريد أن يتكلّف لنا شيئاً من هذا ، وإن كنّا لمتدمّمين مُحْتَشمين .

قال : فخرجت من عنده ، وأذِن لأصحابه ، فوالله لبينا أنا أحدّثه عن تعجّب عبد الملك وإعظامه لما أهدى اليه، إذا بفارس قد أقبل علينا ، فقال: أبا جعفر، إن أمير المؤمنين يَقرأ السلام عليك، ويقول لك: جمعت لنا وَخْش[1] رقيق الحجاز وأُبّاقهم[2]، وحبستَ عنّا فلانة ، فابعث بها الينا .

وذلك أنه حين دخل عليه أصحابُه جعل يُحدّثهم عن هدايا ابن جعفر ويُعظمها عندهم ؛ فقال له يحيى بن الحَكَم : وماذا أهدى اليك ابنُ جعفر؟ جمع لك وَخْش رقيق الحجاز وأُبّاقهم وحبس عنك فلانة .

قال : ويلك ! وما فلانة هذه ؟

قال : ما لم يَسمع والله أحدٌ بمثلها قطُّ جمالاً وكمالاً وخُلقاً وأدباً ، لو أراد كرامتك بعث بها اليك .

قال : وأين تُراها ، وأين تكون ؟

قال : هي والله معه ، وهي نفسه التي بين جنبيه .

---

١ الوخش: الردي، من كل شيء، ورذال الناس وسقاطهم، ويستعمل بلفظ واحد مع المفرد والجمع والمذكر والمؤنث .

٢ الأباق ، واحدم آبق : العبد الهارب من سيده .

فلما قال الرسول ما قال ، وكان ابنُ جعفر في أذنه بعض الوَقْر إذا سمع ما يكره تصامّ ، أقبل عليّ فقال : ما يقول يا بُدَيح ؟

قال : قلت : فإن أمير المؤمنين يقرأ السلام ويقول : إنه جاءني بَريد من ثغر كذا يقول: إن الله نَصر المسلمين وأعزّهم.

قال : اقرأ أمير المؤمنين السلام، وقل له: أعزّ الله نصْرك، وكَبت عدوَّك .

فقال الرسول : يا أبا جعفر ، إني لست أقول هذا ؛ وأعاد مقالتَه الأولى . فسألني ، فصرفتُه الى وجه آخر ؛ فأقبل عليّ الرسول ، فقال : أبرُسُل أمير المؤمنين تَهكّمُ ؟ وعن أمير المؤمنين تُجيب هذا الجواب ؟ أما والله لأطِلّنّ دَمك[1] .

فانصرف . وأقبل عليّ ابنُ جعفر فقال: من تُرى صاحبنا ؟

قلتُ : صاحبك بالأمس .

قال : أظنّه ، فما الرأي عندك ؟

قلت : يا أبا جعفر ، قد تكلّفتَ له ما تكلفت، فإن منعتها إياه جعلتها سبباً لمنعك ، ولو طلب أمير المؤمنين إحدى بناتك ما كنتُ أرى أن تمنعها إيّاه .

---

١ أطل دمه : أهدره .

قال : ادْعُها لي .

فلما أقبلتْ رحّبَ بها ، ثم أجلسها الى جَنبه، ثم قال : أما والله ما كنتُ أظن أن يُفرّق بيني وبينكِ إلا الموت .

قالت : وما ذاك ؟

قال : إنه حدث أمر وليس والله كائناً فيه إلا ما أحببتِ ، جاء الدهر فيه بما جاء .

قالت : وما هو ؟

قال : إن أمير المؤمنين بعث يَطْلبكِ ، فإن تَهْوي فذاك ، وإلا والله لا يكون أبداً .

قالت : ما شيءٌ لك فيه هوىً ولا أظن فيه فرجاً عنك إلا فديتُه بنفسي .

وأرسلت عَيْنيها بالبكاء ؛ فقال لها : أما إذ فعلتِ فـــلا تَرَيِنّ مكروهاً .

فمسحتْ عينيها ، وأشار إليّ فقال : ويحـك يا بُدَيح ! استحِثّها قبل أن تتقدّم إليّ من القوم بادرة .

قال: ودعا بأربع وصائف ودعا من صاحب نفقته بخمسمائة دينار ، ودعا مَوْلاة له كانت تَلي طِيبه ، فدَحَستَ لها رَبعة[1]

---

١ دحست : ملأت . الربعة : الجونة ، سليلة مغشاة جلداً .

عظيمة مَملوءة طِيباً ، ثم قال : عَجِّلها ويلك !

فخرجتُ أسوقها حتى انتهيت الى الباب ، وإذا الفارس قد بلّغ عني ، فما تركني الحُجّاب أن تَمسّ رِجلاي الأرض حتى أدخلتُ على عبد الملك وهو يَتلظّى ؛ فقال لي : وكذا أنت المُجيب عن أمير المؤمنين والمتهكم برُسله !

قلت : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي أتكلم .

قال : وما تقول يا كذا وكذا ؟

قلت : ائذن لي يجعلني الله فداك أتكلم .

قال : تكلم .

قلت : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغر شأناً ، وأقلّ خطراً من أن يَبلغ كلامي من أمير المؤمنين ما أرى ، وهل أنا إلا عبد من عبيد أمير المؤمنين ؟ نعم ، قد قُلت ما بلغك ، وقد يعلم أميرُ المؤمنين أنّا إنما نعيشُ في كَنَف هذا الشيخ ، وأنّ الله لم يزل اليه مُحسناً ، فجاءه من قِبَلك شيء ما أتاه قطُّ مثله ، إنما طلبتَ نفسه التي بين جَنبيه ، فأجبتُ بما بَلغك لأسهِّل الأمر عليه ، ثم سألني فأخبرته ، واستشارني فأشرتُ عليه ، وها هي ذه قد جِئتُك بها .

قال : أدخِلها ويلك !

قال : فأدخلتها عليه ، وعنده مَسلمة ابنه غلام ما رأيت

مثلَه ولا أجمل منه حين اخضرّ شاربُه ، فلما جلستْ وكلّمها أعجب بكلامها، فقال: لله أبوك! أمسِكك لنَفسي أحبُّ اليك، أم أهبُك لهذا الغلام ؟ فإنه ابنُ أمير المؤمنين .

قالت: يا أمير المؤمنين، لستُ لك بحقيقة، وعسى أن يكون هذا الغلام لي وَجْهاً .

قال: فقام من مكانه ما راجعها، فدخل وأقبل عليها مَسلمة، فقال : يا لَكاع[1] ، أعلى أمير المؤمنين تختارين ؟

قالت : يا عدوّ نفسه ، إنما تلومُني أن اخترتُك ! لعَمْرُ الله ، لقد فالَ[2] رأيُ من اختارك .

قال : فضيّقت والله مجلسَه ؛ واطّلع علينا عبدُ الملك ، قد ادّهن بدُهْن وارى الشّيب ، وعليه حُلة تتلألأ كأنها الذهب ، بيده مِخْصرة يَخْطِر بها ، فجلس مجلسَه على سريره ، ثم قال : إيها ! لله أبوك! أمسِكك لنفسي أحبُّ لك ، أم أهبُك لهذا الغلام ؟

قالت : ومن أنت ، أصلحك الله ؟

قال لها الخَصِيّ : هذا أميرُ المؤمنين .

---

١ يا لكاع : يا لئيمة .
٢ فال : أخطأ وضعف .

قالت : لست مُختارة على أمير المؤمنين أحداً .

قال : فأين قولُكِ آنفاً ؟

قالت : رأيت شيخاً كبيراً ، وأرى أمير المؤمنين أشبّ الناس وأجملهم ، ولستُ مختارة عليه أحداً .

قال : دُونكها يا مَسْلمة .

قال بُدَيح : فنشرتُ عليه الكُسوة والدنانير التي معي ، وأريتُه الجواري والطّيب ؛ قال: عافى الله ابنَ جعفر، أخَشِي أن لا يكون لها عندنا نفقة وطِيب وكُسوة ؟ فقلت : بلى ، ولكنه أحبّ أن يكون معها ما تكْتفي به حتى تستأنس . قال : فقبضها مَسْلمة . فلم تلبث عنده إلا يسيراً حتى هَلكت.

قال بُدَيح : فوالله الذي ذهب بنفس مَسلمة ، ما جلستُ معه مجلساً ، ولا وقفتُ موقفاً أنازعه فيه الحديث إلا قال : ابغني مثل فلانة ، فأقول : ابغني مثلَ ابن جعفر .

قال : فقلت لبُديح : ويلك ! فما أجازه به ؟

قال: قال حين دَفع اليه حاجتَه ودَينه: لأجيزنّك جائزة، لو نُشر لي مروان من قبره ما زِدْته عليها .

فأمر له بمائة ألف ، وايم الله إني لا أحسبه أنفقَ في هديّته ومسيره ذلك وجاريتِه التي كانت عِدلَ نفسه مائتي ألف .

وفود الشعبي

على عبد الملك بن مروان

كتب عبدُ الملك بن مَروان الى الحجّاج بن يوسف : أن ابعث اليّ رجلاً يَصْلح للدّين والدنيا ، أتخذه سميراً وجليساً وخَليلاً .

فقال الحجاج : ما له إلاّ عامر الشعبي .

وبعث به اليه. فلما دخل عليه وجده قد كَبا مُهتمّاً، فقال: ما بالُ أمير المؤمنين ؟

قال : ذكرتُ قولَ زُهير :

كأنّني، وقد جاوزتُ تِسعين حِجّةً،
خَلعتُ بها عَني عِذار لِجامي

رَمَتني بَناتُ الدّهر من حيثُ لا أرى،
فكيف بمَنْ يُرْمى وليس بِرامي؟

فلو أنّني أرمى بِنَبْل رأيتُها،
ولكنّني أرمى بغير سِهام

على الرَّاحتين ، تارةً ، وعلى العَصا ،
أنُوء ثلاثاً ، بعدَهُــنَّ قِيامي

قال له الشعبي : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لَبِيدُ بن ربيعة ، وقد بلغ سَبعين حِجّة :

كأنّي ، وقد جاوزتُ سَبعين حِجّةً ،
خَلعتُ بها عن مَنكِبيّ رِدائيا

ولما بلغ سبعاً وسبعين سنةً قال :

باتت تَشكّى إليّ النفسُ مُوهَنَةً ،
وقد حملتُكِ سَبْعاً بعد سَبْعينا[1]

فإنْ تُزادي ثلاثاً تبْلغي أملاً ،
وفي الثّلاث وفــاءٌ للثّمانينا

ولمّا بلغ تسعين سنة قال :

ولقد سَئِمتُ من الحياة وطُولِها ،
وسُؤالِ هذا الناسِ كيفَ لَبيدُ ؟

ولما بلغ عشراً ومائة قال :

أليسَ ورائي ، إن تراخت مَنيّتي ،
لُزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابعُ ؟

---

١ موهنة : ضعيفة .

أخبِّر أخبارَ القرون التي خلت،
أنوء، كأنّي كلّما قُمْتُ راكِع

ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال :

تمنّى ابنتايَ أن يَعيش أبوهما،
وهَلْ أنا إلا مِنْ رَبيعة ، أو مُضَرْ؟

فقوما ، فقُولا بالذي تعْلمانـــه،
ولا تَخْمِشا وَجْهاً، ولا تَحْلِقا شَعَر

وقُولا : هو المَرْءُ الذي لا صديقَهُ
أضاعَ ، ولا خانَ الخليلَ ولا غَدَر

إلى سَنة ، ثم السلامُ عليكمـــا،
ومن يَبْكِ حولاً كاملاً فقدِ اعتذر

قال الشعبيُّ : فلقد رأيت السرور في وَجه عبد الملك طمعاً أن يعيشها .

•

وفود الحجاج بابراهيم بن محمد

ابن طلحة على عبد الملك بن مروان

عمران بن عبد العزيز قال :

لما ولي الحجاجُ بن يوسُف الحرمين بعد قتْلِه ابن الزبير ، استخلص إبراهيم بن محمد بن طلحة فقرّبه وعظّم منزلته، فلم تزل تلك حالهُ عنده حتى خرج الى عبد الملك بن مروان ، فخرج معه مُعادِلاً، لا يُقصّر له في برّ ولا إعظام، حتى حضر به عبدَ الملك، فلما دخل عليه لم يَبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال له: قدِمت عليك أمير المؤمنين برجُل الحجاز، لم أدَع له بها نظيراً في الفضل والأدب والمروءة وحُسن المذهب، مع قرابة الرّحم ووجوب الحق وعِظَم قدْر الأبوّة، وما بلوتُ منه في الطاعة والنصيحة وحسن الموازرة ، وهو إبراهيم بن محمد بن طلحة، وقد أحضرته بابَك ليسْهُل عليه إذنُك ، وتَعرّفَ له ما عرّفتك .

فقال : أذكرتنا رَحِماً قريبة وحقّاً واجباً . يا غلام ، ائذن لإبراهيم بن محمد بن طلحة .

فلما دخل عليه أدناه عبدُ الملك حتى أجلسه على فِراشه ، ثم

قال له : يابن طلحة ، إن أبا محمد ذكّرنا ما لم نزل نعرفك به في الفَضْل والأدب والمُروءة وحُسن المذهب، مع قرابة الرحم ووجوب الحق وعِظَم قدر الأبوة ، وما بَلاه منك في الطاعة والنصيحة وحُسن الموازرة ، فلا تدعنّ حاجة في خاصّة نفسك وعامّتك إلا ذكرتها .

فقال : يا أمير المؤمنين، إن أولَ الحوائج وأحقُّ ما قُدّم بين يدي الأمور ما كان لله فيه رِضا ، ولحقّ نبيّه ، صلى الله عليه وسلم ، أداء ، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة ، وعندي نصيحة لا أجد بُدّاً من ذكرها ، ولا أقدر على ذلك إلا وأنا خالٍ ، فأخلني يا أمير المؤمنين تَرِد عليك نصيحتي .

قال : دون أبي محمد ؟

قال : نعم ، دون أبي محمد .

قال عبد الملك للحجّاج : قُم .

فلما تَخطْرف الستر[1] أقبل عليّ ، فقال : يابن طلحة ، قُل نصيحتك .

فقال : تالله يا أمير المؤمنين ، لقد عَمَدتَ إلى الحجاج في تَغَطرسه وتَعَجرُفه وبُعده من الحق وقربه من الباطل ،

---

١ خطرف الستر : انسدل وارخي

فولّيتَه الحرمين ، وهما ما هما وبهما ما بهما من المهاجرين والأنصار والموالي الأخيار يَطؤهم بطَغام أهل الشام ، ورَعاع لا رويّة لهم في إقامة حقّ ولا في إزاحة باطل، ويسومهم الخسف ويحكم فيهم بغير السُّنّة، بعد الذي كان من سَفْك دمائهم، وما انتُهِك من حُرَمِهم، ثم ظننتَ أن ذلك فيما بينك وبين الله زاهق[1] ، وفيما بينك وبين نَبيّك غداً إذا جاثاك للخصومة[2] بين يدي الله في أمته ، أما والله لا تَنجو هنالك إلا بحُجّة، فاربَع على نفسك[3] أوْ دَعْ .

فقال له عبد الملك : كذبْتَ ومِنْت وظنّ بك الحجاج ما لم يَجِده فيك ، وقد يُظن الخير بغير أهله، قُم فأنت الكاذب المائن .

قال : فقمتُ وما أعرف طريقاً، فلما خطرف الستر لحِقني لاحق ، فقال : احبسوا هذا ؛ وقال للحجاج : ادخل ؛ فدخل، فمكث مَليّاً من النهار لا أشك أنهما في أمري، ثم خرج الآذن، فقال : ادخل يابن طلحة .

فلما كُشف لي الستر لقيني الحجّاج، وهو خارج وأنا داخل،

---

١ زاهق : هالك .
٢ المجاثاة للخصومة : ان يجلس كل على ركبتيه مستوفزاً .
٣ اربع على نفسك : كف وارفق .

فاعتنقني وقبّل ما بين عينيّ ، وقال : أمـــا إذا جزى الله المتواخيين خيراً بفضل تواصُلهم فجزاك الله عني أفضل الجزاء، فوالله لئن سَلِمْتُ لك لأرفعنّ ناظرك ، ولأعلينّ كعبـك ، ولأتبعنّ الرجال غبار قدميك .

قال : فقلت : يَهزأ بي وحقّ الكعبة . فلمـا وصلتُ الى عبد الملك أدناني حتى أدناني عن مجلسي الأول ، ثم قـال : يابن طلحة ، لعلّ أحداً شاركك في نصيحتك هذه ؟

قلت: والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم أحداً أنصعَ عندي يداً ولا أعظم مَعروفاً من الحجاج، ولو كنت محابياً أحداً لغرض دُنيا لحابيته ، ولكني آثرتُ الله ورسوله وآثرتك والمؤمنين عليه .

قال : قد عَلمتُ أنك لم تُرد الدنيا ، ولو أردتهـا لكانت لك في الحجّاج ، ولكن أردتَ الله والدارَ الآخرة ، وقـــد عزلتُه عن الحرمين لمـا كرهتَ من ولايته عليهمـا ، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استقلالاً لهما ، وولّيتُه العراقين ، وما هنالك من الأمور التي لا يَدحضهـا الا مثلُه ، وأعلمته أنـك استدعيتني الى ولايته عليهمـا استزادةً له ، لألزمه بذلـك من حقّك ما يؤدّي اليك عني أجر نصيحتك ، فاخرج معه فإنـك غير ذامٍّ لصُحْبته .

فخرجتُ مع الحجّاج وأكرمني أضعاف إكرامه .

وفود رسول المهلب

على الحجاج بقتل الأزارقة

أبو الحسن المدائني قال :

لما هَزم المُهلَّب بن أبي صُفرة قَطريّ بنَ الفُجاءة صاحبَ الأزارقة ، بعث الى مالك بن بَشير، فقال له : إني مُوفدك الى الحجاج فسِرْ ، فإنما هو رجل مثلك .

وبعث اليه بجائزة، فردّها وقال: إنما الجائزة بعد الاستحقاق؛ وتوجّه . فلما دخل على الحجاج ؛ قال له : ما اسمُك ؟

قال : مالك بن بَشير .

قال : مُلْك وبشارة ؛ كيف تركتَ المُهلَّب ؟

قال : أدركَ ما أمّل وأمّن من خاف .

قال : كيف هو بجُنده ؟

قال : والدٌ رؤوف .

قال : فكيف جُنده له ؟

قال : أولادٌ بَررة .

قال : كيف رضاهم عنه ؟

قال : وسِعَهم بالفضل وأقنعهم بالعَدل .

قال : فكيف تصنعون إذا لقيتم عدوّكم ؟

قال : نلقاهم بجدّنا فنطمع فيهم ، ويلقوننا بجدّهم فيطمعون فينا .

قال : كذلك الجدّ إذا لقي الجدّ ؛ قال : فما حال قطريّ ؟

قال : كادنا ببعض ما كدناه .

قال : فما منعكم من اتباعه ؟

قال : رأينا المُقام من ورائه خيراً من اتباعه .

قال : فأخبرني عن ولد المُهلّب .

قال : أعباء القتال بالليل ، حُماة السَّرح[1] بالنهار .

قال : أيهم أفضل ؟

قال : ذلك الى أبيهم .

قال : لتقولنّ .

قال : هم كحلقة مضروبة لا يُعرف طرفاها .

قال : أقسمتُ عليك ، هل روّأت[2] في هذا الكلام ؟

قال : ما أطلع الله على غيبه أحداً .

فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع .

---

١ السرح : المال السائم .

٢ روأ في الأمر : نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب .

وفود جرير على عبد الملك بن مروان

لما مدح جرير بن الخَطَفى الحجّاج بن يوسف بشِعْره الذي يقول فيه :

مَن سدَّ مُطَّلَع النِّفاق عليكُم ،
أم مَن يَصُول كصَولة الحجّاج؟

أم من يَغارُ على النّساء حَفيظةً ،
إذ لا يَثِقْـــن بغَيْرة الأزواجِ ؟

وقوله :

دعا الحجاجُ مثلَ دُعاء نُوح ، فأسْمعَ ذا المَعارج ، فاستجابا

قال له الحجاج : إن الطاقة تعجز عن المكافأة ، ولكني مُوفدك على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فسِرْ اليه بكتابي هذا .

فسار اليه ، ثم استأذنه في الانشاد ، فأذن له ، فقال :

أتَصحو بل فؤادُك غيرُ صاحي

قال له عبد الملك : بل فؤادك . فلما انتهى الى قوله :

تَعزّت أمُّ حَزرة ، ثم قالت: رأيت الواردين ذوي امتياحِ [1]

---

[1] الامتياح : المنفعة والعطاء .

ثِقِي بالله ليس له شريكٌ ، ومِن عند الخليفة بالنَّجاح

سأشكرُ إن رَددتَ إليَّ رِيشي ، وأثبتَّ القوادم في جَناحي

ألستم خيرَ مَن ركب المطايا ، وأندى العالمين بُطونَ راح؟

ارتاح عبد الملك وكان مُتكئاً ، فاستوى جالساً ، ثم قال: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكُت ؛ ثم قال له : يا جرير ، أترى أم حَزْرة تُرويها مائة ناقةٍ من نَعَم كَلب ؟

قال : إذا لم تُروِها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله .

فأمر له بمائة ناقة من نَعَم كَلْب كلّها سُود الحدقة ؛ فقال: يا أمير المؤمنين ، إنها أبَاق ونحن مشايخ ، وليس بأحدنا فضل عن راحلته ، فلو أمرتَ بالرِّعاء . فأمر له بثمانية من الرِّعاء .

وكانت بين يدي عبد الملك صِحاف من فِضّة يقرعها بقضيب في يده ؛ فقال له جرير : والمِحْلب يا أمير المؤمنين ، وأشار إلى صَحْفة منها .

فنَبذها اليه بالقضيب وقال : خُذْها لا نفعتك ، ففي ذلك يقول جرير :

أعطَوْا هُنيدة يَحْدوها ثمانيةٌ ، ما في عطائهم مَنٌّ ولا سَرَفُ[1]

---

١ الهنيدة : اسم للمائة من الابل ، او لما فوقها .

وفود جرير عن أهل الحجاز

على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قَدِمَ جرير بن الخَطَفى على عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، عن أهل الحجاز فاستأذنه في الشعر ، فقال: ما لي وللشعر يا جرير ؟ إني لفي شُغل عنه .

قال : يا أمير المؤمنين ، إنها رسالة عن أهل الحجاز .

قال : فهاتها إذاً .

فقال :

كم من ضَريرٍ ، أميرَ المؤمنين ، لدى
أهل الحِجاز ، دَهاه البُؤس والضَّررُ

أصابت السنةُ الشهباءُ ما ملكت
يمينُه ، فَحَناه الجَهْدُ والكِبَرُ

ومن قَطيع الحَشا عاشت مُخَبَّأةً،
ما كانت الشمسُ تَلقاها ولا القمَرُ[1]

لمّا اجتلتْها صُروف الدهرِ كارهةً،
قامت تُنادي بأعلى الصوت يا عُمَرُ

---

[1] قطيع الحشا : أي كأن عجزها منقطع من سائر جسدها لضمور خصرها .

وفود دكين الراجز

على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قال دُكين بن رَجاء الفُقَيمي الراجز: مدحت عُمر بن عبد العزيز، وهو والي المدينة، فأمر لي بخمسَ عشرةِ ناقةً كرائم صِعاباً، فكرهتُ أن أرْمي بها الفِجاج فتنْتَشِرَ عليَّ، ولم تَطِب نفسي ببيعها، فقدِمتْ علينا رُفقةٌ من مُضَر، فسألتهم الصُّحبة، فقالوا: إن خرجتَ الليلة.

فقلت: إني لم أودّع الأمير ولا بدّ من وَداعه.

قالوا: فإن الأمير لا يُحجَب عن طارق ليل.

فاستأذنتُ عليه، فأذِن لي وعنده شيخان لا أعرفهما، فقال لي: يا دُكين، إن لي نفساً توّاقة، فإن أنا صِرْتُ الى أكثر مما أنا فيه فبعَين ما أرينّك.

قلت له: أشهِد لي بذلك أيها الأمير.

قال: إني أشهد الله.

قلت: ومِنْ خَلقه؟

قال : هذين الشيخين .

قلت لأحدهما : من أنت يَرْحمك الله أعرفْك ؟

قال : سالمُ بنُ عبد الله .

فقلتُ : لقد استَسْمنتُ الشاهد ؛ وقلت للآخر : من أنت يرحمك الله ؟

قال: أبو يحيى مولى الأمير، وكان مُزاحمٌ يُكنى أبا يحيى.

قال دُكين : فخرجتُ بهن الى بلدي فرمى الله في أذنابهنّ بالبركة ، حتى اتخذتُ منهن الضياع والرِّباع[1] والغِلمان ، فإني لَبِصَحْراء فَلْج إذا بَريد يَرْكض الى الشام ، فقلت له : هل من مُغرِّبة خبر[2] ؟

قال : مات سليمان بن عبد الملك .

قلت : فمَن القائم بعده ؟

قال : عمرُ بنُ عبد العزيز .

قال : فأنختُ قَلُوصي ، فألقيت عليها أداتي وتوجّهت عنده ، فلقِيتُ جريراً في الطريق جائياً من عنده ، فقلت : من أين أبا حَزْرة ؟

---

١ الرباع : الدور ، الواحد : ربع .
٢ هل من مغربة خبر : اي هل من خبر جديد آت من بلد بعيد ؟

قال : من عند أمير يُعطي الفقراء ويمنع الشعراء .

قلت : فما ترى ، فإني خرجت اليه ؟

قال : عَوِّل عليه في مال ابن السبيل ، كما فعلتُ .

فانطلقت فوجدتُه قاعداً على كرسيٍّ في عَرْصة داره قد أحاط الناس به ، فلم أجد اليه سبيلاً للوصول ، فناديتُ بأعلى صوتي :

يا عُمَرَ الخيراتِ والمَكارمْ، وعُمَرَ الدَّسائـع العَظائمْ[1]

إنّي امرؤٌ من قَطَنِ بن دارم، أطْلُبُ حاجي من أخي مَكارم

إذْ نَنتجي ، واللهُ غيرُ نائم، في ظُلْمة اللَّيل وليلي عاتِم

عندَ أبي يحيى وعنـد سالم

فقام أبو يحيى ، ففرَّج لي[2] وقال : يا أمير المؤمنـين ، إنّ لهذا البدويّ عندي شهادة عليك .

قال : أعرفها ، ادنُ مني يا دُكين ، أنا كما ذكرتُ لك أنَّ لي نفساً توّاقة ، وأن نفسي تاقت الى أشرف منازل الدنيا ، فلما

---

١ الدسائع ، واحدتها دسيعة : الجفنة الكبيرة ، والعطية الجزيلة .

٢ فرج لي : وسع لي المكان .

أدركتُها وجدتُها تتوق الى الآخرة ، والله ما رَزأتُ من أمور الناس شيئاً فأعطيَك منه ، وما عندي إلا ألفا درهم ، أعطيك احدهما .

فأمر لي بألف درهم . فوالله ما رأيت ألفاً كانت أعظمَ بركةً منها .

وفود كثير والاحوص

على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

حَمّاد الراوية قال :

قال لي كثيِّر عَزّة : ألا أخبرك عما دعاني الى ترك الشعر؟

قلت : نعم .

قال: شخصتُ أنا والأحوص ونُصيب الى عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه ، وكلٌ واحد منا يُدِلّ عليه بسابقة وإخاء قديم ، ونحن لا نشك أنه سيَشرَكُنا في خلافته ، فلما رُفِعَت لنا أعلامُ خُناصرة[1] ، لقينا مَسْلمة بن عبد الملك ، وهو يومئذ فتى العربِ ؛ فسلّمنا ، فردّ ، ثم قال : أما بلغكم أنّ إمامكم لا يقبل الشعر ؟

قلنا : ما توَضّح الينا خبَرٌ حتى انتهينا اليك .

ووَجَمْنا[2] وجمْة عرف ذلك فينا ؛ فقال : إن يَكُ ذو

---

١ خناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية .

٢ وجمنا : سكتنا من شدة الغيظ .

دِين بني مَروان قد وَلي وخَشيتم حِرمانه ، فإنّ ذا دُنياها قد بَقي ولكم عندي ما تُحِبُّون ، ومــا ألبث حتى أرجع اليكم وأمنحكم ما أنتم أهله .

فلما قدم كانت رحالنا عنده بأكرم مَنزل وأكرم منزول عليه ؛ فأقمنا عنده أربعةَ أشهر يطلب لنا الاذن هو وغيره فلا يؤذن لنا ، الى أن قلت في جمعة من تلك الجمع : لو أني دنوتُ من عمر فسَمِعت كلامه فحفظته كان ذلك رأياً .

ففعلتُ . فكان مما حفظتُ من كلامه : لكــلّ سَفَر زادٌ لا محالة ، فتزوّدوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة بالتّقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله له من ثوابه أو عقابه ، فترغبوا وترهبوا ، ولا يَطولَنّ عليكم الأمد فتقسوَ قلوبكم وتَنقادوا لعدوّكم ؛ في كلام كثير لا أحفظه .

ثم قال : أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتَخسَرَ صفقتي ، وتَظهر عَيلتي ، وتبدو مَسكنتي ، في يوم لا ينفع فيه إلا الحقُّ والصّدق .

ثم بكى حتى ظننتُ أنه قاضٍ نَحْبه ، وارتجّ المسجدُ وما حوله بالبكاء ، وانصرفتُ الى صاحبيّ فقلت لهما : خُذا في شَرْجٍ[1]

---

١ الشرج : الضرب واللون .

من الشعر غير ما كنّا نقول لعُمرَ وآبائه ، فإن الرجل آخِريّ وليس بِدُنْيَويّ .

الى ان استأذن لنا مَسلمة في يوم جُمعة بعدما أذن للعامة، فلما دخلتُ سلّمتُ ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، طال الثَّواء وقلّتِ الفائدة وتحدّثتْ بجفائك إيّانا وفودُ العرب .

قال : يا كُثيّر « إنما الصَّدقاتُ للفُقَراء والمَساكينَ والعاملِينَ عليها والمؤلّفةِ قلوبُهم وفي الرّقاب والغارمينَ وفي سَبيل الله وابنِ السَّبيل . » أفي واحد من هؤلاء أنت ؟

قلت : بَلى ، ابن سبيل منقَطَع به ؛ وأنا ضاحك .

قال : ألستَ ضَيْفَ أبي سعيد ؟

قلت : بلى .

قال : ما أرى ضيفَ أبي سعيد منقَطَعاً به .

قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في الإنشاد؟ قال: نعم، ولا تقل إلا حقّاً .

فقلت :

وَلِيتَ فلم تشتُم علياً ، ولم تُخِفْ
بَرِيّاً ؛ ولم تَقبـل إشارة مُجرِمِ

وصدّقتَ بالفعل المقالَ مع الذي
أتيتَ ، فأمسى راضياً كلُّ مُسلم

ألا إنما يَكْفي الفتى ، بعد زَيْغه،
من الأوَدِ البادي ، ثِقافُ المُقوِّم[1]

وقد لبِستْ لُبْسَ الهَلوكِ ثيابَها،
تراءى لك الدُّنيا بكَفٍّ ومِعْصم[2]

وتُومِضُ أحياناً بعينٍ مَريضةٍ،
وتَبْسِمُ عن مِثلِ الجُمانِ المنظَّم

فأعرضتَ عنها مُشمئزّاً ، كأنّما
سَقَتْكَ مَدُوفاً من سِمامٍ وعلقم[3]

وقد كنتَ ، من أجبالها ، في مُمنَّعٍ،
ومن بحرها ، في مُزْبدِ الموجِ مُفْعَم

وما زلتَ توّاقاً الى كل غايةٍ،
بلغتَ بها أعلى البِناء المُقوَّم

فلما أتاكَ المُلْكُ عفواً ، ولم يكن
لطالبِ دنيا بعدَه من تكَلُّم

---

١ زيغه : ميله عن الحق . الاود : العوج . الثقاف : آلة تقوم بها الرماح .
٢ الهلوك من النساء : الفاجرة .
٣ المدوف : المخلوط . السمام : السم .

تركتَ الذي يَفنى، وإن كان مُونِقاً،
وآثرْتَ ما يَبقى برأيٍ مُصمِّم

وأضررت بالفاني ، وشمَّرت للذي
أمامك في يوم من الهَوْل مُظلم

وما لك ، إذ كنتَ الخليفة ، مانعٌ
سوى الله من مال رَغيب ، ولا دَم

سَما لك همّ ، في الفؤاد ، مُؤرِّقٌ
بَلغت به أعلى المعالي بسُلَّم

فما بين شَرْق الأرض والغرب كلِّها،
مُنادٍ يُنادي من فَصيحٍ وأعجم

يقول : أميرَ المؤمنين ظلمتَني
بأخذٍ لدينار ، ولا أخذ دِرهم

ولا بَسْطِ كفٍّ لامرىء غير مُجرم،
ولا السفكِ منه ظالماً مِلء مِحْجَم

ولو يستطيع المُسلمون لقسَّموا
لك الشطرَ من أعمارهم ، غيرَ نُدَّم

فأرْبِحْ بها من صَفقةٍ لِمُبايعٍ؛
وأعْظِم بها ، أعظِم بها ، ثم أعظِم

قال : فأقبل عليّ وقال : إنك مَسؤول عما قلت .

ثم تقدّم الأحوص فاستأذنه في الانشاد ، فقال : قـل ولا تقل إلاّ حقاً .

فقال :

وما الشّعر إلا حكمة من مُؤلّف،
بمَنْطِق حقّ ، أو بمَنْطِق باطل

فلا تَقبلَنْ إلا الذي وافَق الرّضا،
ولا تَرْجِعنْ كالنّساء الأرامل

رأيناك لم تَعْدِل عن الحق يَمْنَة،
ولا شأمةً ، فِعلَ الظّلوم المُخاتل[1]

ولكن أخذتَ الحقّ جهدك كلّه،
وتَقفو مثالَ الصالحين الأوائل

فقلنا ، ولم نَكْذِب بما قد بدا لنا،
ومن ذا يرُدُّ الحقّ من قول قائل

ومن ذا يرُدُّ السهمَ ، بعد مضائه
على فُوقه ، إذ عار من نَزْع نابل[2]

---

١ شأمة : يسرة .

٢ عار : ذهب عائراً لا يدري من أين أتى .

ولولا الذي قد عَوَّدتْنا خلائفٌ
غطاريفُ ، كانوا كالليُوث البَواسل

لما وخَدَت شهراً برَحْلي رِشمِلَّة،
تَقُدُّ متون البِيد بين الرَّواحل[1]

ولكن رجَوْنا منك مثل الذي به
حُبِينا، زماناً ، من ذَويك الأوائل[2]

فإن لم يكن للشعر عندك مَوْضِعٌ ،
وإن كان مثلَ الدُّرِّ من نَظْم قائِل

وكان مُصيباً صادقاً لا يَعيبه،
سوى أنه يُبْنى بناء المنازل

فإنَّ لنا قرْبى ومحضَ مودَّة،
وميراثَ آباء مَشَوْا بالمَناصل

فذادوا عدوَّ السِّلم عن عُقْرِ دارهم،
وأرْسَوا عمودَ الدِّين بعد التمايُل

---

١ الشملة : السريعة .

٢ حبينا : اعطينا .

وقَبلكَ ما أعطى المُنَيدة جِلّةً،
على الشّعر كعباً من سَديس وبازِلِ[1]،

رسولُ الاله المُستضاء بنــوره،
عليه سلام بالضّحى والأصائــل

فقال : إنك مسؤول عما قلت .

ثم تقدّم نُصيب فاستأذنه في الانشاد ، فلم يأذن له ، وأمره بالغزو الى دابق[2] ، فخرج اليها وهو محموم . وأمر لي بثلثمائة، وللأحوص بمثلها ، ولنُصيب بمائة وخمسين .

●

---

١ كعباً : هو كعب بن زهير . السديس من الابل : ما دخل في السنة الثامنة. البازل: الذي فطر نابه ، اي انشق ، وذلك في السنة التاسعة .

٢ دابق : قرية قرب حلب .

وفود الشعراء

على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

ابن الكلبيّ :

لما استُخلف عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه ، وفدت اليه الشعراء كما كانت تَفِد الى الخلفاء قبله ، فأقاموا ببابه أياماً لا يأذن لهم بالدخول ، حتى قدم عَون بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود على عمر بن عبد العزيز، وعليه عمامة قد أرخى طرفيْها، وكانت له منه مكانة ، فصاح به جرير :

يأيها الرَّجلُ المُرْخي عمامته!
هذا زمانُك إني قد مضى زمني

أبلغْ خَليفتَنا ، إن كنتَ لاقيَه،
أنّي لدى الباب كالمَصْفود في قَرَن[1]

وَحْش المكانة من أهلي ومن ولدي،
نائي المحلّة عن داري وعن وطني

---

[1] المصفود في قرن : المربوط بحبل .

قال : نَعم أبا حَزرة ونُعمى عين . فلما دخل على عمر ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء ببابك ، وأقوالهم باقية وسِنانهم مَسْنونة .

قال : يا عَون ، ما لي وللشعراء .

قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، قد مُدح وأعطى ، وفيه أسوة لكل مُسلم .

قال : ومن مَدحه ؟

قلتُ : عبّاس بن مرداس ، فكساه حُلة قَطع بها لسانه .

قال : وتروي قوله ؟

قلتُ : نعم :

رأيتُك يا خير البريّة كلّها، نَشرتَ كتاباً جاء بالحق مُعْلَما

ونوّرت بالبُرهان أمراً مُدمّساً، وأطفأت بالبُرهان ناراً مُضرّما[1]

فمَن مُبلغ عنّي النبيّ محمداً، وكلُّ امرىء يُجزى بما قد تكلّما

تعالى عُلوّاً فوق عرش إلهنا، وكان مكانُ الله أعلى وأعظما

قال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟

قلتُ : ابن عمك عمر بن أبي ربيعة .

---

١ المدمس : المظلم .

قال: لا قرّب الله قرابته ولا حيّا وجهه، أليس هو القائل:

ألا ليت أني ، يوم حانت مَنيتي،
شَمِمتُ الذي ما بين عينْيك والفمِ

وليتَ طَهوري كان رِيقَكَ كلّه؛
وليت حَنوطي من مُشاشك والدم

ويا ليت سَلْمى في القُبور ضَجيعتي،
هنالك ، أو في جَنّة ، أو جهنّم

فليته والله تمنى لقاءها في الدنيا ، ويعمل عملاً صالحاً ، والله لا دخل عليّ أبداً ؛ فمن بالباب غير من ذكرت ؟

قلت : جميل بن مَعمَر العُذريّ ؛ قال : هو الذي يقول:

ألا لَيتنا نَحيا جميعاً ، وإن نَمُت
يوافي لدى الموتى ضَريحي ضريحُها

فما أنا في طول الحياة براغب،
إذا قيل قد سُوّي عليها صَفيحُها

أظلُّ نهاري لا أراها ويلتقي،
مع الليل ، رُوحي في المنام ورُوحُها

اعزُب به، فوالله لا دخل عليّ أبداً؛ فمَن غير من ذكرت؟

قلتُ : كثيّر عَزّة .

قال : هو الذي يقول :

رُهبان مَدْيَن ، والذين عَهِدتُهم
يَبكون ، من حَذَرِ العذاب، قُعودا

لو يَسمعون ، كما سَمِعْتُ حديثَها،
خرّوا لعَزّة راكعين سُجودا

اعزُب به ، فمن بالباب غيرُ من ذكرت ؟

قلتُ : الأحوص الأنصاري ؛ قال : أبْعدَه الله ومحقه ، أليس هو القائل ، وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريةً هرب بها منه :

الله بيني وبينَ سيّدها ، يَفِرّ عَنّي بها وأتّبعُ

اعزُب به ، فمن بالباب غيرُ من ذكرت ؟ قلتُ : همّام ابن غالب الفرزدق ؛ قال : أليس هو القائل يفخر بالزنى :

هما دَلّتاني من ثمانين قامةً،
كما انقضّ بازٍ أقتمُ الريش كاسرُه

فلمّا استوت رجلاي في الأرض قالتا:
أحيّ يُرَجّى أم قتيل نُحاذره

وأصبحتُ في القوم الجلوس، وأصبحت
مُغلّقةً ، دوني ، عليها دساكرُه

فقلت ارفعا الأسباب، لا يَشعروا بنا،
وولّيتُ في أعقاب ليلٍ أبادره[1]

اعزب به ، فوالله لا دخل عليّ أبداً ؛ فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : الأخطل التغلبي ؛ قال : أليس هو القائل :

فلستُ بصائمٍ رمضان عُمري، ولستُ بآكلٍ لحمَ الأضاحي
ولستُ بزاجرٍ عَنساً بكوراً، الى بَطحاء مكةَ ، للنّجاح
ولستُ بقائمٍ ، كالعَير يَدعو، قُبيل الصبح، حيّ على الفلاح
ولكنّي سأشربها شَمولاً ، وأسجدُ عند مُنبلج الصّباح

اعزب به ، فوالله لا وَطِىء لي بساطاً أبداً وهو كافر ؛ فمن بالباب غير من ذكرت ؟

قلت : جرير بن الخَطَفى ؛ قال : أليس هو القائل :

لولا مُراقبة العُيون ، أريْنَنا
مُقَلَ المَها وسَوالفَ الآرامِ

هل يَنهينَك أن قتلن مُرقّشاً،
أو ما فعلن بعُروةَ بنِ حِزام؟

---

[1] الاسباب : الحبال .

ذُمَّ المنازلَ بعد مَنزلة اللّوى،
والعيشَ بعد أولئك الأقوام

طرقَتْكَ صائدةُ القلوب ، وليس ذا
حينَ الزّيارة ، فارْجِعي بسَلام

فإن كان ولا بد فهذا .

فأذن له . فخرجتُ اليه ، فقلتَ : ادخل أبا حَزْرة .

فدخل وهو يقول :

إنّ الذي بَعث النّبيّ محمداً، جَعل الخلافة في إمامٍ عادلِ
وَسِعَ الخلائقَ عدلُه ووفاؤه، حتى ارعوى وأقام مَيْل المائل
والله أنزلَ ، في القرْآن، فريضةً لابن السّبيل ، وللفقير العائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً، والنفسُ مُولعة بحبّ العاجل

فلما مَثَل بين يديه ، قال : اتّقِ الله يا جرير ، ولا تقل إلا حقّاً .

فأنشأ يقول :

كَمْ باليمامة من شَعْثاءَ أرْمَلةٍ ،
ومن يَتيمٍ ، ضَعيفِ الصّوتِ والنّظرِ

ممّن يَعُدّك تَكْفي فَقْدَ والده ،
كالفرْخ في العُشّ لم يَنهض ولم يَطِر

يَدْعوكَ دِعوةَ مَلهوفٍ ، كأنَّ به
خَبْلًا من الجنِّ ، أو مَسًّا من البَشَرِ

خليفةَ الله ! مـاذا تأمرنَّ بنـا ؟
لَسْنا اليكم ، ولا في دار مُنتَظَرِ

ما زِلْتُ بعدكَ في همٍّ يُؤرِّقني ؛
قد طال في الحيِّ إصعادي ومُنْحَدَري

لا ينفع الحاضِرُ المَجْهودُ بادِيَنا ،
ولا يعودُ لنـا بادٍ على حَضَرِ

إنّا لنرجو ، إذا ما الغيثُ أخْلَفَنا ،
مِن الخليفة ما نَرْجو من المَطَرِ

نال الخلافةَ ، إذ كانت له قَدَراً ،
كما أتى ربَّه موسى علـى قَدَرِ

هذي الأرامل قد قَضَّيْتَ حاجَتَها ،
فَمَن لحاجةِ هذا الأرمَلِ الذَّكَرِ ؟

فقال : يا جرير ، والله لقد وَليتُ هذا الأمر ، وما أملِكُ إلا ثلثمائة ، فمائة أخذها عبدُ الله ، ومائة أخذتها أمُّ عبد الله ، يا غلام ، أعطه المائة الباقية .

فقال : والله يا أمير المؤمنين إنها لأحبُ مالٍ إليَّ كسبتُه.

ثم خرج ؛ فقالوا له : ما وراءك ؟

قال : ما يَسُوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين يُعطي الفقراء ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراضٍ ؛ ثم أنشأ يقول :

رأيتُ رُقى الشيطان لا تَستَفِزُّه،
وقد كان شيطاني من الجِنِّ راقيا

•

وفود نابغة بني جعدة

على ابن الزبير رحمه الله تعالى

الزبير بن بكار قاضي الحرمين قال: أقحمت السنةُ نابغةَ بني جعدة، فوفد الى ابن الزبير، فدخل عليه في المسجد الحرام، ثم أنشده:

حَكيتَ لنا الصّدّيق ، لمّا وَليتَنا ،
وعثمانَ والفاروقَ ، فارتاح مُعْدِمُ

وسَوّيتَ بين الناسِ في الحقّ ،فاستَووا ،
فعاد صَباحاً حالِكُ اللون مُظلم

أتاكَ أبو لَيلى يجوب به الدُّجى ،
دُجى الليل ، جوّابُ الفلاة عَشَمْشَم[1]

لِتَجْبُرَ منه جانباً ، زعزعت به
صُروف الليالي ، والزمانُ المُصَمّم

فقال له ابن الزبير : هَوّن عليك أبا ليلى ، فالشّعر أدنى وسائلك عندنا ، أما صَفوة أموالنا فلآل الزبير ، وأما

---

١ العشمشم : الجمل الشديد الطويل .

عَفوته[1] فإن بني أسدٍ وتَيماً[2] تَشْغَلها عنك، ولكن لك في مالِ الله سهمان، سهم برؤيتك رسولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، وسَهم بشركتك أهلَ الاسلام في فَيْئِهم .

ثم أخذ بيده ودخل به دار النَّعم فأعطاه قلائص[3] سَبعاً، وجملاً رَحيلاً[4]، وأوقر له الرِّكابَ بُرّاً وتمراً وثياباً .

فجعل النابغة يَستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفاً؛ فقال ابن الزبير : وَيْح أبي ليلى ! لقد بلغ به الجهد .

قال النابغة : أشهد أني سمعتُ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول : ما وُلِّيت قريش فعدلت، واستُرحمت فرحمت، وحدَّثت فصَدقت، ووعدت خيراً فأنجزت، فأنا والنبيّون فُرّاط القاصفين[5] .

قال الزبير بن بكّار : الفارِط : الذي يتقدّم الى الماء يُصلح الرِّشاء والدِّلاء . والقاصِف : الذي يتقدّم لشراء الطعام .

---

١ عفوة المال : خياره وما صفا منه وكثر .
٢ بنو أسد : قبيلة منها الزبير بن العوام، والد عبد الله هذا . تيم : قبيلة منها ابو بكر الصديق، جد ابن الزبير لأمه .
٣ القلائص، واحدتها قلوص : الشابة من الابل .
٤ الرحيل من الابل : القوي على السير .
٥ انا والنبيون فراط القاصفين : هم الذين يزدحمون حتى يقصف بعضهم بعضاً، من القصف الكسر والدفع الشديد لفرط الزحام . يريد أنهم يتقدمون الامم الى الجنة وهم على اثرهم بداراً متدافعين ومزدحمين (النهاية) .

وفود اهل الكوفة

على ابن الزبير رحمه الله تعالى

قال :

لما قتل مُصعبُ بن الزُّبير المختارَ بن أبي عُبيد خرج حاجّاً، فقدم على أخيه عبد الله بن الزُّبير بمكة ، ومعه وُجوه أهل العراق ، فقال له: يا أمير المؤمنين، جئتك بوجوه أهل العراق، لم أدع لهم بها نظيراً ، لتُعْطِيَهم من هذا المال .

قال : جِئتَني بعَبيد أهل العراق لأعطيهم مالَ الله ! والله لا فعلتُ .

فلما دخلوا عليه وأخذوا مجالسَهم، قال لهم: يا أهل الكوفة، ودِدْت والله أنّ لي بكم من أهل الشّام صَرْفَ الدّينار والدّرهم، بل لكل عشرة رجلا .

قال عُبيد الله بن ظَبْيان: أتدْري يا أمير المؤمنين ما مَثلنا ومَثلك فيما ذكرتَ ؟

قال : وما ذلك ؟

قال : فإن مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام ، كما قال أعشى

بكر بن وائل :

عُلِّقتُها عَرَضاً ، وعُلِّقتْ رجلاً
غَيري ، وعُلِّق أخرى غيرَها الرجلُ

أحببناك نحن ، وأحببتَ أنت أهلَ الشام ، وأحبَّ أهلُ الشام عبدَ الملك .

ثم انصرف القوم من عنده خائبين ، فكاتبوا عبدَ الملك بن مروان وغدروا بمُصْعب بن الزبير .

وفود رؤبة على أبي مسلم

الأصمعيّ قال : حدّثنا رؤبة قال :

قدِمتُ على أبي مُسلم صاحبِ الدعوة ، فأنشدته ، فناداني: يا رؤبة ! فنوديت له من كل مكان : يا رؤبة ! فأجبتُ :

لبّيك، إذ دعوتَني، لبّيكا، أحمدُ ربّاً ساقني إليكا

الحمدُ والنّعمة في يدَيْكا

قال : بل في يدي الله ، عزّ وجلّ .

قلت: وأنت لمّا أنعمتَ حُمِدت. ثم استأذنتُ في الانشاد، فأذن لي فأنشدته :

ما زال يأتي المُلكَ من أقطارِه،
وعن يمينه ، وعن يَسارِهِ

مُشمّراً لا يُصطَلى بناره،
حتى أقرّ المُلكَ في قَراره

فقال : إنك أتيتَنا وقد شفّ المالُ واستَنفضه الانفاق ، وقد أمرنا لك بجائزة ، وهي تافهة يسيرة ، ومنك العَود وعلينا

المُعوَّل، والدهرُ أطرقُ مستتبٌ[1]، فلاتجْعل بجنْبيك الأسدّة[2].

قال : فقلت : الذي أفادني الأميرُ من كلامه أحبُّ إليَّ من الذي أفادني من ماله .

---

١ يريد حينا يذل لنا الدهر وينزل على حكمنا .

٢ الاسدة ، واحدها سد : الحاجز بين شيئين ، والمراد لا يضق صدرك .

وفود العتابي على المأمون

الشّيباني قال :

كان كُلثوم العتّابي أيامَ هارون الرشيد في ناحية المأمون، فلما خرج الى خُراسانَ تَتبّعه الى قُومِس[1] حتى وقف على سِنْداد[2] كِسْرى ، فلما حاول وَداعه ، قال له المأمون : لا تَدع زيارتنا إن كان لنا من هذا الأمر شيء .

فلمّا أفضت الخلافةُ الى المأمون ، وفَد اليه العتّابي زائراً، فحُجب عنه ، فتعرض ليحيى بن أكثم، فقال : أيها القاضي، إن رأيت أن تُذكّر بي أمير المؤمنين .

فقال له يحيى : ما أنا بالحاجب .

قال له: قد علمتُ، ولكنّك ذو فضل وذو الفضل مِعْوان.

فدخل على المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أجِرْني من العتّابي ولسانه .

فلم يأذن له وشُغِل عنه .

---

١ قومس : كورة كبيرة في ذيل جبل طبرستان بين الري ونيسابور .
٢ سنداد : نهر فيا بين الحيرة الى الابلة ، وكان عليه قصر تحج العرب اليه .

فلما رأى العتّابي جفاءه قد تمادى ، كتب اليه :

ما على ذا كنّا افترقنا بسندا د ، ولا هكذا رأينا الاخاءَ
لم أكن أحسَبُ الخلافةَ ، يزدا دُ بها ذو الصّفاء إلاّ صفاء
تضرِب الناس بالمثقّفة السُّمْ ر على غدرهم ، وتنسى الوفاء

فلما قرأ أبياته دعا به ؛ فلما دنا منه سلّم بالخلافة ووقف بين يديه ، فقال : يا عتّابي ، بلغتنا وفاتك فغمّتنا ، ثم انتهت الينا وفادتك فسرّتنا .

فقال : يا أمير المؤمنين ، لو قُسّم هذا البرّ على أهل مِنىً وعرفات لوسعهم ، فإنّه لا دين إلا بك ، ولا دنيا إلا معك.

قال : سَلْ حاجتك .

قال : يدُك بالعطيّة أطلقُ من لساني بالمسألة .

فأحسنَ جائزته وانصرف .

وفود أبي عثمان المازني على الواثق

أبو عثمان بكر بن محمد قال :

وفدتُ على الواثق، فلمّا دخلتُ وسلّمت قال: هل خلّيت وراءك أحداً يهمّك أمره ؟

قلت : أخيّة لي ربّيتها فكأنها بنتي .

قال : ليت شعري ! ما قالت حين فارقتها ؟

قلتُ : أنشدتني قولَ الأعشى :

تَقُول ابنتي يومَ جدّ الرحيلُ، أرانا سَواءً ، ومَن قد يَتِمْ
أبانا ، فلا رِمْتَ مِن عندنا ، فإنّا نَخاف بأن تُختَرَم[1]
أرانا ، إذا أضمرتك البِلا د، نُجفى، وتُقطع مِنّا الرّحِم

قال : ليت شعري ! ما قلتَ لها ؟

قال : أنشدتها أمير المؤمنين قولَ جرير :

ثِقي بالله ، ليسَ له شريكٌ ، ومِن عند الخليفة بالنجاحِ

---

[1] رمت : فارقت . تخترم : تهلك .

قال : أتاك النّجاح ؛ وأمر له بعشرة آلاف درهم. ثم قال: حدّثني حديثاً ترويه عن أبي مَهْدِيّة مُسْتَظْرَفاً .

قلت : يا أمير المؤمنين ، حَدّثني الأصمعي قال : قال لي أبو مَهْدِيّة : بلغني أن الأعراب والأعزاب سواء في الهجاء ؛ قلت : نعم؛ قال : فاقرأ : « الأعْزابُ أشَدُّ كُفْراً ونِفاقاً» ولا تقرأ الأعراب ، ولا يغرنّك العَزَب وإن صام وصلى .

فضحك الواثق حتى شَغَر برجله[1]، وقال: لقد لقي أبو مَهدية من العُزْبة شراً ؛ وأمر له بخمسمائة دينار .

[1] شغر برجله : رفعها وضرب بها الأرض .

وفود سودة بنت عمارة على معاوية

عامر الشعبي قال :

وفدت سَودة بنت عُمارة بن الأشتر الهَمْدانية على معاوية بن أبي سفيان ، فاستأذنت عليه ، فأذِن لها ؛ فلما دخلت عليه سلّمت ؛ فقال لها : كيف أنت يابنةَ الأشتر ؟

قالت : بخَير يا أمير المؤمنين .

قال لها : أنت القائلة لأخيك :

شَمِّر ، كفِعْل أبيك يابنَ عُمارةٍ ،
يومَ الطِّعان ، ومُلْتقى الأقرانِ

وانصُر علياً والحُسين ورَهْطَه ،
واقصِد لهِنْدٍ وابنها بهَوان

إنّ الإمام أخو النبيّ محمدٍ ،
عَلَمِ الهُدى ومَنارةِ الإيمان

فَقُدِ الجيوشَ ، وسِرْ أمام لوائه ،
قُدْماً ، بأبيضَ صارمٍ وسِنان

قالت: يا أمير المؤمنين ، مات الرأسُ وبُتِر الذنَب، فدَع عنك تَذكار ما قد نُسي .

قال : هيهات ؛ ليس مثل مقام أخيكِ يُنسى .

قالت : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ما كان أخي خَفِيَّ المقام ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

وإن صخراً لتأتمُّ الهُداة به ، كأنه عَلَم في رأسِه نارُ

وبالله أسأل أميرَ المؤمنين إعفائي مما استعفيتُه .

قال : قد فعلتُ ، فقولي حاجتك .

قالت : يا أمير المؤمنين ، إنّك للناس سيّد ، ولأمورهم مُقلَّد ، واللهُ سائلك عما افترض عليك من حقّنا ، ولا تزال تقدّم علينا من يَنهض بعزّك ، ويَبْسط سلطانك ، فيَحصدنا حِصاد السُّنبل ، ويَدوسنا دِياس البَقر ، ويَسومنا الخسيسة ، ويسألنا الجليلة ، هذا ابن أرطاة[1] قدِم بلادي ، وقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومَنَعة ، فإمّا عَزلته عنا فشكرناك ، وإمّا لا فعرَفناك .

فقال معاوية : إيّاي تُهدّدين بقومك ! والله لقد هَممت أن

---

١ هو بسر بن أرطاة .

أرُدّك اليه على قَتَب أشْرَس[١] ، فيُنفّذ حُكمه فيك .

فسكتت ثم قالت :

صَلّى الاِله على رُوح تَضمّنه
قَبرٌ ، فأصبح فيه العَدْلُ مَدفونا

قد حالفَ الحقّ ، لا يَبغي به ثَمناً ،
فصار بالحق والاِيمان مَقرونا

قال : ومن ذلك ؟

قالت : عليّ بن أبي طالب ، رحمه الله تعالى .

قال : ما أرى عليك منه أثراً .

قالت : بلى ، أتيته يوماً في رَجل ولاه صَدقاتِنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغَثّ والسَّمين ، فوجدته قائماً يُصلّي ، فانفتَل من الصلاة ، ثم قال برأفة وتعطّف : ألكِ حاجة ؟

فأخبرته خبرَ الرجل ، فبكى ثم رفع يَديه الى السماء ، فقال : اللهم إني لم آمرهم بظُلم خَلْقك ، ولا تَرْك حقّك .

ثم أخرج من جيبه قطعةً من جِراب ، فكتب فيها : بسم

---

١ القتب: الاكاف الصغير على قدر سنام البعير. أشرس: اي بعير أشرس ، وهو الخشن الغليظ .

الله الرحمن الرحيم. قد جاءتكم بَيِّنة من ربكم، فأوفوا الكَيْل والميزان بالقِسط ولا تبخَسوا الناس أشياءهم ، ولا تَعْثَوا[1] في الأرض مُفسدين ، بقيّةُ الله خير لكم إن كُنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحَفيظ . إذا أتاكَ كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك ، حتى يأتي من يَقْبضه منك ، والسلام .

فأخذتُه منه يا أميرَ المؤمنين ما خَزَمه بخزام[2] ولا ختمه بختام .

فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها .

فقالت : ألي خاصّةً ، أم لقومي عامة ؟

قال : ومَا أنت وغيرك ؟

قالت : هي والله إذاً الفحشاءُ واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً ، وإلا يَسعني ما يسع قومي .

قال: هيهات ، لمَّظكم[3] ابنُ أبي طالب الجرأة على السلطان، فبَطِيئاً ما تُفطمون ، وغرّكم قوله :

فلو كنتُ بواباً على باب جنّة، لقلتُ لِهمدان: ادخلوا بسلامِ

---

١ تعثوا : تبالغوا في الفساد .
٢ خزمه بخزام : شده بحلقة .
٣ التلمظ : التذوق ، وتتبع بقية الطعام في الفم باللسان .

وقوله :

نادیتُ هَمدان ، والأبوابُ مُغلقة ،
ومثلُ هَمدان سَنّى فتحةَ البابِ[1]

كالهندوانيّ لم تُفلَل مَضارِبُه ،
وَجْهٌ جَميل ، وقلبٌ غيرُ وجّاب

اكتبوا لها بحاجتها .

•

---

١ سنّى : سهّل .

وفود بكارة الهلالية على معاوية

محمد بن عبد الله الخُزاعيّ عن الشّعبيّ قال :

استأذنتْ بَكّارة الهِلاليّة على معاوية بن أبي سفيان، فأذِن لها ، وهو يومئذ بالمدينة ، فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسَنّت وعَشي بصرُها ، وضَعُفت قُوّتها، تَرْعَش بين خادمين لها ، فسلّمت وجلست ، فرد عليها معاوية السلام ، وقال : كيف أنت يا خالة ؟

قالت : بخير يا أمير المؤمنين .

قال : غيّرك الدهر .

قالت : كذلك هو ذو غِيَر ، من عاش كَبِر ، ومن مات قُبِر .

قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

يا زيدُ ، دونك فاستَثِر من دارنا
سَيْفاً حُساماً ، في التّراب ، دَفينا[1]

قد كنتُ أذْخَره ليوم كَريهةٍ ،
فاليومَ أبْرَزَه الزمان مَصونا

---

[1] استثر : صيره يثور ، والمراد انبشه واشهره .

قال مروان : وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أترى ابنَ هِنْد للخلافة مالكاً؟
هيهاتَ ، ذاك ، وإن أراد ، بعيدُ
مَنّتك نفسُك ، في الخلاء ، ضلالةً ،
أغراك عَمْرو ، للشقا ، وسَعيد

قال سعيد بن العاصي : هي والله القائلة :

قد كنتُ أطمع أن أموت ، ولا أرى
فوق المنابر ، من أميّة ، خاطبا
فالله أخّر مُدّتي ، فتطاولت ،
حتى رأيتُ من الزمان عجائبا
في كلّ يوم للزمان خطيبُهم ،
بين الجميع ، لآل أحمد ، عائبا

ثم سكتوا . فقالت : يا معاوية ، كلامُك أعشى بصري وقَصّر حُجّتي ، أنا والله قائلة ما قالوا ، وما خَفِي عليك منّي أكثر .

فضحك وقال : ليس يمنعنا ذلك من برّك ، اذكري حاجتك .

قالت : الآن فلا .

وفود الزرقاء على معاوية

عُبيد الله بن عمرو الغسّاني عن الشّعبي قال: حدّثني جماعة من بني أمية ممن كان يَسْمُر مع معاوية قالوا :

بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسَعيد وعُتبة والوليد، إذ ذكروا الزرقاء بنت عَدي بن قيس الهَمْدانية، وكانت شَهِدت مع قومها صِفّين ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟

قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين .

قال : فأشيروا عليّ في أمرها .

فقال بعضُهم : نُشير عليك بقتلها .

قال : بئس الرأي أشرتم به عليّ، أيحسُن بمثلي أن يُتحدّث عنه أنه قتل امرأة بعدما ظَفِر بها !

فكتب الى عامله بالكوفة أن يُوفدها اليه مع ثِقةٍ من ذوي محارمها ، وعدّة من فُرسان قومها، وأن يُمهّد لها وطاء ليّناً، ويَسترها بستر خصيف[1] ، ويوسّع لها في النفقة .

---

[1] الخصيف : الغليظ .

. فأرسل اليها فأقرأها الكتاب؛ فقالت: إن كان أمير المؤمنين جَعل الخيار إليّ فإني لا آتيه ، وإن كان حَتّم فالطاعة أولى .

فحَملها وأحسن جهازها على ما أمر به . فلمّا دخلت على معاوية؛ قال : مَرحباً وأهلاً، قدمْتِ خيرَ مَقدم قَدِمه وافد، كيف حالُكِ ؟

قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، أدام الله لك النّعمة .

قال : كيف كنت في مسيرك ؟

قالت : ربيبةَ بيت أو طِفلاً ممهداً .

قال : بذلك أمرناهم ، أتدرين فيمَ بعثتُ اليك ؟

قالت : أنّى لي بعلم ما لم أعلم ؟

قال: ألستِ الراكبة الجمل الأحمر، والواقفة بين الصّفّين يوم صِفّين تحضّين على القتال ، وتوقدين الحرب ، فما حملك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرّأس وبتر الذنب ، ولم يَعُد ما ذهب ، والدّهر ذو غِيَر، ومن تفكّر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر .

قال لها معاوية : أتحفظين كلامك يوم صِفّين ؟

قالت : لا والله لا أحفظه ولقد أنسيته .

قال : لكني أحفظه ، لله أبوك حين تقولين : أيها الناس ، ارعَوُوا وارجعوا، إنكم قد أصبحتم في فِتنة غشّتكم جلابيب الظُلَم ، وجارت بكم عن قَصْد المحجّة ، فيا لها فتنةً عمياء ، صماء بكماء ؛ لا تَسمع لناعقها ، ولا تَنساق لقائدها . إن المِصْباح لا يُضيء في الشمس ، ولا تُنير الكواكب مع القمر ، ولا يَقطع الحديدَ الا الحديد . ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه .

أيها الناس ، إن الحق كان يطلب ضالّته فأصابها ، فصبراً يا معشر المُهاجرين والأنصار على الغُصص ، فكأن قد اندمل شَعب الشّتات ، والتأمت كلمة العدل ، ودمغ الحقُّ باطلَه ، فلا يجهلن أحد ، فيقول : كيف العدل وأنّى ، لِيَقْضِ الله أمراً كان مفعولاً . ألا وإن خِضاب النساء الحِنّاء ، وخِضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده .

والصبر خير في الأمور عواقبا

إيهاً ، في الحرب قُدُماً غيرَ ناكصين ولا مُتشاكسين .

ثم قال لها : والله يا زرْقاء ، لقد شَرِكت علياً في كل دم سفكه .

قالت : أحسنَ الله بشارتك ، وأدام سلامتَك ، فمِثلُك بَشّر بخير وسَرّ جليسه .

قال : أو يَسُرّكِ ذلك ؟

قالت : نعم والله، لقد سُررت بالخبر فأنّى لي بتصديق الفعل.

فضحك معاوية وقال : والله لَوَفاؤكم له بعد موته أعجبُ من حُبكم له في حياته ، اذكري حاجتَك .

قالت : يا أمير المؤمنين ، آليتُ على نفسي أن لا أسألَ أميراً أعنتُ عليه أبداً ، ومِثْلُك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طِلْبة .

قال : صدقتِ ، وأمر لها وللذين جاؤوا معها بجوائز و كُسى.

وفود أم سنان بنت خيثمة

على معاوية رحمه الله

سعيد بن أبي حُذافة قال :

حبَس مروان بن الحكَم وهو والي المدينة غُلاماً من بني ليث في جِناية جَناها، فأتَته جَدّة الغلام، وهي أم سِنان بنت خيثمة بن خَرَشة المذْحجيّة، فكلّمته في الغلام، فأغلظ مروان، فخرجت الى معاوية، فدخلت عليه فانتسبتْ، فعرفها؛ فقال لها : مَرحباً يابنة خيثمة، ما أقدمك أرضَنا ؟ وقد عَهِدْتُك تَشْتُمينا وتحضّين علينا عدوّنا .

قالت: إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة، وأحلاماً وافرة؛ لا يجهلون بعد عِلم، ولا يَسفهون بعد حِلم، ولا يَنْتقمون بعد عفو، وإن أولى الناس باتباع ما سَنّ آباؤه لأنت .

قال : صدقتِ، نحن كذلك، فكيف قولك :

عَزَب الرُّقاد، فمقْلتي لا تَرْقدُ،
والليلُ يُصْدِر بالهموم، ويُورِدُ

يا آل مَذْحِجَ ، لا مُقام ، فشمّروا ،
إنّ العدوّ ، لآل أحمدَ ، يَقْصِدِ

هـذا عليّ ، كالهلال ، تَحُفُّهُ ،
وسطَ السماء من الكواكب ، أسْعُدُ

خَيرُ الخلائق ، وابنُ عمّ محمد ،
إن يَهْدِكم بالنّور منه تَهْتَدوا

ما زال مُذ شَهِد الحروب مُظَفَّراً ،
والنصرُ فوق لِوائه مـا يُفْقَد

قالت : كان ذلك يا أميرَ المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خَلَفاً بعده .

فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ، وهي القائلة :

إمّا هلكتَ أبا الحُسَين ، فلم تَزَل
بالحقّ تُعرَف هاديـاً مَهْدِيّا

فاذهبْ عليك صلاةُ ربّك ما دعتْ ،
فوق الغصون ، حَمامــةٌ قمريّا

قد كنتَ ، بعد محمد ، خَلَفاً ، كما
أوصى اليك بنا ، فكُنْتَ وفيّا

فاليومَ لا خَلَفٌ يُؤَمَّل بعده؛
هيهات نأمُل بعده إنسيّا

قالت : يا أمير المؤمنين ، لسان نَطَق ، وقول صَدق ، ولئن تحقّق فيك ما ظننّا فحظّك الأوفر ؛ والله ما ورّثك الشنآنَ في قلوب المسلمين إلا هؤلاء، فأدْحِض مقالتهم، وأبعِد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلكَ تزْدَد من الله قُرباً ، ومن المؤمنين حبّاً .

قال : وإنك لتقولين ذلك ؟

قالت : سبحان الله ! والله ما مِثلك مُدح بباطل ، ولا اعتُذر اليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا ، وضمير قلوبنا؛ كان والله عليّ أحبّ الينا منك ، وأنت أحبُّ الينا من غيرك .

قال : ممن ؟

قالت : من مروان بن الحكم وسعيد بن العاصي .

قال : وبِمَ استحققتُ ذلك عندكِ ؟

قالت : بسَعة حِلمك وكريم عفوك .

قال : فإنهما يَطمعان في ذلك .

قالت : هما والله من الرأي على ما كنتَ عليه لعثمان بن

عفان ، رحمه الله[1] .

قال : والله لقد قاربتِ ، فما حاجتكِ ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، إنّ مروان تبنّك[2] بالمدينة تبنّكَ من لا يُريد منها البَراح ، لا يحكم بعَدل ، ولا يَقضي بسُنّة ، يَتتبّع عثراتِ المسلمين ، ويكشف عَورات المُؤمنين ، حَبَسَ ابن ابني فأتيته ، فقال كَيْتَ وكَيْتَ ، فألقمتُه أخشن من الحجر ، وألعقته أمرّ من الصّاب ، ثم رجعتُ الى نفسي باللائمة ، وقلت : لِمَ لا أصرف ذلك الى مَن هو أولى بالعفو منه؟ فأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظراً ، وعليه مُعْدياً[3] .

قال : صدقتِ ، لا أسألك عن ذنبه ، ولا عن القيام بحُجّته ، اكتبوا لها بإطلاقه .

قالت : يا أمير المؤمنين ، وأنّى لي بالرّجعة ، وقد نفِد زادي وكلّت راحلتي ؟

فأمر لها براحلة مُوطّأة وخمسة آلاف درهم .

---

١ تشير الى طمعهما بالخلافة بعد معاوية .
٢ تبنك : أقام .
٣ معدياً : معيناً وناصراً .

وفود عكرشة بنت الاطرش

على معاوية رحمه الله تعالى

أبو بكر الهُذليّ عن عِكرمة قال :

دخلت عِكرشة بنت الأطرش بن رَواحة على معاوية متوكئة على عُكّاز لها ، فسلّمت عليه بالخلافة ، ثم جلست ؛ فقال لها معاوية: الآنَ يا عِكرشةُ صِرْتُ عندك أمير المؤمنين؟

قالت : نعم ، إذ لا عليّ حيّ .

قال : ألستِ المتقلّدة حمائلَ السّيف بصِفّين ، وأنت واقفة بين الصفّين تقولين: أيها الناس، عليكم أنفسكم لا يَضُرُّكم من ضَلّ إذا اهتديتم ، إن الجنّة لا يَرحل عنها من قطنها ، ولا يَهْرَم من سَكنها ، ولا يموت من دَخلها ، فابتاعوها بدار لا يَدوم نعيمها ، ولا تَنصرم هُمومها ، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ، مُستظهرين بالصبر على طلب حقّهم .

إن معاوية دلف[1] اليكم بعُجم العرب غُلف القلوب ، لا

---

[1] دلف : مشى .

يَفقهون الايمان ولا يَدرون ما الحِكمة، دعاهم بالدُّنيا فأجابوه، واستدعاهم الى الباطل فَلبّوه ، فاللهَ اللهَ عبادَ الله في دين الله، وإيّاكم والتواكلَ ، فإن ذلك يَنقُض عُرى الاسلام، ويُطفىء نورَ الحق .

هذه بَدْر الصُّغرى ، والعَقَبة الأخرى ؛ يا معشرَ المهاجرين والأنصار ، امضُوا على بَصيرتكم ، واصبروا على عَزيمتكم ، فكأني بكم غداً، وقد لقيتم أهلَ الشام ، كالحُمُر الناهقة تَصْقَع[1] صَقع البقر وتَرُوث روث العِتاق[2] .

فكأني أراكِ على عَصاكِ هذه وقد انكفأ عليك العسْكران، يقولون : هذه عِكرشة بنت الأطرش بن رواحة ، فإن كِدت لتقتلين أهل الشام لولا قدَر الله ، وكان أمر الله قدَراً مقدوراً، فما حمَلك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى : «يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَسألُوا عَن أشياءَ إنْ تُبْدَ لكُم تَسُؤكم . » وإن اللَّبيب إذا كره أمراً لا يُحب إعادته .

قال : صدقت ، فاذكري حاجتَك .

---

١ تصقع : تضرط .
٢ العتاق: الجمال .

قالت : إنه كانت صَدقاتُنا تُؤخذ من أغنيائنا فتُرَدُّ على فُقرائنا ، وإنّا قد فقَدنا ذلك ، فما يُجبر لنا كَسير ، ولا يُنعَش لنا فقير، فإن كان ذلك عن رَأيك، فمِثلك من انتبه عن الغفلة ، وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك ، فما مِثلك من استعان بالخوَنة ، ولا استَعمل الظَّلَمة .

قال معاوية : يا هذه ، إنه يَنوبنا من أمورِ رعيّتنا أمورٌ تَنبثق ، وبحور تَنفهِق[1] .

قالت : يا سُبحان الله ! واللهِ ما فرضَ الله لنا حقّاً فجعل فيه ضرراً على غيرنا وهو علاّم الغيوب .

قال معاوية: هيهات يا أهل العراق، نبّهكم علي بن أبي طالب فلن تُطاقوا .

ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافها .

---

١ تنفهق : تنصب .

قصة دارمية الحجونية

مع معاوية رحمه الله تعالى

سهل بن أبي سهل التميميّ عن أبيه قال :

حجّ معاوية ، فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحَجُون[1]، يقال لها دارِميّة الحجُونيّة، وكانت سوداء كثيرةَ اللحم، فأخبِر بسلامتها، فبَعث اليها فجيء بها، فقال: ما حالك يابنة حام ؟

فقالت : لستُ لحام إن عِبْتني ، أنا امرأة من بني كنانة .

قال : صدقت ، أتدرين لِمَ بعثتُ اليك ؟

قالت : لا يعلم الغيبَ الا الله .

قال : بعثت اليك لأسألك علامَ أحببتِ عليّاً وأبغضتِني ، وواليته وعاديتني ؟

قالت : أوَتُعفيني يا أمير المؤمنين ؟

قال : لا أعفيك .

---

[1] الحجون : جبل بمعلاة مكة .

قالت : أمّا إذا أبَيتَ ، فإني أحببتُ عليّاً على عَدله في الرّعيّة ، وقَسْمه بالسويّة ، وأبغضتُك على قِتالك من هو أولى منك بالأمر ، وطَلبتك ما ليس لك بحقّ ؛ وواليتُ عليّاً على ما عقد له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الوِلاء ، وحُبّه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين؛ وعاديتُك على سَفكك الدّماء ، وجورك في القضاء ، وحُكْمك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بَطنُكِ ، وعَظُم ثَدْياك ، ورَبَتْ عَجيزتك .

قالت: يا هذا، بهِند[1] والله كان يُضرب المثل في ذلك لا بي.

قال معاوية : يا هذه ، اربَعي[2] فإنا لم نقل إلا خيراً ، إنه إذا انتفخ بَطن المرأة تمّ خَلق ولدها، وإذا عَظُم ثَدْياها تروّى[3] رضيعُها ، وإذا عَظُمت عَجيزتها رَزُن مجلسها .

فرجعت وسكنت . قال لها : يا هذه ، هل رأيتِ عليّاً ؟

قالت : إي والله .

قال : فكيف رأيتِه ؟

---

١ هي هند بنت عتبة ، ام معاوية .

٢ اربعي : قفي وانتظري .

٣ تروى : ارتوى .

قالت : رأيته والله لم يَفْتِنه المُلك الذي فَتَنَك ، ولم تَشْغَله النِّعمة التي شَغَلتك .

قال : فهل سمعتِ كلامه ؟

قالت : نعم والله ، فكان يجلو القلبَ من العمى ، كما يجلو الزيتُ صدأ الطَّسْت .

قال : صدقتِ ، فهل لك من حاجة ؟

قالت : أوَتفعل إذا سألتُكَ ؟

قال : نعم .

قالت : تُعطيني مائة ناقة حَمراء فيها فَحْلها وراعيها .

قال : تَصنعين بها ماذا ؟

قالت : أغذو بألبانها الصِّغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأكتَسِب بها المكارم ، وأصْلح بها بين العشائر .

قال : فإن أعطيتك ذلك ، فهل أحُلّ عندك محل علي بن أبي طالب ؟

قالت : ماء ولا كصَدّاء ، ومرعى ولا كالسَّعدان ، وفتى ولا كمالك[1] ، يا سبحان الله ، أوَدونه[2] ؟

---

١ صداء : عين لم يكن عندهم ماء اعذب من مائها . السعدان : نبت ذو شوك ، وهو من افضل مراعي الابل ، ولا تحسن على نبت حسنها عليه . مالك : هو ابن نويرة . وقد قال اخوه متمم هذا فيه لما قتل في الردة . وهذه امثلة ثلاثة تضرب للشيء يفضل على اشباهه .

٢ اي احر بك ان تطلب دون محله .

فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعُـدْ بالحِلْم منّي عليكمُ،
فمن ذا الذي بَعْدي يُؤَمَّلُ للحِلْمِ ؟

خُذيها هَنيئاً ، واذكري فعلَ ماجدٍ،
جَزاكِ ، على حَرْب العداوة ، بالسِّلْم

ثم قال : أما والله لو كان عليّ حيّاً ما أعطاكِ منها شيئاً .

قالت : لا والله ، ولا وبرة واحدة من مال المسلمين .

وفود ام الخير بنت الحريش

على معاوية

عُبيد الله بن عُمر الغسّاني عن الشعبي قال :

كتب مُعاوية الى واليه بالكوفة أن يَحمل اليه أمَّ الخير بنت الحُريش بن سُراقة البارقي برَحلها ، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه بالخير خيراً وبالشرّ شراً .

فلما ورد عليه كتابه رَكِب اليها فأقرأها كتابه ؛ فقالت: أمّا أنا فغير زائغة عن طاعة ، ولا مُعتلّة بكذب ، ولقد كنتُ أحب لقاء أميرِ المؤمنين لأمور تَختلج في صدري .

فلما شيّعها وأراد مُفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إليّ أنه مجازيني بالخير خيراً وبالشرّ شراً ، فما لي عندك ؟

قالت : يا هذا ، لا يُطمِعنّك برُّك بي أن أسرّك بباطل، ولا تؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غيرَ الحق .

فسارت خيرَ مَسير حتى قدِمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرَم ، ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ؛

فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته .

فقال لها : وعليكِ السلامُ يا أمَّ الخير ، بحقٍّ ما دعوتني بهذا الاسم ؟

قالت : يا أمير المؤمنين، مَه ، فإن بديهة السلطان مَدْحضة لما يجب عِلمه ، ولكلٍّ أجل كتاب .

قال : صدقتِ ، فكيف حالُك يا خالة ؟ وكيف كُنتِ في مَسيرك ؟

قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خَير وعافية حتى صرتُ إليك ، فأنا في مجلس أنيق ، عند مَلِك رَفيق .

قال معاوية : بحُسن نيتي ظفِرت بكم .

قالت : يا أمير المؤمنين ، يُعيذك الله من دَحْض المقال وما تُرْدي عاقبتُه .

قال : ليس هذا أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قُتل عمّار بن ياسر ؟

قالت : لم أكن زوّرته[1] قبل ، ولا رَوَّيته بعد ، وإنما كانت كلماتٌ نفثها لساني عند الصّدمة ، فإن أحببتَ أن أُحدث لك مقالاً غيرَ ذلك فعلت .

---

١ زورته : حسّنته.

قال : لا أشاء ذلك .

فالتفت معاوية الى جلسائه ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟

فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين .

قال : هات .

قال: كأني بها وعليها بُرد زَبيديّ كثيف النسيج، وهي على جمل أرمك[١] ، وقد أحيط حولها ، وبيدها سوط مُنتشر الضفيرة ، وهي كالفحل يَهدر في شقشقته[٢] ، تقول :

يا أيها الناس، اتقوا ربكم، إنّ زلزلة الساعة شيءٌ عظيم ، إن الله قد أوضح لكم الحق ، وأبان الدّليل ، وبيّن السبيل، ورفع العَلم، ولم يَدعكم في عَمياء مُبهمة ، ولا سوداء مُدلهمّة ، فأين تريدون رحمكم الله ، أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزّحف ، أم رَغبة عن الاسلام ، أم ارتداداً عن الحق ؟ أما سَمعتم الله ، جل ثناؤه ، يقول : « ولَنَبلونّكم حتى نَعلَمَ المُجاهِدينَ مِنكم والصّابرينَ ونَبلُوَ أخبارَكم . »

ثم رفعت رأسها الى السماء ، وهي تقول : اللهم قد عيل الصبر ، وضَعُف اليَقين ، وانتشرت الرّغبة ، وبيدك يا رب

---

١ ارمك : رمادي اللون .

٢ الشقشقة : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج .

أزمّة القلوب ، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى ، وألّف القلوبَ على الهدى ، واردُد الحقّ الى أهلِه ، هَلمُّوا رَحمكم الله الى الإمام العادل ، والرّضيّ النقي ، والصّديق الأكبر ، إنها إحَنٌ بَدْرية[1]، وأحقادٌ جاهليّة ، وضغانٌ أُحُدية[2] ، وثَبَ بها واثبٌ حين الغفلة ، ليُدرك ثارات بني عبد شمس .

ثم قالت: قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلّهم يَنتهون.

صبراً يا معشر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربّكم ، وثبات من دينكم ، فكأني بكم غداً ، وقد لقيتم أهلَ الشام ، كحُمُرٍ مُستنفرة، فرّت من قَسْورة[3]، لا تدري أين يُسلَكُ بها من فِجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى ، وعما قليل ليُصبِحُنّ نادمين ، حين تَحلّ بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ولاتَ حين مَناص ، إنه من ضلّ والله عن الحق وقع في الباطل .

ألا إنّ أولياء الله استصغروا عُمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسَعَوا لها ، فالله الله أيها الناس ، قبلَ أن تَبْطل الحقوق ، وتُعطّل الحدود ، ويظهَر الظالمون، وتَقوى

---

١ احن ، واحدتها احنة : الحقد . بدرية : نسبة الى غزوة بدر .
٢ احدية : نسبة الى يوم احد .
٣ القسورة : الاسد .

كلمة الشيطان، فإلى أين تريدون رَحِمكم الله؟ عن ابن عمّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وصِهْره وأبي سِبْطَيْه[1]؟ خُلِق من طينته ، وتفرّع من نَبعته، وخصّه بسرّه، وجعله بابَ مدينته، وأبان ببُغضه المنافقين ، وها هو ذا مُفلّق الهام ، ومُكسّر الأصنام .

صلى والناس مُشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يَزل في ذلك حتى قتل مُبارزي بدر، وأفنى أهلَ أُحُد، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرّق به جَمْع هوازن، فيا لها من وقائع زرعت في قلوب نفاقاً ، ورِدّةً وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً .

قد اجتهدتُ في القول، وبالغتُ في النصيحة، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير، ما أردتِ بهذا الكلام إلا قتلي، ولو قتلتُك ما حرجتُ في ذلك .

قالت: والله ما يسوءني أن يجري قتلي على يَدَي من يُسعدني الله بشقائه .

قال : هيهات يا كثيرة الفضول ، ما تقولين في عثمان بن عفان ، رحمه الله ؟

---

١ السبط : ابن البنت .

قالت : وما عَسيت أن أقول في عثمان ، استخلفه الناسُ وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون .

قال معاوية : يا أم الخير ، هذا أصلك الذي تَبْنين عليه ؟

قالت : لكن الله يَشْهد وكفى بالله شهيداً ، ما أردتُ بعثمان نقْصاً ، ولكن كان سابقاً الى الخير ، وإنه لَرفيع الدرجة غداً .

قال : فما تقولين في طلحة بن عُبيد الله ؟

قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ، اغتيل من مأمنه ، وأُتي من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الجنة .

قال : فما تقولين في الزُّبير ؟

قالت : وما أقول في ابن عَمة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وحواريّه ، وقد شهد له رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالجنّة ، ولقد كان سبّاقاً الى كل مَكرُمة في الاسلام، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية — فإن قريشاً تَحدَّثت أنك أحلَمُها — أن تسعني بفضل حلمك ، وأن تُعفيني من هذه المسائل، وتسألني عما شِئت من غيرها .

قال : نعم ونِعْمة عين ، قد أعفيتُك منها؛ ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردَّها مُكرَّمة .

وفود أروى بنت عبد المطلب

على معاوية رحمه الله

العبّاس بن بكار قال : حدثني عبد الله بن سليمان المدني وأبو بكر الهُذلي :

أن أروَى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية، وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها معاوية قال : مَرحباً بك وأهلاً يا عمة ، فكيف كنت بعدنا ؟

فقالت : يابن أخي ، لقد كَفَرتَ يدَ النعمة، وأسأتَ لابن عمك الصحبة ، وتسمَّيت بغير اسمك ، وأخذت غير حقّك ، من غير بَلاء كان منك ، ولا من آبائك، ولا سابقة في الاسلام، بعد أن كفرتم برسولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأتعَس الله منكم الجُدود، وأضرَع[1] منكم الخدود، وردّ الحق الى أهله، ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبيّنا ، صلى الله عليه وسلم ، هو المنصور ، فوُلّيتم علينا من بعده ، تحتجون بقَرابتكم من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ونحن أقربُ

---

١ اضرع : اذل .

اليه منكم، وأولى بهذا الأمر، فكُنّا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون، وكان علي بن أبي طالب، رحمه الله، بعد نبيّنا، صلى الله عليه وسلم، بمنزلة هارون من موسى، فغايتُنا الجنّة وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضالّة، وأقصِري من قولك مع ذهاب عَقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك!

فقالت له: وأنت يابن النابغة، تَتكلم وأمك كانت أشهر امرأة تغنّي بمكة وآخذهن لأجرة؛ فقال مروان: كفى أيتها العجوز، واقصدي لما جِئت له.

فقالت: وأنت أيضاً يابن الزرقاء تتكلم! ثم التفتت الى معاوية، فقالت: والله ما جَرّأ عليّ هؤلاء غيرك، فإن أمّك القائلة في قتل حمزة:

نحن جَزَيْناكم بيوم بَدْرِ،
والحربُ بعد الحرْب ذاتُ سُعْرِ[1]

ما كان لي عن عُتبةٍ من صَبْرِ،
وشُكْرُ وَحْشيٍّ عليّ دَهْري[2]

حتى تَرِمّ أعظُمي في قَبْري[3]

---

١ السعر: الحر الشديد.

٢ وحشي: هو قاتل حمزة عم النبي.

٣ ترم: تبلى.

فأجابتها بنت عمّي[1] ، وهي تقول :

خُزيتِ في بَدْرٍ وبعد بَدْرِ، يابنةَ جبّار عظيم الكُفْرِ

فقال معاوية : عفا الله عمّا سلف، يا عمّة، هات حاجتك .

قالت : ما لي اليك حاجة ؛ وخرجت عنه .

---

١ ابنة عمها : هي هند بنت اثاثة بن عبد المطلب .

وفود العرب

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة
٢ تحت ظلال القنا
٣ الأيدي السخيّة
٤ وفود العرب
٥ مخاطبة الملوك
٦ أبناء النور ١
٧ أبناء النور ٢
٨ ابناء النور ٣
٩ أمثال العرب
١٠ سحر البيان
١١ دموع الأحزان
١٢ أنساب العرب
١٣ من خيام الأعراب
١٤ فيض الخواطر
١٥ أدب المنابر
١٦ الكتابة والكتّاب

١٧ أخبار الخلفاء ١

١٨ أخبار الخلفاء ٢

١٩ أخبار الخلفاء ٣

٢٠ أمراء المسلمين

٢١ أيام العرب ١

٢٢ أيام العرب ٢

٢٣ طرائف الشعراء ١

٢٤ طرائف الشعراء ٢